الكتاب التذكاري



كلية دار العلوم

أعلام الصعيد

المؤتمر السنوى

١- رفاعة رافع الطهطاوي

(ت ١٨٧٣م)

إهـــــــداء ٢٠٠٧

اسرة المرحوم الدكتور / السيد عبد الحليم الزيات

جمهورية مصر العربية



كلية دار العلوم

الكتاب التذكاري

للمؤتمر السنوي

" أعلام الصعيد "

٢ ــ رفاعة رافع الطهطاوي (ت ١٨٧٣م)

المنعقد بكلية الدراسات العربية بجامعة المنيا

في الفترة من ١٣ ــ ١٥ مارس ١٩٩٩مَ

الإخراج الفنى وتصميم الغلاف
محمود عيد - إيمان إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(افتتاحية)

بالأمس احتفلنا بالعلم الأول وهو الإمـــام القرطبـــي ، واليوم نحتفل بالعلم الثاني المفكر الكبير رفاعة رافع الطهطاوي "١٨٠١ـــ ١٨٧٣م" ، رائد النهضة الفكرية الحديثة في مصـــر والعالم العربي ، الذي كان موسوعة علمية وفكريـــة وتربويـــة عظيمة كان لها أثرها الكبير في عالمنا الحديث ، ومن أجل هـــذا تم اختياره هذا العام ليكون العلم المراد الاحتفاء والاحتفال بـــه ، واختيار الموضوع المصاحب له .

أ . د / محفوظ عزام

عميد كلية دار العلوم ورئيس المؤتمر

أعـــلام الصعيد

(٢) رفاعة رافع الطهطاوى (ت ١٨٧٣ م)

المؤتمر السنوى الثاني لكلية دار العلوم

[الدراسات العربية سابقا]

فى الفترة من ١٣ ــ ١٤ مارس ١٩٩٩

تحت رعاية

الأستاذ الدكتور جمال أبو المكارم " رئيس جامعة المنيا " .

السيد اللواء / مصطفي عبد القادر " محافظ المنيا " .

(رئيس شرف المؤتمر)

الأستاذ الدكتور / محمد حمدي زقزوق " وزير الأوقاف " .

(رئيس المؤتمر)

أ.د / محفوظ عزام " عميد كلية دار العلوم " .

أهداف المؤتمر

يهدف هذا المؤتمر إلى : -

أولا : تجلية حقيقة الدور الفعال لرائد النهضة الحديثة في مصر وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي .

ثانيا : إلقاء الضوء علي قضية مهمة وهي قضية الترجمة وتعريب العلوم وذلك نظرا لحاجة المجتمع إلى الترجمة وحل معضلة التعريب بالنسبة إلى العلوم التجريبية .

ثالثا : بلورة المفاهيم الصحيحة فيما يتعلق بقضية التحديث والتنوير

مقررو اللجان العلمية

أ.د / محي الدين عثمان محسب

وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

ومقرر لجنة الترجمة والتعريب

أ.د / محمد عبد الرحيم

وكيل الكلية للدراسات العليا

ومقرر لجنة الطهطاوي الإنسان والمفكر

أ.د / محمد علي الجندي

وكيل الكلية لشئون البيئة

ومقرر لجنة التحديث والتنوير

محاور المؤتمر

المحور الأول

- حياة رفاعة الطهطاوي الإنسان والمفكر
- حياة رفاعة
- مصادره أو روافده الفكرية
- رحلته إلى فرنسا
- جهوده في مجالات التحديث
- الطهطاوي مفكرا إسلاميا

الطهطاوي أديبا

المحور الثاني

- الترجمة والتعريب
- أولا الترجمة
- الترجمة والتحديث
- الترجمة واللغة
- الترجمة الأدبية
- الترجمة والعلوم التجريبية

ثانيا : التعريب

- الترجمة والتعريب
- تعريب العلوم التجريبية
- التعريب وقضايا المصطلح

- تقويم تجارب التعريب

◘ المحور الثالث

- التحديث والتنوير

أولا : التحديث

- مفهوم التحديث
- اتجاهات التحديث في العالم العربي
- التحديث والعلوم المختلفة

ثانيا : التنوير

- مصطلح التنوير
- الأخلاق والتنوير
- التراث والتنوير

برنامج المؤتمر

اليوم الأول السبت ١٣ / ٣ / ١٩٩٩ الساعة (١٢) ــ ظهرا .

الجلسة الافتتاحية

القرآن الكريم

كلمة السيد أ . د / محمود حمدي زقزوق " وزير الأوقاف " .

كلمة السيد اللواء مصطفي عبد القادر " محافظ المنيا " .

كلمة السيد اللواء أحمد بكر " محافظ سوهاج " .

كلمة السيد أ . د / جمال أبو المكارم " رئيس الجامعة " .

كلمة السيد السفير / محمد فتحي رفاعة " ممثل أسرة الشيخ رفاعة " .

كلمة السيد أ . د / محفوظ عزام " رئيس المؤتمر " .

الساعة ٢.٣٠ الغداء .

الجلسة العلمية الأولى (القاعة أ) المحور الأول .

اليوم الثاني الأحد ١٤ / ٣ / ١٩٩٩م الساعة ١٠ : ١ ظهرا .

الجلسة العلمية الثانية (القاعة ب) المحور الثاني .

الساعة ٢.٣٠ الغداء .

الجهات المشاركة

١ ـــ محافظة المنيا

٢ ـــ وزارة الأوقاف

(المراسلات)

ترسل جميع المراسلات باسم الأستاذ الدكتور / محفوظ عزام

عميد كلية دار العلوم ورئيس المؤتمر

لمزيد من المعلومات والاستفسارات يمكن الاتصال بمكتب أ . د / عميد الكلية .

تليفون / ٣٦٤٥٢٤ / ٠٨٦

٣٦٦٠٩١ / ٠٨٦ (خاص)

فاكس : ٣٦٦٠٩١ / ٠٨٦

الجلسة الافتتاحية

كلمة السيد

أ.د محمود حمدي زقزوق

" وزير الأوقاف "

لقد حبا الله بعض خلقه بمواهب خاصة . وهناك بعض الناس تظل مواهبهم كامنه لا تخرج إلى حيز الوجود لأنها لم تجد الاهتمام والعناية بها مثل الشجرة التي يغرسها المرء فى تربية صالحة لكنها لا تجد العناية والاهتمام فتكون مصيرها الذبول والموت . والمواهب البشر يسرى عليها ما يسرى على النبات فى هذه الأحوال

ورفاعة الطهطاوي كان من غير شك عبقرية فذة انعم الله عليه بذكاء حاد وبصيرة نافذة وعقلية مستنيرة ولكن ذلك كله كان يمكن إن يظل كامنا لا يظهر أثره فى دنيا الواقع إذا لم يجد التربية الصالحة أو الرعاية والاهتمام وقد كان رفاعة الطهطاوى محظوظا لأنه وجد من يتعهده بالرعاية ليخرج من نفسه الطاقات الكامنة لتجعل منه قائدا للتنوير فى مصر بلب فى المنطقة العربية كلها ..

ومن هنا فإننا إذا أردنا أن نفهم الطهطاوي فأنا علينا أن نبحث فى مكونات فكره وعن البيئة العلمية التي نشا فيها وعن الأشخاص الذين كان لهم دور فى تنمية مواهبه وظهور نبوغه.

لقد ولد رفاعة الطهطاوي فى نفس العام الذى شهد خروج الفرنسيين من مصر بعد فشل الحملة الفرنسية عام ١٨٠١ منذ قرنين من الزمان وهذه الحملة بصرف

النظر عما صاحبها من عدوان سافر وظلم فاحش لقد لفتت الانتظار إلي ضـــرورة التعرف على التطور العلمية والتقدم الذى حدث مستويات عديـــدة خـارج مصـر والوطن العربي فالعلماء الذين صاحبوا الحملة الفرنسية تركوا ببحوثـــهم أثـرا لا يمكن إنكاره لقد استرعى هؤلاء العلماء - على سبيل المثال - ببحوثهم العلميــة نظر شيخ وقور مولع بالبحث عن كل جديد ليس فقط فى علوم الدين وإنمـــا فـى مجالات العلوم النظرية والعلمية كالطب الهندسة والرياضيـات والفلسـفة والفلـك والتاريخ والجغرافيا وسائر المعرفة البشرية وقد كان هذا الشيخ هو حسن العطـار أستاذ رفاعة الطهطاوي الذي استفادة مباشرة من علماء الحملــة الفرنسـية مـع كراهيته الشديدة للاحتلال الفرنسي وقد كان هذا الشيخ " اكبر مـن إدراك الجـانب الحضاري الذي مثلته الحملة الفرنسية والتحدي الكامن فى هذا الجانب " ولم يكـون بعد ذلك مستغربا أن يتم إرسال الطهطاوي ورفاقه إلى فرنسا ذاتها التي مارسـت العدوان على مصر لينهلوا من علمها ويغترفوا من ثقافتها وذلك بعد مـرور ربـع قرن فقط على نهاية الحملة الفرنسية العسكرية على مصر وهذا يؤكد الأثر الإيجابي المشار إليه .

لقد حظى الطهطاوى بالتتلمذ على الشيخة حسن العطار الذى اصبح فيما بعد شـيخا للأزهر وقد احب الشيخ تلميذة رفاعة لما لمسه فيه من الذكاء والنجابة فقربة إليـه وأحاط برعايته وكان رفاعة يتردد على بيت شيخه كثيرا يقرأ علية بعــض كتـب العلوم الحديثة وقد دفع الشيخة تلميذة الطهطاوى لتدريس الحديث والسنه بطريــق المحاضرات دون التقيد بكتاب خاص أو نص معروف كما كان الحال لـدى علمـاء ذلك العصر فكان ذلك مثار إعجاب العلماء والطلاب على السواء وكان الشيخ حسن

العطار هو الذى رشح تلميذة رفاعة الطهطاوى ليكـون إماما للبعثة المصرية المسافرة إلى فرنسا وهو الذى وجهه وأرشده إلى أتعاب من آثار الحضارة الفرنسية وأشار عليه بتدوين كل ما شاهده أو يعرفه أو يسمع عنه فكانت نتيجة هذه التوجيهات أن ألف الطهطاوي كتابة تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز وقد كتب الشيخ حسن العطار تقريظا لهذا الكتاب ولا يجوز أن نقلل من تأثير حسن العطار على الطهطاوى ولنصور الوضع بالنسبة للطهطاوى ولو لم يلتق بحسن العطار ولو لم يسافر إلى فرنسا بناء على ترشيح الشيخ حسن العطار ؟

هل كان سيصبح هو الطهطاوى الذى عرفناه فيما بعد ؟ هل كامن سيقدر لنا أن نحتفي به اليوم ؟ إنني اشك فى ذلك .

لقد كانت المهمة الرسمية للطهطاوى هي الإمامة الدينية للبعثة " صحبة الأفندية المبعوثين لتعلم العلوم والفنون الموجودة فى هذه المدينه البهية " كما يقول الطهطاوى نفسه فى مقدمة كتابة تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز ولكن الطهطاوى - الذى لم يهمل مهمته تلك - وجد الفرصة إمامة سانحة للاستفادة من وجودة فى فرنسا بطريقة رائعة جعلت منه رائدا للتنوير فى مصر ولم يعد أحد يذكر آيا من أفراد البعثة الذي كان هو مجرد مرافق لهم والذين ذهبوا ليتخصصوا فى مختلف العلوم وبقى اسم الطهطاوى شامخا يجلجل فى أسماع التاريخ لقد اصبح الطهطاوى أن يحدث فى المجتمع يقظة فكرية غير مسبوقة أهلته لان يكون زعيما لحركة التنوير فى مصر ورائدا للفكر العربي الحديث والمتبع لمسيرة الطهطاوي التنويرية يجد انه لم يتجه أبدا إلى القطيعة الثقافي مع التراث الحضاري الإسلامي

وإنما مزج فى تنويره بين الأصالة المعاصر مزجاً فريــــدا فقــد احتفــظ بالتقـــاليد الإسلامية واخذ فى الوقت نفسه بالتحليل العقلي الذي تتميز به الثقافي الفرنسية .
ولكنه لم ينس أن ينبه إلى أن الكثير من السلبيات الشائعة فى المجتمعات الإسلامية والتي تنتسب إلى الإسلام لاصله لها فى حقيقة الأمر بالإسلام الذي هو دين التقـــدم الحضاري فى جانبيه المادي والمعنوي لقد كانت رحلة الطهطاوى إلى فرنسا هــــي أول اتصال مثمر بالحضارة الغربية فى العصر الحديث وتمثل هذه الرحلة اكبر حدث فى حياة الطهطاوى واهم نقطة تحويل فى تفكيره وفى الوقت نفسه كــــانت تمثـــل بالنسبة لمصر حدا فاصلا بين عهد الركود الثقافي فى عـــــهد العثمـــاني والبدايـــة المشرقة بالأمل لعهد جديدة. وقد كرس الطهطاوي بعد عودته من تلك الرحلة كـــل جهود لإصلاح المجتمع خطته فى ذلك ترمى إلى نشـــر التعليـــم وتنويـــر العقـــول وترجمة المعارف المختلفة والعلوم النافعة من الثقافة الغربيــــة وإصــلاح الفكـــر بالقضاء على الأفكار الخاطئة والآراء الفاسدة ونشـــــر أفكـــار التقـــدم والنهضـــة والارتقاء وتبصير الأمة بروعة الماضي وخصب الحاضر ورجاء المستقبل الأمـــــر الذي من شانه إشاعة الثقة فى النفوس ومدها بأسباب الأمل فى تغير أحوال الأمـــة لنهضة من عثرتها وتخرج من عزلتها وينطلق الجميع نحو البناء والتقدم من اجـــل خير المجتمع ومما لا شك فيه أن المجتمع الغربي بصفة عامة والمجتمع المصـــري بصفة خاصة قد شهد تحولات أساسية فى جميع المجالات ولكن المتأمل فى مســيرة التنوير منذ الطهطاوى يلاحظ بطء التأثير فى أحداث النهضة المطلوبة التي تضــــع الأمة فى مصاف الشعوب المتقدمة فلا تزال الدولة العربية فى عداد الدول الناميـــة ولا تزال الأمية ضاربة بإطنابها بنسبة لا يستهان بها فــــى المجتمعـــات العربيـــة

والإسلامية وعلى الرغم من القشرة الحضارية فى بعض المجتمعات فـــان جوهـــر المشكلة لم يتغير.

لقد سبق أن حدد مالك بن نبي المراحل التي تمر بـــها الأمـــة لتصـــل المرحلـــة الحضارية المرجوة. فهناك عالم الأشياء ثم عالم الأشخاص ثـــم عـــالم الأفكـــار .
والوصول إلى عالم الأفكار يعنى الإبداع الحضاري على جميع المستويات.

والطهطاوى بدعوته إلى إصلاح الفكر كان يهدف إلى الوصول إلى هـــذه المرحلـــة الواعية التي أشار إليها مالك بن نبي فيما بعد والتي من شـــانها تغيـــير العقليـــات بطرح الأفكار البالية وتطهير العقول منها لتحل محلها الأفكار المفيدة البناء التـــي تشق للامة طريقها نحو التقدم والرقى .

واعتقد أننا - بعد مرور اكثر من قرن وربع قرن على وفاة الطهطاوى - لا تزال فى اشد الحاجة إلى أفكار الطهطاوي التنويرية إذ لا تزال هناك أفكار باليـــة ومفـــاهيم خاطئة منتشرة بين قطاعات عريضة من الجماهير التي تنسب هـــذه الأفكـــار إلـــى الإسلام منها برئ ولكنها تعطل حركة المجتمع وتعوق مسيرة تقدمه كما لا يـــزال الكثيرون يميلون إلى وثقافة المحفوظات والترديد بدلا من ثقافة التغيير والإبداع .

أن الأمر يبدو كما لو كان الطهطاوى كانت مجرد صرخة فى واد أو نفخة فى رمـــاد . ولعا ما يدل على ذلك أن كتاب الطهطاوي (تلخيص الإبريز فى تلخيص بـــاريز) كانت طبعة ثانية فى حياة الطهطاوى عام ١٨٤٩ ولكن الطبعة الثالثة لم تظـــهر إلا فى عام ١٩٠٥ أي بعد ست وخمسون عاما وقد احتاج الأمر بعد ذلك إلى الانتظـــار اكثر من نصف قرن ليعاد طبعه مرة أخرى فى نهاية الخمسينيات من هـــذا القـــرن وهذا يدل على أن درجة الاهتمام بأفكار الطهطاوي لم تكون تتـــلاءم مـــع أهميـــة

ومضمون الأفكار ونحن على يقين من انه لو كان قد قدر لأفكار الطهطاوي وغيره من الرواد الحقيقيين للتنوير أن تجد طريقتها إلى العقول والإفهام لما وجدت الأفكار البالية والمتطرفة لها مكانا فى مجتمعاتنا ولما استطاعت أن تعطل مسيرة الأمة على النحو المعروف للجميع .

ويتساءل المرء هل كانت الفترة التي امتدت منذ بداية المسيرة التنويرية للطهطاوى إلى قرن ونصف قرن غير كافية للإنضاج أفكار التنوير بحيث تجعل قطوفها دانية ؟ أم أن الظروف التي تعرضت لها مصر بالاحتلال الإنجليزي على مدى ثلاثة أرباع قرن وضعت العقبات أما هذه المسيرة ؟

أما أن إعداد التنوير ودعاة الجمود كانوا اكثر قوة واشد عزما على تقويض أركان التنوير ؟

أن الاحتفال الطهطاوي اليوم لا ينبغي له أن يقف عند حد تعديد مأثرة وابرز أفكاره الإصلاحية والإشادة بحركة التنوير وإنما ينبغي أن يمد الأمر إلى مناقش قضية التنوير ذاتها بكل أبعادها المختلفة وتقييم مسيرة التنوير منذ الطهطاوى حتى اليوم ودراسة كل العقبات التي وقفت أو لا تزال تقف فى طريقها وكيفية التخلص من ذلك كله حتى يمكن أن يتعادل الميزان وتأخذه مسيرة التنوير طريقها الصحيح الذى من شانه الأخذ بيد الأمة إلى الإمام فقد أن الأوان لتحليل الأوضاع بطريقة علمية بعيدة عن التأثر بمؤثرات عاطفية انفعالية أو ميول أيدلوجية وذلك منة اجل خير المجتمع وبذلك نرضى ضمائرنا ونرضى الطهطاوى فى مثواه .

رحم الله الطهطاوى وجزاه خيراه جزاء على ما قد لامته وتحيـــة لمحـــافظ المنيـــا ولجامعتها ولكلية الدراسات العربية بها ولكل من اسهم بفكره وعمله وجهده فـــى اقامة هذه الاحتفالية التي نرجو لها كل النجاح والتوفيق .

كلمة

السيد اللواء / مصطفى عبد القادر

محافظ المنيا

فى كل يوم تؤكد جامعة المنيا - بقيادتها الواعية المستنيرة - عراقتها ودورها الريادي المتجدد فى تنمية المجتمع من حولها ، بالانفتاح علية وتبنى مشاكله وقضاياه وفى تقديم الزاد الثقافي والعلمي لابنائة تنويراً لعقولهم وبناءا لشخصياتهم وتربية لضمائرهم الوطني وترسيخاً لقيم الحب والوفاء والتقدير لديهم ، لكل أولئك الذين اجزلوا العطاء فى الصدق و إخلاص من آباء والأجداد ....

ومؤتمرانا اليوم - مؤتمر إعلام الصعيد - الذى تتفتح بها جامعة المنيا العريقة سلسلة المؤتمرات السنوية لتخليد أعلام مصر من الذين نبتوا فى ارض الصعيد إنما هو اعتقادي رسالة من اجل شبابنا حتى يتعرف على مدى إنجازات ابائة وأجداده الرواد فى حركة التنوير والنهضة الوطنية وحتى يعي الشباب حجم المسؤلية الملقاة على عاتقة فى طريق العمل والأمل من اجل مستقبل مصر ومصر المستقبل.

فالأمم - كما نعلم - تبنى حضارتها بجهد أبنائها ونضائلهم وفكرهم فى مذتلف المجلات العلوم والفنون ويحفظ ضميرها وتاريخها وذاكرة أبنائها بمواقف رجالها ونضائلهم وفكرهم إعزازا لهم واعتزازا بدورهم وعرفانا بفضلهم وليتخذوا منهم القدوة والمثل ومن ثم تدور العجلة ويستمر ميلاد المبدعين والرواد فى كل جيل ويتأكد التواصل بين الأجيال بما يرسخ معاني الانتماء ويؤكد ويقوى مشاعر الولاء فالانتماء هو الوقود الذى يشغل الحماس والحيوية ويعبئ النفوس يدفعها لتنمية الوطن والموطن ومن هؤلاء الرواد الأفذاذ الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى ولد

عام ١٨٠١ وامتد به العمر حتى عام ١٨٧٣ ... وكان لنشأته فى أسرة أمدته بـزاد من الثقافة الكبير الى جانب كونه صاحب عقل موسوعي وفكـر مسـتنير ونفـس طموحة وأمال عريضة وحب وفهم للعلم والمعرفة وشغف بالبحث وتتلمـذه علـى نخبه من فطاحل أساتذة عصرهم من الشيوخ الأزهر الشريف ومن أبرزهم الشـيخ حسن العطار الذى كان له الأثر الكبير فى طموحه وعلوه همته الأمر الذى جعلـه لا يكفى بان يكون الإمام فى الصلاة للمبعوثين الى فرنسا عام ١٨٢٩ فقط بل ليصبـح إماما وزعيما للنهضة العلمية فى مصر حينما أفاقة فى فجر القرن التاسع عشر وقد ساعد فى ذلك كونه متقد الذكاء حاضر البديهة صاحب ذاكرة واعية يقظة سـريعة الالتقاط سريع التذكر وكان العناية الإلهية قد أعدت وهيأت له الظروف لان يكـون كذلك لقد أدرك بحسه الوطنى المنتمى بحسه المستنير أن لا سبيل الى لحاق مصـر بالغرب الناهض إلا بالاغتراف من علوم الغرب وفنونه وآدابه مـع بعـث تـراث الماضي وتجديده آمن بالمعاصرة ولكنه لم يتخل عن الأصالة ومزج بيـن العلـم والدين حتى اصبح رفاعة الطهطاوى وثيقة عالمية الاتصال الإنسانية وتفاعلها ...

وللعلم عنده لا يثمر إلا إذا قام على وعى الآمة وبعث تراثها الماضي وتجديده ومن ثم الإيمان بعلم الغرب وفنونه وصناعته وقد رأى العالم الفرنسـي (جومـار) فـى رفاعة انه خير همزة وصل لنقل المفردات الحضارة الفرنسية والحضارة الأوربيـة عامة إلى مصر ومنها الى الشرق اهتم رفاعة بما يمكن أن نسميه الانتماء حيـث عرب في اكثر من موضوع عن أهمية الربط بين التربية والحرية كما أوضح أهمية الربط بقين العلمية التربوية والأهداف الأساسية التي تسعى الدولة لتحقيقها لذلـك فان المنهج التربوي السليم عنده يجب أن يكون نابعا من الفـهم التام لظـروف

المجتمع حتى يمكنه رصد أهدافها وخطوات تنفيذها والمقوم الرئيسي لعملية التربية هو العلم وكان رفاعة الطهطاوى يرى أيضا على الأمة أن تصرف الهمة فى التعليم البنات والصبيان معا وان نزيد من تسويق الأدباء والعلماء بالمكافئة اللائقة والتحف وان العمل هو أساس الغنى والسعادة ومنبع الأموال المستفادة

وكانت اجمل سنوات عمرة واخصب عطائه الفكري هو الذى بعد الخروج المعاش فى ظل الحكم إسماعيل من العام ١٨٦٣ الى ١٨٧٣ حيث أعطى معظم آثاره الفكرية فى الميدان والتأليف وفى ميدان الترجمة وفقد قاد حركة الترجمة فى مصر بعد عودته من باريس وتعينه رئيسا لقلم الترجمة عام ١٨٤١ بعد أن أسس أول مدرسة الألسن عام ١٨٣٥ وبإنشاء هذه المدرسة اعتبر رفاعة مؤسسا لحركة النهضة اللغوية فى مصر واستمرت هذه المدرسة تدير الحركة الثقافية العامة فى مصر زهاء خمس عشر عاما لم يكتف الطهطاوى بترجمة مقامات الحريرى والقانون الفرنسى الذى كصدر فى عهد نابليون والقانون المدنى والقانون التجارى والدستور العثمانى فقط بل ترجم أيضا اعظم كتبه (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز) الذى يقول عن المستشرق لوكسان (إن رفاعة أراد أن يوقظ بكتابه هذا أهل الإسلام ويدخل عندهم الرغبة فى المعارف المفيدة ومولد عندهم حب التمدن والترقى) وكذلك كتاب مناهج الألباب والمرشد الأمين ومغامرات تلماك مما يؤكد إيمانه بضرورة التفاعل الحضارى للمجتمع من غيره من المجتمعات ....

وبقدر ما كان رفاعة رائدا فذا للترجمة والتنوير بقدر ما كان رائد عظيما أيضا بما تقدم بمشروع مكاتبة الملة - أي مكاتبة الأمة - لنشر التعليم بين عامة الشعب سابقا بذلك محمود فريد وطه حسين وقد وقف الطهطاوى موقف الوطنى الغيور

يوم أن جعل دراسة اللغة العربية إجبارية سابقاً فى ذلك أيضا سعد زغلول عندما نادى بتمصير وتعريب التعليم ...

وبرؤيته المستشرقة المستقبلية الصائبة ، حقق ريادته فى مجال الصحافة يوم أن تولى رئاسة التحرير الوقائع ومجلة (روضة المدارس) حيث قام بتمصير الوقائع إلى جانب حرصه على أن تكون مجلة (روضة المدارس) نموذجا للصحافة فى تقسيم موادها وأبوابها بما يشبه تقسيم صحافتنا المعاصرة كما صور صحف باريس بأنواعها وقال عنها إنها تؤثر الصدق حينا والكذب أحيانا .... وتتجلى ريادة رفاعة وسبق لزمانه أيضا فى تأثير الكبير والعميق فى نواحي الحياة المصرية السياسية والأدبية والفكرية حيث نادى بالتعليم المختلط (لبنين والبنات) وكانت الترجمة هي عشقه الأول والأكبر وهى عنده الوسيلة الباقية بمضامينها فى مجال اللغات حاملات الثقافة ولا عجب إذا رأيناه يعطى الترجمة حياته كلها حتى اصبح الرائد المصرى الأول فيها كفى التاريخ مصر الحديث ... ولقد آمن بان كل ما من شانه تزويد المفاهيم والمعارف يعتبر الثقافة ، والثقافة يتم التعرف بها فى الترجمة من مستوى لغوى الى آخر وفى باريس ترجم اثنى عشر كتاباً ، وفى تلخيص الإبريز - اشهر كتبه - يبرز الطهطاوى مدى اهتمام الناس فى فرنسا باقتناء الكتب كل على قدر حالته داعيا بذلك الى الاهتمام الى اقتناء الكتب حتى تنتعش الحالة الثقافية فى بلادنا ... تماماً كما تفعل السيدة الفاضلة سوزان مبارك مع الأطفال والشباب والأسرة فى مصر الآن بمشروعاتها العملاقة (القراءة للجميع) لقد كان رائدنا العظيم لمحات ذات نظرة ثاقبة ولذا لقد سجل فى كتبه (تلخيص الإبريز) أيضا صوراً من حياته فى مدينه النور ورسم لوحات حيه عن الحياة الاجتماعية فى

فرنسا بتقاليدها وعادتها وأساليبها ولهوها وهزلها وعملـــها وإنتاجـــها وصحفـــها ووسائلها التنقل والاقتصاد فى القرن التاسع عشر مقارنا ذلك كله بما كان عندنا فى مصر فى تلك الفترة !!

كان وطنيا صادق الوطنية وهذا سر اصطدامه بالعبـــاس الأول ومـــن حولـــه !!.. فرفاعة كان يؤيد المصرية الكاملة بينما عباس ومن حوله كانوا يؤيـــدون تبعيـــة مصر للعباسيين ولهذا تم نفى رفاعة الى أسوان بزعم إنشـــاء مدرســـة ابتدائيـــة لاحتياج أسوان إليها وفى كتاب (التلخيص) قارن بين الاهتمام الفرنسيين بـــــالعلوم والمعارف العامة وبين قصر اهتمام الأزهر وسائر جامعات العربيـــة وقتـــها علـــى العلوم العقلية ونادى بضرورة حسن استخدام الوافد دون احتقار الموروث !!.

كان يؤمن بان الاستثمار فى التعليم هو اعظم ألوان الاستثمار ولـــذا فـــان المقـــوم الرئيسي لعملية التربية عندا رفاعة هو التعليم ..

لقد كان الطهطاوى نموذجا طيبا للعطاء أثار عقول جيل من أبناء الشعب ولا عجب فى ذلك فهو المدرس والمترجم والمحرر وكاتب المقال الصحفى وناظر المدرسة - كان مفكرا شاملا أعاد إلى الأذهان صورة رواد عصر النهضة الأوربية بلا مبالغـــة !! نقل مع أجيال من أبناء الشعب ولهم ولمن يأتي بعدهم كنزا من الثقافـــة يفتح لقومه آفاقا مجهولة ... وأخيرا أقول لقد كان رفاعة أول مؤرخ مصري آمن بأمجاد التاريخ المصري الفرعوني القديم ولم يلعنه ولم ينقص من قدرة كما فعل سابقو تحية وفاء للرائد الجليل رفاعة رافع الطهطاوى - شريف النسب - فقد كـــان أحـــد العباقرة الذين أنجبتهم مصر وارتقوا بها فاستحقوا فى تاريخها الخلود .

محافظ المنيا / مصطفي عبد القادر

كلمة السيد اللواء/أحمد بكر

محافظ سوهاج

السيد الدكتور / محمود حمدي زقزوق .

السيد اللواء / مصطفي عبد القادر .

الأستاذ الدكتور محمد الناغي .

الأستاذ الدكتور / محفوظ عزام .

السيد السفير / محمد رفاعة الطهطاوي .

السادة الحضور ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدني ونحن في رحاب جامعة المنيا ، والسيد اللواء / مصطفي عبد القادر .. محافظ المنيا أن نلتقي في هذا الجمع الكريم حول مؤتمر الإمام رفاعة رافع الطهطاوي .. أحد أبناء سوهاج العظام ، ومؤسس النهضة الحديثة لمصر .

وأنني إذ أتوجه بخالص الشكر والتقدير لمجلس جامعة المنيا علي دعوته الكريمة لمؤتمر أعلام الصعيد .

فأنني أخص بالشكر الأستاذ الدكتور / جمال أبو المكارم والسادة الأساتذة أعضاء مجلس الجامعة علي اختيارهم بأن يكون مؤتمر هذا العام عن العالم الجليل والفيلسوف الرائد رفاعة الطهطاوى .

ولقد كان اختيار محاور المؤتمر الثلاثة وهي : —

رفاعة الإنسان والمفكر ، الترجمة والتعريب ، التحديث والتنوير اختيارا موفقا لإلقاء مزيدا من الضوء علي فكر الفيلسوف العالم المتدين أمام شبابنا لكي يتعرف عن قرب علي ملامح هذه الشخصية الفذة التي أرست النهضة العلمية الحديثة لمصر . هذا العالم الذي عاصر أحداث مصر الجسام وأسهم فيها وتفاعل معها وأثر فيها وتأثر بها.

وهو العالم الذي استطاع أن ينقل علم أوربا إلى مصر حيث قام بترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية ، وأسس مدرسة الألسن ، وكانت غايته من تأسيسها نقل علوم الغرب إلى مصر فهو بحق رائد التنوير بمصر .

إن اهتمام الجامعة بإلقاء الضوء علي علماء الصعيد أمر طبيعي لكي يتعرف أبناؤنا الطلاب علي فكر وعلم هؤلاء العلماء ليكونوا لهم قدوة ونبراسا يحتذون بهم وينهلون من علومهم .

وإننا في عصرنا الحالي أحوج ما نكون إلى العلماء في شتي مناحي العلوم كي نحقق لبلادنا نهضة " اقتصادية و اجتماعية و ثقافية و علمية " كي نواكب التطور الحديث والمتلاحق في دول أوربا وأمريكا إلي جانب حاجاتنا الملحة إلى التمسك بقيمنا ومبادئنا التي نستمدها من ديننا الحنيف .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لما فيه خير مصر تحت قيادة السيد الرئيس / محمد حسني مبارك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

كلمة السيد اللواء / أحمد بكر

محافظ سوهاج

كلمة الأستاذ الدكتور /

جمال أبو المكارم

رئيس جامعة المنيا

السيد الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق .. وزير الأوقاف .. ورئيس شـرف هذا المؤتمر .

السيد اللواء / مصطفي عبد القادر .. محافظ المنيا ..

السيد اللواء / أحمد بكر محافظ سوهاج

سعادة السفير محمد رفاعة الطهطاوي .. ممثل أسرة الرائد العظيم ..

السيد الأستاذ الدكتور / محفوظ عزام .. عميد كلية الدراسات العربيـة .. رئيس المؤتمر

السادة الإجلاء .. ضيوف المؤتمر .. من علماء ومفكرين وإعلاميين ..

زملائي وأصدقائي الكرام .. أعضاء أسرة جامعة المنيا من عمداء الكليات وهيئـات التدريس والعاملين ..

أبنائي وبناتي طلاب الجامعة وطالباتها .. في البداية أقدم اعتذاري لعدم الحضـور بين يديكم اليوم وذلك لانشغالي بحضور جلسة المجلس الأعلى للجامعـات بطنطـا وتحية طيبة وتقديرا كاملا .. لكل هذه الصفوة الممتازة التي تستقبلها رحاب جامعة المنيا .. وإننا لنعتقد أن حضوركم الكريم اليوم إنما يصدر عن إدراك عميق لطبيعة دور الجامعة في تجديد وعي الأمة بذاتها ، ورسالتها النبيلة في إضـاءة مشـاعل الاستنارة والريادة والتقدم ،وإنه لمما يساعد النفس حقا أن تكون جامعة المنيا هـي مكان الالتقاء والدرس والحوار حول شخصية تاريخية عملاقة ، ودور ريادي فـذ

جسده واحد من أبناء صعيد مصر المعطاء : رفاعة رافع الطهطاوي ،الـــذي كـــان واحدا من قادة وعي الأمة ، ومشعلا هاديا لدخولها العصر الحديـــــث مـــن بوابـــة الأصالة والاستنارة .

أيها السيدات والسادة ..

إن لقاءنا اليوم علامة غزيرة الدلالة ، وحدث معرفي متعدد المغزى .. إننـــا أمـــام إضاءة كاشفة وقراءة جادة ، يعيد من خلالها عقل الأمة اكتشاف أعماقه الخصبة ، وإحياء طاقته المبدعة ، .. وذلك من خلال التأمل والتقويم والتأصيل والتعميـــق .. لكل القضايا الحضارية والمعرفية التي فجرها عطاء رفاعة الطهطاوي .

وفي هذا السياق الجاد فان أي تأصيل منصف لعطاء الطهطاوي لابد أن يصل إلـــى تقرير جملة من الحقائق الموضوعية . ولعلي استأذن حضراتكم في التـــأكيد علـــي بعض هذه الحقائق مما يتصل بدور رفاعة الطهطاوي في تشكيل وعينا الحديث :

أولا: يري الطهطاوي أن " التمدن "يقوم علي اصلين متكاملين هما الأصل المـــادي الذي يعني التقدم فيما اسماه بالمنافع العمومية كالزراعة والتجـــارة والصناعـــة ، والأصل المعنوي وهو التقدم في الأخلاق والآداب والعوائد ؛ أي العادات . ولا شـــك أن هذه النظرية في التقدم الحضاري تعطي نموذجا للفكر التكاملي الـــذي لا يســـيد جانب المادة علي حساب منظومة القيم والطاقـــات الروحيـــة والإبـــداع الثقـــافي والجمالي . انه بمصطلحنا اليوم مشروع " التنمية الشاملة " .

ثانيا: أن إيمان الطهطاوي بتفوق الحضارة الغربية في مضمـــار العلـــوم والفنـــون والصنائع لم يدفعه إلى اعتناق نزعة تخريبية تصل به إلى الأزمة ، أو إلى القطيعة مع ثقافة الأمة ورؤيتها الحضارية . ففي عقل الطهطاوي كـــان اجتمـــاع الشـــرق

والغرب اجتماع وفاق لا صراع . وفاق يقوم – نظرا أو عملا – علي الإيمان بوحدة العلم ووحدة المعرفة ، وان الإنسانية واحدة ، وان تطور المسيرة الحضارية يعود علي العالم بالنفع العميم . ولعلن اليوم أحوج ما نكون إلى التأكيد علي قيمة التكامل الحضاري ، وإيجابية حوار الثقافات في مواجهة فلسفة صدام الحضارات .

ثالثا : لقد كان الطهطاوي هو المعلم الذي وجد أن الحل التربوي هو طريق الحل النهضوي الشامل ، فلم تكن آراؤه التربوية والعلمية والمعرفية والحضارية منفصلة عن الإدراك الواعي لصلتها بالمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لقد أدرك رائد النهضة العربية أهمية التعليم في عملية التحول الاجتماعي ، وتجلي ذلك في رسمه لمعالم المناهج التعليمية المحدثة . وهاهو التعليم في مشروع نهضتنا الحالي يوضع في صدارة اهتماماتنا .. وهاهي القيادة السياسية – وعلي رأسها السيد الرئيس محمد حسني مبارك – تؤكد ضرورة الانطلاق من تطوير التعليم وتحديثه والارتقاء به لتحقيق نهضة مصر الحديثة .

رابعا إن إدراك الطهطاوي لأهمية دافع " الانتماء الوطني " في تحقيق النهضة ، وحديثه المتكرر عما كان يسميه " الحمية الوطنية " تلك الحمية التي جعلته يهتف وهو في باريس – عاصمة النور الأوروبي – ليقول :

لئن طلقت باريس ثلاثا

فما هذا لغير وصال مصر

أقول : أن كل ذلك يجعل الطهطاوي أول مفكر مصري في العصر الحديث نجد لديه البدايات الأولى لفكرة الوطنية المصرية . لقد كانت مصر لدي الطهطاوي " اعظم البلاد واعمرها " ومقومات الوطن عنده هي أن يكون ثمة رؤية للعالم مشتركة بين

أبناء الوطن الواحد . ولا شك أن تحريض الطهطاوي علي فكرة الانتماء للوطن إنما كانت إحدى رسائله الجليلة للأجيال التي جاءت من بعده وهي رسالة تتجدد قيمتها مع كل خطوة يمضيها الوطن صوب تحقيق وجوده الحقيقي في التاريخ .

خامسا : لم يكن الطهطاوي يري أن تحديث المجتمع يقتصر علي فئة دون فئة أو انه حق للرجال دون الإناث . فنهضة المجتمع مشروع شامل تقوم به كل الفئات ، ويتسع في كل ميادين الحياة . ومن هنا جاءت تصورات الطهطاوي حول ضرورة تعليم المرأة وتأهيلها لمشاركة الرجل ، وحقها في العمل . لقد كان الطهطاوي " المرشد الأمين "بحق لمسلك طريق النهضة . فهذا الطريق يبدأ من حق التكافؤ في فرص التعليم حيث يتم بناء التوازن الاجتماعي من خلال قيم تعليمية مشتركة بين جميع أبناء المجتمع .

أيها السيدات والسادة ..

هذه بعض التجليات المضيئة التي يشعها حضور رفاعة الطهطاوي بيننا اليوم . ولا شك أن هذا المؤتمر سيثمر ـ بمناقشاتكم وبحوثكم ـ إضافات جمة تثري فهمنا ، وتعمق تقديرنا لشخصية هذا العلم الرائد .

وإنني باسمي شخصيا ، وباسم كل أعضاء أسرة جامعة المنيا ـ لأتوجه بكل التقدير والترحاب للأستاذ الدكتور / محمد حمدي زقزوق .. وزير الأوقاف .. العالم الجليل الذي أعطى كل رعايته ودعمه لمسيرة مؤتمر مسيرة " أعلام الصعيد " .. وهاهو في الحلقة الثانية من هذا المؤتمر ـ يواصل هذا الدعم الكريم .. متوجا المؤتمر بحضوره وتشريفه للسنة الثانية .. فأهلاً به .. وشكرا دائما ..

أما السيد اللواء / مصطفي عبد القادر .. محافظ المنيا .. والشـريك الكريـم فـي رعاية هذا المؤتمر فهو ـ فهو كدأبه دائما ـ لا تحد عطاءه وجهده حدود .. وذلك من اجل ترسيخ العلاقة الحيوية بين المجتمع والجامعة . وإننا نود هنـا أن نعـبر لسيادته عن تقديرنا البالغ .. وشكرنا العميق .

وأما السيد اللواء أحمد بكر .. محافظ سوهاج فله الشكر الخاص لتفضلـه بجميـل المشاركة وعاطر التقدير .

ومرة أخري ترحب جامعة المنيا بسعادة السفير محمد رفاعة . وإننـا لنقـدر لـه حرصه علي مشاركتنا في الاحتفاء بشخصية أمام نهضتنا الحديثة . فله كل التحيـة والتقدير ..

وتبقي كلمة واجبة وهي كلمة تحية لكلية الدراسات العربيـة وعلـي رأسـها الأخ والصديق الأستاذ الدكتور محفوظ عزام عميد الكلية ورئيس المؤتمر . وأننا نقـول لأعضاء أسرة هذه الكلية : أن هذا هو العهد بكم .. وإن هذا هو دوركم في تشـكيل الوعي الصحيح .. وفي التجسيد الكامل للمنوط بكم من رسالة الجامعة .

شكرا لكل ضيوفنا الكرام . ونتمنى أن يجدوا بيننا المقام الطيب ، والتقديـر الـذي يليق بأقدارهم الجليلة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة السيد السفير / محمد فتحي رفاعة

ممثل أسرة الشيخ رفاعة الطهطاوي

السيد الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف.

السيد اللواء مصطفي عبد القادر محافظ المنيا .

السيد اللواء أحمد عبد العزيز بكر محافظ سوهاج.

السيد الأستاذ الدكتور نائب رئيس جامعة المنيا.

السيد الأستاذ الدكتور محفوظ عزام عميد كلية الدراسات العربية ورئيس المؤتمر .

ـ أيها الحفل الكريم :

اسمحوا لي بداية أن أعرب عن فائق تقديري لهذا الجهد العلمي الكبير الذي حملت لواءه جامعة المنيا بأن أخذت علي عاتقها تنظيم مؤتمر سنوي عن أعلام الصعيد ، خصصته في العام الماضي للإمام القرطبي ، ثم انعقد اختيارها علي أن تخص الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي بمؤتمرها هذا العام.

ولقد استمعت إلى الكلمة بل البحث القيم الذي افتتح به الأستاذ الدكتور محفوظ عزام أعمال مؤتمرنا ،ومن دواعي شرفي أن تربطني بهذا الأستاذ الجليل صلات عدة ليس أقلها صلة الخؤولة .

وإنه ليصعب علي أن أقف خطيبا بين أساتذة أجلاء متحدثا عن رفاعة الطهطاوي ذلك أن الصلة الحقيقية التي تربط برفاعة هي صلة العلم والفكر وليست صلة العرق والنسب ومازلت أذكر كتابا للأستاذ بهاء طاهر عنوانه " أبناء رفاعة الطهطاوي .. الثقافة والحرية " ومن هنا فإن الذين حملوا رسالة العلم والفكر

،وكابدوا البحث والدرس ، وحملوا مشعل التنوير والحضارة هم أبناء رفاعة الحقيقيون .

وقد صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم إذ قال : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ـ صدقة جارية ،وعلم ينتفع به ،وولد صالح يدعو له " ولقد ترك رفاعة وراءه، علما نافعا ، وصدقة جارية ،ولعل حديثي هنا هو من قبيل الدعاء المقبول ، فاسمحوا لي أن أسوق بين يديكم بعض ما أرى أنه يمثل الملامح الأساسية في فكر رفاعة الطهطاوي .

لقد مثل رفاعة نموذجا فريدا في الجمع بين الأصالة والمعاصرة ، فهو شيخ أزهري مسلم تمتد جذوره ضاربة في أعماق الحضارة الإسلامية يتعرض للحضارة الأوروبية في عنفوانها ، فلا يفقد توازنه وإنما يفتح عينيه وعقله ، يستحسن الحسن ويستقبح القبيح ، ويرد الأمر في كل الأحوال إلى معيار واضح هو الشرع الإسلامي وقيم الحضارة العربية الإسلامية ، ورسالته واضحة في ذهنه منذ اليوم الأول ، ففي الصفحة الأولى من كتابه الشهير " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " يثبت أن هدفه هو نقل المعارف لإحياء العلوم في مصر وفي سائر بلاد الإسلام .

وبرغم الصدمة الحضارية الهائلة وبرغم حداثة السن فإننا نري أن رفاعة قد استطاع أن يدرك الفلسفة الأساسية وراء حضارة الغرب فهو يري أن القيمة العليا في الحضارة الأوروبية هي الحرية ، وأن القيمة العليا في الحضارة الإسلامية هي العدالة، وأن مفهوم العدالة أشمل وأعمق من مفهوم الحرية كما نراه ينظر إلى فكرة القانون الطبيعي لدي الغرب ، ويقارنها بأصول الفقه في الشرع الإسلامي .

ورفاعة يميز بين العلوم المادية التي تفوق فيها الغرب تفوقا كبيرا ، وبين القيم المعنوية والفضائل ومبادئ الدين ، فهو يري أن علينا أن نحصل العلوم المادية وأن نكتسب أسباب القوة ، ولكنه يظل مؤمنا بأن حضارتنا اسمي قيما وأن ديننا هو الجامع للحقائق والفضائل ، بل إنه يري أن بعض ما لدي الغرب من قيم محمودة أو من ممارسات طيبة ، أصولها قائمة في ديننا وحضارتنا ونحن أولى بها من غيرنا .

ويبني علي الموقف الفكري السابق موقف سياسي واضح من المواجهة بين بلاد الإسلام وبين حركة الاستعمار الأوروبي ، لعل من أبرز ما يدل عليه مقالته الشهيرة بعنوان " مملكة الجزائر " والتي فند فيها دعاوى المستشرق الفرنسي والتربهونوير .

ومن ناحية الفكر السياسي فإن رفاعة الطهطاوي كان سباقا إلى الدعوة إلى إقامة بناء المجتمع علي أساس من الحرية ،وسيادة القانون ، واحترام حرية التعبير ، ولعل أبلغ تعبير عن ذلك اقتباس بعض كلماته في هذا الشأن ، فعن الحرية يقول " إن الحرية هي الوسيلة العظمي في إسعاد أهالي الممالك ، فإذا كانت الحرية مبنية علي قوانين حسنة عدلية ، كانت واسطة عظمي في راحة الأهالي وإسعادهم في بلادهم وكانت سببا في حبهم لأوطانهم " .

وعن قوة الرأي العام نجده يقول " فالرأي العمومي سلطان قاهر علي قلوب الملوك والأكابر ، لا يتساهل في حكمه ، ولا يهزل في قضائه ، فويل لمن نفرت منه القلوب ، واشتهر بين العموم بما يفضحه من العيوب " .

وعن فكره الاجتماعي نجد أن رفاعة مع إيمانه بحرية التمسك وبحريـــة النشـــاط الاقتصادي إلا انه يحوط ذلك بضمانات تمنع الاستغلال أو إساءة استعمال الحقوق ، وهو يحلل العلاقة بين عوامل الإنتاج تحليلا يقترب من التحليل الاشتراكي إذ يقارن بين دور الملكية ودور العمل في الإنتاج الاقتصادي ويري أن العمل هـــو العنصـر الرئيسي في الإنتاج فهو يقول: " إن الشغل هو أساس الغني والســعادة ، ومنبــع الأموال المستفادة ، وأنه الأصل الأول للملة والأمة ... " .

وموقف رفاعة من قضية المرأة موقف جدير بالنظر فهو لا يدعو إلى السفور، بل يحوط المرأة بسياج من فضائل الاسلام ،وآداب العرب، لكنه يدعو إلى تعليمـــها ، ليتحرر عقلها، ولتسهم في بناء المجتمع الفاضل الرشيد وليس أدل علي ذلك مـــن اختياره لعنوان واحد من أهم كتبه وهو " المرشد الأمين في تعليم البنات والبنيـــن " وهو يري أن المرأة بطبيعتها أشد استمساكا بالفضائل من الرجل وانها علي ضعفها الظاهري تتمتع بقوة نفسية " فدرجة الفضيلة في النساء ، كالعفة والعصمـــة أشـــد منه في الرجال ، بحيث يبلغن في درجة الحياء أوج الكمال، فإن المـــرأة العفيفـــة الكريمة النفس تتحمل أثقال الحركات النفسية عند الاحتياج إليها مما يعجز صنـــاديد الرجال الصبر عليه ... " ثم هو يري أن تقدم الأمم يقاس بمدي احترامـــها للمـــرأة فكلما أخذت الأمم في سبيل التمدن احترمت المرأة ، في حيـــن أن " عـــدم توفيـــة النساء حقوقهن ، فيما ينبغي لهن الحرية فيه دليل علي الطبيعة البربرية " .

ولرفاعة من قضية الوحدة الوطنية موقف فكري رفيع حيث يري أن هذه الوحـــدة تقوم علي رباط الشراكة في الوطن ويؤصل هذا المعني تأصيلا فكريا وإسلاميا راقيا

إنني لا أستطيع هنا ولا أقصد أن استقصي الجوانب المتعـددة فـي فكـر رفاعـة الطهطاوي ولكني أقول :إنه رغم مضي ما يزيد علي قرن ونصف قرن من الزمـان فما تزال القضايا الأساسية التي طرحها رفاعة ماثلة أمامنا وشاغلة لنا ، فما أحرانا أن نعرف أن استمساكنا بديننا واعتزازنا بحضارتنا ينبغي ألا يصدنا عن أن نـري حضارة الآخر رؤية موضوعية بغير استعلاء ولا تهافت ، وأن ندرك أن الحضارات لا تتصادم ولكنها تتواصل وتتكامل ، وأن المعيار الصادق لاستيعابنا لروح الحضارة الإسلامية هو أن نعمر الأرض وأن نقيم العدل وان نطلب العلم وان نضـرب فـي الآفاق ،وأن نصنع التقدم ،ونبني حضارة معاصرة جديرة بماضينا حتى يصدق فينـا قوا الله عز وجل " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنـهون عـن المنكر وتؤمنون بالله ."

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأستاذ الدكتور /

محفوظ عزام

عميد الكلية ورئيس المؤتمر

معالي الأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق ـ وزير الأوقاف .

معالي اللواء / مصطفي عبد القادر ـ محافظ المنيا .

معالي اللواء / احمد بكر محافظ سوهاج .

أصحاب السعادة نواب رئيس الجامعة .

السادة العمداء.

السيد السفير / محمد رفاعة.

الاخوة الزملاء والضيوف .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ... وبعد

فإنه ليسعدني غاية السعادة أن ارحب بحضراتكم في رحاب جامعة المنيا العريقة وفي رحاب كلية الدراسات العربية، تلك الكلية الفتية التي تمثل هويتنا وشخصيتنا ، وفي مناسبة جميلة وسنة حميدة ، هي " مؤتمر أعلام الصعيد " في عامه الثاني، والذي يحتفل هذا العام بمفكر عظيم ورائد مهم لنهضتنا العلمية والفكرية الحديثة ذلكم هو " الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي " الذي ولد بطهطا عام ١٨٠١ م ولقي ربه في مهمشة بحي الشرابية بالقاهرة سنة ١٨٧٣ بعد حياة حافلة بالعطاء .

وانه لمن نافلة القول انه قد جرت احتفالات متعددة بهذا العلم الشامخ سواء علـــي المستوي الجماعي أو الفردي ، فعلي المستوي الجماعي علي سبيل المثال وجدنـــا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية يحتفل بذكـــري وفاتـــه الخامسة والثمانين في عام ١٩٥٨ ، وكذلك وجدنا ندوة الشيخ رفاعة التي عقـــدت بكلية الألسن بجامعة عين شمس في المدة من ١٨ إلى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٦ ، وقد طبعت أعمال هذه الندوة في عام ١٩٨٤ م . وعلي المستوي الفردي وجدنـــا مفكرين كبارا يفردون كتبا كاملة تترجم له ، من هؤلاء تلميذه صالح مجدي الـــذي جعل عنوان كتابه " حلية الزمن بمناقب خادم رفاعة الطهطاوى سيرة رفاعة رافـــع الطهطاوي ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ســـنة ١٩٨٥ . وكذلـــك كتاب الدكتور جمال الدين الشيال عن رفاعة وقد أخرج في صورتيـــن متمـــيزتين :إحداهما تلك التي صدرت في مجموعة " أعلام الإسلام سنة ١٩٤٥ ، وثانيتـــهما تلك التي صدرت في مجموعة " نوابغ الفكر العربي " وطبعت طبعتها الثانية ســـنة ١٩٧٠ م ، وهما مستخرجان من رسالة الماجستير التي قدمها الدكتور الشيال عن تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي " ، ونجد ايضا كتبا لآخريـــن من أمثال الدكتور أحمد أحمد بدوي والدكتور حسين فوزي النجار والدكتور محمود فهمي حجازي .

كما نجد المقدمة الضافية التي كتبها الدكتور محمد عمارة فـــي مســـتهل تحقيقـــه للأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي والتي صدرت في ستة أجزاء عام ١٩٧٣ م .

أيها السادة : إن شخصية رفاعة موغلة في الثراء الفكري والعلمي والثقافي ، فهو إمام في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والدين والأخلاق والترجمة وغير ذلك من المجالات التي يصعب حصرها في هذا النطاق الضيق .

ويكفي هنا أن نشير إلى بعض مواطن عبقرية الشيخ التي جعلت منه عقلية فذة وصلة صحيحة بين الشرق والغرب .

فهو أولا قد تنبه إلى أهمية دور التربية والتعليم في التقدم والتمدن ، فالأمة " التي تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات أحوالها يتقدم فيها ايضا التقدم والتمدن ، على وجه تكون به أهلا للحصول علي حريتها بخلاف الأمة القاصرة التربية ، فإن تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها ، فالتربية هي أساس الانتفاع بأبناء الوطن " ومن ثم رأي أن " التعليم الأولى ضروري لسائر الناس ، يحتاج إليه كل إنسان كاحتياجه إلى الخبز والماء .. وينبغي للحكومة المنتظمة ترغيب الأهالي وتشويقهم لما فوقه من مراحل التعليم .. والتربية عنده أنما تكون بتنمية الصغير جسدا وروحا وأخلاقا ، بقدر قابليته واستعداده " .

وهو ثانيا : يؤمن بوحدة المعرفة وصلة العلوم ببعضها ، فدراسة العلم ، في حد ذاتها ، " أفضل ما يشتغل به الإنسان وأحلي ما يصرف فيه أوقات حياته ، وأفضل لذات الدنيا ... وإن الفنون الأدبية المسماة بعلوم العربية ، كلها آلة للعلوم الحقيقية ، عقلية ونقلية ، فالمعارف الأدبية والعلوم الحقيقية متعلق بعضها ببعض لكمال ما بينهما من الروابط والمناسبات ، ولأن كلا مهما متوقف علي الآخر ".

وهو ثالثا : يؤمن إيمانا حقيقيا بان " منبع السعادة الأول هو العمل والكد .. "

وهو رابعا : يعتقد بأن " الحرية هي الوسيلة العظمي في إسعاد أهـــالي الممــــالك ، فإذا كانت الحرية مبنية علي قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمي فـــي راحـــة الأهالي وإسعادهم في بلادهم ، وكانت سببا في حبهم لأوطانهم .. " وهو يـــري أن الممالك قد أسست " لحفظ حقوق الرعايا ، والحريـــة ، وصيانــة النفــس والمـــال والعرض ، علي موجب أحكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية ، فـــالملك يتقلـــد الحكومة لسياسة رعاياه علي موجب القوانين " .

وهو خامسا كان يملك رؤية عميقة لحضارة حديثة ، ولهذا نبه الأذهان إلى ضرورة الاتصال بالغرب والانتفاع بما فيه من علوم ومعارف وآداب فإن مخالطة الأغراب ، لا سيما إذا كانوا من أولي الألباب ، تجلب للأوطان المنافع العموميـــة .. والبـــلاد الإفرنجية مشحونة بأنواع المعارف والآداب التي لا ينكر إنسان أنها تجلب الأنـــس وتزين العمران .. فهم يعرفون التوفير وتدبير المصاريف ، حتـــى إنـــهم دونـــوه وجعلوه علما .. " والتياتر " عندهم كالمدرسة العامة يتعلم فيها العالم والجـــاهل .. ويتعلقون بالحرية ، حتى إنه لا تطول عندهم ولاية ملك جبار ، ولا وزير اشـــتهر بينهم أنه تعدي مرة وجار .. "

وهو سادسا : علي الرغم من دعواه إلى الاتصال بالغرب إلا أنه كان معتزا بوطنـــه وعروبته وإسلامه ، فالعرب " هم خيار النـــاس .. وقبائلـــهم أفضـــل القبـــائل ... ولسانهم أفصح الألسن .. ولقد اشتهرت أمة العرب ، جاهلية وإسلاما ، بالفضـــائل .. " والإنسان السعيد جدا عند رفاعة هو الذي يحب وطنه ، وهو ايضا " الإنســـان الذي يميل ، بطبعه لإبعاد الشر عنه ولو بـــإضرار نفســـه .. فصفـــة الوطنيـــة لا تستدعي فقط أن يطلب الإنسان حقوقه الواجبة له علي الوطن ، بل يجب عليـــه ،

ايضا ، أن يؤدي الحقوق التي للوطن عليه .. فإذا لم يوف أحد من أبنــاء الوطــن بحقوق وطنه ضاعت حقوق المدنية التي يستحقها علي وطنه .. فــالتقدم لا يتــم بدون انجذاب قلوب الأهالي صوب مركز التمدن والتنظيم ، وتوجه نفوسهم بالطوع والاختيار إلى الوفاء بحقوق هذا الوطن العظيم .

أيها السادة ..

لقد أدرك الطهطاوي حقيقة مهمة فيما يتصل بالعلاقة بالغرب لو تنبه الشرقيون لها لانتفعوا بتقدم الغرب وتقدموا ، حيث أدرك الطــهطاوي أن وراء احتكــاك أوربــا بالشرق أهدافا استعمارية يريدها الأوربيون ، فحذر من رد الفعل الانعزالــي لــدي الشرقيين إزاء هذه المطامع الاستعمارية ، ونبه إلى ضرورة الاستفادة حتــى مــن المخالطة التي تحدث نتيجة للصراعات التي تقوم بيــن الشــرقيين وبيــن أعــداء متقدمين ، واستنكر رفاعة موقف الذين يرفضون ذلك أو يفزعــون منــه ، فمــن الممكن والواجب أن يستفيد الشرقيون أو العرب جوانب إيجابية مــن خــلال هــذا الاحتكاك الذي يأخذ طابع العنف والسخونة الذي يصاحب هذا الصراع فهو يقول إن المنافع التي تجلبها مخالطة الأغراب ذوي الألباب مؤكدة ، حتى " ولو كانت مترتبة علي التغلب والاغتصاب ، فربما صحت الأجسام بالعلل ! وينبه رفاعة فــي نفــس الوقت علي ضرورة المحافظة علي الاستقلال الوطني فقد كتب في الوطنية ما لــم يكتبه عربي قبله .

أيها السادة : لو تنبه الناس عندنا في الشرق لهذه الحقيقة المهمة للحقوا بركــب الحضارة المتقدم ، ولكنهم ، للأسف الشديد ركزوا علي فكرة العداء فقط ومحاولــة

التخلص من الاستعمار والتحرر ، ولم يحاولوا الاستفادة من تقدم هــذا الاســتعمار وذلك المستعمر الطاغية .

أيها السادة : لعل أهم ما يلاحظه الإنسان علي فكــر الشــيخ رفاعــة ومشــروعه الحضاري انه لم يكن لديه شعور بالنقص أو إحساس بالدونيــة كمــا نجــد لــدي المتغربين اليوم ، وهو يدعو إلى علوم الغرب ومعارفه فقد تجلي ذلك في كــل مــا كتب وفي كل مجال كتب فيه .

نعم هيأته الأقدار ليكون همزة الوصل بين ثقافة الغرب وعقلية الشرق ، فقــد أدرك الطهطاوي بسفره إلى باريس وبما ترجمه من الكتب والمؤلفات الغربية ما ارتفع به الغرب علي سائر البلدان في ذلك الوقت ،وأخذ يحث ديار الإسلام علي البحث فــي العلوم البرانية والفنون والصنائع فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمــر ثــابت شــائع والحق أحق أن يتبع " ولكن إعجاب رفاعة بتقدم الغرب لم ينتقــص مــن إيمانــه بحضارة الشرق وثقافته وتراثه .. فهو لم يرث من اطلاعه علي الثقافة الأوربيــة شعورا بالنقص يحمله علي التنكر لمثله وتقاليده وأهله ولا شعورا بالاستعلاء يدفعه إلى العزلة والانطواء والانفصال عن المحتم الذي نشأ فيه ، فقد كــان يــري أن " البلاد الإفرنجية بلغت أقصي مراتب البراعة في العلوم الرياضية والطبيعيــة ومــا وراء الطبيعة أصولها وفروعها " في حين أن " البلاد الإسلامية قــد برعــت فــي العلوم الشرعية والعمل بها والعلوم العقلية وأهملت العلوم الحكمية بجملتها " لذلــك فهو يعترف بأن " الشعوب الإسلامية في حاجة إلى كسب ما لا تعرفه وجلــب مــا تجهل صنعه " ولكنه في الوقت نفسه يؤكد أن الإفرنج أنفسهم لا ينكرون أننا معشر العرب والمسلمين " كنا أساتذتهم في سائر العلوم وبتقدمنا عليهم " والفضل للمتقدم

. كذلك فهو لا ينسى أن يقرر أن هذه العلوم الجديدة التي تنفرد بها أوربا ليست سوي علوم إسلامية نقلها الغرب عنا " هذه العلوم الحكمية العملية التي يظهر الآن أنها أجنبية هي علوم إسلامية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية " .

أيها السادة : بهذا الوعي والإدراك لحقيقة الحضارة الغربية والتقدم الأوربي الحديث باعتبار أنها قامت علي أساس من الحضارة والتقدم العربي لم يجد الطهطاوي أية صعوبة في أن يلائم بين تقاليده الإسلامية وما سلم من تقاليد الغرب وعلمه ، لذلك كان الطهطاوي هو أول من جمع " بين نسبة الأزهر الحقيقية واكتساب العلوم الأجنبية اللتين بانضمامهما إلى بعضهما صار هذا الشريف الجليل نافعا لأوطانه رافعا ألوية العلم في زمانه .

كما يقول تلميذه صالح مجدي في كتابه : " حلية الزمن في مناقب خادم الوطن " .

أيها السادة : إن كان لي أن أزيد شيئا فهو الشكر كل الشكر لجميع ضيوف هذا المنتدى الفكري وأخص بالشكر الجزيل والعرفان كلا من معالي الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق ـ وزير الأوقاف والمفكر الكبير ورئيس الجمعية الفلسفية ، ومعالي اللواء الإنسان مصطفي عبد القادر محافظ المنيا ، ومعالي اللواء أحمد بكو محافظ سوهاج ومعالي الأستاذ الدكتور / جمال أبو المكارم رزق رئيس الجامعة لدعمهم المعنوي والمادي لهذا المشروع الفكري الذي تبنته كلية الدراسات العربية بتوفيق من الله ، كما أتقدم بخالص الشكر للسدة نواب رئيس الجامعة والعاملين بها وكذلك كافة الزملاء بكلية الدراسات العربية ورجال الحرس والأمن بالكلية والجامعة علي كريم تعاونهم وصدق معونتهم فلهم مني الشكر ومن الله حسن

الجزاء . كما أسال الله رفعة وطننا وأن يكلأه بالحماية والرعاية وأن يوفق زعيمنا المحبوب السيد الرئيس محمد حسني مبارك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة عميد الكلية ورئيس المؤتمر

أ . د / محفوظ عزام

المحور الأول

رفاعة الطهطاوى الإنسان والفكر

رفاعة الطهطاوي ودعوته إلى الاجتهاد

في ضوء كتابة

القول السديد في الاجتهاد والتقليد

د/ أمال محمد عبد الغنى

مدرس الشريعة والفقه بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة المنيا

نحمدك اللهم ونستهديك ونستغفرك ، ونتوب إليك ، ونصلي ونسلم علي خاتم أنبيائك ورسولك سيدنا محمد صلي الله علي وسلم

وبعد

ولد رفاعة الطهطاوي عام ١٨٠١ م ـ وتوفي ١٨٧٣م ـ في طهطا ـ من أسرة تنتسب في أصولها إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الطاهرة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ـ ونشأ في أسرة أمدته بزاد من الثقافة لم يكن هناك ما يفضلها . وأتيح له فرصة الالتقاء بجمع من الشيوخ في ذلك الوقت . وأسماه الشيخ السادات بـأبو العزم ـ وله مؤلفات كثيرة ومتعددة في مختلف المجالات السياسية ـ والوطنية ـ والتربية ـ والتاريخية ـ والإسلامية ـ والترجمة ، ففي بحثه الذي نتعرض له وعنوانه : (القول السديد في الاجتهاد والتقليد) ، ففي هذا البحث ـ قام الشيخ رفاعة الطهطاوي بالتعرض لمفهوم المجتهد فمن هو المجتهد ؟ وما هي أركان الاجتهاد

التي يقوم عليها ؟ ثم تلي ذلك الحديث عن الأدلة التي يستند إليها المجتهد في اجتهاده والقواعد التي يسير علي نهجها ؟

ونجده بعد ذلك يقدم لنا تصنيف دقيق للاجتهاد والمجتهدين :

فبدأ بالحديث عن مراتب الاجتهاد ــ وقام بتصنيف المجتهدين إلى أصناف فقال :

١ ــ هناك مجتهد مطلق مستقل : وهو من يجتهد بقواعد يؤصلها وأدلة يحررها : وبراهين يقررها ــ ويفرع عليها ــ كالإمام الشافعي مثلا .

٢ ــ ومجتهد مذهب : وهو من يختار طريقة إمامة في الاستدلال ويفرع عليها بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده كالمزني من أصحاب الشافعي .

٣ ــ ومجتهد فتوى وهو القادر علي الترجيح في أقوال إمامة كالرافعي والنووي .

ــ بالنظر في الترتيب المجتهدين ــ فكأن رفاعة الطهطاوى برتبهم ترتيبا تنازليا من الأقوى إلى الأضعف ــ فكأنه يعبر عن حالة الاجتهاد كيف كان باب مفتوحا على مصراعيه فى عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وفى عدة أجيال أخرى بعدهم .. حتى ذهب فريق من العلماء المتأخرين ــ إلى القول بقفل باب الاجتهاد وأنه أغلق نهائياً.

هذا ومما يلاحظ أن رفاعة الطهطاوى : لم يصدر حكما قاطعا فى بقاء الاجتهاد أو انتهاء عصره ــ ولكن مما شك فيه أن التعرض لمثل هذا الموضوع ما مهد لحركة التجديد والاجتهاد التي أرادها الشيخ محمد عبده . فقد هيا للطهطاوي تربة جديدة خصبة لمن جاء بعده من المجددين المجتهدين كالإمام محمد عبده .

ــ ومن اجتهادات ــ الدعوة إلى التوفيق بين العلوم والعلوم المدنية فحث الطهطاوى على التثبيت بمعرفة المعارف البشرية ــ ولقد قام بحصر أنواع العلوم-

أما شرعية وهى ثلاثة : الفقه والتفسير والحديث الشريف ، وإما أدبية وإما عقلية ، فيقول الطهطاوى الاشتغال بالعلوم الشرعية هي أهم مما عداها ... والاشتغال بـها أوجب للحاجة إليها ـ والاضطرار إلى معرفة الحـلال والحـرام وإقامـة الحـدود والأحكام ولهذا كان أهلها أفضل من غيرهم ... ويتحدث عن الفقهاء قائلا : أنـهم خصوا بالاستنباط فى فقه الكتاب والحديث ، والتعميق بتدقيق النظـر فـى ترتيـب الأحكام وحدود الدين ، فهم

حكام الدين.

ويقول إن الفقهاء : فضلوا على أصحاب الحديث بما خصوا به من الاسـتنباط فى فقه الحديث .. فعلماء الشريعة هم الزمام ، وبانتظام أحوالهم يكمل النظـام .. فالفقيه عنده هو : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم من معـاصي الله ، ولم يؤمنهم عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره .

ـ وقد انتهى تدوين فروع الفقه إلى أربعة كلهم عدول ـ عدلهم العلماء وأخـذوا عنهم .. وهم الأئمة الأربعة .. ولكل واحد من هؤلاء الأربعة أتباع قلدوا فيما ذكره ، فكل مجتهد وكل مقلد لمجتهد ، فيما صح عنه على خير .

ـ ولقد دعا إلى الاجتهاد والعمل به ، وترك التقليد والجمود بعد أن عاشت الأمـة الإسلامية فى تقليد وجمود عدة قرون متتالية ، فبعث الدعوة إلى النهضة الفقهيـة من جديد فيقول : ولا يسوغ لمتولي الأحكام أن يحكم فى التحريم والتحليل بما يلائم مزاجه ، مما يخالف الأوضاع الشرعية المنقولة عن الأئمة المجتهدين ، ولاعـبرة بالاستكراه النفسي ، والاستحسان الطبيعي والأخذ بالرأي من غير دليل شرعي ، بل

يعتمد متولي الأحكام على فتاوى العلماء وأقوال المجتهدين فى الدين .. وهنا يـأخذ بالأتباع بالابتداع

ويقول فى موضع آخر: ومن ذلك وفيما انتهى إليه الحال فى زمن وقعنا فيه ، علم أنا منهم بمنزلة عامة أهل زمانهم ، فإن قصارى أمرنا النقل عنهم دون أن تخترع شيئا من عندنا ــ وقد اقتصرنا على النظر فى كتب محصورة ، ألفها المتأخر ون من كلامهم ــ ولا تطمع نفوسنا النظر فى غيرها حتى كأن العلم فيها .. وهكذا فصار العذر أقبح من الذنب ــ ثم يقول : هذه نفثة مصدور ، فنسأل الله السلامة واللطف ."(١)

ولذا سيدور هذا البحث حول عدة أمور وهى :

١. لماذا نبذ رفاعة الطهطاوى التقليد ودعا إلى الاجتهاد (الأساليب) ؟
٢. ما الأسس والدعائم التي أقام عليها دعوته إلي الاجتهاد ؟
٣. هل كان رفاعة الطهطاوى مجتهدا أم مقلداً ؟ وما الأمور التي اجتهد فيها وما كان مقلدا بها ؟
٤. كيفية تصنيفه لمراتب الاجتهاد والمجتهدين ؟
٥. ما المقصود بالاجتهاد الذي تحدث عنه ، ولما عده البعض بأنه ليس فقيهاً ؟

---

(١) القول السديد فى الاجتهاد والتقليد / ٣، ٤وما بعدها ــ طبعة وأدى النيل / ١٢٨٧هـ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي د/ محمد عمارة ج٣، ج٤(السياسة ــ الوطنية ــ التربية) / ٣٨٦ ، ٤٠٠، ٤٦٧، ٥٤٥، ٧٠٩، ٧١١، ٧٢٩طبعة أولى ١٩٧٣م. ــ رفاعة الطهطاوي ــ رائد فكر وإمام نهضة ــ د/ حسين فوزي النجار ت سلسلة أعلام العرب / ٦٣ ، ٦٤ ط١٩٨٤ م الهيئة العامة للكتاب .

وما المقاصد التي دعا إلى الاجتهاد فيها ، وأثر ذلك فيمن جاء بعده ؟

ونوصى من خلال هذا المؤتمر إلى الدعوى بأن الاجتهاد ضرورة حتمية ــ حتى لا تقف الشريعة عند أداء مهمتها فى التشريع والتقنين ، وحتى تكـــون صالحـــة لاستيعاب مستجدات الأحداث ــ ويجب أن يشمل الاجتهاد أمور الدين والدنيـــا .. والى الاجتهاد فى المسائل الفرعية وما يجده من جزئيات ويجب أن تطبق دينيـــا ودنيويا .

والله هو الموفق نعم المولى ونعم النصير .

ملخص بحث

الاسم العلم في ديوان الطهطاوي

دراسة لغوية

بقلم د/ أحمد عارف حجازي
أستاذ العلوم اللغوية المساعد
كلية الدراسات العربية

يتناول هذا البحث الاسم العلم فى ديوان الطهطاوى بالدراسة اللغوية ؛ بعد جمعها من ديوانه الذي جمعه د. طه وادي من كتب رفاعة نفسها . ويهدف بذلك إلى كيفية إستعمال رفاعة للاسم العلم ، وإيثاره بعض الأسماء على بعض . وقد تنوعت هذه الأسماء إلى اسم علم شخص إنساني ، واسم كوكب ، واسم بلد أو مكان ، وفى سبيل دراسة هذه الأسماء فإن البحث استعان بالمهج الوصفي الإحصائي ، حيث يتناول الظاهرة (الاسم العلم)، ثم يحصيها عددا ، ويحلله فى الإطار الوصفي كما يستعين بعلم اللغة الاجتماعي ، عندما يحدد دلالة هذه الأسماء . وقد جاءت العينة المدروسة بعد ١٢١ اسما وقد جاء البحث فى عدة محاور ، كشفت عن استعمال كنه الطهطاوى لهذه الأسماء وهذه المحاور هي:

<u>الأول :التحليل الصوتي :</u>

تعرض لبعض الظواهر الصوتية فى هذه الأسماء ، ولم أجد منها إلا ظاهرتي التفخيم وحذف الهمزة ، أو ما يسميه القدماء (قصر الممدود) . كما درست التركيب الصوتي لهذه الأسماء ومدى إيثار الطهطاوى لبعض الأصوات فيها كالأصوات الذلقية والصفيرية ،كما درس القاطع المكونة لها ودلالة ذلك كله .

الثاني : التحليل الصرفي

تناولت فيه التركيب الصرفي لهذه الأسماء ، وذلك من خلال الصيغة (الوزن) ، والتجريد والزيادة ، والاشتقاق والتذكير والتأنيث والإفراد والجمع وعدد ورود ذلك ودلالته .

الثالث : التحليل التركيبي

ناقش هذا المحور الأسماء المركبة ، أي التي تتكون من اكثر من كلمة ، ووجد أنها كلها منقولة عن مركب وليس فيها أسم منقول عن جملة ،وتنوع المركب بين الإضافي والوصفي،

وقد استأثر الإضافي بنسبة كبيرة جدا وناقش دلالة هذه التركيب .

الرابع : التحليل الثقافي :

تناول هذا المحور الاسم العلم من خلال تقسيمه إلى مكوناته أو خلفياته الثقافية ، وهى العربية والإسلامية والفرنسية . وذلك بعد تقسيم هذه الأسماء إلى أشخاص وبلدان وأماكن وكواكب ، حيث ظهرت خلفية الطهطاوى الثقافية في إيراده هذه الأسماء ، فقد تنوعت اللغات التي نقل عنها وهى العربية والفارسية والإنجليزية والعبرية والهيروغليفية وذلك يدل على ثقافته من ناحية وعلى شيوع هذه الأسماء من ناحية أخرى فى عصره ، وهو القرن التاسع عشر الميلادي .

ثم أورد البحث ملحقا بالأسماء الأعلام فى ديوان الطهطاوى ، موزعة حسب تقسيمها السابق ، مع ذكر درجة شيوعها أو تكرارها فى ديوانه .

وأرجو بذلك أن يسهم هذا البحث فى تجلية شئ من فكر الطهطاوى ، أحد رموز مصر الحديثة .

الأحرف المشبهة بالأفعال
من خلال ديوان رفاعة الطهطاوى

د . رجب محمود أحمد سليمان
مدرس النحو والصرف والعروض
كلية الدراسات العربية جامعة المنيا

المقدمة

تتناول هذه الدراسة الأحرف المشبهة بالأفعال من خلال ديـوان رفاعـة رافـع الطهطاوى (المتوفى سنة ١٨٧٣ م ــ ١٢٩٠هـ)[١] ، وأذكر هنا أنه سميٌّ لصحابى جليل من الذين شهدوا غزوة بدر مع الرسول ﷺ فى السابع عشر من رمضان فـى السنة الثانية من الهجرة وهو رفاعة رافع الأنصارى (المتوفى سنة ٤١ هـ)[٢] ، كما أذكر أيضا أن الطهطاوى يتصل نسبة بالإمام الحسين بن على بن أبـى طـالب (رضى الله عنه) ، وهو يشير أيضا إلى ذلك فى شعره بأن الرسول ﷺ جده ، فيقول :

رِفَاعَةُ خَمَّسَ المنظُومَ مرتجلا ... قَريضَه وَهُوَ بالخرطوم قَدْ وَجِلا
قَالتْ هَوَاتِفُهُ : باللهِ كُنْ رَجُلاً ... فإنَّ جَـدَّكَ طـه للخطُوب جـلا

فأمر جَدِّك هذا الجدُّ يَحْسُمُهُ [٣]

ووجدت الأستاذ عباس محمود العقاد يقول عن رفاعة الطهطاوى : "لم يكن بين المترجمين فى أوائل حركة الترجمة من هو أوفى عدة من رفاعة الطهطاوى فى مادة اللغة العربية ، وفى مادة اللغة الفرنسية ، وفى محصوله من المعارف العامة" * .

وتبدأ الدراسة بالمقدمة التى تعرض ما تتناوله الدراسة وهدفها ومادتها ومنهجها ، وتتناول هذه الدراسة المسار اللغوى للحرف ، ومصطلح الأحرف المشبهة بالأفعال عند اللغويين والنحاة ، وسبب اختيار هذا المصطلح ليكون عنوانا لهذه الدراسة فى ديوان رفاعة الطهطاوى ، وبيان عدد ومعانى الأحرف المشبهة بالأفعال عند الخليل وسيبويه والمبرد والزجاجى وابن جنى والزمخشرى وابن عقيل وابن هشام والأشمونى ، مع الاستدلال بالأشعار التى جاءت عند الطهطاوى متضمنة لهذه الأحرف واستعملت ببعض المعانى التى ذكرها النحاة فى كتب التراث النحوى ، وبيان عملها فى نصب المبتدأ ورفع الخبر مع ذكر شواهد من شعر الطهطاوى لهذا العمل ، مع ذكر الخلاف بين البصريين والكوفيين فى عملها فى الخبر ، والقول فى نصب الأحرف المشبهة بالأفعال للجزأين معاً ، وجواز تقديم أخبار الأحرف المشبهة بالأفعال على أسمائها ، ووجوب تقديم أخبار الأحرف المشبهة بالأفعال على أسمائها ، وأنواع خبرها ، وتقديم معمول خبرها على اسمها، ودخول لام الابتداء على اسم إنَّ أو على خبرها ، وشروط دخولها على خبر إن ، ودخول لام الابتداء على معمول خبر إنَّ ، ودخولها على ضمير الفعل ، وحكم الأحرف المشبهة بالأفعال إذا اتصلت بها "ما" الحرفية الزائدة ، مع ذكر ما ورد من شعر الطهطاوى مؤيداً كل هذه المسائل وما لم يرد ، ثم بيان أنماط الجمل مع كل حرف من الأحرف المشبهة بالأفعال وذكر لشواهد وبيان عدد مرات ورود هذه الحرف فى الديوان والمعنى الذى

أداه ، وعمله ، وذكر أنماط اسم هذا الحرف وأنماط خـــبره ، مـــع ذكـــر نمطيـــن وشاهدين لإن حينما اتصلت بها "ما" الحرفية الزائدة وكفتها عن العمل .

وتهدف هذه الدراسة إلى تناول الأحرف المشبهة بالأفعال من خلال ديوان رفاعة الطهطاوى برصد آراء النحاة فى عددها ومعانيها وعملها وما يتصل بكل ذلك مـــن مسائل ومناقشتها مع الاستدلال بما ورد من شواهد من شعر الطهطاوى على هـــذه المسائل النحوية لهذه الأحرف .

ومادة الدراسة تتمثل فى ثلاثة وستين شاهدا شعريا من ديوان رفاعة الطهطاوى الذى جمعه الدكتور طه وادى وطبعته دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م ، وهى الشـــواهد التى وردت فيها الأحرف المشبهة بالأفعال ، بالإضافة إلى آراء النحاة واللغويين التـــى وردت فى كتب اللغة والنحو حول عدد ومعانى وعمل هذه الأحرف.

ولم أجد ــ على حد اطلاعى ــ دراسة تناولت هذا الموضوع فى شعر الطهطاوى فى المصادر والمراجع التى أتيح لى الاطلاع عليها ، ولكن الحديث عـــن الأحـــرف المشبهة بالأفعال فى كتب التراث النحوى وارد . إنما هذه الدراسة تجمع هـــذه الآراء وتنظمها وتبوبها وتطبقها على شعر الطهطاوى .

ومنهج الدراسة هو المنهج الوصفى عن طريق إحصاء مواضع الأحـــرف المشـــبهة بالأفعال بشواهدها ثم تناولها بالدراسة والتحليل ، لبيان عددهـــا ومعانيـــها وعملـــها وأنماطها فى شعر الطهطاوى . ومن خلال ما يتم عرضه من آراء وأنماط وشـــواهد ستكون خاتمة الدراسة التى بها النتائج التى يتم التوصل إليها . ويتم توثيـــق جميـــع الآراء النحوية والمعانى اللغوية فى هوامش وحواشى البحث ، مـــع عمـــل قائمـــة بالمصادر والمراجع التى استعان بها الباحث فى إنجاز هذه الدراسة .

المسار اللغوى للحرف :

الحرف عند الأزهرى المتوفى سنة ٣٧٠هـ كما نقله عن الليث هو من حروف الهجاء ، وهو كل كلمة بنيت أداة عارية فى الكلام لتفرقة المعانى ، وإن كان بناؤها بحرفين أو فوق ذلك ، نحو : هل ، وبل ، وحتى ، ولعل[٤] .

ويرى ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ ، أن الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول هى حد الشئ ، والعدول ، وتقدير الشئ . فأما الحد فحرف كل شئ حده ، والحرف هو الوجه كقول الله تعالى : "ومن الناس من يعبد الله على حرف"[٥] ، والأصل الثانى الانحراف عن الشئ ، وحرفته عنه أى : عدلت به عنه ، كتحريف الكلام ، وهو عدله عن جهته ، قال الله تعالى : "يحرفون الكلم عن مواضعه"[٦] ، والأصل الثالث : المحراف ، وهو حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج ، كقول الشاعر :

إذا ما الطبيب بمحرافيه عالجها ... زادت على النقر أو تحريكها ضجما[٧]

وعند الفيروزآبادى الحرف من كل شئ طرفه وشفيره وحده ، ومن الجبل أعلاه ، وواحد حروف التهجى ، وعند النحاة ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل [٨] .

فالحرف كما جاء عند اللغويين يكون واحدا من حروف الهجاء التى سميت حروف المبانى ، أما حرف المعنى فهو حرف جاء لمعنى فى غيره ، ويربط بين أجزاء الكلام[٩] ، وتنقسم حروف المعانى إلى حروف عاملة ، وحروف هاملة ، والأحرف المشبهة بالأفعال من حروف المعانى العاملة فهى تنصب المبتدأ ويكون اسما لها ، وترفع الخبر ويكون خبرا لها .

مصطلح الأحرف المشبهة بالأفعال :

يسمى سيبويه الأحرف المشبهة بالأفعال "الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده"[10] ، والمبرد يسميها "الأحرف الخمسة المشبهة بالأفعال"[11]، والزجاجى سماها بعملها وخصص لها بابا فى قوله : "باب الحروف التى تنصب الاسم وترفع الخبر"[12] ، وابن السراج يسميها الحروف التى تعمل مثل عمل الفعل فترفع وتنصب"[13] ، والزمخشرى سماها الحروف المشبهة بالفعل[14] ، وبعض النحاة يطلق على الأحرف المشبهة بالأفعال "إن وأخواتها" وهم ابن جنى ، وأبو على الفارسى ، وابن يعيش ، والأشمونى ، ورضى الدين الأستراباذى[15] ، وبعض النحاة أيضا يطلق على الأحرف المشبهة بالأفعال "القسم الثانى من الحروف الناسخة للابتداء"[16] ، أو "الثانى من نواسخ المبتدأ والخبر ما ينصب الاسم ويرفع الخبر"[17] .

وكلمة أحرف على وزن "أفعل" جمع تكسير لكلمة "حرف" من جموع القلة ؛ لأن هذه الأحرف لا تزيد عن عشرة ، أما كلمة "حروف" على وزن "فعول" وهى من جموع الكثرة وتستعمل لما زاد عن عشرة كحروف الجر وحروف الهجاء وحروف الإبدال وغيرها ، وسانكر هنا دائما كلمة "أحرف" .

وقد اخترت مصطلح الأحرف المشبهة بالأفعال دون تسمية بعض النحاة لها بإن وأخواتها ، وتسمية البعض الآخر لها بالقسم الثانى من الحروف الناسخة للابتداء ؛ لأن هذه الأحرف "تنصب الاسم وترفع الخبر ؛ لشبهها بالفعل وذلك من وجهين : أحدهما ــ من جهة اللفظ . والآخر ــ من جهة المعنى . فأما الذى من جهة اللفظ فبناؤها على الفتح كالأفعال الماضية . وأما الذى من جهة المعنى فمن قبل أن هذه الحروف تطلب الأسماء ، وتختص بها ، فهى تدخل على المبتدأ والخبر ، فتنصب

المبتدأ ، وترفع الخبر ؛ لما ذكرناه من شبه الفعل ، إذ كان الفعل يرفع الفاعل ، وينصب المفعول ، وشبهت من الأفعال بما تقدم مفعوله على فاعله ، فإذا قلت : "إن زيدا قائم" ، كان بمنزلة "ضرب زيدا عمرو"[١٨] .

ويرى رضى الدين الأستراباذى أن هذه الأحرف تشبه الفعل المتعدى الذى قدم منصوبه على مرفوعه تنبيها بفرعية العمل على فرعية العامل[١٩] ، أى أن هذه الأحرف تعد فرعا عن الأفعال فهى عامل يعد فرعا عن عامل ، لذا عمل هذا الفوع لا يرقى إلى درجة عمل الأصل فالفعل معمولاه

الفاعل رتبته قبل المفعول به ، أما الحرف الذى يعد فرعا عن الفعل جاء اسمه أولا منصوبا وهو يشبه المفعول به ، وجاء الخبر بعده مرفوعا وهو يشبه الفاعل .

عدد الأحرف المشبهة بالأفعال :

عدها سيبويه خمسة أحرف[٢٠] ، لأنه يرى أن "أن" المفتوحة الهمزة و "إن" المكسورة حرف واحد تكسر همزته فى مواضع ، وتفتح فى مواضع ، والمبرد أيضا عدها خمسة أحرف ؛ لأنه يرى أن "إن" و "أن" مجازهما واحد ، فلذا عدهما حرفا واحدا[٢١] ، ولكن الزجاجي وأبا على الفارسى وابن جنى والزمخشرى وابن عقيل وابن هشام يرون أن الأحرف المشبهة بالأفعال ستة أحرف هى إن ، وأن ، وكأن ، ولكن ، وليت ، ولعل[٢٢] .

معانى الأحرف المشبهة بالأفعال :

١ ــ إن ، وأن : إن معناها التوكيد عند سيبويه[٢٣] ، وهى صلة للقسم عند المبرد فى قولك : والله إن زيدا منطلق ؛ لأن المحلوف عليه اتصل بالقسم ، وصارت إن بمنزلة اللام الداخلة فى قولك : والله لزيد خير منك [٢٤] ، وابن جنى يرى أن

"معنى"إنَّ" و "أنّ" ــ جميعا ــ التحقيق[٢٥] . ومع أن الزمخشرى يؤكد أن معنـــى "إنَّ" و "أنَّ" التوكيد والتحقيق إلا أنه يرى أن الدلالة فى الجملة تتغير مع "أنَّ" بحيث تكون كالمفرد تماما الذى يقع فاعلاً أو مفعولاً ، ولابد أن يسبقها كلام ، يقول : "إنَّ، وأن : تؤكدان مضمون الجملة ، وتحققانه ، إلا أنَّ المكسورة الجملة معها على اســـــتقلالها بفائدتها ، والمفتوحة تقلبها إلى حكم المفرد ، تقول : إن زيداً منطلق وتســكت كمـــا تسكت على "زيد منطلق ". وتقول : بلغنى أن زيداً منطلق ، وحق أن زيداً منطلـــــق فلا تجد بداً من هذا الضميم ، كما لا تجده مع الانطلاق ونحوه ، وتعاملـــها معاملـــة المصدر ، حيث توقعها فاعلة ، ومفعولة ومضافاً إليها فى قولك : بلغنـــى أن زيـــداً واقف . ولا تصدر بها الجملة كما تصدر بأختها ، بل إذا وقعت فى موضع المبتـــدأ التزم تقديم الخبر عليها ، فلا يقال : أنَّ زيداً قائم حـــق ، ولكـــن : حـــقٌ أن زيـــداً قائم"[٢٦] ، ومعنى إنَّ وأنَّ عند ابن هشام التوكيد إلا أنه أيضا يجعـــل "أن" مســبوقة بكلام نحو : بلغنى ، أو أعجبنى"[٢٧] ، وعند ابن عقيل والأشـــمونى معنـــى إنَّ وأنَّ التوكيد"[٢٨] ، وقد أتت إن بمعنى التوكيد عند الطهطاوى يقول فى مـــدح الخديـــوى إسماعيل وتهنئته بمظاهر الحضارة الجديدة :

إنَّ إسمَاعيلَ أصلٌ   حَولَهُ الأنجَالُ أغصُنُ [٢٩]

ويقول الطهطاوى فى تهنئة الخديوى إسماعيل بمناسبة تشريفة ديوان المدارس :

إنَّ سِرَّ العزيز سرٌ عجِيبٌ   قَدْ هَدَانَا سُبُلَ الرَّشَادِ فَسِرنَا[٣٠]

كما وردت "أنَّ" عند الطهطاوى بمعنى التوكيد ، وسبقها كلام ، وكانت هى ومعمولها فى تأويل مصدر يقع فاعلا كما فى قوله فى مدح الخديوى محمد سعيد :

هَلْ بَلَغَ الماضيين أنَّ النِّيلاَ   يَخُصُّ بالثَّنَاءِ إسمَاعِيلا[٣١]

أى : هل بلغ الماضيين خصُّ النيلِ إسماعيلَ بالثناء .

وقوله أثناء الغربة بالسودان :

وَحَسْبِى أَنَّنِى أَبْرَزت كُتُباً تُبِيدُ كَتَائِباً يَوْمَ الطِّراد(٣٢)

أى : وحسبى إبرازى كتباً تبيد كتائبا يوم الطراد .

كما أن الطهطاوى لم يصدِّر الجملة بـ :أَنَّ" ، وحينما وقعت فى موقع المبتدأ قدَّم الخبر عليها فى ترجمته لقصيدة نظم العقود فى كسر العود :

فَحقِيقٌ أَنَّ الْمَفَاخِرَ كَانَتْ قَدْ أَرَادَتْ ضِيَافَتِى مَاتَوَانَتْ(٣٣)

٢ ـ لكن :

يرى سيبويه أن لكنَّ توجب بها بعد نفى [٣٤] ، وهى للاستدراك عند المبرد وابن جنى[٣٥] ، وهى للاستدراك والتوكيد عند الزجاجى [٣٦] ، أما الزمخشرى فقد وضح معنى الاستدراك الذى تعطيه "لكنَّ" ، وذكر أمثلة توضح ذلك المعنى فى قوله : "لكن : هى للاستدراك ، توسطها بين كلامين متغايرين نفيا وإيجابا ، فتستدرك بها بعد النفى بالإيجاب ، والإيجاب بالنفى ، وذلك قولك:

ما جاءنى زيدٌ لكن عمراً جاءنى ، وجاءنى زيدٌ لكن عمراً لم يجئ . والتغاير فى المعنى بمنزلته فى اللفظ ، كقولك : فارقنى زيد لكن عمرا حاضر ، وجاءنى زيد لكن عمرا غائب ، وقوله عز وجل : "ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم"[٣٧] ، على معنى النفى ، وتضمن ما أراكهم كثيرا"[٣٨] . كما أن ابن هشام وضح معنى الاستدراك الذى تعطيه لكن وذكر لها أمثلة فى قوله : "لكن : ومعناها الاستدراك ، وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه ، يقال : زيد عالم ، فيوهم ذلك أنه صالح ، فنقول لكنه فاسق وتقول : ما زيد شجاع ، فيوهم

ذلك أنه ليس بكريم ، فتقول : لكنه كريم"[٣٩] ، والأشمونى ذكر معنيين لها ، وبين أنها ليست مركبة خلافا للفراء والكوفيين ، فقال :"إن معنى "لكن" : الاستدراك والتوكيد ، وليست مركبة على الأصح . وقال الفراء : أصلها : "لكن" "أن" فطرحت الهمزة للتخفيف ، ونون "لكن" للساكنين .... وقال الكوفيون : مركبة من "لا" و "إن" والكاف الزائدة لا التشبيهية ، وحذفت الهمزة تخفيفا"[٤٠] . ويرى الأستاذ محمد عبد العزيز النجار أن "لكن" تستعمل للاستدراك غالبا ، وقد تستعمل لمجرد تأكيد المعنى ، نحو قولك : لو قال سعيد الحق لنجا لكنه لم يقله[٤١] .

وقد استعمل الطهطاوى "لكن" للاستدراك ، يقول فى تهنئة إسماعيل بختان نجله إبراهيم باشا :

وختان أبناء الملو — ك يلوح فيه مفاخر
المطربات جميعها — ومجامع ومحاضر
لكن خديو مصرنا — بالشرع ناه آمر (٤٢)

٣ ــ كأن :

هى عند الخليل مركبة من "إن" وكاف التشبيه[٤٣] ، ويرى سيبويه أن الكاف فى "كأن" دخلت للتشبيه[٤٤] ، وهى للتشبيه أيضا عند المبرد والزجاجى وابن جنى والزمخشرى[٤٥] ، وهى للتشبيه ومركبة عند الأشمونى كما سبق أن بينا أنها مركبة أيضا عند الخليل ، والزمخشرى والخليل يتفقان فى أنها مركبة من "إن" وكاف التشبيه ، والزمخشرى والأشمونى يريان أن همزة "إن" فتحت فى "كأن" ؛ لتقديم الكاف عليها ، وقد قدم حرف التشبيه اهتماما به ، وأصل الكلام مبنى على التشبيه ، ففى قولك : كأن زيدا أسد ، أصله : إن زيدا كأسد[٤٦] ، أما ابن هشام فيرى أنها

للتشبيه والظن ونكر أمثلة في قوله : "وكأن : للتشبيه ، كقولك : كأن زيدا أسد ، والظن كقولك : كأن زيدا كاتب"(٤٧) .

وقد جاءت "كأن" عند الطهطاوى للتشبيه أيضا ، يقول فى وصف "الوابور" وهو المراكب البخارية التى بدأت ــ فى عهده ــ تسير فى قناة السويس بعد فتحها للملاحة العالمية :

هو من عطارد لايغار كأنه الفلك الأسير

وقد جاءت بمعنى الظن أيضا فى شعره المترجم من قصيدة الكونت بلجرينى الإيطالى فى مدح الخديوى إسماعيل ، حيث يقول رفاعة :

وروح جده بها انشرحت كأنها من الضريح سرحت(٤٨)

وقد بين ابن هشام أيضا أن معنى "كأن" عند جمهور النحاة للتشبيه وأن هناك جماعة من النحاة منهم ابن السيد البطليوسى زعموا أن معنى التشبيه لا يكون إلا إذا كان خبرها اسما جامدا نحو : "كأن زيدا أسد " أما فى قولك : "كأن زيدا قائم ، أو فى الدار ، أو عندك ، أو يقوم" فإنها فى ذلك كله للظن(٤٩) .

٤ ــ ليت :

هى للتمنى عند سيبويه والمبرد والزجاجى وابن جنى(٥٠) ، كما يرى سيبويه أن "إن" و "ليت" "حركت أواخرهما بالفتح ؛ لأنهما بمنزلة الأفعال ، نحو "كان" ، فصار الفتح الأولى"(٥١) ، وقد بين ابن هشام أنها للتمنى أيضا وعرف التمنى ونكر أمثلة له فى قوله : "ليت : للتمنى ، وهو طلب مالا طمع فيه ، كقول الشيخ :

...... ليت الشباب يعود يوما ...... (٥٢)

أو ما فيه عسر ، كقول المعدم الآيس : ليت لى قنطارا من الذهب" (٥٣) .

وفى موضع آخر يرى ابن هشام أن ليت حرف تَمَنّ يتعلق بالمستحيل غالبا ، وبالممكن قليلا[٥٤] .

والأشمونى يرى أن "ليت" للتمنى فى الممكن والمستحيل لا فى الواجب ، فلا يقال : ليت غداً يجئ . وأمَّا قولُه تعالى : "فَتَمَنَّوُا الْموتَ"[٥٥] ، مع أنه واجب ، فالمراد : تمنيه قبلَ وقتِه وهو الأكثر"[٥٦] ، وقد ورد فى القرآن الكريم تمنى المستحيل فى قول الله تعالى : "قَالَتْ يَالَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هذا وَكُنتُ نَسْيًا مَنِسيًا"[٥٧] ، وفى قوله جلَّ وعزَّ : "ويَقُولُ الكَافِرُ يَالَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا"[٥٨] ، وفى قوله جل شأنه : "يَقُولُ يَالَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى"[٥٩] ، وقد استعمل الطهطاوى "ليت" للتمنى فى الممكن ، فى قوله :

قَلْبِى طَلِيقُ اللقَا جِسمِى مُقَيَّدُه   فَلَيْتَ شِعْرِى مَتَى يَفْدِيه سيِّدُه[٦٠]

وقوله :

ليتنى أشترى رضاءك عنى   الذى الآن فيه حسنت ظنى[٦١]

٥ ــ لعل :

هى عند سيبويه "طمع وإشفاق"[٦٢] ، ويرى أن اللام فيها"زائدة ، بمنزلتها فى لأفعلن . ألا ترى أنك تقول : علك"[٦٣] ، وقد بين المبرد معناها ومثل لها فى قوله : "لعلى : معناها التوقع لمرجو أو مخوف ، نحو : لعل زيدا يأتينى ، ولعل العدو يدركنا"[٦٤] ، ولم يخرج الزمخشرى عن معناها عند المبرد لكنه ذكر أمثلة قرآنية فى قوله : "لعلى : هى لتوقع مرجو أو مخوف ، كقوله عز وجل : "لعل الساعة قريب "[٦٥] ، و "لعلكم تفلحون"[٦٦] ، ترج للعبادة[٦٧]، وكذلك قوله عز وجل : "لعله يتذكر أو يخشى"[٦٨] ، معناه : اذهبا أنتما على رجائكما ذلك من فرعون . وقد لمح فيها معنى التمنى من قرأ : "فأطلع"[٦٩] ، بالنصب وهى فى حرف عاصم"[٧٠] .

ولعل للترجى والتوقع عند الزجاجى وابن جنى [٧١] ، وقد بين ابن هشام معانى الترجى أو الإشفاق أو التعليل التى تؤخذ من الحرف "لعل" فى قوله : "ولعل : للترجى : وهو طلب المحبوب المستقرب حصوله ، كقولك : لعل الله يرحمنى ، أو للإشفاق ، وهو توقع المكروه ، كقولك : لعل زيدا هالك ، أو للتعليل ، كقوله تعالى : "فقولا له قولا لينا لعله يتذكر"[٧٢] ، أى : لكى يتذكر ، نص على ذلك الأخفش"[٧٣] [٧٤] .

كما أن ابن عقيل ذكر الفرق بين الترجى والإشفاق بنفس المعانى الواردة عند ابن هشام تقريبا[٧٥] ، وقد ساق الأشمونى الفرق بين الترجى والإشفاق كما جاء عند ابن عقيل لكنه مثل بمثالين من القرآن الكريم ، وذكر التعليل كما جاء عند ابن هشام ، وزاد عليه معنى آخر هو الاستفهام ، يقول : "الترجى فى المحبوب ، نحو : "لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا"[٧٦] ، والإشفاق فى المكروه ، نحو : "فلعلك تارك بعض مايوحى إليك"[٧٧] ، وقد اقتصر على هذين فى شرح الكافية ، وزاد فى التسهيل : أن تكون للتعليل ، والاستفهام : فالتعليل ، نحو : "لعله يتذكر"[٧٨] ، والاستفهام ، نحو : "وما يدريك لعله يزكى"[٧٩] ، ... وتختص لعل بالممكن ، وليست مركبة على الأصح"[٨٠] ، وقد استعمل رفاعة الطهطاوى "لعل" بدون اللام ، وجاءت بمعنى التعليل ، فى قوله :

ويح عز وسؤد د نشتريه بنواح الملاح إذ نشتهيه

يا فؤادى سل عند أى فقيه يغفر الذنب من قتال بنيه

لا شتهاء الظهور علك تهدى[٨١]

عمل الأحرف المشبهة بالأفعال :

ذكر المبرد سبب شبه هذه الأحرف بالأفعال ، وبيَّن عملها فى قوله : "هذه الحروف مشبهة بالأفعال ، وإنما أشبهتها ؛ لأنها لا تقع إلا على الأسماء ، وفيها المعانى من الترجى ، والتمنى ، والتشبيه التى عباراتها الأفعال ، وهى فى القوة دون الأفعال ، ولذلك بنيت أواخرها على الفتح كبناء الواجب الماضى . وهى تنصب الأسماء ، وترفع الأخبار فتشبه من الفعل ما قُدِّم مفعوله ، نحو : ضرب زيدًا عمرو"(٨٢) ، وقد ذكر الزجاجى عملها وذكر أمثلة تبين عملها فى نصب الاسم ورفع الخبر فى حالة الإفراد والتثنية والجمع لركنى الجملة الاسمية التى دخلت عليها لبيان اختلاف علامات الإعراب بين الاسم المفرد الذى يعرب ، وتكون علامات إعرابه أصلية ، وبين المثنى وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة التى تكون علامات إعرابها فرعية ، كما بيَّن أيضا أوجه مشابهتها للأفعال فى قوله : "هذه الحروف على اختلاف معانيها تنصب الاسم وترفع الخبر كقولك : إن زيدًا منطلق ، وإن الزيدَيْن منطلقان ، وإن الزيدينَ منطلقونَ ولعل أخاك شاخصٌ ، وليت بكرًا قادمٌ ، وكذلك ما أشبهه . وإنما نصبت الاسم ورفعت الخبر لمضارعتها الفعل المتعدى ، وذلك أنها تطلب اسمين كما يطلبهما الفعل المتعدى ، ويتصل بها المضمر المنصوب كما يتصل بالفعل المتعدى ، فى قولك : إنه وإنك وإننى ، كما تقول : ضربك وضربه وضربنى ، وأواخرها مفتوحة كأواخر الفعل الماضى ، ومعانيها معانى الأفعال من التوكيد ، والتشبيه ، والترجى ، والتوقع ، والتمنى ، والاستدراك ، ... فلما ضارعت الأفعال هذه المضارعة عملت عملها فنصبت ورفعت ، فشبهت من الأفعال بما قدّم مفعوله على فاعله ، إلا أنها غير متصرفة"(٨٣) .

ويرى بعض النحاة أيضا أن هذه الأحرف تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ، ويصير اسمها ، وترفع الخبر ، ويصير خبرها ، واسمها مشبه بالمفعول ، وخبرها مشبه بالفاعل ، وأنها شبهت بالأفعال الماضية ، لأنها على ثلاثة أحرف فما زاد ، وآخرها مبنى على الفتح ، وأن معنى "إن" : حققت ، ومعنى لكن : استدركت ، ومعنى كأن : شبهت ، ومعنى ليت : تمنيت ، ومعنى لعل : ترجيت[٨٤].

وسأذكر هنا بعض الشواهد لكل حرف شاهد واحد لبيان عمله فى المبتدأ أو الخبر ، يقول الطهطاوى :

يا أيها الخافى عليك فخارها　　　فإليك إن الشاهدَ الحسنانِ(٨٥)

الشاهدَ : اسم إن منصوب ، والحسنان : خبر إن مرفوع .

ويقول :

ولئن حلفت بأن مصرَ لجنَّةٌ　　　وقطوفها للفائزين دوانى(٨٦)

والنيل كوثرها الشهى شرابه　　　لأبرٌّ كل البر فى أيمانى

مصر : اسم أنَّ منصوب ، وجنة : خبر أنَّ مرفوع .

ويقول :

لكننى صبٌّ الهوى أصون تلهفى　　　حتى كأنى لستُ باللهفانِى(٨٧)

الضمير "نى" المتصل بالحرف "لكن" ضمير متصل مبنى على السكون المقدر على الياء فى محل نصب ، لأنه اسم لكن .

وصبٌّ : خبر لكن مرفوع وهو مضاف ، والهوى مضاف إليه مجرور .

والضمير "نى" المتصل بالحرف "كأن" ضمير متصل مبنى على السكون المقدر على الياء فى محل نصب ؛ لأنه اسم "كأن" ، وجملة ليس واسمها وخبرها جملة اسمية فى محل رفع ؛ لأنها خبر "كأن" .

ويقول :

ليتنى أشترى رضاءك عنى الذى الآن فيه حسنت ظنّى(٨٨)

الضمير "نى" المتصل بالحرف "ليت" ضمير متصل مبنى على السكون المقدر على الياء فى محل نصب ؛ لأنه اسم "ليت" ، وجملة "أشترى رضاءك عنى" جملة فعلية فى محل رفع ؛ لأنها خبر "ليت" .

ويقول :

يا فؤادى سل عند أى فقيه يغفر الذنب من قتال بنيه

لاشتهاء الظهور ، علك تُهدى[٨٩]

ضمير كاف الخطاب للمفرد المخاطب المتصل بالحرف "علّ" ضمير متصل مبنى على الفتح فى محل نصب ؛ لأنه اسم "علّ" ، وجملة "تهدى" جملة فعلية فى محل رفع ؛ لأنها خبر "علّ" .

ونقول : إن الأحرف المشبهة بالأفعال تحدث نَسْخاً فى الجملة الاسمية ؛ لذا عدها النحاة من النواسخ ، والنواسخ : جمع تكسير على وزن "فواعل" ، ومفرده : ناسخ ، على وزن "فاعل" ، مشتق من الفعل الماضى المجرد "نسخ" ، وهو بمعنى : أزال وغيَّر وأبطل[٩٠] ، فالنسخ هو الإزالة أو التغيير أو الإبطال ، ومن هنا سميت النواسخ بهذا الاسم ؛ لأنها تحدث نسخاً ، أى تغييراً فى الاسم ، وفى حركة الإعراب"[٩١] ، وقد ذكر ابن هشام أن النواسخ " ما يرفع حكم المبتدأ والخبر ، وهو

ثلاثة أنواع : ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر ، وهو كان وأخواتها ، ومـــا ينصـــب المبتدأ ويرفع الخبر ، وهو إن وأخواتها ، وما ينصبهما معاً ، وهو ظن وأخواتها"(٩٢)

الخلاف بين البصريين والكوفيين فى عملها فى الخبر :

خبر الأحرف المشبهة بالأفعال مرفوع بها عند البصريين ، وعند الكوفيين مرفـــوع كما كان مع المبتدأ قبل دخول هذه الأحرف على الجملة يرى الزمخشرى أن خبر إن وأخواتها "هو المرفوع فى نحو قولك : إن زيدًا أخوك ، ولعـــل بشـــرًا صـــاحبُك . وارتفاعه عند أصحابنا بالحرف ؛ لأنه أشبه الفعل فى لزومـــه الأســـماء ... وعنـــد الكوفيين هو مرتفع بما كان مرتفعا به فى قولك : زيد أخوك . ولا عمـــل للحـــرف فيه"(٩٣) . كما أن ابن يعيش يرى أن هذه الأحرف من العوامل الداخلة على المبتـــدأ والخبر تنصب ما كان مبتدأ ، وترفع ما كان خبراً ، وإنما عملت لشبهها بالأفعـــال ... وذهب الكوفيون إلى أن هذه الحروف لم تعمل فى الخبر الرفع ، وإنما تعمل فـــى الاسم النصب لا غير ، وإنما الخبر مرفوع على حاله كما كان مع المبتـــدأ ، وهـــو فاسد ، وذلك من قبل أن الابتداء قد زال ، وبه وبالمبتدأ كان يرتفع الخبر ، فلمـــا زال العامل بَطُلَ أن يكون هذا معمولا فيه ، ومع ذلك فإنا وجدنا كل ما عَمِل فى المبتـــدأ عَمِل فى خبره ، نحو : ظننت وأخواتها ، لما عملت فى المبتدأ عملت فى الخـــبر ، وليس فيه تسوية بين الأصل والفرع ؛ لأنه قد حصلت المخالفة بتقديم المنصوب على المرفوع"(٩٤) . كما أن ابن عقيل يرى أن "هذه الحروف تعمل عكس عمـــل "كـــان" فتنصب الاسم ، وترفع الخبر ، نحو : إن زيدًا قائم ، فهى عاملة فى الجزأين ، وهذا مذهب البصريين .

وذهب الكوفيون إلى أنها لا عمل لها فى الخبر ، وإنما هو باق على رفعه الذى كان له قبل دخول "إن" ــ وهو خبر المبتدأ"[٩٥] ، ورأى البصريين هو الأصوب ؛ لأن الحروف المشبهة بالأفعال نواسخ للجملة الاسمية كما أن كان وأخواتها أيضا نواسخ ، فإذا كان المبتدأ قد نصب مع إن وأخواتها ، وظل الخبر مرفوعا كما كان فهو قد كان مرفوعا بالمبتدأ ، وبعد دخول إن وأخواتها تغير العامل فى رفع الخبر من المبتدأ إلى الأحرف التى دخلت على الجملة .

القول فى نصب الأحرف المشبهة بالأفعال للجزأين معًا :

اللغة المشهورة أنَّ الأحرف المشبهة بالأفعال تنصب المبتدأ ويكون اسمها وترفع الخبر ويكون خبرها ، لكن الأشمونى يقول : "حكى قوم منهم ابن سيده : أن قوما من العرب تنصب بها الجزأين معًا ، من ذلك قوله :

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ   خُطَاكَ خِفَافاً ، إن حُرَّاسَنَا أُسْدَا[٩٦]

وقوله :

يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا[٩٧]

وقوله :

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا   قَادِمَةً ، أَوْ قَلَماً مُحَرَّفَا[٩٨]

وقد عقَّبَ محمد على الصبان على قول الأشمونى بأن "ذلك لغة وبه صرح بعضهم ، ومنع الجمهور ذلك ، وأوَّلوا ما ثبت منه بأن الجزء الثانى حال ، والخبر محذوف والتقدير فى "أن حراسنا أسدا : "تلقاهم أسدا"[٩٩] . وفى "ياليت" إلخ : أقبلت رواجعا ، وفى : "كان أذنيه" إلخ : يحكيان قادمة . بل التأويل فى الثالث متعين ؛ لئلا يلزم الإخبار بالمفرد عن المثنى"[١٠٠] . كما أن سيبويه عقب على قول العجاج :

يا ليت أيام الصبا رواجعا

بقوله : "فهذا كقوله : ألا ماء بارداً ، كأنه قال : ألا ماء لنا بارداً ، وكأنه قال : ياليت لنا أيام الصبا ، وكأنه قال : يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجع"(١٠١) . وابن يعيش عقب على قول رؤبة بقولين ثم ذكر أن بنى تميم ينصبون الاسم والخبر بعد ليت ، في قوله : "قول رؤبة :

يا ليت ايام الصبا رواجعا

على تقدير : ياليت لنا أيام الصبا رواجعا ، فيكون أيام الصبا اسم ليت ، والخبر الجار والمجرور المقدر ، ورواجعا : حال ، وتنوينه ضرورة . وقيل : تقديره : أقبلت رواجعا ، فيكون "أقبلت" الخبر ، و "رواجعا" أيضا حال ، وكان بعضهم ينصب الاسم والخبر بعد ليت تشبيها لها بـ "وددتُ" و "تمنيتُ" ؛ لأنها في معناهما ، وهي لغة بنى تميم ، يقولون : ليت زيداً قائما ، كما يقولون : ظننت زيدًا قائما ، وعليه الكوفيون ، والأول أقيس ، وعليه الاعتماد ، وهو رأى البصريين"(١٠٢) .

وما يمكن أن نقوله هنا إن نصب الجزأين بالأحرف المشبهة بالأفعال ورد في شواهد شعرية عزا بعض النحاة ذلك إلى لغة بنى تميم ، كما زعم البعض الآخر في قول رؤبة أن ذلك لغة رؤبة وقومه ، وقد تمسك بذلك ابن سيده ومن معه ، والفراء ومن تابعه من الكوفيين ، لكن جمهور النحاة من البصريين أوّلوا الجزء الثاني بأنه منصوب على أنه حال(١٠٣) .

ولم يرد في شعر الطهطاوى نصب الجزأين بالأحرف المشبهة بالأفعال .

جواز تقديم أخبار الأحرف المشبهة بالأفعال على أسمائها :

يرى المبرد عدم جواز تقديم خبر "إن" على اسمها إلا إذا كان الخبر ظرفا ، وفي الحقيقة هو يعني الظرف أو الجار والمجرور ؛ لأن المثال الذى أورده فيه حرف الجر "في" والاسم المجرور "الدار" ، ومن المعلوم لنا أن الخبر ليس هو الظرف وما أضيف إليه أو الجار والمجرور ، وإنما هو ما تعلقا به نحو "كائن" أو "استقر" ، يقول المبرد : "فأما التقديم والتأخير ، نحو : إنَّ منطلقٌ زيدًا ــ فلا يجوز ؛ لأنها حرفٌ جامدُ . لا تقول فيه : فَعَلَ ، ولا فاعل ، كما كنت تقول في "كان" : ليكون ، وهو كائن ، وغير هذا من الأمثلة . ولكن إن كان الذى يليها ظرفا فكان خبرا ، أو غير خبر جاز . وذلك : إن في الدار زيدًا ، وإن في الدار زيدًا قائم ، وإنما جاز ذلك ؛ لأن الظروف ليس مما تعملُ فيه "إن" لوقوع غيرها فيه"[١٠٤] . ويرى الزجاجي أيضا أن خبر إن وأخواتها لا يجوز تقديمه على اسمها إلا إذا كان ظرفا أو جاراً ومجروراً ؛ لأنها حروف غير متصرفة ، ومثل لذلك في قوله : "لا يجوز تقديم أخبارها على أسمائها ، ولا عليها ، ولا يجوز : "إن قائم زيداً ، ولا زيداً إنَّ قائم ، وما أشبه ذلك مما جاز في باب "كان" ؛ لأن "كان" متصرفة ، تقول : كان يكون فهو كائن ومكون ، كما تقول : ضرب يضرب فهو ضارب ومضروب .

واعلم أنه إذا كان خبر هذه الحروف حرف خفض أو ظرفا جاز تقديمه على الاسم ؛ لاتساع العرب في الظروف ، فتقول : إن عندك زيدًا ، فتنصب "زيدًا" ؛ لأنه اسم "إن" ، و "عندك" : الخبر ، وهو خبر مقدم ، وكذلك "إن في الدار عمرًا ، و "لعل له عذرًا" ، و إن أمامك بكرًا ، وكذلك ما أشبهه"[١٠٥] ، وعلى هذا أيضا جمهور النحاة كابن جني والزمخشري وابن يعيش وابن الحاجب والأستراباذي وابن عقيل والأشموني والأردبيلي وابن هشام ؛ لأن العرب توسعوا في الظروف والجار

والمجرور ، وخَصُّوها بذلك ؛ لكثرتها في الاستعمال ، ولأنهم فصلوا بها بين المضاف والمضاف إليه ، وهما كالشئ الواحد[١٠٦] .

وقد تقدم خبر "أن" على اسمها جوازًا في قوله :

فِي هَيْئَةِ الكركى قَدْ نَزَلَ الْحَرَمْ نَحْوَ الثَّلاث فَقَامَ شَيْخٌ مُحْتَرَمْ

ثِقَةٌ وَأَقْسَمَ أَنَّ فِيها ذَا الْكَرَم سُلْطَانُ طَهْطَا "ابنُ الْحُسَيْن" وَلاجَرَمْ[١٠٧]

وجوب تقديم أخبار الأحرف المشبهة بالأفعال على أسمائها :

يرى ابن عقيل والصبان أن خبر أى حرف من الأحرف المشبهة بالأفعال يجب تقديمه على اسمه إذا كان الخبر ظرف أو جاراً ومجروراً وكان الاسم متصلا بضمير يعود على شئ فى الخبر ، نحو : ليت فى الدار صاحبها . فلا يجوز تأخير "فى الدار" على الاسم "صاحبها" ، وكذلك قولك : "إن عند زيد أخاه" لا يجوز تأخير " عند زيد" على اسم إن "أخاه" حتى لا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة[١٠٨] أما الأستراباذى فيرى أن خبر إن يتقدم على اسمها وجوبا إذا كان الخبر ظرفا أو جاراً ومجروراً ويكون اسمها نكرة نحو : إن من البيان لسحراً[١٠٩] ، وقد تقدم خبر "إن" وهو جار ومجرور ، على اسمها النكرة فى شعر الطهطاوى فى قوله :

لا تَغْزُ رُوماً وتُرْكاً أو جَرَاكِسَةً لِحُسْنِهِ إنَّ فِي هذَا مُوَكَسَةً[١١٠]

أنواع خبر الأحرف المشبهة بالأفعال :

يأتى خبر الأحرف المشبهة بالأفعال مفرداً ، وجملة ، وشبه جملة ، يقول ابن جنى : "وأخبار"إن" وأخواتها كأخبار المبتدأ : من المفرد ، والجملة ، والظرف"[١١١] . والزجاجى يرى أن خبرها يكون جملة اسمية أو فعلية ، أو شبه جملة ، يقول : "واعلم أن كل شئ كان خبراً للمبتدأ ، فإنه يكون خبر هذه الحروف من : فعل وما

اتصل به من فاعل ومفعول ، ومبتدأ وظرف ، وجملة ، كما كان ذلك فى باب "كـان" ، فقس عليه ، كقولك : إن زيداً فى الدار ، وإن عبدالله خرج ، وإن محمداً يركـب ، وإن أخاك ماله كثير"(١١٢) ، وقد جاء خبر هذه الأحرف مفرداً فى شعر الطـهطاوى فى قوله :

إِنَّ أُمَّكُم حَسُودٌ   يَعُودُهَا مَى المدمع (١١٣)

وجاء جملة فعلية فى قوله :

وَكَأَنَّهُ يُلْقِى إِلىَّ إِشارةً   كَيْفَ اصْطِبَارِى مُنْذُ أَى خِلاَّبِى(١١٤)

وجاء جملة اسمية فى قوله :

دَلاَئِلُ أَخْبَارِ الخَوافِينَ أَجْمَعَتْ   عَلَى أَنَّهُ عَنْهُمْ مَنِيعٌ مَنَالُهُ(١١٥)

وجاء شبه جملة "جاراً ومجروراً" فى قوله :

مَاذَا علىَّ إذا كتمت صَبَابَتِى   حَتَّى لَو أَنَّ المَوْتَ فى الكِتْمَانِ(١١٦)

تقديم معمول خبر الأحرف المشبهة بالأفعال على اسمها :

يجوز تقديم معمول خبر الأحرف المشبهة بالأفعال على اسمها إذا كان ظرفا أو جاراً ومجروراً نحو قولك : إن منك زيدًا راغب ، وإن بك زيدًا مأخوذ ، وإن لـك زيـداً واقف ، ونحو قول الشاعر :

فَلاَ تَلْحَنِى فِيهَا فَإِنَّ بُحبِّها   أَخَاكَ مُصَابُ القَلْبِ جَمٌّ بَلاَبِلُه(١١٧)

فقد تقدم "بحبها" وهو جار ومجرور ، وهو معمول الخبر على اسـم إنَّ "أخـاك" ، ورفع" مصاب " ؛ لأنه خبر "إن" .

وابن عقيل لا يجيز تقديم معمول الخبر على الاسم إذا كان غير ظرف ولا مجـرور نحو قولك : إن زيدًا آكلٌ طعامك ، فلا يقال : إن طعامك زيدًا آكل ، وكذلك إذا كـان المعمول ظرفا أو جاراً ومجروراً نحو قولك : إن زيدًا واثق بك ، فلا يقال : إن بـك زيدًا واثق(١١٨) ، ولم يرد فى شعر الطهطاوى تقديم معمول الخبر على اسـم هـذه الأحرف .

لام الابتداء :

تدخل لام الابتداء على اسم إن أو على خبرها أو على معمـول الخـبر ، أو علـى ضمير الفصل .

دخول لام الابتداء على اسم إنَّ :

إذا تأخر اسم "إن" عن خبرها جاز دخول لام الابتداء عليه ، نحو قول الله تعـالى : "إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى" (سورة النازعات الآية٢٦) ، وقوله جل شـأنه : "وإن لك لأجراً غير ممنون" (سورة القلم الآية٣) ، وقوله جـل وعـز : "إن فـى خلـق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب" (سورة آل عمـران الآية١٩٠) ، ولم تدخل لام الابتداء على اسم إن فى شعر الطهطاوى .

دخول لام الابتداء على خبر إن :

قد تدخل لام الابتداء على خبر "إنَّ" المكسورة للتوكيد دون سائر أخواتها ، نحو قولك : إن خالداً لمسرورٌ ، وإن علياً لصديقك ، وكقول الله تعالى : "إِنَّ الإنسَـانَ لِرَبِّـهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" (سورة العاديات الآيات من ٦ ــ ٨) ، وقوله جل وعز : "إِنَّهُ عَلَىَ رَجْعْهِ لَقَادِرٌ" (سورة الطارق الآية٨) ، وقوله جل شأنه : "يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُنَ فِي الْحَافِرَةِ" (سورة النازعات الآية ١٠) ، وكـان

وكان حق لام الابتداء أن تدخل على أول الكلام ؛ لأن لها صدر الكلام ، نحو قولـك : لسعيد جالس ، ونحو قول الله تعالى : "ولأمة مؤمنة خير من مشـركة ولـو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشـرك ولـو أعجبكم" (سورة البقرة من الآية ٢٢١) . وكان القياس أن تقدم لام الابتداء فتقـول : لإن سعيدا جالس في "إن سعيدا لجالس " ، وإنما كرهوا الجمع بين لام الابتـداء و "إن" ؛ لأنهما بمعنى واحد ، وهو التوكيد ، والعرب يكرهون الجمـع بيـن حرفيـن بمعنى واحد ، وهو أن هذه الحروف إنما تأتى بها نيابة عن الأفعـال اختصـارا ، والجمع بين حرفين بمعنى واحد يناقض هذا الغرض .

وإنما تدخل اللام فى خبر "إن" المكسورة ؛ لأنها أختها فى المعنى ، لأن "إن" تكـون جوابا للقسم ، واللام يتلقى بها القسم ، وهما للتوكيد ، وذلك أنك إذا قلـت : علـى مسافر ، فقد أخبرت بأنه مسافر لا غير ، وإذا قلت : إن عليا مسافر ، فقد أخـبرت عنه بالسفر مؤكدا كأنه فى حكم المكرر نحو : على مسافر على مسافر ، فإن أتـت باللام كان كالمكرر ثلاثا فحصلوا على ما أرادوا من المبالغة فى التوكيد وإصـلاح اللفظ بتأخيرها إلى الخبر.

ولا تدخل هذه اللام فى سائر أخواتها نحو : كأن، ولعل ، ولكن ، فلا يقـال : كـأن سعيدا لجالس ، ولا لعل محمدا لذاهب ، ولا لكن محمودا لناجح ؛ لأن هذه الحروف قد غيرت معنى الابتداء ، ونقلته إلى التشبيه والترجي والاستدراك ، وهذه الـلام لام الابتداء فلا تدخل إلا عليه ، أو ما كان فى معناه . وقد ذهب الكوفيون إلى جواز هذه اللام فى خبر "لكن" ، واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

يلوموننى فى حب ليلى عواذلى ولكننى من حبها لعميد(١١٩)

الشاهد هنا فى قوله : "لعميد" حيث دخلت عليه لام الابتداء وهو خبر "لكن" على مذهب الكوفيين . وخرجه البصريون على أن اللام زائدة . وقيل : إنه ضرورة ، وقيل : إن اللام داخلة على خبر "إن" المكسورة ، وأصل الكلام : ولكن إنني من حبها لعميد ، فحذفت همزة "إن" تخفيفا ، وإحدى النونات الأربع ، وقد يكون دخول لام الابتداء فى خبر "لكن" هنا شاذا ، كما شذ دخولها فى خبر "أمسى" فى قول الشاعر :

مروا عجالى ، فقالوا : كيف صاحبكم　　　فقال الذى سألوا : أمسى لمجهودا(١٢٠)

الشاهد هنا فى قوله : "لمجهودا" حيث دخلت عليه اللام الزائدة وهو خبر "أمسى شذوذا"(١٢١) . وقد ورد فى شعر الطهطاوى دخول اللام فى خبر "إن" فى قوله :

إن الحما بجمالهم　　　لمعضد متضافر (١٢٢)

ودخلت فى خبر "أن" المفتوحة الهمزة فى أسلوب القسم فى قوله :

ولئن حلفت بأن مصر لجنة　　　وقطوفها للفائزين دوانى

والنيل كوثر ها الشهى شرابه　　　لأبر كل البر فى أيمانى(١٢٣)

شروط دخول لام الابتداء على خبر إن بشروط هى :

١ ــ أن يكون خبر "إن" لم يتقدم على اسمها ، وجاء مثبتا ، كقول الله تعالى : "إن ربى لسميع الدعاء" (سورة إبراهيم من الآية ٣٩) ، فإن كان الخبر منفيا لم تدخل عليه اللام ، فلا يقال : إن عليا لما يقوم ؛ لأن اللام لتأكيد الإثبات ، وهو ضد النفى

٢ ــ أن يكون خبر "إن" جملة فعلية فعلها مضارع ، نحو قول الله تعالى : "إن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون" (سورة النمل الآية ٧٤) ، أما إذا كان خبر "إن"

جملة فعلية فعلها ماضٍ مُتصرفٌ لم يقترن باللام ، أما إذا كان ماضيا جامداً جـــاز دخول اللام عليه ، كقولك : إن سعيداً لنعم الرجل ، وإن خالداً لبئس الولد ، وقد أجاز هذا الأخفش والفراء ، ولم يجزه سيبويه . وإذا كان فعلها ماضيا متصرفا مقرونا بقد جاز دخول لام الابتداء عليه ، كقولك : إن الضيف لقد سافر(١٢٤) .

دخول لام الابتداء على معمول خبر "إنَّ" :

تدخل لام الابتداء على معمول خبر "إنَّ" إذا توسط بين اسمها وخبرها ، نحو قولـك : إن خالداً لطعامَكِ آكل ، وبشرط أن يكون الخبر صالحاً لدخول اللام عليه ، فإذا لـــم يكن كذلك لم يجز دخولها على معموله المتوسط نحو قولك : إن خالداً لطعامك أكَلَ ، لأن دخولها على المعمول فرع دخولها على الخبر ، وإذا كان المعمول حالا لم يجـوز دخول اللام عليه ، نحو قولك : إن خالداً لراكباً منطلقٌ ، كما لا تدخل الــلام علـى المعمول المتأخر فلا يقال : إن خالداً آكلُ لطعامك ، كما أن اللام إذا دخلــت علــى المعمول المتوسط لا تدخل على الخبر ، فلا يقال : إن خالداً لطعامك لآكل(١٢٥) ، ولم يرد دخول لام الابتداء على معمول الخبر فى شعر الطهطاوى .

دخول لام الابتداء على ضمير الفصل :

يجوز دخول لام الابتداء بعد "إنَّ" المكسورة على ضمير الفصل ، نحو قول الله تعالى : "إِنَّ هذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقّ وَمَا من إلهٍ إلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (سورة آل عمران الآية ٦٢) ، وقوله جل وعز : "إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ" (سورة الصافات الآيتان ١٦٥ ، ١٦٦) ، وقد سماه البصريون فصلا ؛ لأنه يفصـــل بين الخبر والنعت ، والكوفيون يسمونه عماداً ؛ لأنه معتمد عليه فى تأديـــة المعنـــى

المراد ، هذا إذا لم يعرب الضمير المذكور مبتدأ ، فإن جعل مبتدأ وجعل ما بعده خبراً ، فالجملة تكون خبر "إن" ، فلا يكون ضمير فصل ، لأن ضمير الفصل لا محل له من الإعراب . وشرط ضمير الفصل أن يتوسط بين المبتدأ والخبر كقولك : خالد هو الجالس ، أو بين ما أصله المبتدأ والخبر ، نحو قولك : إن سعيداً هو المسافر . ويشترط كذلك أن يكون الاسمان اللذان يقع بينهما ــ معرفتين ، أو ثانيهما يشبه المعرفة فى عدم قبوله حرف التعريف كأفعل التفضيل المقترن بمن نحو قولك : سعيد هو أفضل من خالد ، وأن يكون ضمير الفصل بصيغة ضمير الرفع ، وأن يطابق ما قبله فى حالة المتكلم أو المخاطب أو الغائب ، والإفراد أو الجمع فى كل حالة ، نحو قول الله تعالى : "وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ" (سورة الصافات الآية ١٦٥) ، وقول جل وعز : "فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ" (سورة المائدة من الآية ١١٧) ، وقوله جل شأنه : "وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (سورة البقرة من الآية ٥) [١٢٦] ، ولم يرد فى شعر الطهطاوى دخول لام الابتداء على ضمير الفصل .

حكم الأحرف المشبهة بالأفعال إذا اتصلت بها "ما" :

إذا اتصلت "ما" الحرفية الزائدة بـ"إنَّ" وأخواتها كفتها عن العمل ، وهيأتها للدخول على الجملة الفعلية بعد أن كانت مختصة بالاسمية ، ولذا سميت "ما" الكافة ، نحو قول الله تعالى : "إِنَّمَا أنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" (سورة الرعد من الآية ٧) ، وقوله جل وعز : "يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ" (سورة الأنفال الآية ٦) ، وقوله جل شأنه : "قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" (سورة الأنبياء من الآية ١٠٨) ، وكقول الشاعر :

أَعِدْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لَعَلَّمَا   أَضَاءَتْ لَكَ النَّارُ الْحِمَارَ الْمُقَيَّدَا

الشاهد فى قوله :"لعلما أضاءت" حيث اتصلت "ما" الزائدة بـ "لعل" فكفتها عن العمل فى الاسم والخبر ، وأزالت اختصاصها بالجملة الاسمية ، لذلك دخلت على الجملة الفعلية أما "ليت" فإنها تكون باقية مع "ما" على اختصاصها بالجملة الاسمية ، فيجوز إعمالها لبقاء اختصاصها بالجملة الاسمية ، ويجوز إهمالها حملاً على أخواتها ، وقد روى بالوجهين قول النابغة الدبيانى :

قَالَتْ ألاَ لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا   إِلَى حَمَامِيتَنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدِ

الشاهد فى قوله : "ليتما هذا الحمام" حيث يروى بنصب "الحمام" على أنه بدل من اسم "ليت" فتكون "ليت" حينئذ عاملة ، ويروى برفع "الحمام" على أنه بدل من المبتدأ "هذا" ، فتكون "ليت" حينئذ مهملة . وهذا يدل على أن "ما" الزائدة إذا اتصلت بـ "ليت" لا يجب فيها الكف عن العمل ، بل يجوز فيها الإعمال والإهمال[١٢٧] وقد ورد فى شعر الطهطاوى اتصال "ما" بـ "إنَّ" وكفتها عن العمل فى قوله :

ولَيْسَ بِى فى الْهَوَى ارْتِيَابٌ   وَإِنَّمَا شِيمَتِى الْعَفَافُ [١٢٨]

وقوله :

وَإِنَّمَا تَمَامُ هَذَا القَصْدِ   تَوْسِيعُهُ دَوَائِرَ الْأَفْهَامِ [١٢٩]

أنماط الجمل مع كل حرف من الأحرف المشبهة بالأفعال :

سأذكر هنا أنماط الجمل مع كل حرف من الأحرف المشبهة بالأفعال مع ذكر الشواهد وبيان عدد مرات ورود هذا الحرف فى ديوان الطهطاوى .

١ ــ إنَّ :

وردت "إنَّ" المكسورة الهمزة فى ديوان الطهطاوى خمس عشرة مرة بمعنى التوكيد ، وجاءت أنماطها وشواهدها على النحو التالى:

النمط الأول :

إن + اسم ظاهر + خبر مفرد .

الشاهدان :

ـ يا أيها الخافى عليك فخارها فإليك إن الشاهَد الحسنانِ[١٣٠]

ـ إن إسماعيل أصلٌ حوله الأنجال أغصن[١٣١]

ـ إنّ الحما بجمالهم لمعضدٌ متضافر [١٣٢]

النمط الثانى :

إن + اسم مضاف إلى اسم ظاهر أو ضمير + خبر مفرد .

الشواهد :

ـ إنّ سر العزيز سرٌ عجيب قد هدانا سبل الرشاد فسرنا [١٣٣]

ـ فكم تحدى وأبدى فى دلالته من معجزات توالت فى رسالته

فقل لطاغ تمادى فى ضلالته إن ابن عبد مناف من جلالته

شمس لأفق الهدى والرسل أنجمه [١٣٤]

ـ يا أيها الجنود والقادة الأسود

إن أمكم حسود يعودها دى المدفع [١٣٥]

النمط الثالث :

إن + اسم إشارة + خبر جملة فعلية فعلها مضارع .

الشاهد :

ـ أفيهنيك شدة الإيلام لفتاة ضعيفةٍ فى الأنام

يا شريفا لدى الملوك الكرام بامتداح لهم مدى الأيام

إنَّ هذا للمجد يهدم عهدا (١٣٦)

النمط الرابع :

إنَّ + اسم علم + خبر جملة فعلية فعلها ماض .

الشواهد :

ـ لا غروَ إنَّ "تجداً" أذاقَتْ شُكْرَهُ فلقدْ كسَاها حُلَّةَ الإيملنِ (١٣٧)

النمط الخامس :

إن + اسم مضاف إلى ضمير + خبر جملة فعلية فعلها ماض .

الشواهد :

ـ إن رشْفِى مَدَامعَ الْأحْزَانِ مِنْ عُيُونٍ مَرِيضَةِ الْأجفَانِ
قد رَدَدْت إليكِ خِلاً مُعَانى أوْ صَدَدْتِ الذَميمَ مِنْ طَيَشَانِى
فَانَظُرِى قد قَصَمْتُ عُودى زُهْدًا (١٣٨)

ـ رفَاعَةُ خمَّسَ المنظُومَ مُرْتَجِلا قَرِيضَهُ وَهُوَ بِالْخُرْطُوم قَدْ وَجِلاَ
قَالَتْ هَوَاتِفُهُ : بِاللَّهِ كنْ رَجُلا وإنَّ جَدَّكَ طه للخطوب جلا
فَأمْرُ جَدّكَ هذا الجَدُّ بِحَسْمُه (١٣٩)

ـ إنَّ رُوحِى قَدْ أغْرَبَتْ فِى الْمَوَدَّه بابْتِهَاجٍ قَدْ صَيَّرَ العِزَّ جُنْدَه
وَحَبَانِى بِجَنَّةٍ مُسْتَعِدَه فى حَيَاتِى كَيْمَا أُسَامِرُ مَجْدَه
فَانظُرِى كَيْفَ حُبُكِ الْيَوْمَ أدَّى (١٤٠)

النمط السادس :

إنَّ + الضمير "نى" المتصل للمفرد المتكلم + خبر جملة فعلية فعلها مضارع .

الشاهدان :

ـ قَالُوا أَتَهْوىَ وَالْهَوَى يَكْسُو الْفَتَى أبدًا ثياب مَذَلَّةٍ وَهَوانِ ؟
فَأَجَبْتُهُمْ : لَوْ صَحَّ هذَا إنَّنِى أَخْتَارُ ذُلِّى فِيه طُولَ زَمَانِى[١٤١]
ـ فِى حُبِّ لَيْلَى خَلِىُّ الْبَالِ يَعْذُلُنِى إن لَمْ أُغَالِطْ فَمَا يَنْفكُ يَخْذُلنِى
فَوَالذِى منزل العُشَّاقِ ينزلنى إنِّى أُورِّى عَذُولى حِينَ يَسأَلُنِى
بزينبٍ عن هَوَى ليلى فأُوهِمُهُ [١٤٢]

النمط السابع :

إنَّ + اسمها ضمير متصل للمفرد المؤنث الغائب + خبرها شبه جملة .

الشاهد :

ـ مَنْ رَامَ أَنْ يَكْتَسِبَ اللطَافَهْ عَلَيهِ طُولَ الدَّهْرِ بالنَّظَافَهْ
فَإِنَّهَا مِنْ شُعَبِ الإيمَانِ تُطْلَبُ فِى الثِّيَابَ والْأَبْدَانِ [١٤٣]

النمط الثامن :

إنَّ + خبرها مقدم شبه جملة + اسمها نكرة مؤخر .

الشاهد :

لا تُعْزَ رُومًا وتُرْكًا أو جَرَاكِسَةً لِحُسْنِه إنَّ فى هذا مُوَاكَسَةً
تَقُولُ آمِنَةٌ فِيهِ مُنَافِسَةً أَضْحَتْ لِمَوْلِدِه الْأَصْنَامُ نَاكِسَةً
عَلَى الرُّءُوسِ وذَاقَ الخِزْىَ مُجْرِمُهُ [١٤٤]

وقد بدا من عرض الأنماط السابقة للجمل مع الحرف المشبه بالفعل "إن" أن الجمل تنوعت فى اسمها وخبرها ، فقد جاء اسمها فى مواضع اسماً ظاهراً مشتقا على وزن فاعل ، وجاء اسمًا علماً ممنوعا من الصرف للعلمية والحجمة ، وجاء اسماً مقصوراً معرفا بحرف التعريف ، وجاء اسماً ظاهراً مضافاً إلى مركب تركيب إضافة ، وجاء

اسما ظاهرا مضافا إلى ضمير المخاطب لجمع المخاطبين ، ومع كل هذه الحـــالات جاء الخبر مفردا ، وفى موضع جاء اسمها اسم إشارة وجاء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، وفى موضع جاء اسمها اسما علما وجاء خبرها جملة فعلية فعلها مـاض ، وفى مواضع جاء اسمها اسما مضافا إلى ضمير متصل هو يـــاء المتكلـم أو كــاف الخطاب للمفرد المخاطب ، وجاء خبرها جملة فعلية فعلها ماض سبقت بقـــد أو لـــم تسبق ، وفى موضعين جاء اسمها ضميرا متصلا للمفرد المتكلم "نى" وقد حذفت نونه فى موضع لتوالى النونات ، وجاء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع ، وفى موضـــع جاء اسمها ضميرا متصلا للمفردة الغائبة ، وجاء خبرها شبه جملة ، وفى موضـــع جاء اسمها نكرة مؤخرا ، وجاء خبرها شبه جملة مقدما ، ولم يرد خـــبر إن جملـة اسمية أو ظرف زمان أو ظرف مكان .

٢ ـ أن :

وردت "أن" المفتوحة الهمزة فى ديوان رفاعة الطهطاوى تسعا وعشرين مرة بمعنـى التوكيد وسبقها كلام ، وجاءت أنماطها وشواهدها على النحو التالى :

النمط الأول :

أن + اسمها علم + خبرها مفرد دخلت عليه لام الابتداء .

الشاهد :

ـ ولئن حلفت بأن مصر لجنة   وقطوفها للفائزين دوانى

والنيل كوثرها الشهى شرابه   لأبر كل البر فى أيمانى (١٤٥)

النمط الثانى :

أن + اسمها ضمير متصل + خبرها مفرد .

الشواهد :

ــ مع أنى والله غير مريب همتى همة الذكى النجيب[١٤٦]

ــ بالعز أكسبها الصغار مع أنه جرم صغير[١٤٧]

ــ قبول تخميسها فضل عليه ومن لأنه زمن قاسى ظروف زمن[١٤٨]

ــ دلائل أخبار الخواقين أجمعت على أنه عنهم منيع مناله[١٤٩]

ــ أما أنه مولى شمائله بها حنان لمن تجنى عليه شماله[١٥٠]

النمط الثالث :

أن + اسمها اسم إشارة للمفرد المذكر + خبرها جملة فعلية منفية فعلها مضارع .

الشاهد :

ــ كل يمد له يدا من فرسخ ومن العجائب أن ذا لم ينسخ[١٥١]

النمط الرابع :

أن + اسمها ضمير متصل + خبرها جملة فعلية فعلها ماض أو مضارع .

الشواهد :

ــ وحسبى أننى أبرزت كتبا تبيد كتائبا يوم الطراد[١٥٢]

ــ مع أننى والله مذفارقتهم ماطاب لى عيشى وصفو زمانى[١٥٣]

ــ يا خليلى هلا ترانى أننى قد أحييت شعر ابن هانى[١٥٤]

ــ حيث شعرى نجل الشجاعة يولى لست أحجوه فى البراعة إلا

أنه قد رقى العلا وتملى وغدا لائقا بحضرة مولى[١٥٥]

ـ لاشَكَّ أنَّى أناغِى الوُرْقَ شاكِيةً وتَنْثَنِى عَذَباتَ البَانِ حَاكِيةً

عِلْمَ الغَرِيقِ فَأدْرِى مَا تُتَرْجِمُهُ (١٥٦)

ـ وَاحَيَاتِى وَاخَجْلَتِى صَارَفَنِّى أنَّنِى فِى هَوَى المِلاَحِ أُغَنِّى (١٥٧)

الفِرَارَ الفِرارَ فَهُوَ شَفِيعِى غَيْرَ أنَّ الفِرارَ أَلْقَى بروعى

أنَّها مِنْ بَيْنِى تُجَاوِرُ لَحْدَا (١٥٨)

فِى عَهْدِهِ كُلُّ الرَّعَايَا فَرِحَتْ لأنَّهُ وَافَى عَلَى مَا اقْتَرَحَتْ(١٥٩)

النمط الخامس :

أنَّ + اسمها ضمير متصل + خبرها جملة اسمية منسوخة بالفعل الناسخ (أضحى).

الشاهد :

ـ مَاخِلْتُهُ مُذْ صَاحَ إلاَّ أنَّهُ أَضْحَى فَقِيدَ أَلِيفِهِ وَمُعَانِى (١٦٠)

النمط السادس :

أنَّ + اسمها ضمير متصل + خبرها شبه جملة (جار ومجرور) .

الشاهد :

ـ مَعَ أنَّى بالقُرْبِ مِنْ مَيْدَانِ عَامِرٍ مِنْ تَنَاضُلِ الفِرْسَانِ(١٦١)

النمط السابع :

أنَّ + اسمها اسم ظاهر + خبرها جملة فعلية فعلها ماضٍ أو مضارع .

الشواهد :

الْفِرَارَ الْفِرارَ فَهُوَ شَفِيعِى   غَيْرَ أَنَّ الفِرارَ أَلْقَى بروعى[١٦٢]
ــ هَلْ بَلَغَ اسْكَنْدَرَ أَنَّ مِصرًا   تَرْجُفُ مُلْكَ قَيْصَرٍ وكَسْرَى[١٦٣]
ــ هَلْ بَلَغَ الْمَاضِيِينَ أَنَّ النِّيلاَ   يَخُصُّ بالثَّنَاءِ إِسْمَاعِيلاَ[١٦٤]

النمط الثامن :

أَنَّ + اسمها اسم ظاهر + خبرها شبه جملة (جار ومجرور) .

الشاهد :

ــ مَاذَا عَلَىَّ إِذَا كَتَمْتُ صَبَابَتِى   حَتَّى لَوْ أَنَّ الْمَوْتَ فِى الْكِتْمَانِ[١٦٥]

النمط التاسع :

أَنَّ + اسمها اسم ظاهر مضاف إلى ضمير متصل + خبرها مفرد .

الشاهد :

ــ حَسْبُكَ اللَّهُ أَنَّ عُودِى حَيَاتِى   أَتُرِيدِى أَنْ تَظْفَرِى بِوَفَاتِى ؟[١٦٦]

النمط العاشر :

أَنَّ + اسمها اسم ظاهر مضاف إلى اسم ظاهر أو ضمير متصل + خبرها جملة فعلية فعلها ماض أو مضارع أو جملة اسمية .

الشواهد :

ــ وَتَمْ بُشِّرتُ أَنَّ عَزِيزَ مِصْرَ   تَفَوَّهَ بِالْفِكَاكِ وَلَمْ يُفَادِ[١٦٧]
ــ كَفَى "الدَّاورى" فخرًا بِأَنَّ زَمَانَهُ   عذا عِنْدَهُ عَبْداً عَلَيْهِ امْتِثَالُهُ[١٦٨]
ــ أَلاَ أَيُّهَا الْمُرْتَابُ فِى أَنَّ دارنا   تَفُوقُ على كُلِّ الرِّجَالِ رِجَالُهُ[١٦٩]
ــ مَاذَا قَصَائِدُ شَاعِرٍ   لَوْ أَنَّهُ فِيهَا مُجِيدُ[١٧٠]

النمط الحادى عشر :

أنَّ + خبرها (جار ومجرور) + اسمها اسم نكرة مؤخر أو اسم من الأسماء الخمسة مضاف إلى اسم ظاهر معرف بحرف التعريف .

الشاهدان :

ـ أَخْبَرْتَ عَنْ عُرْبٍ بِأَرْضِ صَعِيدِهَا ... بِذِهَابِ دَوْلَتِهَا وَعَنْ تَبْدِيدِهَا

وَبِسَبْحِهَا بِدِمَاءِ تَجْرِ حَدِيدِهَا ... وَبِأَنَّ مِنْ أَدْنَى الْقُرَى وَبَعِيدِهَا

هَوَّارَةُ عُرْباً يَحُلُّون الحِبَا[١٧١]

ـ فِي هَيْئَةِ الكركيِّ قَدْ نَزَلَ الْحَرَمْ ... نَحْوَ الثَّلَاثِ فَقَامَ شَيْخٌ مُحْتَرَمْ

ثِقَةٌ وَأَقْسَمَ أَنَّ فِيهَا ذَا الْكَرَمْ ... سُلْطَانُ طَهْطَا "ابنُ الْحُسَيْنِ" وَلَا جَرَمْ[١٧٢]

النمط الثاني عشر :

خبر أن مقدم عليها + أنَّ + اسمها اسم ظاهر جمع تكسير .

الشاهد :

ـ فحقيقٌ أَنَّ الْمَفَاخِرَ كَانَتْ ... قَدْ أَرَادَتْ ضِيَافَتِي مَاتَوَانَتْ[١٧٣]

وقد بدا من خلال الأنماط والشواهد السابقة أن اسم "أن" تنوعت أنماطه بين الاسم الظاهر واسم الإشارة والضمير المتصل للمتكلم أو الغائب ، والاسم الظاهر المضاف إلى اسم ظاهر أو ضمير متصل للمتكلم أو الغائب ، والاسم من الأسماء الخمسة قد أضيف إلى اسم ظاهر ، وقد تأخر الاسم في موضعين ؛ لأن الخبر جاء شبه جملة ، وتنوعت أيضا أنماط الخبر فقد جاء مفرداً ، أو مفرداً دخلت عليه لام الابتداء ، كما جاء جملة فعلية فعلها مضارع منفي بـ"لم" في موضع ، وجاء فعلها مضارعا مثبتا في مواضع أخرى ، كما جاء جملة فعلية فعلها ماض مثبت سبقته قد في موضعين ، ولم يسبق بها في مواضع أخرى ، كما جاء الخبر جملة فعلية فعلها ماض منفي

بـ"ما" فى موضع ، وجاء الخبر شبه جملة متأخراً عن الاسم فى موضع ومقدماً عليه فى موضعين ، وجاء الخبر فى موضع مقدماً عليها ، لأنها وقعت فى موضع الابتداء .

٣ ـ كأنَّ :

وردت "كأن" فى ديوان رفاعة الطهطاوى تسع مرات ، وكانت بمعنى التشبيه أو الظن ، ونصبت اسمها ورفعت خبرها ، وتنوعت أنماط الجمل معها والشواهد على النحو التالى :

النمط الأول :

كأنَّ + اسمها اسم ظاهر مضاف إلى ضمير ياء المتكلم + خبرها مفرد .

الشاهد :

ـ وَحَسْبِى فَتْكُهَا بِنُصَيْفِ صَحْبِى   كَأَنَّ وَظِيفَتِى لِبْسُ الْحِدَادِ(١٧٤)

النمط الثانى :

كأنَّ + اسمها اسم ظاهر مضاف إلى اسم ظاهر + خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مثبت .

الشاهد :

ـ وَرَنَّاتُ أَنْغَامِ الْمَعَازِفِ أَطْرَبَتْ   كَأَنَّ قِيَانَ الْجِنِّ تَعْبَثُ بِالْجَنْكِ(١٧٥)

النمط الثالث :

كأنَّ + اسمها ضمير متصل + خبرها مفرد .

الشواهد :

ـ وَعَنِ الْمَطِىِّ الْمُثْقَلَاتِ وَحِمْلِهَا   بِالْمُنْشَآتِ كَأَنَّهَا أَعْلَامُ(١٧٦)

ـ مِنْ كُلِّ بَاسِطَةِ الْجَنَاحِ كَأَنَّهَا   لَمَّا تُسَيَّرُ بالرِّيَاحِ غَمَامُ(١٧٧)

ـ هُوَ مِنْ عُطَارِدَ لاَ يَغَارُ   فَكَأَنَّهُ الْفَلَكُ الأَسِيرُ(١٧٨)

النمط الرابع :

كأنَّ + اسمها ضمير متصل + خبرها جملة اسمية منسوخة بـ"ليس" .

الشاهد :

لكِنَّنِى صَبٌ أَصُونُ تَلَهُّفِى   حَتَّى كَأَنِّى لسب بالمهفاتى(١٧٦)

النمط الخامس :

كَأَنَّ + اسمها ضمير متصل + خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مثبت .

الشاهدان :

ـ وكَأَنَّهُ يُلْقِى إِلىَّ إِشَارَةً   كَيْفَ اصْطِبَارِى مُذْنَأى خِلاَّنِى(١٧٩)

ـ كَأَنَّا نُرْسَلُ الصَّقْرَا   فَمَنْ يَبْغِى يُرَاسِلُنَا(١٨٠)

النمط السادس :

كأنَّ + اسمها ضمير متصل + خبرها جملة فعلية فعلها ماض مثبت .

الشاهد :

ـ وَرُوحُ جِدِّهِ بِهَا انْشَرَحَتْ   كَأَنَّهَا مِنَ الضَّرِيحِ سَرَحَتْ(١٨١)

يبدو من خلال الأنماط والشواهد السابقة أن اسم "كَأَنَّ" تنوع بين الاسم الظاهر المضاف إلى ضمير ياء المتكلم ، والاسم الظاهر المضاف إلى اسم ظاهر ، والضمير المتصل للمتكلم أو الغائب ، وجاء الخبر مفرداً فى مواضع ، وجاء جملة فعلية فعلها مضارع مثبت فى مواضع أخرى ، وجاء جملة فعلية فعلها ماض مثبت فى موضع ، وجاء جملة اسمية منسوخة بـ"ليس" فى موضع .

٤ ــ لكن :

وردت "لكن" فى ديوان رفاعة الطهطاوى خمس مـــرات بمعنـــى الاســتدراك ، ونصبت اسمها ، ورفعت خبرها ، وجاءت أنماط الجمل معها والشواهد على النحـــو التالى :

النمط الأول :

لكنَّ + اسمها ضمير متصل للمفرد المتكلم + خبرها مفرد .

الشاهد :

ــ مَعَ أَنَّنِى وَاللَّهِ مُذْفَارَقْتُهُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ مَاطَابَ لِى عَيْشِى وَصَفْوُ زَمَانِى
لكننى صبٌّ الهوى أصون تلهفى ‏ ‏ ‏ ‏ حتِى كأنى لستُ باللهفاتِى[١٨٢]

النمط الثانى :

لكن + اسمها اسم ظاهر مضاف إلى علم مضاف إلى ضمير متصل لجمع المتكلميـن + خبرها مفرد .

الشاهد :

وَخِتَانُ أَبْنَاءِ الْمُلُو ‏ ‏ ‏ ‏ كِ يَلُوحُ فِيهِ مَفَاخِرُ
الْمُطْرِبَاتُ جَمِيعُهَا ‏ ‏ ‏ ‏ ومَجَامِعُ ومَحَاضِرُ
لكن خديو مصرنا ‏ ‏ ‏ ‏ بالشرع ناه وآمر [١٨٣]

النمط الثالث :

لكن + اسمها اسم ظاهر + خبرها جملة اسمية .

الشاهد :

فحقيق أن المفاخر كانت ‏ ‏ ‏ ‏ قد أرلدت ضيافتى ماتوانت

بسعادات لم تكن لى بانت   لكن النصرة التى قد تدانت

بابها الظن والشقاء تحدى(١٨٤)

النمط الرابع :

لكن + اسمها اسم ظاهر + خبرها جملة فعلية فعلها ماض سبق بقد .

الشاهد :

وإليك كل المفاخر أسدى

لكن المفخر الذى قد تخبى   تحت أطلالك القديمة حقبا

قد أزيل القناع عنه فهبا   ضوؤه فى الأنام شرقا وغربا(١٨٥)

النمط الخامس :

لكن + اسمها ضمير متصل للمفرد المتكلم + خبرها جملة فعلية مثبتة فعلها ماض.

الشاهد :

ـ جاشا يوفى حق مد   حك ناظم أو ناثر

لكننى أرخته   باه ختانك باهر(١٨٦)

ويبدو من خلال الأنماط والشواهد السابقة أن اسم "لكن" جاء ضميرا متصلا للمفـ المتكلم فى موضعين ، وجاء اسما ظاهرا فى موضعين آخرين ، وجاء اسما ظاهرا مضافا إلى علم أضيف إلى ضمير متصل لجمع المتكلمين فى موضع . وجاء خبرها مفردا فى موضعين ، وجاء جملة اسمية فى موضع ، وجاء جملة فعلية مثبتة فعلها ماض فى موضعين أحدهما سبقته قد والآخر لم يسبق بها .

٥ ـ ليت :

وردت "ليت" مرتين فى ديوان رفاعة الطهطاوى بمعنى التمنى فى الممكن وجاء لها نمطان وشاهدان على الوجه التالى :

النمط الأول :

ليت + اسمها اسم ظاهر مضاف إلى ضمير متصل للمفرد المتكلم + خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مصدرة باسم استفهام هو "متى" .

الشاهد :

قلبى طليق اللقا جسمى مقيده فليت شعرى متى يفديه سيده(١٨٧)

النمط الثانى :

ليت + اسمها ضمير متصل للمفرد المتكلم + خبرها جملة فعلية فعلها مضارع مثبتة .

الشاهد :

ليتنى أشترى رضاءك عنى الذى الآن فيه حسنت ظنى
بنصيف الحياة لو كان يغنى وبما قد بقى أعيش بأمن(١٨٨)

ويبدو من خلال النمطين والشاهدين السابقين أن "ليت" جاء اسمها اسما ظاهرا مضافا إلى ضمير متصل للمفرد المتكلم فى موضع ، وجاء ضميرا متصلا للمفرد المتكلم فى موضع آخر ، وجاء خبرها جملة فعلية فعلها مضارع فى صورة ما يشبه النفى وهو الاستفهام حيث صدرت الجملة باسم الاستفهام عن الزمان هو "متى" فى موضع ، وجاء جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع فى الموضع الآخر .

٦ ــ لعل :

وردت "لعل" فى ديوان رفاعة الطهطاوى مرة واحدة بدون اللام "عل" ، وكانت بمعنى التعليل ، وجاء نمطها وشاهدها على النحو التالى :

النمط :

علَّ + اسمها ضمير متصل للمفرد المخاطب + خبرها جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع .

الشاهد :

وَيْحَ عِزٍ وَسُؤْدَ دٍ تَشْتَرِيهِ بِنِوَاحِ الْمِلَاحِ إِذْ نَشْتَهِيه

يَا فُؤَادِى سَلْ عِنْدَ أَىِّ فقيهٍ يَغْفِرُ الذَنبَ منَ قِتَالِ بَنِيهِ

لا شَتِهَاءِ الظُهُورِ عَلَّكَ تُهْدَى[١٨٩]

يبدو من النمط والشاهد السابق أن "علَّ" جاء اسمها ضميراً متصلا للمفرد المخاطب ، وجاء خبرها جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع .

وقد بدا أن الأحرف المشبهة بالأفعال وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى إحدى وستين مرة ، أعطت معانيها من التوكيد والتشبيه ، والظن ، والاستدراك ، والتعليل ، والتمنى ، وكانت عاملة فى نصب اسمها ورفع خبرها ، وكانت علامات النصب أو الرفع ظاهرة إن كانت أصلية ، فى الأسماء الصحيحة ومقدرة فى الأسماء المقصورة ، وكانت بالأحرف فى حالة الأسماء الخمسة أو المثنى فى حالة العلامات الفرعية ، وكانت الأسماء فى محل النصب إن كانت مبنية كالضمائر أو أسماء الإشارة ، وكانت الأخبار فى محل رفع إن كانت جملا اسمية أو فعلية أو أشباه جمل .

٧ ــ إنما :

اتصلت "ما" الحرفية الزائدة بالحرف المشبه بالفعل "إِنَّ" فكفته عن العمل فى الاسم والخبر على النحو التالى :

النمط الأول :

إنما + المبتدأ اسم ظاهر مضاف إلى ضمير المفرد المتكلم + الخبر اسم ظاهر .

الشاهد :

وَلَيْسَ بِى فِى الْهَوَى ارْتِيَابٌ   وَإِنَّمَا شِيمَتِى الْعَفَافُ(١٩٠)

النمط الثانى :

إنما + المبتدأ اسم ظاهر مضاف إلى اسم إشارة للمفرد المذكر + الخبر مصدر مضاف إلى ضمير متصل للمفرد الغائب .

الشاهد :

وَإِنَّمَا تَمَامُ هذَا الْقَصْدِ   تَوْسِيعُهُ دَوَائِرَ الأَفْهَامِ(١٩١)

وجاء المبتدأ بعد "إنما" مرفوع بالابتداء ، وجاء خبر المبتدأ مرفوع بالمبتدأ ، وقد وردت "إنما" فى ديوان رفاعة الطهطاوى مرتين ، وجاء المبتدأ اسماً ظاهراً مضافا إلى ضمير متصل للمفرد المتكلم فى موضع ، وفى الموضع الآخر جاء اسماً ظاهراً مضافا إلى اسم إشارة للمفرد المذكر ، وجاء خبر المبتدأ اسماً ظاهراً فى موضع ، وجاء مصدراً مضافا إلى ضمير متصل للمفرد الغائب فى الموضع الآخر .

الخاتمة

من خلال دراسة الأحرف المشبهة بالأفعال من خلال ديوان رفاعة الطهطاوى ، ومن خلال آراء النحاة توصلت إلى بعض النتائج أجملها فيما يلى :

* الأحرف المشبهة بالأفعال من حروف المعانى العاملة ، وعدها سيبويه والمبرد خمسة أحرف وعدّها ماعداهم من النحاة ستة أحرف ، وأطلق عليها المبرد والزمخشرى مصطلح الأحرف أو الحروف المشبهة بالأفعال أو بالفعل ، وبعض النحاة أطلق عليها مصطلح "إن وأخواتها" مثل ابن جنى ، وأبى على الفارسى ، وابن يعيش ، والأشمونى ، ورضى الدين الأستراباذى ، كما أن البعض الآخر من المتأخرين أطلق عليها القسم الثانى من الحروف الناسخة للابتداء ، وهى إنَّ ، وأنَّ ، وكأنَّ ، ولكنَّ ، وليت ، ولعلَّ ، وهى تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها ، وترفع الخبر ويسمى خبرها .

* تبين أن "إن" و "أنَّ" تعطيان معنى التوكيد لمضمون الجمل التى تدخلان عليها ، والجملة مع "إنَّ" تكون على استقلالها بفائدتها ، أما الجملة مع "أن" لابد أن يسبقها كلام وتكون "أنَّ" ومعمولاها فى تأويل مصدر قد يقع فاعلا أو مفعولا . كما تبين أن "لكن" تستعمل غالبا للاستدراك ، وقد تستعمل فى بعض الحالات لمجرد توكيد المعنى وقد استعملها الطهطاوى للاستدراك . وتبين أن "كأن" تعطى معنى التشبيه عند جمهور النحاة ، وجماعة من النحاة زعموا أنها لا تعطى معنى التشبيه إلا إذا كان خبرها اسماً جامداً ، أما إذا كان الخبر غير ذلك فإنها تعطى معنى الظن ، كما تبين أنها مركبة من "إن" وكاف التشبيه ، وأن همزتها فتحت لتقديم الكاف عليها ، وقد استخدمت "كأن" عند الطهطاوى للتشبيه فى مواضع ، وللظن فى مواضع أخرى . وتبين أن "ليت" للتمنى فى الممكن والمستحيل لا فى الواجب ، وقد استعملها رفاعة الطهطاوى فى الممكن وتبين أن "لعل" تكون بمعنى الترجى أو الإشفاق أو التعليل أو الاستفهام ، وتستعمل فى بعض الحالات بدون اللام "علَّ" ، وتختص "لعل" بالممكن ، واستعملها الطهطاوى بمعنى التعليل .

* تبين أن الأحرف المشبهة بالأفعال تشبه من الفعل ما قدّم مفعوله ، وهى تنصب المبتدأ ويصير اسمها ، وترفع الخبر ويصير خبرها ، واسمها مشبه بـالمفعول ، وخبرها مشبه بالفاعل ، ويتصل بها الضمير ، وتشبه الأفعال الماضيـة ؛ لأنـها على ثلاثة أحرف فما زاد ، وآخرها مبنى على الفتح ، ومعانيها معانى الأفعـال ، لأن معنى "إن" : حققت ، ومعنى "لكن" : استدركت ، ومعنـى "كـأن" : شـبهت ، ومعنى "ليت" تمنيت ، ومعنى "لعل" : ترجيت ، وقد عملت هذه الأحرف عملها فـى نصب المبتدأ ورفع الخبر فى شعر الطهطاوى .

* تبين أن الأحرف المشبهة بالأفعال تعمل الرفع فى الخبر عند البصريين ، أمـا الكوفيون يرون أن الخبر باق على رفعه الذى كان له قبل دخول هـذه الأحـرف عليه ، ورأى البصريين هو الأصوب .

* تبين أن بعض الشواهد الشعرية ورد فيها نصب الجزأين بعد الأحرف المشـبهة بالأفعال وقد عزا بعض النحاة ذلك إلى لغة بنى تميم ، كما زعم البعض الآخر فـى قول رؤبة "ليت أيام الصبا رواجعا" أنَّ ذلك لغة رؤبة وقومه ، وقد تمسك بذلك ابن سيده ومن معه ، والفراء ومن تابعه من الكوفيين ، لكن جمـهور النحـاة مـن البصريين أولوا الجزء الثانى بأنه منصوب على الحال ، ولـم يـرد فـى شـعر الطهطاوى نصب الجزأين بعد هذه الأحرف .

* تبين أن خبر الأحرف المشبهة بالأفعال يجوز أن يتقدم على اسـمها إذا كـان الخبر ظرفا او جاراً ومجروراً ؛ لأن العـرب توسـعوا فـى الظـروف والجـار والمجرور ، وخَصُّوها بذلك ؛ لكثرتها فى الاستعمال ولأنـهم فصلـوا بـها بيـن المضاف والمضاف إليه ، وهى كالشئ الواحد ، وقد وردت بعـض أخبـار هـذه الأحرف متقدمة على أسمائها فى شعر الطهطاوى .

* تبين أن خبر الأحرف المشبهة بالأفعال يتقدم على اسمها وجوبا إذا كان الخـبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً وكان الاسم متصلا بضمير يعود على شئ فى الخبر ، كما أن الأستراباذى جعل هذا التقدم يحدث أيضا إذا كان اسمها نكرة ، وقـد ورد فـى شعر الطهطاوى ما يوافق رأى الأستراباذى .

* تبين أن خبر الأحرف المشبهة بالأفعال يأتى جملة اسـمية أو فعليـة أو شـبه جملة عبارة عن ظرف أو حرف جر واسم مجرور ، ويأتى أيضا مفرداً ، وقد ورد فى شعر الطهطاوى ما يؤيد ذلك .

* تبين أن معمول خبر الأحرف المشبهة بالأفعال يجوز تقديمه علـى اسـمها إذا كان ظرفا أو جاراً ومجروراً ، ولم يرد فى شعر الطهطاوى تقديم معمول خبر هذه الأحرف على اسمها .

* تبين أن لام الابتداء يجوز أن تدخل على اسم "إن" إذا تأخر عن خبرها ، ولـم يرد فى شعر الطهطاوى دخولها على اسم "إن" ، وقد تدخل لام الابتداء على خـبر "إن" للتوكيد دون سائر أخواتها ، وقد ذهب الكوفيون إلى جواز دخولها على خـبر "لكن" واستدلوا بشاهد شعرى : "ولكننى من حبها لعميد "وخرجه البصريون علـى أن اللام زائدة ، وقيل : إنه ضرورة ، وقيل إن الـلام داخلـة علـى خـبر "إن" المكسورة ، والأصل : ولكن إننى ، فحذفت همزة "إن" تخفيفا وإحـدى النونـات الأربع ، وقد ورد فى شعر الطهطاوى دخول لام الابتداء على خـبر "إن" ، و "أن" الواردة فى أسلوب القسم . كما تبين أن لام الابتداء لا تدخل علـى خـبر "إن" إلا بشروط . كما تبين أن لام الابتداء تدخل على معمول خـبر "إن" إذا توسـط بيـن اسمها وخبرها بشرط أن يكون الخبر صالحاً لدخول اللام عليـه ، كمـا أنـها إذا دخلت على المعمول المتوسط لا تدخل على الخبر ، ولم يرد دخـول لام الابتـداء على معمول الخبر فى شعر الطهطاوى . وتبين أن لام الابتداء يجوز دخولها بعـد "إن" المكسورة على ضمير الفصل بشروط .

* تبين أن "ما" الحرفية الزائدة إذا اتصلت بالأحرف المشبهة بالأفعال كفتها عـن العمل ، وهَيَّأَتْهَا للدخول على الجملة الفعلية ، أما "ليت" فإنها تكون باقية مع "مـا" على اختصاصها بالجملة الاسمية ، ويجوز إعمالها وإهمالها ، وقد ورد فى شـعر الطهطاوى اتصال "ما" بـ "إن" وكفتها عن العمل .

* تبين أن الحرف المشبه بالفعل "إنَّ" ورد فى ديوان رفاعة الطـهطاوى خمـس عشرة مرة بمعنى التوكيد ، وعمل النصب فى اسمه والرفع فى خـبره وتنوعـت

معه أنماط الجمل فقد تنوع اسمه بين الاسم الظاهر المشتق على وزن فاعل ، أو العلم الممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، أو الاسم المقصور المعرف بحرف التعريف . أو كلمة ابن مضافة إلى علم مركب تركيب إضافة ، أو الاسم الظاهر المضاف إلى ضمير ياء المتكلم أو كاف الخطاب للمفرد المخاطب ، أو الضمير المتصل "نى" للمفرد المتكلم وقد حذفت نونه فى موضع لتوالى النونات أو الضمير المتصل للمفردة الغائبة . كما أن خبر "إن" تنوع بين المفرد الذى على صورة المثنى المذكر أو الاسم الظاهر أو الاسم المشتق على صيغة اسم المفعول "مُفَعَّل" مع دخول لام التوكيد عليه ، أو الجملة الفعلية التى فعلها ماضٍ مسبوق بـ "قد" وغير مسبوق ، أو الجملة الفعلية التى فعلها مضارع ، أو شبه الجملة فى صورة حرف جر واسم مجرور أتى مؤخرا عن اسم "إن" أو مقدماً عنه ، ولم يأت خبرها جملة اسمية أو ظرف زمان أو ظرف مكان .

* تبين أن "أنَّ" المفتوحة الهمزة وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى تسعا وعشرين مرة بمعنى التوكيد ، وعملت النصب فى اسمها والرفع فى خبرها ، وتنوعت أنماط الجمل معها ، فقد جاء اسمها فى موضع علماً ، وفى مواضع جاء ضميراً متصلاً للمفرد المتكلم "نى" ، وقد حذفت نونه فى بعض المواضع ، لتوالى النونات ، وجاء ضميرا متصلا للمفرد الغائب فى مواضع ، وللمفردة الغائبة فى موضع ، وجاء فى مواضع اسماً ظاهراً ، وفى مواضع أخرى جاء اسماً ظاهراً مضافا إلى اسم ظاهر أو ضمير متصل للمتكلم أو الغائب ، كما جاء اسماً نكرة مؤخراً فى موضع ، وجاء فى موضع آخر اسماً من الأسماء الخمسة مضافا إلى اسم ظاهر وجاء أيضا مؤخراً وكان فى هذين الموضعين الخبر مقدماً . كما أن خبرها تنوع فقد جاء مفرداً فى مواضع ، وفى موضع جاء مفرداً دخلت عليه لام الابتداء ، وفى مواضع جاء جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع ، وفى موضع جاء جملة فعلية فعلها مضارع منفية بـ "لم" النافية الجازمة ، وفى مواضع جاء جملة فعلية فعلها ماض مثبت سبق بقد فى موضعين ، ولم يسبق بقد فى مواضع أخرى ، فى موضع جاء فعلها الماضى منفيا بـ"ما" ، وفى موضع جاء جملة اسمية

منسوخة بالفعل "أضحى" ، وفى موضع جاء شبه جملة (جاراً ومجروراً) ، وفى موضعين جاء شبه جملة (جاراً ومجروراً) لكنه تقدم على اسمها ، وفى موضع جاء خبرها متقدماً عليها ، لأنها وقعت فى موضع الابتداء .

* تبين أن "كأن" وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى تسع مرات بمعنى التشبيه أو الظن ، ونصبت اسمها ، ورفعت خبرها ، وتنوعت معها أنماط الجمل ، فجاء اسمها اسماً ظاهراً مضافا إلى ضمير المتكلم فى موضع ، وجاء اسما ظاهراً مضافا إلى اسم ظاهر فى موضع ، وجاء ضميرا متصلا للمتكلم أو الغائب فى مواضع أخرى ، وجاء الخبر مفرداً فى مواضع ، وجاء جملة اسمية منسوخة بـ"ليس" فى موضع ، وجاء جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع فى مواضع ، وجاء جملة فعلية مثبتة فعلها ماض فى موضع .

* تبين أن "لكنّ" وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى خمس مرات وجاءت بمعنى الاستدراك ، ونصبت اسمها ، ورفعت خبرها ، وجاء اسمها ضميرا متصلا للمفرد المتكلم فى موضعين ، وجاء اسماً ظاهراً فى موضعين آخرين ، وجاء اسماً ظاهراً أضيف إلى علم مضاف إلى ضمير متصل لجمع المتكلمين فى موضع . وجاء خبرها مفرداً فى موضعين ، وجاء جملة اسمية فى موضع ، وجاء جملة فعلية مثبتة فعلها ماض فى موضعين ، سُبِق بقد فى أحد الموضعين ، ولم يسبق بها فى الموضع الآخر .

* تبين أن "ليت" وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى مرتين بمعنى التمنى فى الممكن ، وجاء اسمها اسماً ظاهراً مضافا إلى ضمير متصل للمفرد المتكلم فى موضع ، وجاء ضميراً متصلا للمفرد المتكلم فى الموضع الآخر ، وجاء خبرها جملة فعلية تشبه المنفية فعلها مضارع وصُدِّرَتْ باسم استفهام عن الزمان هو "متى" فى موضع ، وجاء جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع فى الموضع الآخر .

* تبين أن "لعل" وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى مرة واحدة بمعنى التعليل ، وجاءت بدون اللام "علّ" ، وجاء اسمها ضميرا متصلا للمفرد المخاطب ، وجاء خبرها جملة فعلية مثبتة فعلها مضارع .

* تبين أن "ما" الحرفية الزائدة اتصلت بالحرف المشبه بالفعل "إن" فكفته عن العمل فى الاسم والخبر ، ووردَت "إنما" فى ديوان رفاعة الطهطاوى مرتين ، جاء بعدها المبتدأ اسماً ظاهراً مضافا إلى ضمير متصل للمفرد المتكلم فى موضع ، وجاء اسماً ظاهراً مضافا إلى اسم إشارة للمفرد المذكر فى الموضع الآخر ، وجاء خبر المبتدأ اسماً ظاهراً فى موضع ، وفى الموضع الآخر جاء مصدراً مضافا إلى ضمير متصل للمفرد الغائب ، ولم تتصل "ما" بأى حرف من الأحرف المشبهة بالأفعال إلا الحرف "إنًّ" .

* تبين أن الأحرف المشبهة بالأفعال وردت فى ديوان رفاعة الطهطاوى إحدى وستين مرة وعملت عملها لعدم اتصال "ما" الحرفية الزائدة بها .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الهوامش والحواشى

(١) رفاعة الطهطاوى : هو رفاعة بن رافع بن بدوى بن على الطهطاوى ، الذى كان مولده فى طهطا (وهى مدينة من مدن محافظة سوهاج الآن) وقد سافر إلى القاهرة سنة ١٢٢٣هـ ؛ ليتعلم فى الأزهر الشريف ، وبعد أن أنهى تعليمه فى الأزهر أرسلته حكومة مصر ليكون إماماً للصلاة والوعظ مع بعثة علمية من شباب مصر إلى أوربا ، فدرس الفرنسية والجغرافيا والتاريخ ، وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة منها : قلائد المفاخر فى غرائب عادات الأوائل والأواخر ، وهذا الكتاب مطبوع ، وهو مترجم عن الفرنسية ومؤلفه هو دبنج **Depping** ، والمعادن النافعة ، وهذا الكتاب مطبوع ومترجم عن الفرنسية ، ومؤلفه هو فيراد **Ferad** ، ومبادئ الهندسة (مطبوع) ، والمرشد الأمين فى تربية البنات والبنين (مطبوع) ، ونهاية الإيجاز فى السيرة النبوية (مطبوع) ، وأنوار توفيق الجليل فى تاريخ مصر (مطبوع) ، وتعريب القانون المدنى الفرنساوى (مطبوع) ، وتاريخ قدماء المصريين (مطبوع) ، وبداية القدماء (مطبوع) ، وجغرافية ملطبرون **Malte - Brun** (مطبوع) ، وجغرافية بلاد الشام (مخطوط) ، والتعريفات الشافية لمريد الجغرافيا (مطبوع) ، وتخليص الإبريز (مطبوع) ، وهو أحد أركان النهضة العلمية فى مصر الحديث ، وهو مؤسس مدرسة الألسن ، توفى بالقاهرة سنة (١٢٩١هـ ــ ١٨٧٣م) . انظر الأعلام ، للزركلى ٣ / ٢٩ ، الطبعة السادسة بيروت ١٩٨٤م ــ ١٤٠٤ هـ .

(٢) رفاعة الأنصارى المتوفى سنة ٤١هـ هو "رفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الأنصارى الزرقى ، أبو معاذ : صحابى ، شهد بدراً ، وصحب عليا فشهد معه الجمل وصفين . له فى كتب الحديث ٣٤ حديثاً" الأعلام للزركلى ٣ / ٢٩ .

(٣) ديوان رفاعة الطهطاوى . جمع ودراسة د . طه وادى ص ١٣٥ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م ــ ١٤٠٤هـ .

* أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، للأستاذ عباس محمود العقاد ص٦ الطبعة الثالثة ــ دار المعارف بمصر .

(٤) انظر تهذيب اللغة ، للأزهرى ، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، مراجعة الأستاذ محمد على النجار ٥ / ١٢ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٤م .

(٥) من الآية ١١ من سورة الحج .

(٦) من الآية ٤٦ من سورة النساء ، ومن الآية ١٣ من سورة المائدة .

(٧) انظر مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ٤٢/٢ الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٦٩م .

(٨) انظر القاموس المحيط للفيروزابادى ، باب الفاء فصل الحاء ١٢٢/٣ ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١ هـ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م .

(٩) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مادة حرف ١٤٦ طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م .

(١٠) الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ١٣١/٢ . ط٢ القاهرة ١٩٨٣م .

(١١) المقتضب للمبرد ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة ، ١٠٧/٤ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٣٩٩هـ .

(١٢) الجمل فى النحو ، للزجاجى ، تحقيق د . على توفيق الحمد ، ص٥١ ، طبعة بيروت ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

(١٣) الأصول فى النحو ، لابن السراج ، تحقيق د . عبد الحسين الفتلى ، ٢٢٩/١ ، الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

(١٤) المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ، ص٢٩٢ ، طبعة بـيروت د . ت ، وسميت بالحروف المشبهة بالفعل عند الأردبيلى فى شرح الأنموذج للزمخشـرى ص٣٦ .

(١٥) انظر اللمع فى العربية ، لابن جنى ، تحقيق الأستاذ حامد المؤمن ص٩٢ ، ط٢ بيروت ١٩٨٥م ، والإيضاح لأبى على الفارسـى ، تحقيـق د .كـاظم بحـر المرجان ص١٢٣ ، ط٢ بيروت ١٤١٦ ــ ١٩٩٦م ، وشرح المفصـل ، لابـن يعيش ١٠٢/١ طبعة مكتبة المتنى بالقاهرة د . ت ، وشرح الأشمونى لألفية ابـن مالك المسى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك لأبى الحسن الأشمونى ، تحقيـق د . عبدالحميد السيد ٤٠٢/١ طبعة القاهرة ١٩٩٣م ، وشرح الكافية فـى النحـو ، لرضى الدين الأستراباذى ١٠٩/١ ، طبعة بيروت ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

(١٦) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، للأستاذ محمد عبـد العزيـز النجـار ٢٤١/١ ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م .

(١٧) شرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام ، تحقيق الأستاذ محمـد محـى الدين عبد الحميد ص١٤٦ ، طبعة بيروت د . ت .

(١٨) شرح المفصل ، لابن يعيش ٥٤/٨ .

(١٩) شرح الكافية فى النحو ، لرضى الدين الأستراباذى ١٠٩/١ .

(٢٠) انظر الكتاب لسيبويه ٢ /١٣١ .

(٢١) انظر المقتضب للمبرد ١٠٧/٤ .

(٢٢) انظر الجمل فى النحو للزجاجى ، ص ٥١ ، والايضاح لأبى على الفارسـى ص١٢٣ ، واللمع فى العربية لابن جنى ص٩٢ ، والمفصل فـى علـم العربيـة للزمخشرى ص٢٩٢ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابـن عقيـل للأسـتاذ محمـد عبدالعزيز النجار ٢٤١/١ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١٤٦ .

(٢٣) انظر الكتاب لسيبويه ٢٣٣/٤ .

(٢٤) انظر المقتضب للمبرد ١٠٧/٤ .

(٢٥) اللمع فى العربية لابن جنى ص٩٣ .

(٢٦) المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ص٢٩٣ .

(٢٧) انظر شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١٤٦.

(٢٨) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل لمحمد عبدالعزيز النجار ١/١٤١ ، وشرح الأشمونى ١/٤٠٥ .

(٢٩) ديوان رفاعة الطهطاوى . جمع ودراسة د . طه وادى ص١٢٠ .

(٣٠) المصدر السابق ص١٥٨ .

(٣١) نفسه ص١٥١ .

(٣٢) نفسه ص٧٢ .

(٣٣) نفسه ص١٨٦ .

(٣٤) انظر الكتاب ، لسيبويه ٤/٢٣٢ .

(٣٥) انظر المقتضب ، للمبرد ٤ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، واللمع فى العربية لابن جنى ص٩٣ .

(٣٦) انظر الجمل فى النحو للزجاجى ص٥١ .

(٣٧) من الآية ٤٣ من سورة الأنفال .

(٣٨) المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ص٣٠٠ .

(٣٩) انظر شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١٤٦.

(٤٠) شرح الأشمونى لأبى الحسن الأشمونى ١/٤٠٥ ــ ٤٠٧ .

(٤١) انظر التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل لمحمد عبدالعزيز النجار ١/٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٤٢) ديوان رفاعة الطهطاوى ص١٥٣ .

(٤٣) انظر الكتاب لسيبويه ٣/١٥١ .

(٤٤) انظر المصدر السابق ٣/٣٣٢ .

(٤٥) انظر المقتضب للمبرد ٤/١٠٨ ، والجمل فى النحو للزجاجى ص٥١ ، واللمع فى العربية لابن جنى ص٩٣ ، والمفصل فى علم العربية للزمخشرى ص٣٠١ .

(٤٦) انظر المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ص٣٠١ ، وشرح الأشـــمونى لأبى الحسن الأشمونى ٤٠٨/١ .

(٤٧) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١٤٦ .

(٤٨) ديوان رفاعة الطهطاوى ص٢٠٢ .

(٤٩) انظر مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق الأســـتاذ محمـــد محى الدين عبد الحميد ٢١٦/١ ، طبعة بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

(٥٠) انظر الكتاب لسيبويه ٢٣٣/٤ ، والمقتضب للمبرد ١٠٨/٤ ، والجمل فـــى النحو للزجاجى ص٥١ ، واللمع فى العربية لابن جنى ص٩٣ .

(٥١) الكتاب لسيبويه ٢٦٠/٣ .

(٥٢) هذه الجملة من بيت شعر على النحو التالى :

فَيَالَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

انظر مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ٣١٤/١ ، وفى حاشية شـــرح قطر الندى ص١٤٦ : ألا ليت الشباب يعود يوما ....

(٥٣) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١٤٦ ، ١٤٧ .

(٥٤) انظر مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ٣١٤/١ .

(٥٥) من الآية ٦ من سورة الجمعة .

(٥٦) شرح الأشمونى ، لأبى الحسن الأشمونى ٤٠٧/١ .

(٥٧) من الآية ٢٣ من سورة مريم .

(٥٨) من الآية ٤٠ من سورة النبأ .

(٥٩) الآية ٢٤ من سورة الفجر .

(٦٠) ديوان رفاعة الطهطاوى ص١٣٢ .

(٦١) المصدر السابق ص١٨٥ .

(٦٢) الكتاب لسيبويه ٢٣٣/٤ .

(٦٣) المصدر السابق ٣٣٢/٣ .

(٦٤) المقتضب للمبرد ١٠٨/٤ .

(٦٥) من الآية ١٧ من سورة الشورى .

(٦٦) من الآية ٧٧ من سورة الحج .

(٦٧) لأن الله تعالى يقول فى بداية الآية : "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير" .

(٦٨) من الآية ٤٤ من سورة طه .

(٦٩) قال الله تعالى : "لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى" من الآيتين ٣٦ ، ٣٧ من سورة غافر . "قرأ حفص" فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى" بالنصب ، جعله جوابا بالفاء ، كأنه جعل "لَعِلِّى أَبْلُغُ" تمنيا ، ونصب "فَأَطَّلِعَ" على جواب التمنى بالفاء ، جعله جوابا بالفاء لكلام غير موجب ، والمعنى : إنى إذا بلغتُ اطلعتُ . وقرأ الباقون "فَأَطَّلِعُ" بالرفع نسقاً على قوله : "أَبْلُغُ" ، لعلى أبلغ ولعلى أطلع ، ومثل هذه القراءة قوله : "لعله يزكى . أو يذكر " (عبس ٣ ، ٤) . أى : لعله يتزكى ولعله يذكر "حجة القراءات" ، لأبى زرعة ص ٦٣١ .

(٧٠) المفصل فى علم العربية للزمخشرى ص٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٧١) انظر الجمل فى النحو ، للزجاجى ص٥١ ، واللمع فى العربية لابن جنى ص٩٣ .

(٧٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

(٧٣) انظر معانى القرآن للأخفش ٦٣١/٢ .

(٧٤) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ١٤٧ .

(٧٥) انظر التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ٢٤١/١ .

(٧٦) من الآية ١ من سورة الطلاق .

(٧٧) من الآية ١٢ من سورة هود .

(٧٨) من الآية ٤٤ من سورة طه .

(٧٩) الآية ٣ من سورة عبس .

(٨٠) شرح الأشمونى ، لأبى الحسن الأشمونى ٤٠٧/١ .

(٨١) ديوان رفاعة الطهطاوى ص١٨٥ .

(٨٢) المقتضب للمبرد ٤/١٠٨ ، ١٠٩ .

(٨٣) الجمل فى النحو للزجاجى ص٥١ ، ٥٢ .

(٨٤) انظر اللمع فى العربية لابن جنى ص٩٢ المتن والحاشية ، وانظر شرح شذوذ الذهب ص١٩٣ ، ١٩٤ .

(٨٥) ديوان الطهطاوى ص٨٤ .

(٨٦) المصدر السابق ص٨٥ .

(٨٧) نفسه ص٨٣ .

(٨٨) نفسه ص١٨٥ .

(٨٩) نفسه ص١٨٥ .

(٩٠) انظرالقاموس المحيط ، للفيروزابادى ١ / ٢٦٩ والمعجم الوجيز ص٦١٢ .

(٩١) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ١٨٨/١ .

(٩٢) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص ١٢٤ .

(٩٣) المفصل فى علم العربية للزمخشرى ص٢٧ .

(٩٤) شرح المفصل ، لابن يعيش ١٠٢/١ .

(٩٥) التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ٢٤٢/١ .

(٩٦) من شواهد المغنى رقم (٤٧) .

(٩٧) انظر الكتاب لسيبويه ١٤٢/٢ ، والمفصَّل للزمخشرى ص٢٨ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٠٤/١ .

(٩٨) شرح الأشمونى ، لأبى الحسن الأشمونى ٤٠٢/١ ــ ٤٠٤ .

(٩٩) انظر مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ٤٦/١ .

(١٠٠) حاشية الصبان ، لمحمد على الصبان ٢٦٩/١ ، وانظر فى علم النحو د . أمين على السيد ٢٣٦/١ .

(١٠١) الكتاب ، لسيبويه ١٤٢/٢ .

(١٠٢) شرح المفصل ، لابن يعيش ١٠٤/١ .

(١٠٣) انظر حاشية شرح الأشمونى ١/٤٠٣ ــ ٤٠٥ .

(١٠٤) المقتضب ، للمبرد ٤/١٠٩ ، ١١٠ .

(١٠٥) الجمل فى النحو، للزجاجى ص٥٢ .

(١٠٦) انظر اللمع فى العربية ، لابن جنى ص٩٢ ، والمفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ، ص٢٧ ، وشرح المفصل ، لابن يعيش ١/١٠٣ ، وشرح الكافية ، لرضى الدين الأستراباذى ١/١١٠ ، ١١١ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١/٢٤٣ ، وشرح الأشمونى ، لأبى الحسن الأشمونى ١/٤٠٨ ، وشرح الأنموذج فى النحو للزمخشرى ، للأردبيلى ص٣٧ ، وشرح شذوذ الذهب ص١٩٥ .

(١٠٧) ديوان رفاعة الطهطاوى ص٧٨ .

(١٠٨) انظر التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١ /٢٤٣ ، وحاشية الصبان ١/٢٧٣ ، والمشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطى ، لمحمد الدمياطى ص١٩٩ ، ٢٠٠ .

(١٠٩) انظر شرح الكافية فى النحو ، لرضى الدين الأستراباذى ١/١١٠ .

(١١٠) ديوان رفاعة الطهطاوى ص١٢٩ .

(١١١) اللمع فى العربية ، لابن جنى ص٩٣ .

(١١٢) الجمل فى النحو للزجاجى ص٥٣ .

(١١٣) ديوان رفاعة الطهطاوى ص٩٧ .

(١١٤) المصدر السابق ص٨٣ .

(١١٥) نفسه ص١٤١ .

(١١٦) نفسه ص٨٤ .

(١١٧) انظر الكتاب لسيبويه ٢/١٣٣ ، وشرح الأشمونى لأبى الحسن الأشمونى ١/٤٠٨ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١/٢٤٣ ، وحاشية الصبان ١/٢٧٢ .

(١١٨) انظر التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ٢٤٣/١ .

(١١٩) انظر مغنى اللبيب لابن هشام ٣٢١/١ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيز النجار ٢٥٣/١ ، وشرح الأشمونى ٤٢١/١ .

(١٢٠) هذا الشاهد روى بتغيير فى بعض الألفاظ فى بعض المصادر عن رواية ابن يعيش ففى شرح الأشمونى : فقال من سُئِلوا "وفى التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل : "كيف سيدكم . فقال من سألوا" انظر شرح الأشمونى ٤٢٣/١ ، التوضيح والتكميل ٢٥٣/١ .

(١٢١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ٦٢/٨ ــ ٦٤ .

(١٢٢) ديوان رفاعة الطهطاوى ص١٥٢ .

(١٢٣) المصدر السابق ص٨٥ .

(١٢٤) انظر التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ٢٥٥/١ ، ٢٥٦ ، والمشكاة الفتحية على الشمعة المضية ص٢٠٣ ، وشرح الأشمونى ٤٢٥/١ ــ ٤٢٧ ، وحاشية الصبان ٢٨١/١ ، ٢٨٢ .

(١٢٥) انظر شرح الأشمونى ٤٢٧/١ ، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ٢٥٦/١ ، ٢٥٧ ، وشرح المفصل ٦٥/٨ .

(١٢٦) انظر التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ المتن والحاشية ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ص١٦٢ ، والمشكاة الفتحية ص٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وشرح الأشمونى ٤٢٧/١ .

(١٢٧) انظر الكتاب لسيبويه ١٣٧/٢ ، ١٣٨ ، ٢٢١/٤ ، والأصول فى النحو لابن السراج ٢٣٢/١ ، ٢٣٣ ، والإيضاح لأبى على الفارسى ص١٢٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٤/٨ ــ ٥٨ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام ص١٤٧ ــ ١٥١ ، وشرح الأشمونى ٤٢٨/١ ــ ٤٣٠ ، ومغنى اللبيب لابن هشام ٣١٥/١ ، ٣١٦ ، التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ ، والمشكاة الفتحية ص٢٠٥ .

(١٢٨) ديوان رفاعة الطهطاوى ص٨١ .

(١٢٩) المصدر السابق ص٢٠١ .

(١٣٠) نفسه ص٨٤ . (١٣١) نفسه ص١٢٠ . (١٣٢) نفسه ص١٥٢ .

(١٣٣) نفسه ص١٥٨ . (١٣٤) نفسه ص١٣٠ . (١٣٥) نفسه ص٩٧ .

(١٣٦) نفسه ص١٨٤ . (١٣٧) نفسه ص٨٥ . (١٣٨) نفسه ص١٨٦ .

(١٣٩) نفسه ص١٣٥ . (١٤٠) نفسه ص١٨٦ . (١٤١) نفسه ص٨٤ .

(١٤٢) نفسه ص١٢٧ . (١٤٣) نفسه ص٢٠٨ . (١٤٤) نفسه ص١٢٩ .

(١٤٥) نفسه ص٨٥ . (١٤٦) نفسه ص١٨٠ . (١٤٧) نفسه ص١١٨ .

(١٤٨) نفسه ص١٣٤ . (١٤٩) نفسه ص١٤١ . (١٥٠) نفسه ص١٤٢ .

(١٥١) نفسه ص٧٨ . (١٥٢) نفسه ص٧٢ . (١٥٣) نفسه ص٨٣ .

(١٥٤) ، (١٥٥) نفسه ص١٧٩ . (١٥٦) نفسه ص١٢٧ .

(١٥٧) نفسه ص١٧٩ . (١٥٨) نفسه ص١٨٤ . (١٥٩) نفسه ص٢٠٢ .

(١٦٠) نفسه ص٨٣ . (١٦١) نفسه ص١٨٢ . (١٦٢) نفسه ص١٨٤ .

(١٦٣) نفسه ص١٥٠ . (١٦٤) نفسه ص١٥١ . (١٦٥) نفسه ص٨٤ .

(١٦٦) نفســه ص١٨٤ . (١٦٧) نفســه ص٧٤ .(١٦٨) ، (١٦٩) نفســه ص١٤٢ .

(١٧٠) نفسه ص١٤٤ . (١٧١) نفسه ص٧٩ . (١٧٢) نفسه ص٧٨ .

(١٧٣) نفسه ص١٨٦ . (١٧٤) نفسه ص٧٣ . (١٧٥) نفسه ص١٢٢ .

(١٧٦) ، (١٧٧) نفسه ص١١٥ . (١٧٨) نفسه ص١١٧ .

(١٧٩) ، (١٨٠) نفسه ص١٠١ . (١٨١) نفسه ص٢٠٢ .

(١٨٢) نفسه ص٨٣ . (١٨٣) نفسه ص١٥٣ . (١٨٤) نفسه ص١٨٦ .

(١٨٥) نفسه ص١٨١ . (١٨٦) نفسه ص١٥٤ . (١٨٧) نفسه ص١٣٢ .

(١٨٨) ، (١٨٩) نفسه ص١٨٥ . (١٩٠) نفسه ص٨١ .

(١٩١) نفسه ص٢٠١ .

المصادر والمراجع

١ ــ أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، للأستاذ عباس محمود العقاد ، ط٣ ، دار المعارف بمصر .

٢ ـ الأصول فى النحو ، لابن السراج تحقيق د . عبـد الحسـين الفتلـى ط٣ ، بيروت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٣ ـ الأعلام للزركلى ط٦ ، بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٤ ـ الإيضاح لأبى على الفارسى ، تحقيق د . كاظم بحر المرجان ، ط٢ بـيروت ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٥ ـ تهذيب اللغة للأزهرى ، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، مراجعـة الأستاذ محمد على النجار ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤م .

٦ ـ التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، لمحمد عبد العزيـز النجـار ، طبعـة القاهرة ١٩٦٧م .

٧ ـ الجمل فى النحو ، للزجاجى ، تحقيق د . على توفيق الحمد ، ط٢ ، بـيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٨ ـ حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مـالك ، لمحمـد علـى الصبان ، طبعة الحلبى بالقاهرة د . ت .

٩ ـ ديوان رفاعة الطهطاوى . جمع ودراسة د . طه وادى ط٢ ، دار المعـارف بمصر سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

١٠ ـ شرح الأشمونى لألفية ابن مالك المسمى "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك" ، لأبى الحسن الأشمونى ، تحقيق د . عبـد الحميـد السـيد ، طبعـة القـاهرة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

١١ ــ شرح الأنموذج فى النحو للعلامة الزمخشرى ، للأردبيلى (جمـــال الديــن محمد ابن عبد الغنى) ، تحقيق وتعليق د . حسنى عبدالجليل يوسف ، طبعة مكتبة الآداب بالقاهرة ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .

١٢ ــ شرح شذوذ الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام ، تحقيق الأســـتاذ محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة بيروت ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م .

١٣ ــ شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، تحقيق الأستاذ محمـــد محــى الدين عبد الحميد ، طبعة بيروت د . ت .

١٤ ــ شرح الكافية فى النحو لابن الحاجب ، لرضى الدين الأستراباذى ، طبعـــة بيروت ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

١٥ ــ شرح المفصل لابن يعيش ، طبعة مكتبة المتنبى بالقاهرة د . ت .

١٦ ــ فى علم النحو د . أمين على السيد ، الجــزء الأول ، ط٥ ، دار المعــارف بمصر ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢م .

١٧ ــ القاموس المحيط للفيروزابادى ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١ هـ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩م .

١٨ ــ الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون ط٢ القــاهرة ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م .

١٩ ــ اللمع فى العربية ، لابن جنى ، تحقيق الأستاذ حامد المؤمن ، ط٢ بــيروت ، ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م .

٢٠ ــ المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطى ، للأستاذ محمـــد محمــد الدمياطى ، تحقيق الأستاذ هشام سعيد محمود ، طبعـــة العــراق ١٤٠٣هـــ ــ ١٩٨٣م .

٢١ ـ معانى القرآن للأخفش الأوسط (سعيد بن مسعده المجاشعى) ، تحقيـق د . عبد الأمير الورد ، طبعة بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٢٢ ـ المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية ، طبعة وزارة التربية والتعليم بمصـر ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٢٣ ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق الأستاذ محمد محيـى الدين عبد الحميد ، طبعة بيروت ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٢٤ ـ المفصل فى علم اللغة ، للزمخشرى ، طبعة بيروت د . ت .

٢٥ ـ مقاييس مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق الأستاذ عبد السـلام محمـد هارون ط٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٢٦ ـ المقتضب للمبرد ، تحقيق الأستاذ محمد علد الخـالق عضيمـة ، طبعـة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

رفاعة الطهطاوي الإنسان والمفكر

رابعا : جهوده في مجالات التحديث

ب ـ في المجال الفكري والعلمي

عنوان البحث : الطهطاوي مفكراً إسلامياً

د / صابر عبده أبا زيد
المشرف علي قسم الفلسفة بآداب قنا

فور وصول الفرمان بتثبيت محمد علي باشا ، وإقرار إختيار المصريين له واليا علي مصر في الثامن عشر من يوليه ١٨٠٥ م ، إستقر الحال وتم الخلاص من الفوضى والاضطرابات ، وكانت بداية لصفحة جديدة من تاريخ مصر السياسي والثقافي والإجتماعي ، ولقد أقام محمد علي دولة حديثة ودفع بالجنود المصريين إلي الشام والمورة حاملين ألوية النصر والمجد لهم ، ولكن فشل ـ لسوء ما كان يلقاه الجند ـ في غرس روح الجندية بين المصريين ، وأقام القناطر والسدود واصلح نظام الري وكون جهازا إداريا محكما ولكنه عجز عن أن يحمل المصريين علي الإيمان بأعماله فشاد في الهواء وأقام بنائه في الفراغ فلم يلبث أن تحطم بعد وفاته .

.. زرع الأراضي ولكن الفلاح المصري لم يجن من ثمارها شيئا ..

.. إفتتح المدارس وأرسل البعثات إلي أوروبا لتمده بحاجته من الخبراء والفنيين فحسب ، وليس لتثقيف الشعب . فبقدر ما أقام من صروح العمران والحضارة المادية لم يلق بالاً غلي بناء الأذهان والعقول والتربية الفكرية والإجتماعية ، وبقي الشعب بمعزل عن تفكيره وإتجاهاته فشقي بالحرمان اكثر مما سعد بالعمران .ولا نريد أن نغمض الرجل حقه ، فقد أقام بناء دولة حديثة وكان في مصر علي عهده وقبل عهده رجالا ممن يمكن أن

يشاركوا في الحكم ولهم من محبة الشعب الكثير وجاءت الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م فكشفت عن صدقهم وأصالتهم وجدارتهم بالمسئولية وكشفت عن روح الشعب المصري الأصيل ودفعته إلى المبادئ والحركة واليقظة الفكرية . وأخذت الحركات الفكرية والنهضوية تسفر عن نفسها وتعلن في شئ من الإلهام والتحدي أو في شي من الإبهام والتحفظ ـ علي حد قول الدكتور حسين النجار ـ علي يد رجل من صعيد مصر هو رفاعة رافع الطهطاوي بعد أن انتشر في سائر السلطنة علي أيدي رجال أحرار ثوار من أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد والسنوسي والشوكاني وأحمد خان في غيرها من بلاد الإسلام ثم لدي الإمام السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده في مصر والشام وفارس ومدحت باشا في تركيا والغمام بن باديسر في الجزائر وغيرهم كثيرون .

إذن يمكن القول إن محمد علي أقام بناء مصر المادي ولكنه قصر في بناؤه الروحي والفكري والإجتماعي فكانت النكسة في ردة البلاد إلي الجمود والتخلف والخمود الذي عانته البلاد إبان العصر العثماني حيث إنتشرت نزعة التصوف السلبي والتواكل والدروشة إلا أن الموجه أخذت تلفح شعوب الشرق كالشمس الحارقة في كبد النهار فإلتهب الشرق الإسلامي بالثوار والمتمردين علي التليد البائد وكان رفاعة الطهطاوي رائدا للفكر المصري الحديث وشاهدا علي إلتقاء ظاهرتين : ـ

- ظاهرة إمتداد الموجه الغربية إلي الشرق .
- ظاهرة اليقظة الإسلامية الحديثة .

فإلتقي في فكره الشرق بالغرب .. فهل كانا علي وفاق أم كانا متنافران ؟

.. هذا البحث يوضح لنا دور الطهطاوي في بعث روح التجديد والتحديث وتهيئة العقول لتقبل حركة الإصلاح وبناء مصر الحديثة فكريا وفلسفيا

وروحيا ليتوازي مع ما قام به محمد علي باشا فـــي إصلاحاتـــه الماديـــة العمرانية .

.ز هذا البحث يثبت لنا إن الطهطاوي كان مفكرا إسلاميا من طراز خـــاص وإن ظهوره كان بمثابة بادرة وإرهاصة بظهور رجال ثوار عظمــــاء مــن أمثال : السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشــيخ الإمــام محمــد عبــده وغيرهم .

.. ولقد إستوي الشرق (روحاً) والغرب (مادةً) في عقـــل الطـــهطاوي وقلبه علي وفاق فاستطاع أن يوائم بين عقيدته وتقاليده الصالحـــة وبيـــن عالم الغرب وتقدمه فظل حفيظا على تقاليده وفروضه الدينية فكان وهو فى باريس أثناء البعثة التي أرسلها ـ محمد على ـ وهى من حسناته بلا شـك ـ يقوم بأداء الفروض والسنن أتم قيام ولم يأكل شيئا محرما مما كلن يؤكل فى باريس وواظب على تلاوة القرآن الكريم ومطالعة العلم المنيف وكـــان أزهريا متطور سابق زمانه بزمان ، فلم يفتن بالغرب ولـــم يجحـد سـبق الشرق فى الارتقاء فبدلاً من أن نقول : بضاعتنا ردت إلينا ، ذهب هو يقول هناك وقال : بضاعتنا تُسوق هنا .

.. والبحث أيضا يوضح لنا من هو رفاعة الطهطاوي ؟ ومن هو أساتذته ؟ وما هي مؤلفاته ورسائله وتعاليمه ومقالاته فى الصحف والمجلات ؟ وما هو الدور الذى أداه فى رفع لواء الفكر الإسلامى ؟ وهل يمكن لنا اعتبـار ه مفكراً إسلاميا أم لا ؟

.. ولد رفاعة رافع الطهطاوي فى مدينة طـــهطا مـــن أعمـــال محافظـــة سوهاج بصعيد مصر ١٨٠١ م من أسرة تنتهي أصولها إلى الأمام جعفـــر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الإمام الحسين بن علـــي بن أبى طالب بن عم الرسول الكريم صلى الله علية وسلم وهو إذن من أهل

البيت وهذا النسب يطلق عليه فى صعيد مصر (الأشراف) وهم منتشـــرون فى بلدان كثيرة سواء فى محافظة قنا و نجع حمادى والأقصـــر وأســـوان وسوهاج وأسيوط وغيرها من بلدان صعيد مصر ، تنقل مع والده ما بيـــن منشاة النيدة ولخميم وقنا وفرشوط وعاد مرة أخرى إلى مسقط رأسه وفيها أتم حفظ القرآن الكريم .وينتسب من ناحية أمه إلى الأنصار الذين ينتـــهي نسبهم إلى الخزرج من قبائل العرب ، ولقد ساعده أخواله (ومنهم الشـــيخ عبد الصمد الأنصاري والشيخ فراج الأنصاري والشيخ محمـــد الأنصـــاري والذي تزوج الطهطاوي بابنته بعد دودته من فرنسا ومنها كـان أولاده) ـ حفظ المتون المتداولة فى المعقول والمنقول (أي انه جمـــع بيـــن العقـل والنقل كسائر فلاسفة الإسلام) .

.. ثم وفد إلى القاهرة سنة ١٨١٧م وألتحق بالأزهر الشريف ومكث بـــها نحو خمس سنوات ختم فيها دروسه وأصبح مؤهلاً للتدريس فى الأزهر .

.. اختير ١٨٢٦ م إماماً للمبعوثين وسافر إلى فرنسا فى بعثة محمد علـــى للدراسة والتخصص فى العلوم الحديثة ، ولما عاد كتب مؤلفـــة الشـــهير " تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز "

وظل الطهطاوي طوال حياته يعلم ويوجه ولا يترك ميدانـــا مـــن ميـــادين النهضة إلا خاضه وكان بحق إماما للنهضة المصرية الحديثة .

وامتد به العمر بعد الخامسة والسبعين لا يتغير ولا يتبدل رغم تغـــير كـل الظروف من حوله من سياسات ومن رجال ومن أفكار واتجاهـــات ولكنـــه عاش معلما مجدداً صاحب رسالة ولم يسعى الى الباشوية كما كان يســـعى خدام السلطنه .

.. وفـــى يـــوم الثلاثـــــاء أول ربيـــع الأول ١٢٩٠هــــــ الموافـــق ١٨٧٣/٥/٢٧مإنتقل الى رحمة الله تعالى بعـــد أن اشـــتد عليـــة المـــرض

وودعته مصر وداع الأحرار وترك لنا العديد من المؤلفـــات والعيــد مــن المواقف والأهم من هذا كله أثر فى مجموعة من التلاميذ هم بلا شك طلائع لثورة التجديد والإصلاح والإحياء فى الفكر الإسلامى .

الطهطاوي والمرأة

بقلم / أحمد البخاري الشتوي

﴿ كلما كثر احترام النساء عند قوم ، كثر أدبهم وظرافتهم ، فعـــدم توفيــة النساء حقوقهن ، فيما ينبغي لهن الحرية فيه دليل علي الطبيعة البربرية . ﴾[1]

مقدمة :

منزلة الطهطاوي بين دعاة النهضة عامة ودعاة تحرير المرأة خاصـــة . مدخــل منهجي :

[الطهطاوي ١٨٠١ ــ ١٨٧٣]

تقتضي منهجية العمل النظر إلى الطهطاوي باعتباره مرحلة ضمن مسيرة النهضة والنظر إلي قضية تحرير المرأة باعتبارها جزء من حركة متكاملة تقـدم تصـــورا شاملا لإصلاح المجتمعات العربية الإسلامية ثم إن كل مرحلة من مسيرة الإنسانية نحو بناء منظومة فكرية لا يمكن أن تقف عند مجهودات فرد واحد وإنما علينا أن نبحث عن عدد من الفواعل المساهمة في الإنجاز وكذلك شأن الظـــاهرة الفكريـــة لها شبكة من العوامل تتضافر في ما بينها لتدفع بها من مرحلة إلى أخرى نحـــو التشكل والاكتمال .

فانطلاقا من هذا المبدأ المنهجي نحن في حاجة إلى تـــنزيل الطـــهطاوي منزلتـــه

---

١) الطهطاوي : " قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائـــل والأواخـــر " . وهو ترجمـــة لكتاب (ديبنج depping) . وهو عبارة عن لمحة تاريخيـــة عـــن أخلاق الأمم وعاداتها . والعبارة أعلاه أضافها الطهطاوى معلقا علي أراء صاحب النص . انظر مقدمة محمد عمارة للأعمال الكاملة للطهطاوي ص ٢٠٣.

من دعاة تحرير المرأة خاصة ، ومن رواد الإصلاح عامة كما أننا في حاجة إلـــى تنزيل مسألة تحرير المرأة ، منزلتها من قضية النهضة بالبلدان العربية الإسلامية منذ القرن ١٩ م .

ـ منزلة الطهطاوي من الفكر النهضوي ورواده :

لا أحد من الدارسين ينازع في أن الطهطاوي يمثل أب حركة النهضة فـــي مصـــر وفي البلاد العربية الإسلامية وهو رائد الحركات الإصلاحية الداعية إلى تحقيـــق التقدم والتحضر أسوة بالمنوال الأوروبي . مهد طريق الدعوة الإصلاحية لجمـــال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده وقاسم أمين ولطفي السيد وطه حسين وغـيرهم كثير .

غير أن طريق الاصطلاح ليس اتجاها واحدا في حقيقة الأمـــر وإنمـــا اتجاهـــان بارزان علي الأقل وهما اتجاه السلفية واتجاه اللائكيـــة . ولأن قضيـــة النهضـــة يتجاذبها قطبان فأين موقع الطهطاوي من القطبين ؟

في اليوم الذي انسحب فيه نابليون بونابرت من مصر بعد حملته سنة ١٧٩٨ ولد رفاعة رافع الطهطاوي وكان ذلك يوم ١٥ أكتوبر ١٨٠١ كان ميلاد رفاعـــة مـــع انبهار مصر بحضارة الغرب من خلال حملة نابليون وكان ميلاده مع ميلاد شرارة التمدن أو صدمة الحضارة مثلما يقال لقد كان الطهطاوي ابن الأزهـــر بـــه درَس ودرّس ثم إن محمد علي عينه إماما وواعظا لبعثة طلابية من مصر إلى فرنســـا فإذا به لا يؤمهم في أداء الواجبات الروحية فقط بل في أداء الواجبـــات الفكريـــة والعلمية بل ارتقي الطهطاوي إلي مصاف الرائد في القيام بالواجب الوطني مـــن خلال نقل العلوم والصنائع الفرنسية إلى العربية وتصوير مظاهر التمـــدن الـــذي عليه المجتمع الفرنسي تصويرا دقيقا وصادقا ، كل ذلك سعيا لإخراج مصر مـــن التخلف واللحاق بركب التقدم الذي صارت إليه البلدان الغربية وكان همه في كـــل ذلك نقل صورة التمدن التي عليها فرنسا دون البحث في تبريرات الشـــريعة لمـــا

استحسن من تلك الصورة وسيأتي بعد ذلك الأفغاني والإمام محمد عبده ليتوليا مسألة التبرير اعتمادا على النصوص المقدسة والتراث الإسلامي .

لقد مثل الطهطاوي في مرحلة الريادة الرحالة والمصلح المعجب بالنمط الأوروبي المدرك لخباياه ، الناقل لصورته مع الحرص على إبراز مواطن الجمال والتسلمح إزاء العيوب مادامت الشريعة تنكرها والمجتمع الإسلامي غير متقبل لها وضررها للوطن مستبعد الوقوع .

كان ثمة توافق وتكامل بين محمد علي و الطهطاوي ، فكرا وأعمالا فمحمد علي يسعي إلي تشييد دولة عصرية والطهطاوي يسعي إلي خلق مجتمع مدني متقدم .

لقد اتسم الطهطاوي من خلال أفكاره وأعماله ، بالحرص علي جلب المنفعة السريعة لوطنه مصر ، بعيدا عن التعصب الإيديولوجي وبعيدا عن التبريرات المحذلقة والمصطنعة التي تعتمد الحيلة الفقهية مرجعا .

يقول محمد عمارة في مقدمة الأعمال الكاملة للطهطاوي :

((إنني أمام نموذج من المثقفين النادرين الذين تمثلوا اكثر ما في حضارات عصرهم تقدما وعصرية ثم طوعوها لواقعهم البسيط والساذج الذي ظلوا مرتبطين به كل الارتباط ومن ثم فإنهم قد امتازوا بعبقرية تتمثل في الربط الخلاق ما بين النظرية والواقع والتطبيق ولم تبتعد بهم الثقافة عن الواقع المتخلف الذي نشأوا فيه .)) ٣

وفي موقف آخر يقول محمد عمارة أيضا : ((الطهطاوي صاحب نظرة ناقدة بل وجيد النقد وصاحب موقف عقلاني عندما يتعلق الأمر بأمور الدنيا وأصول التمدن والحضارة . أما في بعض القضايا الدينية والروحية فلقد تغيب عنه هذه النظرة النقدية العقلانية .)) ٤

يبدو لنا الطهطاوي إذن مثقفا يجتهد في الجمع بين الشريعة والعقل في أسلوب براغماتيكي شديد الصلة بالواقع يسعي إلى تمدن بلاده ونهضتها مع الأخذ بعين

الاعتبار المنوال الفرنسي الذي به تتحقق أيسر السبل وأسرعها لبلوغ الرقي والتقدم .

لكن بعض الدارسين لا يشير إلى جمع الطهطاوي بين الشريعة والعقل وإنما يتراءى له أن الطهطاوي رمز للعقلانية بل بعضهم لا يقف عند حد نعته بالعقلاني وإنما يتجاوز ذلك إلى اعتباره من رواد الفكر الاشتراكي في البلاد العربية .

يقول أنور عبد الملك : ((قصد الطهطاوي إلى الدفاع عن أفكار ١٧٨٩ إلى أن يبين بوجه خاص أنها لا تتناقض مع الإسلام في عقائده وفي تقاليده وفي الوقت الذي كان فيه كتاب " مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية " في عام ١٨٦٩ يوضح أفكار الحرية والعدالة كان يمهد ويحدد أيضا فكرة الوطن ويقدم تحليلات اقتصادية واجتماعية من النمط الاشتراكي .)) ٥

وقد عاب غالي شكري علي رفعت السعيد في كتابه " تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر "جعله من كلمات الطهطاوي حول المساواة الاجتماعية راية لبداية الفكر الاشتراكي في مصر . ٦

هكذا يبدو لنا الطهطاوي محل نزاع بين اتجاهات الإصلاح وهو نزاع متولد عن منزلة الريادة . فانتماء الطهطاوي إلى العقلانية والعلمانية أمر شائع حتى اصبح بعضهم يراه أمرا لا نزاع فيه والحال أن غلبة الشريعة على العقل في فكر الطهطاوي والمحافظة على الرواسب التقليدية عوامل تدعو إلى مزيد تمحيص الأمر ومراجعته في أناة لأن التذبذب والتردد بين قطبي الإصلاح وهما السلفية واللائكية من خصائص فكر الطهطاوي كما سنرى ذلك لاحقا .

يقول المراكشي : ((التيار العلماني جسمه طه حسين وسلامة موسي ومحمود عزمي وكان رائده بدون منازع الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي في مطلع النصف الثاني من القرن الماضي .)) ٧

ويؤكد المراكشي أيضا صحة انتماء الطهطاوي إلى هذا التيار في موقع آخر يبين

فيه النظرة اللائكية عند الطهطاوي في معالجة الأمور ، يقول : ((مقياس الإيمان والكفر انعدام في تفكيره (الطهطاوي) ليعوض بمقياس آخر اكثر موضوعية في دراسة تاريخ الأمم ومنزلتها الحضارية وهو مقياس التمدن والتوحش وأصبح التعليم بالنسبة إليه اقتباس الوسائل العلمية الممدنة للامة بقطع النظر عن اختلاف المعتقد الديني بينها وبين الأمة الغربية .)) ٨

إن إيمان الطهطاوي بالعلمانية واللائكية مأتاه مبادئ الثورة الفرنسية ١٧٨٩ التي قامت علي إزاحة الكنيسة عن السلطة وإحلال البرجوازية محلها وإشاعة مبادئ جديدة وهي الحرية والمساواة والأخوة ومبدأ " دعه يعمل دعه يمر " ؛ هذه المبادئ التي تشبع بها من خلال معاشرته للفرنسيين عقب ثورتهم ١٧٨٩ [دامت بعثته إلى باريس ضمن بعثة محمد علي من ١٨٢٦ إلى ١٨٣١] ؛ ومن خلال قراءاته لفولتير وروسو ومنتاسكيو مدة إقامته بباريس وكذلك من خلال معايشته لثورة ١٨٣٠ بباريس .

ولعلنا لو أردنا أن نجمع خصائص تفكير الطهطاوي المتمثلة في : العلمانية والعقلانية والبراغماتيكية واللائكية لأحالتنا إلى منظومة الفكر الليبرالي التي يقوم عليها الفكر البرجوازي صاحب الثورة الفرنسية غير أن عبارة ليبرالي لا تنطبق علي كل علماني لأن الملحد والاشتراكي والشيوعي كل واحد منهم علماني لكنه قد لا يكون ليبراليا ضرورة فشرط استعمال عبارة " ليبرالي" هو خاص بمن استوعب الفكر البرجوازي الذي قامت عليه الثورة الفرنسية والطهطاوي من بين الذين ينطبق عليهم هذا الوصف إلى حد ما وقد عُدّ الطهطاوي مبشرا بالفكر البرجوازي ورائد للنهضة البرجوازية في التاريخ الحديث لمصر . يقول غالي شكري : ((كان رفاعة رائدا للفكر المصري البرجوازي الحديث .

لم تكن البرجوازية المصرية قد تكونت ولكنها بالقطع كانت في مرحلة النشوء . لم يكن يمثل الفكر القديم ولا الفكر السائد ولكنه كان ينتمي إلى المستقبل

المتجرثم في أحشاء الحاضر . لم يكن يمثل شريحة دون غيرهـــا مـــن شـــرائح البرجوازية ولكنه كان يجسد طموحات عالم جديد هو العالم البرجوازي المتقـــدم كما ونوعا عن العالم التركي والعالم المملوكي كان يجسد جوهر النهضة القائمـــة علي استحداث الدولة العصرية أي البرجوازية .)) ٩

وقد عد محمد عمارة كتاب الطهطاوي " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " كتابـــا ((قدم فيه الطهطاوي فكر البرجوازيـــة الفرنســـية الديموقراطـــي وترجـــم فيـــه دستورها ووصف ثورة الشعب الفرنسي سنة ١٨٣٠ وانتصر لها وتعاطف معـــها .)) ١٠

وكان حسن العطار قد طلب من الطهطاوي تدوين رحلته في كتـــاب وهـــو ســـبب تأليفه لـــ " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " وبعد أن طالعه أعجب به وقدمـــه لمحمد علي ((ومن شدة إعجابه بالكتاب أمر بقراءته علي حاشيته فـــي القصـــر وأمر بترجمته إلى التركية وطبعه في اللغتين وتدريسه في المدارس .)) ١١

إن مفهوم التمدن عند الطهطاوي يقوم علي مســـتويين أخلاقـــي ومـــادي . فـــي المستوي الأخلاقي يحافظ الطهطاوي علي الشريعة الإسلامية والموروث الدينـــي . وفي المستوي المادي يدعو إلى الإقبال علي الأعمـــال والأخـــذ بأســـباب التقـــدم العمراني في مجال الزراعة والتجارة والصناعة وسائر الفنون والصنائع . وفـــي ذلك يقول الطهطاوي : ((إن التمدن أصلان :

معنوي : وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب ، يعني التمـــدن فـــي الديـــن والشريعة .وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة التي تسمى باســـم دينـــها وجنســـها لتتميز عن غيرها فمن أراد أن يقطع عن ملة تدينها بدينها أو يعارضها في حفـــظ ملتها المخفورة الذمة شرعا ، فهو في الحقيقة معترض علي مولاه فيمـــا قضـــاه لها وأولاه حيث قضت حكمته الإلهية لها بالاتصاف بهذا الدين ، فمـــن ذا الـــذي يجترئ أن يعانده .)) ١٢

لا أحد ينازع أن الطهطاوي أب النهضة المصرية ورائد الدعوة إلي التمدن تـأثرا بالمنوال الفرنسي وهو المبشر بالقيم الليبرالية للثورة الفرنسية وهـو المبشـر بمجتمع جديد يحمل قيم الثورة الفرنسية ومتشبع بفكرهـا ومـا وصلـت إليـه بمستوي راق في الصنائع .

ومن أبرز تجليات الثورة الفرنسية في المجتمع أمـام رحالـة عربـي إسـلامي كالطهطاوى هو تحرير المرأة من سلطة الكنيسة ومن سـلطة الرجـل التقليـدي وتحريرها من حبس المنزل ودعوتها إلى ممارسة إنسانيتها من خلال المسـاهمة في مختلف مظاهر الحياة اليومية جنبا إلي جنب مع الرجل .

وقد شد تحرر المرأة الفرنسية أنظار الرحالة والمصلحين مـن البلـدان العربيـة الإسلامية وعبروا عن مواقف مختلفة . سنقتصر علي مواقف بعضهم وذلك لتبين موقع دعوة الطهطاوي إلي تحرير المرأة بين سائر دعـوات نظرائـه الرحالـة والمصلحين .

منزلة الطهطاوي بين رواد تحرير المرأة :

لئن عبر الطهطاوي في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص بـاريز " [١٨٣٠] عن إعجابه بالمجتمع الفرنسي ومدي ما حققه من تقدم وعبر كذلك عن إعجابـه بالمرأة الفرنسية وبخاصة الباريزية فانه لم يخصص لتحرير المرأة كتابا مسـتقلا إلا عند تأليف " المرشد الأمين للبنات والبنين " عام وفاته ١٨٧٣ .

لقد ألف الطهطاوي " المرشد الأمين للبنات والبنين " بعد ٤٢ سنة من عودته إلي مصر [١٨٧٣]بعد إقامة بفرنسا مدة خمس سنوات ضمن البعثة الطلابية التـي أوفدها محمد علي باشا [١٨٢٦ ــ ١٨٣١] وهي الرسالة الرائدة بـلا منـازع أيضا ، في الدعوة إلى تحرير المرأة عن طريق تعليمها وتربيتها وتشريكها فـي مختلف ميادين أنشطة الإنتاج .

ولئن سبق الطهطاوي المصلح التونسي أحمد بن أبي الضياف في زيارة فرنسـا

والإقامة بها مدة أطول (ابن أبي الضياف زار فرنسا سنة ١٨٤٦ رفقة أحمد باشا في حين أن الطهطاوي زارها ١٨٢٦) فان ابن أبي الضياف سبق الطهطاوي في تأليف رسالة حول المرأة . ففي سنة ١٨٥٦ رد ابن أبي الضياف علي ٢٣ سؤالا توجه بها إليه قنصل فرنسا بتونس آنذاك السيد ليون روش .Mr. Leon Roche . ١٣ غير أن أجوبة أحمد ابن أبي الضياف كانت ممعنة في مناهضة تحرير المرأة ومتمسكة بالموروث التقليدي المكبل لكل اعتناق لها وهي رسالة علي غاية من الوضوح في التعبير عن النهج لتحرير المرأة والمتمسك بالشكل الرجعي لتعامل الرجل المسلم مع المرأة . فقد بادر ابن أبي الضياف بالتعبير عن مناهضته لتحرير المرأة في أجوبته هذه ، بعد ١٠ سنوات من زيارته لفرنسا في حين أن الطهطاوي كان قد سبق ابن أبي الضياف في زيارة فرنسا لكنه لئن تأخر في تحرير الرسالة [١٨٧٣] فقد فاز بالتفرد بالريادة في الدعوة إلى تحرير المرأة في المجتمعات العربية الإسلامية ولا بد لنا أن نذكر علمين تونسيين قبل مجيء قاسم أمين (ت ١٩٠٨) وقبل مجيء الطاهر الحداد (ت١٩٣٥) إليهما يعود السبق في الدعوة إلى تحرير المرأة إذ الشائع أن قاسم أمين والطاهر الحداد هما اللذان اشتهرا بالريادة والحقيقة التاريخية خلاف ذلك مثلما سنري .إما العلمان التونسيان السابقان لقاسم أمين والطاهر الحداد فهما :

ـ حسن خوجة الذي كتب افتتاحية تحت عنوان " النساء والكتابة " بجريدة " الحاضرة " العدد ٣ بتاريخ ١٠ / ٩ / ١٨٨٩ ينادي فيها بان تعليم المرأة فرض ديني .

ـ محمد السنوسي له رسالة في المرأة تحمل عنوان " تفتق الأكمام " وهي دراسة عن المرأة في الإسلام توضح ما لها وما عليها من حقوق وواجبات هذه الرسالة مفقودة في أصلها العربي وموجودة بالفرنسية إذ كان قد نقله إلي الفرنسية ابن المصنف وهو محمد محي الدين السنوسي معية صهره عبد القادر

القبائلي وطبعت بتونس سنة ١٨٩٧ تحت عنوان :

Épanouissement de la fleur ou etude sur la femme dans l'Islam .

ثم بعد سنتين أي سنة ١٨٩٩ ظهر كتاب قاسم أمين " تحرير المرأة " ثم ظهر كتابه الثاني " المرأة الجديدة " سنة ١٩٠٠ وبعد ٣٠ سنة ظهر كتاب الطاهر الحداد بتونس ١٩٣٠ " امرأتنا في الشريعة والمجتمع " . تلك هي أهم المصنفات حول تحرير المرأة في البلاد العربية الإسلامية .

ولا شك أن هذه المراحل التي قطعت نحو إشاعة مبادئ تحرير المرأة في البلدان العربية الإسلامية عن طريق نشر الكتب قد سبقت بأحداث هامة كان لها تأثيرها المباشر وغير المباشر في دفع الرواد الأوائل نحو السعي من أجل تحرير المرأة .

من هذه الأحداث نذكر خاصة :

ـ ١٧٨٩ : الثورة الفرنسية .

ـ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ : حملة نابليون بونابرت علي مصر .

ـ ١٨٠٥ : استيلاء محمد علي باشا علي الحكم بمصر وهدفه بناء الدولة الحديثة علي الطراز الأوربي .

ـ ١٨٠٧ : أولي تشريعات تحريم الرق في أنقلترا .

ـ ١٨٣٠ ثورة فرنسا .

ـ ١٨٣٩ : حركة التنظيمات بتركيا : خط الشريف كولخانة في عهد عبد المجيد .

ـ جانفي ١٨٤٦ : إعلان إبطال الرق بتونس .

ـ ١٨٤٨ : ثورة أوربا (إيطاليا ، فرنسا ، النمسا ، المجر ، ألمانيا)

ـ ١٨٥٦ : خط هامايون في عهد عبد المجيد ايضا بالسلطنة العثمانية .

ـ ١٨٥٧ : قانون عهد الأمان بتونس في عهد محمد باي .

ـ ١٨٦١ : إعلان الدستور في عهد محمد الصادق باي بتونس .

الطهطاوي والمرأة الشرقية :

ليس لدينا الكثير عن هذا الجانب ، ولعل ضآلته تعود إلى أن الطهطاوي يتجنب الحديث عنه حتى لا يتجرع مرارة التخلف كلما اضطر إلى وصفه بدقة . وخلافا لذلك نجده يسهب في الحديث عن المرأة الغربية ليستمتع بأخبار تقدمها ويمتع غيره أيضا وهو في ذلك يقف موقف الرحالة الناقل الأمين في وصفه للبلاد التي زارها مقدما المشهد كما هو عند أهله ، فليس كل ما يصفه الرحالة مقتنع به ويدعو إلى تطبيقه بوطنه الأم الأمانة في النقل والنزاهة في التصوير لا يقومان مبررا كافيا لاعتبار الرحالة يبشر بالنموذج الحضاري الذي عليه البلد المزور . فقد يكون النموذج يعجبنا في بلاده ونستهجنه في بلادنا .

ورغم ذلك سنقف على نتف تتجلى من خلالها علاقة الطهطاوي بالمرأة الشرقية :

أول امرأة يفتح الإنسان فيها عينيه هي أمه . تدعي أم الطهطاوي : فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي . من أسرة تزخر بالعلماء والشيوخ والصالحين . اشتهرت الأسرة بالعلم والتقوي والورع . وأخواله لهم مصنفات في الفقه والنحو إلي جانب قولهم الشعر تعليقا علي بعض المتون .

فقد عاش الطهطاوي في أسرة علم . وكانت أمه تحثه علي كسب العلم والاستزادة منه . فهذه المرأة الشرقية لئن لم تأخذ بنصيبها من التعلم فهي حريصة علي تربية ابنها ، وتعليمه وترقيه في مدارج العرفان .

يقول محمد عمارة في مقدمة الأعمال الكاملة : ((عندما بلغ رفاعة السادسة عشرة من عمره قررت والدته وأخواله إلحاقه بالجامع الأزهر في القاهرة سنة ١٨١٧ ... بعد أن مضي نصف العام الدراسي بالأزهر . ولقد أعانته الدروس التمهيدية التي تلقاها علي يد أخواله بطهطا علي مواصلة الدرس .))

لكن هذه الأم التي ساندت دراسة ابنها بالأزهر لن ترضي عن سفره إلي باريس وهي التي باعت حليها وما تملك العائلة من عقارات من أجل مواصلة دراسته بالأزهر حتى التخرج .

وقد ظلت أمه حبيس البيت منعزلة عن أهلها طيلة إقامته بفرنسا وعندما عاد لم تكن تصدق عودته .

لقد كانت أم الطهطاوي تتصف بالتضحية والصبر والتفاني من أجل تعليم ابنها ورقيه المعرفي والاجتماعي وهذه أول امرأة في حياة الطهطاوي أما المرأة الثانية فهي الزوجة ولدينا شهادتان منها وعنها .

شهادة منها عن زوجها نستدل بها عن المودة وحسن المعاشرة المتبادلين بين الزوجين .

تقول زوجة الطهطاوي الثانية متحدثة عنه وقد كانت جارية ببيته في حياة زوجته الأولى : ((يقرأ أو يكتب وهو علي حشية علي الأرض وهي علي سرير بجواره .)) ١٦

وفي هذه الشهادة ما يدل علي إيثار الطهطاوي زوجته بالأحسن والسعي لتوفير أسباب الراحة لها كما تدل هذه الشهادة علي وقوف الزوجة إلى جانب زوجها وحرصها على شد أزره حتى في أعمال القراءة والكتابة التي ينتظر من الزوجة النفور منها والأعراض عنها بل وربما تتحول القراءة والكتابة والبحث إلى ضرة للزوجة تحظى دونها بالعناية فتغار منها .

وتشترك الزوجة مع الأم في حث الطهطاوي علي العلم وتيسير أسبابه له .

ولنا أن نعد موقف كل واحدة منهما إيجابيا تقدميا والفضل في ذلك يعود إلى أهمية العلم في المحيط . فهذه الأم من عائلة علم وهذه الزوجة بعلها عالم فذ استوفي الدرس من الأزهر وراح ينهل من علوم فرنسا الأدبية والتقنية.

أما شهادته عن زوجته فتتمثل في الالتزام الذي كتبه للزوجة الأولى باستبقائها زوجة وحيدة له . لقد أخذ العهد علي نفسه ألا يجمع إليها زوجة أخرى .

إن هذا الالتزام يمثل وثيقة فريدة لا فقط فى عهده وإنما فى عهدنا أيضا وذلك لتميز صاحبها بالصدق والوفاء لزوجته ولمبادئ التحرير التي يؤمن بها رغم

إباحة الرق في عهده وجواز التسري بالجواري مما ملكت اليمين وفي بيته جواري تحت تصرفه ويقول الطهطاوي في التزام لزوجته : " التزم كتاب هذه الأحرف رفاعة بدوي رافع لبيت خاله المصونة الحاجة كريمه بنت العلامة الشيخ محمد الفرغلي الأنصاري انه يبقى معها وحدها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى ولا إجبارية آيا كانت وعلق عصمتها على أخذ غيرها من نساء أو بجارية أخرى فان تزوج بزوجة آيا ما كانت بنت خالة بمجرد العقد طالقة بالثلاثة كذلك إذا تمتع بجارية ملك اليمين ولكنه وعدها وعدا صريحا لا تنتقص ولا يخل إنها ما دامت معه على المحبة المعهودة مقيمة على الامانه والعهد لبيتها وأولادها ولخدمها وجواريها ساكنه معه في محل سكناه لا يتزوج بغيرها أصلا ولا يتمتع بجوار أصلا ولا يخرجها من عصمته حتى يقضي الله لأحدهما بقضاء ...." [١٧]

وفي الوقت الذي يلزم الطهطاوي نفسه بزوجة واحدة ويلتزم بذلك كتابيا نجد احمد ابن أبي الضياف يعلن خلاف ذلك فيبيح تعدد الزوجات بما ملكت اليمين من الجواري والإماء حفاظا على الدين الذي يأمر بذلك في نظره

يقول ابن أبي الضياف " ارقاق الوالد أخون من هلاك الدين "[١٨] وهو بذلك يشير إلى ضرورة الإكثار من الزوج والنكاح حفاظا على أوامر الدين والتنازل على ارقاق الأبناء من الإماء فيضحى بمصير الأبناء على الرق في سبيل "الانتصار للدين " كما يتصوره ابن الضياف

فالمرأة الشرقية في عالم الطهطاوي هي امرأة تقف إلي جانب الرجل تشجعه وتسانده وتدعمه وقلبها ينبض عطفا نحوه وهو وفي لها ودود عطوف وقد سكت الطهطاوي عن تصوير الجانب المتخلف للمرأة الشرقية غير ما يتميز به من نزعة نحو الموسوعية عند تناول المسائل المتعلقة بالحضارة والتقدم العمراني .

IV- الطهطاوي والمرأة الأوربية :

كانت المرأة الأوربية هاجس الطهطاوي فى رحلته إلي باريز ويقول فى ختام كتابه " تلخيص الابريز فى تلخيص باريز " (حيث كثيرا مما ما يقع السؤال من جميع الناس عن حالة النساء عند الإفرنج كشفنا عن حالتهن الغطاء) [١٩]

لقد اثبت الطهطاوي شغفه وشغف الناس معه فى المشرق بمعرفة أخبار نساء أوربا وسماع مواقف الرحالة من تلك الأخبار وهذا يدل على أن وضع المرأة الاوربية لافت لانتباه الشرق وباعث فى نفسه الحيرة والاضطراب خاصة ما اذا حمله ذلك على الشعور بعدم التوافق والانسجام بينه وبين ما تعوده فى حياته اليومية منسوبا إلى الاسلام أو قد يحمله سماع تلك الأخبار على الإحساس بالتصادم بينها وبين ما ترسخ فى ذهنه انه من ثوابت الشريعة اعتمادا على النص القرآني أو السنه النبوية أو اجتهاد العلماء وفتاوى الفقهاء .

وقد تمكن الطهطاوي من معرفة حقيقة وضع المرأة الفرنسية بقوله "كشفنا على حالهن الغطاء" وبالعودة إلى الكتاب "تلخيص الإبريز فى تخليص باريز " نتبين تمكن الطهطاوي من تصوير جوانب ما ظهر المرأة الفرنسية وتحديد خصائص تلك الجوانب. كما انه تمكن من تصوير جوانب من وجدان المرأة الفرنسية وتحديد خصائص تلك الجوانب ووقف أيضا عند طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة الفرنسيين وكان يبدى فى كل ذلك مواقفه التي تراوحت بين الاستحسان والاستهجان. ولا يذهب الظن بنا أن كل ما استحسنه يدعو إلى محاكاته فليس كل ما يصفه الرحالة ويدقق تصويرد يعتبر محل رضا عنده بل قل ليس كل ما يصوره الرحالة عن بلاد ما هو دليل على رغبته فى تقليد بلادة له. فقد يكون الأمر حسنا فى بلاده وقبيحا فى بلاد أخرى. فما استحسنه الطهطاوي من مظاهر التمدن الأوربي هو احسن فى أوربا وليس بالضرورة أن يكون حسنا فى مصر ولا يعد ذلك دليلا على دعوه الطهطاوي إلى النسيج على منواله.

أ ـ مظهر المرأة الفرنسية وخصائصه :

فى أول مدينه من المدن فرنسا تطأها أقدام الطهطاوي وهي فى مرسيليا، لفت انتباهه جمال نسائها وكثرتهن يقول متحدثا عنهن (أول مرة خرجنا إلى البلدة ومررنا بالدكاكين العظيمة الوضع المزججة بهذه المرايا والمشحونة بالنساء الجميلات وكان هذا الوقت وقت الظهيرة وعادة النساء نساء هذه البلدة كشف الوجه والرأس والنحر وما تحته والقفا وما تحته واليدين إلى قربى المنكبين والعادة ايضا أن البيع والشراء بالاصالة النساء وأما الاشغال فهى للرجال فكان لنا بالدكاكين والقهاوى ونحوها فرجة عليها وعلى من يعمرها وكان أول ما وقع عليه بصرنا من التحف قهوة عظيمة دخلناها فرايناها عجيبة الشكل والترتيب والقهوجية امراة جالسة على صفة عظيمة وقدمها دواة وريشة وقائمة) [٢٠]

ما يستوقفنا فى كلام الطهطاوى هو تصويره لمظهر المرأة الفرنسية فهى متميزة بالجمال سافرة الوجه والبعض من البدن مختلطة بالرجال فى الاماكن العامة تقبل على الاعمال البيع والشراء وعدد النساء فى هذه الاماكن والمحلات العامة مرتفع بحيث اصبح لافتا لانتباه الشرقى.

ونقدم خطوة نحو هذه المرأة بعد أن شاهدناها عن بعد لنتاملها عن قرب وصف لنا الطهطاوى هندام المرأة الفرنسية فقال:

" ملابس النساء ببلاد الفرنسيين لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصا اذا تزين باغلى ما عليهن ولكن ليس لهن كثيرا من الحلى فان حليهن هو الحلق المذهب فى اذانهن ونوع من الاساور من الذهب يلبسنه فى ايديهن خارج الاكمال وعقد خفيف فى اجيادهن وأما الخلاخل فلا يعرفونها أبدا ولبسهن فى العادة الأقمشة الرقيقة من الحرير أو الشيت أو البفت الخفيف ولهن فى البرد شريط فروة فيضعونه فى ورقابهن ويرخين طرفيه كالمئزر حتى يصل بطرفيه إلى قرب القدمين. ومن عوا ئدهن أن يحتزمن بحزام رفيع فوق أثوابهن حتى يظهر

الخصر نحيفا ويبرز الردف كثيفا.)[٢١] .

وعن المكشوف من بدن المرأة يقول الطهطاوي: "من خصائص التـــي لا يمكــن للإنسان أن لا يستحسنها منهن عدم إرخائهن الشعور كعادة نساء العــــرب فــان نساء الفرنسيين يجمعن الشعور فى وسط رؤوسهن ويضعن فيــه دائمــا مشــطا ونحوه ومن عوائدهن فى أيام الحر كشف الاشياء الظاهرية من البدن فيكشـــفن من الرأس إلى ما فوق الثدى حتى انه يمكن أن يظهر ظهرهن (تظهر ظـــهورهن) وفى ليالى الرقص يخلعن عن اذرعتهن وبالجملة فلا يعد ذلك من الأمور المخلـــة عند أهل هذه البلاد ولكن لا يمكن لهم أبدا كشف شئ من الرجلين بل هن دائمـــا لابسات للجرابات الساترة للساقين خصوصا فى الخروج إلى الطرق وفى الحقيقــة سيقانهن غير عظيمة
أصلا "[٢٢]

لقد تنبه الطهطاوي إلى أن المرأة الفرنسية لا ترسل شعرها واستحسن منها ذلــك أيما استحسان وجمع المرأة الفرنسية شعرها بمشط أو ما يشابهه لعله دلالة على استعدادها للعمل والحركة والنشاط وانصرافهم للجد فإرسال الشعر قد يدل علــــى عدم استعداد للعمل بل لعله يدل على الدعة والعطلة والتــبرج والزينــه ممــا لا يساعد على سهولة الحركة لإنجاز الأعمال وقد تفطن الطهطاوي إلى هذا الجــانب النفعي العلمي الذي ينعكس مباشرة على حجم العمل كمية الإنتاج فـــى المجتمــع وهو الحريص على الرفع من طاقة الإنتاج من خلال الرفع من عدد الأيدي العاملة ولعله لهذا السبب استحسن الطهطاوي جمع المرآة الفرنسية شعرها بمشط أو مــا يشابهه.

ولعل ما ذهب إليه عبد المجيد الشرقي من أن التنمية والنجاعة الاقتصادية[٢٣] هما اللتان تدفعان إلى نصرة المرأة ينطبق على هذا الموقف ولا شك أن الطهطاوي قد ابتعد بذلك عن الاعتبارات الدينية . وهو الأزهري الواعظ الإمام المرافق للبعثـــة

الطالبية بباريز - إلى اعتماد الاعتبارات النفعية العاجلة من اجل المصلحة العامة للبلاد المصرية.

ولم يشهر الطهطاوي بتبرج المرأة الفرنسية عند لبسها ملابس خليعة وخفيفة وإنما استلطف ذلك واعتبره مظهر اناقة ورشاقة يساهم فى ابراز مفاتن المرأة (إبراز الخصر النحيف والردف الكثيف بلبس الحزام الرفيع) ولم يـر فـى ذلك نقيصة ولا عيبا ويبدو أن الطهطاوى يدرك جيدا نسبية الأحكام لان ما قد يرفضة الشرقي يشير الطهطاوي إليه بأنه " لا يعد ذلك من الأمور المخلة عند أهل هـذه البلاد " (انظر الشاهد أعلاه)

أن كل هذه الملاحظات التي أبداها الطهطاوي تدل على لطف فى الملاحظات يجمع إلى جانب الانتباه والدقة العفة والتسامح وحسن الظن وقد تجـرد مـن التزمت وسوء الطوية والتهالك على مفاتن المرأة لابراز ثم تهويل وقعها المثير جنسيا فى نفس المشاهد من الرجال. لقد وصف لنا الطهطاوي المرأة الفرنسية السافرة وصفا فيه الكثير من النزاهة والتسامح وخال من المواقف الأخلاقية المتحاملة التي تسارع إلى القدح فى عرض المرأة لأبسط شبهة فى مظهرها لقد كـان فـى وضع وصفة الكثير من الرصانة لأننا نشعر انه ينظر إلى المرأة الفرنسية نظـرة بريئة من الاهتمام ويعتبر سلوكها لم يخرج من حدود الحياء .

أن المرأة الفرنسية عند الطهطاوي بريئة رغم ما تبرز من مفاتن يكشفها عـن بعض أعضائها بدنها وهى بريئة رغم التبرج والزينه لان مساهمتها فى الحركة والإنتاج تشحنها بالحزم والروح الإيجابية بل أن الطهطاوي اخذ المرأة الشـرقية معتبرا رقصها هو لغاية تهييج الشهوات ورقص الفرنسيات هو "تمط مخصوص "

.

يقول الطهطاوي عن رقص فى باريز " كان الرقص غير خارج عن قوانين الحياة بخلاف الرقص فى الأرض مصر فانه من الخصوصيات النساء لانـه لتـهييج

الشهوات وأما فى باريس فانه نمط مخصوص لا يشم منه رائحة العهر أبدا وكل إنسان يعزم امرأة يرقص معها فإذا فرغ الراقص عزمها آخر للرقصة الثانية وهكذا سواء كان يعرفها أو لا . وتفرح النساء بكثرة الراغبين فى الرقص معهن ولا يكفيهن واحد أو اثنان بل يحببن رؤية الكثير من الناس يرقص معهن لسامة أنفسهن من التعلق بشيء واحد" [٢٤]

لا يخلط الطهطاوي بين السفور والعهر وبين الحياء والرقص وبين العناية بالمظهر الجميل والإثارة الجنسية وانه لا يحكم على عرض المرأة من خلال المظاهر مهما كانت تلك المظاهر وحتى إن كانت تدل فى العرف على الاستهتار يميز الطهطاوي بين حكم العقل وحكم العرف يصف المرأة الفرنسية بمداومة الزينة والتبرج وبعدم تحرجها من مخالطة الرجال فى الأماكن العامة دون المساس بالعرض .

يقول الطهطاوي "ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة يتبرجن دائما بالزينة ويخلطن مع الرجال فى المتنزهات وربما حدث التعارف بينهم وبين بعض الرجال فى تلك المجال "[٢٥]

ولم يحترز الطهطاوي من تبرج المرأة الفرنسية لأنه - حسبه - لا ينم حتما عن انحراف أخلاقي وقد وصف الطهطاوي تصرف المرات الفرنسية بأسلوب أيشعرنا بأنه تصرف برئ خال من كل خبث وسوء طوية وتعامل المرأة الفرنسية من الرجل على ذلك الأساس أيضا يعاملها فيها كثيرا من الدلال والغنج الذي يكاد يلتصق بالمرأة الفرنسية ليمثل خصوصية الأنثى وكثيرا ما كان ينعت الطهطاوي المرأة الفرنسية بأنها تتعامل مع الرجل كالطفل الصغير الذي نحرص دائما على مرضاته

يقول الطهطاوي مؤكدا أن العفة لا تتعلق بالمظهر وأن السفور ليس دليلا على السقوط فى الرذيلة " وان وقوع الخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن

أو سترهن بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة والتعود على محبة واحد دون غيره وعدم التشريك فى المحبة والالتئام بين الزوجين وقد جرب فى بلاد فرنسا أن العفة تستولى على قلوب النساء المنسوبات إلى التربية الوسطى من الناس دون نساء الأعيان والرعاع فنساء هاتين المرتبتين يقع عندهن الشبه كثيرا ويتهمن فى الغالب "[٢٦]

وقد أرجع الطهطاوي عفة الفرنسية إلى التربية في الصغر فمعظم البنات الفرنسيات يتلقين تربية في أديرة الراهبات .

يقول الطهطاوي : " قد اجتهد الأروباويون الذين بلادهم الآن هي أقوى البلاد في أن يربوا بناتهم كتربية الأولاد وكانت عادة الفرنساوية قديما أن يربوا بناتهم في أديار الراهبات ويمكثن فيها إلى حد تأهلهن للزواج وكثير من هؤلاء البنات كن يلبسن زي راهبات الكنائس إلى أن يخرجن من هذه المكاتب بوصف كونهن عرائس."٢٧

لقد سكت الطهطاوي عن انحجاب المرأة الشرقية في البيت أمام الحديث عن سفور المرأة الفرنسية وتبرجها وخروجها لمشاركة الرجل كل أعماله ، لعل السكوت عن انحجاب المرأة وحجابها أيضا مرده إلى حرص الطهطاوي في تصوره لتحرير المرأة على تعليمها أساسا إذ بالتعليم تنفتح أبواب العمل والمشاركة والتساوي مع الرجل في حق التعلم والعمل والعيش الكريم بكل وعي ومسؤولية .

لم يدع الطهطاوي المرأة الشرقية إلى السفور ولم يشهر بحجابها وإنما سكت عن كل هذه الجوانب لأن أساس دعوته موجه إلى تحرير المرأة ويقوم على تعليم البنت وهو الطريق الذي في نهايته يزول الحجاب والانحجاب.

ثم لا ننس أن المرأة الريفية التي يعرفها الطهطاوي جيدا في قريته كانت تشارك الرجل أعماله الفلاحية ولم تكن في يوم من الأيام قابعة في البيت عدا نسبة

بسيطة قد تخرج عن هذه القاعدة بحكم الانتماء الإقطاعي والارسطقراطي .فالدعوة إلى تعليم البنت أهم من الدعوة إلى سفور المرأة . والتفكير العملي يقتضي المراهنة على ارتقاء البنت السلم التعليمي والمعرفي والاجتماعي الذي بدوره يحدث حتما نقله نوعية في نمط العيش ، وسائر أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية فالسياسية .

ب ــ وجدان المرأة الفرنسية وخصائصه:

يحرص الأوروبيون على حسن معاملة المرأة والأخذ بخاطرها والاستجابة لرغبتها ومجاملتها حتى وإن كانت دميمة . ويطلق الفرنسيون على حسن معاملة الرجل للمرأة **La courtoisie** ويتنافس الرجال في درجة الاتصاف بالكياسة مع النساء . والمفضل من الرجال عند النساء من كانت هذه الصفه به ألصق .

يقول الطهطاوي متحدثا عن الفرنسيين :" إن الرجال عندهم عبيد النساء وتحت أمرهم سواء كن جميلات أم لا قال بعضهم : إن النساء عند الهمل معدات للذبح وعند بلاد الشرق كأمتعة البيوت وعند الإفرنج كالصغار المدلعين ."٢٨

ويقول أيضا : " إن باريس جنة النساء .. وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أو بجمالهن وأما الرجال فإن الإنسان يحرم نفسه وينزه عشيقته ."٢٩

فالمرأة الفرنسية مكانتها عند الرجل مرتفعة ومرموقة ، تتمتع بالاحترام والتبجيل والملاطفة والمجاملة. وبالود والإيثار أيضا لا لمظهرها الحسن وإنما لمجرد أنوثتها التي هي رمز لأحاسيس في منتهى الرقة واللطافة . وما يحترم في المرأة هو عواطفها . وما يؤخذ له ألف حساب هو مرضاتها .فالمرأة في أوروبا هي محور الحياة وعلى خلاف ذلك في المشرق ، الرجل هو محور الحياة وما خلقت المرأة لإسعاده وتلبية رغباته. وتعامل الرجل مع المرأة الفرنسية لم يبق خاضعا لاجتهادات الأفراد وإنما ضبط في قواعد تعارفتها الأجيال لاحقا عن

سابق.يذكر الطهطاوي البعض من قواعد التعامل مع المرأة الفرنسية في مسـألة الجلوس والتحية فيقول :" الغالب أن الجلوس للنساء. ولا يجلس أحد من الرجـال إلا إذا اكتفت النساء،، وإذا دخلت امرأة على أهل المجلس ولم يكن كرسي خاليـا قام لها الرجل وأجلسها ولا تقوم لها امرأة لتجلسها فالأنثى دائما فـي المجـالس معظمة أكثر من الرجل ثم إن الإنسان إذا دخل بيت صاحبه فإنه يجـب عليـه أن يحيي صاحبة البيت قبل صاحبه ولو كبر مقامه ما أمكن . فدرجته بعد زوجتـه أو نساء البيت ."٣٠

تشعر المرأة الفرنسية من خلال هذه المعاملة ، بكرامتها وعزتـها وتتحمـل مسؤولية أعمالها ولها استقلالية نسبية إزاء الرجل لا فقط فـي اختيـار العمـل وممارسته وإنما أيضا في التمتع بالعطلة على انفراد وبالشكل الذي تريده ومـع ومن تريد أيضا حتى وإن كانت متزوجة.

يقول الطهطاوي :" مدة من السنة تسمى عندهم مدة التعطيل أو مدة الفراغ يعنـي البطالة . حتى النساء فإنهن يسافرن وحدهن أو مع رجل يتفق معهن على السـفر وينفقن عليه مدة سفره معهن لأن النساء أيضا مولعات بحب المعارف والوقـوف على أسرار الكائنات والبحث عنها .. فهن كالرجال في جميع الأمور . نعـم قـد يوجد منهن بعض نساء غنيات مستورات الحال يمكن من أنفسهم الأجنبي وهـن غير متزوجات فيشعرن بالحمل ويخشين من الفضيحة بيـن النسـاء فيظـهرن السفر لمجرد السياحة أو لمقصد آخر ليلدن ويضعن المولود عند مرضع بـأجرة خاصة ليتربى في البلاد الغربية ومع هذا فالأمر ليس بشائع ..."٣١

لم يكن الطهطاوي بغافل عن بعض مساوئ المرأة الفرنسية . فقد أكـد مـرارا غلبة العشق على أهل فرنسا . فللعشق في فرنسا شأن . وما دام الأمـر غـير شائع في فرنسا فإن الطهطاوي لم يجعله موضوع تحامل واستنكار . ومادام الأمر في البلاد الأوروبية وليس في البلاد الإسلامية فليفعلوا في بلادهم ما يريـدون ولا

مبرر للتحامل علية ولا دليل على الرضا به في الوطن .

يقول الطهطاوي :" في نساء الفرنساوية ذوات العرض ومنهن من هي بضد ذلك وهو الأغلب لاستيلاء فن العشق في فرنسا على قلوب غالب الناس ذكورا وإناثا وعشقهم معلل لأنهم لا يصدقون بأنه يكون لغير ذلك إلا أنه قد يقع بين الشاب والشابة فيعقبه الزواج ."٣٢

ويحمل الطهطاوي النساء الفرنسيات مسؤولية ذلك رادا قلة العفاف إلى خصلة سيئة في طباعهن .

ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم .. وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الإسلام من غيرة . ومما قاله بعض أهل المجون الفرنساوية : لا تغتر بإباء امرأة إذا سألتها قضاء الوطر ولا تستدل بذلك على عفافها ولكن على كثرة تجربتها ."٣٣

لقد برهن الطهطاوي على اندماج في شرائح المجتمع الفرنسي قلما يتيسر لأزهري محافظ . لقد تمكن من أن يلاحظ أن المرأة المطلقة لفجور وإن ثبت فإن الرجال الآخرين لا يعتبرون ولا يعيرون الأمر أهمية ويعاملون الفاجرة وكأنها لم تقترف ذنبا . وقد ارجع الطهطاوي ذلك إلى حسن ظن الرجال بالنساء وإلى ضعف الغيرة عندهم .

يقول الطهطاوي : " ولا يظن الإفرنج بنسائهم ظنا سيئا أصلا مع أن هفواتهن كثيرة معهم فإن الإنسان منهم ولو من أعيانهم قد يثبت له فجور زوجته فيهجرها بالكلية ويفصل عنها مدة العمر فلا يعتبر الآخرون بذلك مع أنه ينبغي الاحتراس منهم ."٣٤

ولئن نعت الطهطاوي الفرنسيين بضعف الغيرة وبحسن الظن في النساء والتسامح إزاء من تنعت بالفجور فإنه لم ينف عن الرجل الفرنسي صفة الشهامة والأنفة وإباء الضيم الأخلاقي والتمسك بالقيم الفاضلة دفاعا عن العرض .

يقول الطهطاوي :" ولا يظن بهم أنهم لعدم غيرتهم على نسائهم لا عرض لهم في ذلك حيث أن العرض يظهر في هذا المعنى أكثر من غيره لأنهم وإن فقدوا الغيرة لكنهم إن علموا عليهن شيئا كنوا أشر الناس عليهن وعلى أنفسهم وعلى من خانهم من في نسائهم . غاية الأمر أنهم يخطئون في تسليم القيادة للنساء وإن كانت المحصنات لا يخشى عليهن شيء."٣٥

ويستمر الطهطاوي في وصف إباء الفرنسي الخدش في عرضه حتى جعل منه شبه العربي . وبذلك نتبين لا فقط نزاهة الطهطاوي وموضوعيته وإنما مساواته بين الأجناس والشعوب وخلو فكره من العنصرية المقيتة .

يقول الطهطاوي :" ظهر لى بعد التأمل في آداب الفرنسية وأحوالهم السياسية أنهم أقرب شبها بالعرب منهم للترك ولغيرهم من الأجناس .

وأقوى مظنة القرب بأمور كالعرض والحرية والافتخار ويسمون العرض شرفا ويقسمون به عند المهمات وإذا عاهدوا ، عاهدوا عليه ووفوا بعهودهم (L'honneur)٣٦".

لم يكن الطهطاوي يتحامل على الفرنسيين وإن ظهرت من نسائهم ممارسات لا أخلاقية . ولم يكن يحذر المشارقة من تلك الممارسات . وإنما كان يصف الظاهرة بكل موضوعية في نزاهة ورصانة وتسامح رغم أنه أزهري التكوين وتقليدي النشأة ومن الأوائل الذين ارتحلوا إلى أوروبا واطلعوا على تمدنها . فقد يفترض أن يظهر التردد والحيطة إذا تعلق الأمر بوضع المرأة الغربية المتحررة . فحدة تخلف المرأة في البلاد العربية قد تساهم في ألا يتقبل الرجل الشرقي تفتح المرأة الغربية بالدرجة التي عليها المرأة الفرنسية خاصة . ونرد تفتح الطهطاوي وتسامحه وتقبله لتحرر المرأة الفرنسية التي تشبعه بمبادئ الثورة الفرنسية من خلال مطالعاته واتصالاته برجال الفكر والسياسة بفرنسا ومن خلال الدروس التي كان يتلقاها ضمن البعثة الطلابية وقد كانت دروسا مكثفة وهادفه ، غايتها تصدير

مبادئ الثورة الفرنسية إلى ما وراء البحار . فالظرف الموضوعي لوحده قد يربك عملية التقبل لكن العامل الذاتي هو الذي له فضل تقبل الطهطاوي لتحرر المـــرأة الفرنسية .

ثم ألا يكون ارتياح الطهطاوي إلى مظاهر التحرر التي تعيشها المرأة الفرنسية تحدث بعيدا عن وطنه مصر ومن المستبعد أن تصبح المرأة المصرية على شاكلة المرأة الفرنسية في عهد قريب . فما دام تحرر المرأة لا يقلق الرجل المصري في عقر داره فلا خوف من التدقيق في التصوير والتسامح في التعبير وقبول الآخـــر على عته بـــ " روح رياضية" مثلما يقال اليوم.

مواقف متحررة للطهطاوي من أجل رقي المرأة المصرية :

أـــ الدعوة إلى تربية البنات وتعليمهن:

ينطلق الطهطاوي من أن التربية لها أهمية قصوى في تقدم الشـــعوب وتحقيقـــها للتمدن على نسبة التربية يكون التمدن والتقدم .

وفي ذلك يقول :" الأمة التي تتقدم فيها التربية بحسب مقتضيات أحوالها يتقـــدم فيها التقدم والتمدن على وجه تكون به أهلا للحصول على حريتها ، بخلاف الأمة القاصرة التربية فإن تمدنها يتأخر بقدر تأخر تربيتها . فإن التربية العمومية هـــي الحصول على تحسين عوائد الجمعية التأنسية ومعرفة آدابها علما وعملا والتأدب بآداب البلاد . فالتربية هي أساس الانتفاع بأبناء الوطن.."٣٧

يجعل الطهطاوي من التربية وسيلة لما يمكن أن نطلق علية اليـــوم اســـتغلال الموارد البشرية للبلاد من أجل الصالح العام ، حتى لا تذهب الطاقـــات البشـــرية هدرا . فمثلما يقع استغلال الثروات الطبيعية يقع أيضا استغلال ثروات الإمكانيـــات البشرية . والتربية السليمة هي الأداة لتحقيق هذه الغاية . وتلك الأداة هي بيـــد الأم دون سواها . هكذا يحدد الطهطاوي دور الأم وعليه تنبني الدعوة إلى التعليم المرأة وتحررها .

يقول الطهطاوي مؤكدا أولوية الأم في الاضطلاع بمسؤولية التربية :"ومن سوء التربية أن الأم تكل تربية أولادها إلى غيرها بدون أن تلاحظ تربية أولادها بنفسها . فإن الأم بما أودع فيها من الشفقة والرأفة على أولادها هي أولى وأرفق بالتربية ولتعديل مزاج أبنائها وبناتها . فإذا ربت المرأة أولادها إلى سن التمييز والاتصاف بمكارم الأخلاق وتهذيبها وسلوك سبيل الرفق واللين التي هي من صفات التمدن ."٣٨

وقد يوسع الطهطاوي من دائرة مسؤولية التربية لتشمل كل النساء مع متابعة الأمهات أساسا ولعله يقصد بالنساء الخادمات والجواري في كبار البيوتات. يقول :" ففي أوائل حداثة الأولاد ذكورا وإناثا ينبغي إناطة تربيتهم بالنساء مع ملاحظة الأمهات وبعد ذلك تكون تربية الأولاد بحسب موافقة أحوال الأمة وطريقة إدارتها وحكامها ليفتش في أفئدة الصبيان الأساسيات والأصول الحسنة الجارية في أوطانهم ." ٣٩

يبدو أن الطهطاوي حتى وإن كان لا يدرك تمام الإدراك وقوف اختيارات الدولة ونظام الحكم السائد والنمط المهيمن سياسيا واقتصاديا وثقافيا خلف كل نمط من التربية فإنه واع بأن التربية لابد لها أن تكون موافقة لأحوال الأمة . وهذا مبحث على أهميته يخرج بنا عن نطاق بحثنا لأنه يحيلنا على مسألة التربية وأيدلوجية الدولة أو علاقة التربية باختيارات السلطة .

ويحذر الطهطاوي من أن تكليف غير الأم بالتربية من شأنه أن يزرع عزوف البنت مستقبلا عن تربية أبنائها . وهذا جانب من الجوانب التي يستهجنها في المرأة الغربية التي ترتاح إلى المربية لتربية الطفل بدلا عن أمه . وفي ذلك يقول :" كل امرأة لم تربها أمها في صغرها لم ترغب في تربية أولادها في كبرها وتربية الأمهات لأولادهن قليلة في أوروبا . بل يكون أمر التربية موكولا للمرضعة . والعادة أن تكون هذه المرضعة عاقلة مستقيمة متقدمة في السن ،

صاحبة معارف كافية ، كثيرة اللبن ، والعادة أنها دائما ماسكة بيدها عصا صغيره تعلم بها الصبي وترضعه وتكلمه بكلمات تناسب سنه وتكتب لـــه فـوق التختــة حروف الهجاء وجملا قصيرة تناسب حداثة سنه ."٤٠

إن كان الطهطاوي يؤكد على ضرورة تكليف الأم بتربية الناشئة فلابد من إعـــداد البنت لذلك لأنها أم المستقبل والإعداد لا يكون في البيت فقط وإنما يكـــون فـــي المدرسة أساسا وذلك بتمكينها من حق التعليم .

التعليم عند الطهطاوي هو للذكور والإناث في مختلف مراحل الدراســة ويمـيز الطهطاوي بين الإقبال على التعليم عامة وضرورة الإقبال علـى التعليـم الأولي خاصة . وفي ذلك يقول :" وأما التربية العمومية المسماة أيضـا العمومية فهي ما يتعلمه الذكور والإناث في المكاتب والمـدارس وفـي سائر مجامع المعارف ."٤١ ويقول أيضا :" التعليم الأولي : ما يكون فيـه أهل المملكة على حد سواء . فهو عام لجميع الناس يشترك بالاشـــتغال فيه والانتفاع به أبناء الأغنياء والفقراء ذكورهم وإناثهم وهو عبارة عن تعلم القراءة والكتابة في ضمن تعليم القرآن الشريف وأصول الحســاب والنحو .. فالتعليم الأولي ضرورة لسائر الناس يحتاج إليه كـل إنسـان كاحتياجه إلى الخبز والماء ."٤٢

وقد سبق الطهطاوي Jules ferry ووزير التعليـم بفرنسـا فـي قراراتـه المتعلقة بتعميم التعليم وإجبار ته ما بين سـنتي ١٨٨١ـ ١٨٨٢ فقـد ألف الطهطاوي كتاب " المرشد الأمين للبنات والبنين " سنة وفاته وهـي ١٨٧٣.

ولم تكن تخلو دعوة الطهطاوي إلى تعليم المرأة من فائدة عملية صرح بها في فصل " " تشريك البنات مع الصبيان في التعلم والتعليم وكسـب لعرفـان" وذلك في قوله :" ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيـان معـا ،

لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعله بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة المرأة مثلها ."٤٣ في قوله :"

ويلح الطهطاوي على ضرورة تعلم المرأة الأدب ولعله يرى أنها أحوج من الرجل إلى ذلك لأن جمالها الظاهري يكتمل بجمالها الروحي بتعلم الأدب الذي لا يكون إلا بالتربية والتعليم .

وفي ذلك يقول :" تعلم الأدب حسن في الرجال والنساء جميعا . ويحسن الأدب في النساء زيادة لما فيهن من الرقة الطبيعية والمحاسن المعنوية ، فنسبة ذكاء المرأة الطبيعي إلى أخلاقها وعوائدها كنسبة لطاقتها وظرافتها إلى أعضائها الظاهرة . فهي بالأدب جميلة حسا ومعنى."٤٤

ولئن دعا الطهطاوي إلى تعليم الجنسين فإنه لم يدع إلى اختلاط الجنسين في التعليم . ولعل الدعوة إلى الاختلاط سابقة لأوانها في زمن الطهطاوي لأن الأولوية في حث الأولياء على تمكين بناتهن من التعليم أولا . والإصلاح لا يكون إلا باحترام المراحل واحترام الأولويات .

ب ـ الدعوة إلى عمل المرأة :

يقول الطهطاوي :" يمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها فكل ما يطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة ، فإن فراغ أيديهن عن العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء وافتعال الأقاويل ، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ، ويقربها من الفضيلة وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في

حق النساء ، فإن المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها ، وفيما يأكلون ويشربون ويلبسون ويفرشون ، وهكذا ٤٥".

نلاحظ أن الطهطاوي لا يحمل المرأة قسرا على العمل وإنما يترك لها المجال مفتوحا حسب اقتضاء الحال وحسب الاستطاعة . ثم أنه من حيث المبدأ كل الأعمال التي يقوم بها الرجل يمكن أن تقوم بها المرأة لكن حسب طاقتها . ولم ينظر الطهطاوي إلى الفائدة المادية الراجعة إلى المجموعة الوطنية فقط والمتمثلة في التنمية والتطور وارتفاع الإنتاج ، وإنما نظر إلى الفائدة الأدبية أيضا ، وهي المتمثلة في انتشار الأخلاق الفاضلة من خلال الإحساس بقيمة العمل وأهمية بذل الجهد للحصول على الكسب الشرعي وعلى قدر العمل يكون الجزاء وهذه قيم فاضلة يساهم تعاطي العمل في انتشار أضدادها .

وقد ناهض الطهطاوي دعاة منع المرأة حق التعليم والعمل مستدلا بحجة نباهة المرأة وقابليتها للتعلم وذكر أمثلة عن نساء فطنات في الحكم مثل بلقيس والزباء وكليوباترا وزنوبيا وشجرة الدر وإيليزيبث إلخ ...٤٦ . واتهم مانع المرأة من التعليم والعمل بالإفراط في الغيرة والتسلط . كما يستند الطهطاوي إلى حجج نقلية منها أن البعض من زوجات الرسول كن يقرأن ويكتبن مثل حفصة وعائشة.

ودحض الطهطاوي اتهام المرأة بالمكر والخبث ونقصان العقل بأن كل ما يقال في هذا الباب لا ينطبق على جميع النساء . يقول في ذلك :" وأما القول بأنه لا ينبغي تعليم النساء الكتابة ، وأنها مكروه في حقهن ارتكانا على النهي عن بعض الآثار ، فينبغي أن لا يكون ذلك على عمومه ولا نظر إلى قول من علل ذلك بأن من طبعهن المكر والدهاء والمداهنة ،

ولا يعتمد على رأيهن لعدم كمال عقولهن ، فتعليم القراءة والكتابة ربما حملهن على الوسائل الغير المرضية [غير المرضية] ،ككتابة رسالة إلى زيد ورقعة إلى عمرو وبيت شعر إلى خالد ،ونحو ذلك ، وإن الله تعالى لو شاء أن يخلقهن كالرجال في جودة العقل وصواب الرأي وحب الفضائل لفعل ، فكأن الله تعالى خلقهن لحفظ متاع البيت ووعاء لصون مادة النسل ، فمثل هذه الأقوال لا تفيد أن جميع النساء على هذه الصفات الدميمة ."

ولا يذهب الظن ببعضنا أن الطهطاوي يسمح للمرأة بالإقبال على كل الأعمال فلعل الأعمال المقصودة هي الأشغال العامة أما وظائف الحكم والقضاء فالمرأة مستثناة عند الطهطاوي التزاما بما قضت به الشريعة المحمدية وقوانين غالب الممالك بقصر السلطنة على الرجال دون النساء ، وأن النساء لا يتقلدن بالرتب الملوكية ولا يلبسن التاج الملوكي بل تكون المملكة متوارثة في سلسلة الذكور إلا فيما ندر من الممالك المبيحة لذلك ، وأما القضاء فليس لهن فيه حظ ولا نصيب ."٤٧

ج ـ الدعوة إلى زواج الفتاة بمن تحب :

يحث الطهطاوي الآباء على تزويج بناتهم بمن يحببن للحفاظ على المودة بين الزوجين وهي السبيل إلى السعادة الدنيوية وكذلك للحفاظ على المودة والتحابب بين الأخوة .وفي ذلك يقول :" ومن أحسن الإحسان إلى البنات تزويجهن إلى من أهوينه وأحببنه .. ثم إن الأولاد الناتجين عن آبائهم وأمهاتهم إذا حسنت تربيتهم وحسنت المحبة من الآباء لهم ، وحسن برهم لآبائهم ، كان في الغالب بينهم محبة ووداد بعضهم لبعض واتحاد والتئام وانتفت الغيرة منهم للتسوية بينهم في التربية والتآلف ، فيشبون عادة على المحبة بعضهم لبعض وتسمى هذه المحبة بالمحبة الأخوية

٤٨".

د ـ رفض تعدد الزوجات والدعوة إلي الزواج بواحدة :

سبق أن رأينا التزام الطهطاوي لامرأته الأولى بعدم التزوج عليها بثانية وهذه الحادثة دليل علي إيمان الطهطاوي بعدم تعدد الزوجات ودليل علي حبه لزوجته ووفائه لها دون غيرها من النساء إلي أن وافاها الأجل فتزوج خادمته وقد تبادلا المودة والإخلاص .

ويورد الطهطاوي قوله للشيخ عبد العزيز الدريني وهو أحد المتصوفة وهي : (إياك أن تتزوج علي امرأتك أو تتسرى عليها إلا أن وطنت نفسك علي نكد الدهر .)

وكان الشيخ يحذر الناس بعد أن تزوج علي امرأته منشدا :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي *** وقد حاز البلا زوج اثنتين

فقلت أعيش بينهما خروفا ***ينعم بين أكرم نعجتين

فجاء الحال عكس الحال دوما *** عذابا دائما ببليتين

رضي هذي يحرك سخط هذي (تلك) *** فلا أخلو من إحدي السخطتين

لهذي ليلة ولتلك أخري *** نقار دائم في الليلتين

إذا ما شئت أن تحيا سعيدا *** من الخيرات مملوء اليدين

فعش عذبا فإن لم تستطعه *** فواحدة تلاقي عسكرين

هـ ـ القول بالمساواة بين الرجل والمرأة :

لا يذهب الظن بالبعض إن المساواة تنفي التميز الجنسي . فقد أقر الطهطاوي المساواة بين الرجل والمرأة في التركيبة البيولوجية أي الاشتراك في الحاجات البيولوجية والروحية (المادية والمعنوية) والاختلاف يبقي في مستوي الأعضاء فقط . وقد ظل الطهطاوي مشدودا إلى العقلية التقليدية التي تعتبر الرجل محور الكون إن صحت العبارة لكنه يري أن المرأة خلقت لملاذ الرجل .يقول الطهطاوي

: (فالمرأة ، وإن كانت مخلوقة لملاذ الرجل ، ففيما عدا هذا الملاذ مثله ســـواء بسواء ، أعضاؤها كأعضائه ، وحاجتها كحاجته ، وحواسها الظــاهرة والباطنــة كحواسه ، وصفاتها كصفاته حتى كادت أن تنتظم الأنثى في سلك الرجال ... فــإذا أمعن العاقل النظر الدقيق في هيئة الرجل والمرأة ، في أي وجه كان من الوجــوه ، وفي أي نسبة من النسب ، لم يجد فرقا يسيرا يظهر في الذكورة والأنوثة ومــا تعلق بهما ، فالذكورة والأنوثة هما موضع التبــاين والتضــاد .)[٤٩] تتجلــي المساواة بين الرجل والمرأة في تمتع كل واحد منهما بالعقل وبالرغبة في تلبيــة نفس الحاجات البيولوجية والروحية .

فما عدا الذكورة والأنوثة لا تباين بين الرجل والمرأة .

وتتجلي المساواة بين الرجل والمرأة في المساواة أمام الحقوق والواجبات ولعــل ذلك هو الفهم الإيجابي والعملي لقضية المساواة ، بدلا عن الاعتقاد بأن المــرأة تساوي الرجل في القدرة علي كل الأعمال .

فإذا كان الرجل يشعر بالحاجة إلى التعلم وممارسة عمل ما وحرية اختيار شــريك الحياة فالمرأة أيضا تشترك مع الرجل في هذه الحاجات .

يخاطب الطهطاوي الزوجين فيقول (يجب عليها أن تفي بما يجب لزوجــها كمــا يجب أن يفي بما عليه لها . وكثير من الرجال يري أن له حقا علي زوجته وليس لها عليه حق وأن جميع ما يفعله معها جميل .)[٥٠]

الخاتمة :

لنتساءل في الختام عن حضور المرأة في فكر الطهطاوي من خلال ما وصلنا مــن أعماله .

لقد كانت المرأة الأوربية اكثر حضورا من المــرأة الشــرقية ، وكــانت المــرأة الفرنسية خاصة أكثر حضورا من المرأة المصريــة . وبذلــك يصــح القــول إن الأنموذج الغربي عامة والفرنسي خاصة له الغلبـــة علــي الأنمــوذج الشــرقي

المصري .

للمرأة عبر التاريخ وجود مكثف أيضا من خلال جانب توثيقي جمع فيه الطهطاوي أخبار المرأة في علاقتها بالرجل عبر التاريخ عند العرب وعند غيرهم يذكر ما يستطرف من أخبار ويستخرج العبرة منها والكتاب من هذا الجانب يكاد يكون موسوعة حول عدد لا بأس به من الطرائف نثرا كانت أم شعرا عبرت عن ذوق سليم في الاختيار لا يتوفر إلا لمن كان له إحساس مرهف بالجمال .

نتبين في خاتمة المطاف أن موقف الطهطاوي من المرأة هو موقف تقدمي في عصره بل لا يزال في الكثير من جوانبه تقدميا إلي أيامنا هذه لقد كان الخطاب الإصلاحي الذي يتوجه به الطهطاوي والمتعلق بالمرأة خال من التعميم علي العرب والمسلمين مقصور علي أهل مصر موطنه الأم . ولئن كان الطهطاوي يستمد أنموذجه للمرأة المتحررة من الأنموذج الفرنسي كما رسمته الثورة الفرنسية البرجوازية ١٧٨٩ فإنه لا يصل به حد الدعوة إلى تصور ثورة في كل المجالات علي الطراز الفرنسي وإنما هو مصلح ينطلق البنى التحتية ، من المجتمع ، من تعليم المرأة وتربيتها لتهذيب حال الأجيال مستقبلا ومن نشر المعرفة وتعميم وسائل التقنية ليتمكن الشعب من تحقيق تقدم صناعي يوفر النمو وينشر التمدن والرقي في البلاد . وبذلك يتحقق الحلم وهو بناء مجتمع مدني جديد .

ورغم مناداة الطهطاوي بتعليم المرأة وبمساواتها للرجل في الحاجات والحقوق والواجبات ودعوته المرأة إلى العمل وإيمانه بالزواج بواحدة فإنه في بعض المواطن يظل مشدودا إلي المنحى التقليدي الممعن في التزمت كقوله بالتسري وقصر وظائف السلطة والقضاء علي الرجال دون النساء ولعل المواقف التي ننعتها اليوم بالتقليدية ليست ذات بال في زمن الطهطاوي لأن ما أبدي من مواقف تقدمية بالنسبة إلي ما عليه المجتمع آنذاك يعد خطوة هامة إذ لا يمكن للتغير أن

يكون شاملا جميع الجوانب وبنسبة مطلقة لأن تعايش الأنماط أمر حتمي وتتطور مظاهر التجديد لتأتي شيئا فشيئا علي مظاهر التقليد . وما كان تقدميا في عصر قد يصبح تقليديا في عصر آخر .

ويظل الطهطاوي رمزا للمناداة بمجتمع متمدن متحضر قائم علي الحرية والعدل والمساواة والتآخي يعج حركة متقدة من أجل البناء والتشييد في مجال العلوم والصنائع تقبل فيه المرأة كالرجل علي العمل لتنمية المجتمع ونشر قيم الحب والتسامح .

ونختم بحثنا هذا بأن صورة المرأة الغربية كما رسمها الطهطاوي ليست هي صورة المرأة المصرية المنشودة بشكل آلي لأن المجتمع المدني كما يراه الطهطاوي يقوم علي أساسين من التمدن هما : (... التمدن أصلان :

١ ــ أصل معنوي [وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب ، يعني التمدن في الدين والشريعة . وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة التي تسمي باسم دينها وجنسها لتتميز عن غيرها فمن أراد أن يقطع عن ملة تدينها بدينها أو يعارضها في حفظ ملتها المخفورة الذمة شرعا فهو في الحقيقة معترض على مولاه فيما قضاه لها وأولاده حيث قضت حكمته الإلهية لها بالاتصاف بهذا الدين فمن ذا الذي يجترئ أن يعانده ؟(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)[هود١١٨]

٢ــ الأصل الثاني :" تمدن مادي ، وهو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة والتجارة والصناعة ويختلف قوة وضعفا باختلاف البلاد ومداره على ممارسة العمل وصناعة اليد وهو لازم لتقدم العمران ومع لزومه فإن أرباب الأخلاق والآداب يخشون صولة تقدم الفنون والصنائع ويخافون ارتفاع مراتبهم بقوة مكاسبهم في المنافع ."١٥

وكلا الأصلين لا يخرج عن الشريعة إذا ما تعلق الأمر بمجتمع إسلامي . وقد عبر الطهطاوي عن مفهومه المتميز لتمدن الممالك الإسلامية بقوله :" تمدن

الممالك الإسلامية مؤسس على التحليل والتحريم الشرعيين بدون مدخـــل للعقـــل تحسينا وتقبيحا في ذلك ، حيث لا حسن ولا قبيح إلا بالشرع ."٥٢

خصوصية مفهوم التمدن عند الطهطاوي لاشك أنها تشـــيع خصوصيـــة فـــي مواقف إصلاحية مختلفة للطهطاوي . وقد يفتح بحث الطهطاوي والمرأة البـــاب على بحوث أخرى كالعقل والشرع أو العلم والدين عند الطهطاوي.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

الطهطاوي (رفاعة رافع):

- الأعمال الكاملة ، دراسة وتحقيق محمد عمارة . ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣. في ٥ أجزاء.

الجزء الأول : التمدن والحضارة والعمران :

مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية .

الجزء لثاني : السياسة والوطنية والتربية :

المرشد الأمين للبنات والبنين .

- تخليص الإبريز في تلخيص باريز (أو الديوان النفيس في ديوان باريز) ط١/ الدار العربية للكتاب ، تونس ليبيا ١٩٩١.

المرجع :

ــ أمين (قاسم):

- تحرير المرأة الدار العربية للكتاب ، تونس ليبيا ١٩٩١ (ط ١: ١٨٩٩)
- المرأة الجديدة ، الدار العربية للكتاب ، تونس ليبيا ١٩٩١(ط١: ١٩٠٠)

ــ الحداد (الطاهر) : امرأتنا الشريعة والمجتمع ط/ دار صامد بصفاقس ١٩٩٨. تقديم مصطفى الكيلاني .(ط١: ١٩٣٠)

ـ السنوسي(محمد):

- الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشنوفي . في ٣ أجزاء . ط/ الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٦.
- نظام المدنية المفيد لكتاب العصر الجديدى . تقديم وتحقيق : جمعة شيخة ، حسين المزوغي ، جمال حمادة . ط١المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس ١٩٩٦.

ـ الشرفي (عدا المجيد) الإسلام والحداثة ، سلسلة موافقات عدد ٤، الدار التونسية للنشر ١٩٩٠.

ـ شعيب (علي) : العرب وأفكار عصر التنوير ، علاقات ما بعد الثورة الفرنسية . مقال بمجلة كتابات معاصرة . عدد ٨سنة ١٩٩٠.

ـ شكري (غالي) : النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث .ط/ الدار العربية للكتاب ، تونس ليبيا ١٩٨٣ .

ـ ابن أبي الضياف (أحمد) : رسالة في المرأة ، دراسة وتحقيق المنصف الشنوفي ، حوليات الجامعة التونسية عدد٥ سنة ١٩٦٨.

ـ عبد الملك (آنور) الفكر العربي في معركة النهضة ، ترجمة وإعداد بدلا الدين عرودكي ط٣/ دار الآداب ١٩٨١.

ـ المراكشي (محمد الصالح) قراءات في الفكر العربي الحديث والمعاصر . سلسلة موافقات عدد ٨ ؛ الدار التونسية للنشر ١٩٩٢

الرؤية اللغوية الاجتماعية

في مؤلفات الطهطاوي

إعداد

د / عبد المنعم عبد الحليم سيد

مدرس بقسم علم اللغة

كلية الدراسات العربية ـ جامعة المنيا

ملخص البحث : ـ

يهتم هذا البحث بكشف النقاب عن دور مهم وجديد للطهطاوي لم يتناوله أحد من الباحثين من قبل . حيث يهتم هذا البحث بدراسة الآراء اللغوية الاجتماعية للطهطاوي التي ذكرها في ثنايا مؤلفاته وترجماته المتعددة حيث ذكر الطهطاوي بعض الآراء اللغوية الاجتماعية ، كما أثار بعض القضايا المهمة التي تنتمي إلى صميم الدراسات اللغوية الحديثة .

وفيما يلي عرض موجز وسريع لهذه الآراء في جملتها بما يتفق وإمكانية هذا الملخص .

ـ فالطهطاوي ذكر في بعض كلامه أن الإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه وفطرته .

وهذه الصفة لا تتحقق للإنسان إلا عن طريق إحدي وسائل الاتصال .

وليس هناك وسيلة أفضل من اللغة لتحقيق هذا العمران وقيام المجتمعات الإنسانية .

ـ تأتي أهمية اللغة كوسيلة اتصال ـ لا يمكن لغيرها أن يؤدي دورها ـ بين أفراد المجتمع .

ـ ثم يلتفت الطهطاوي إلى هدفه الأساسي وهو تعلم اللغة الفرنسية ، فيثير هذا

لديه عددا من القضايا التي تتصل بهذا المجال مثل : ـ
ـ تمكن اللغة الأم وأثر هذا في تعلم لغة أجنبية .
ـ العلاقة بين التقدم العلمي للمجتمع وسهولة اللغة .
ـ التعليم بماذا يبدأ ، وكيف يكون ، وكيف يكون تعليم اللغات الأجنبية .
ـ ثم يقدم تحليلا لتركيب اللغة الفرنسية مقارنا إياها بطبيعة تركيب اللغة العربية .
ـ أيضا يتحدث عن الترجمة فيقدم تصورا للترجمة الصحيحة وشروطها ، وما يمكن ترجمته وما لا يمكن .
ـ كما يتحدث عن عملية التعريب وأهميتها في المجال العلمي .
ـ أيضا يتحدث عن قضية الكتابة ، واختلاف اللغات في هذا الموضوع .
ـ أخيرا يقدم الطهطاوي نموذجا للتأليف النحوي وكان رائداً في هذا حيث قدم لاتجاه جديد في التأليف النحوي يتصف بالبساطة والتيسير علي الدارسين والبعد عن التعقيد الذي يعد سمة لكل المؤلفات النحوية آنذاك .
ـ وبعد ...... فكل هذه الموضوعات والقضايا اللغوية لم تأت مرتبة أو مجموعة وإنما جاءت متناثرة في ثنايا مؤلفاته . وكان دور البحث فيها تجميع هذه الآراء ثم تصنيفها في موضوعات ثم تحليلها في ضوء الآراء اللغوية الحديثة .
وأخيرا ... أرجو أن أكون قد أسهمت بنصيب وإن قلّ في إحياء ذكري الشيخ الفاضل ، الذي يعد رائد الفكر الحديث في مصر ، بتقديم ما يفي ببعض جهده الرائع .

الصورة فى شعر الطهطاوى
" الوطن نموذجاً "

إعداد
د/ عصام خلف كامل
مدرس الأدب العربي بقسم /الدراسات الأدبية
كلية الدراسات العربية / جامعة المنيا

تشكلت مراحل الإبداع عند الطهطاوى عبر أطر مختلفة ، وقد انعكس هـــذا التشكل بكل تكويناته على صورة من أهم الصور فى شعره ، وهى صورة الوطـــن ، تلك الصورة التي أخذت تتنامى من موقف لآخر ، أو من مرحلة إلى أخرى .

وقد تتماهى قصيدة مع قصيدة فى حدود الإطار المرحلي الواحد ، وقد تتوازى معها عبر نسيجها المتشابك بمجموعة من البني اللغوية الواحدة ، إلا أننا سنجد بعداً تصويرياً فى كل موقف يجسد قضية وصورة الوطن عند الطهطاوى .

وبالرغم من أن الشعر عند ريفاتير " يعبر عن مفاهيم وأشياء تعبـــيراً غير مباشر وباختصار ، إن القصيدة تقول شيئاً وتعنى شيئاً آخر [١].

إلا أننا سنجد عكس ذلك عند الطـــهطاوى ، فـــهو يســـتخدم التعبـــير المباشر الذي لا يحتاج فيه الناقد إلى إعمال العقل أو بذل الجهد من أجل توضيـــح المعنى أو معرفته .

هذا بالإضافة إلى استخدامه للصورة التقريرية المباشـــرة فـــى عـــرض موضوعه حيث إنه ينأى عن الصور التي تتجاوز التعبير المباشر إلـــى الـــدلالات الرمزية .

وفى ذلك ما يبرهن على ارتباط الشاعر بعصره شكلاً ومضموناً كما أنـــه يميل إلى استخدام اللغة البسيطة التي قلما تجد فيها تعقيداً أو ازدواجاً فى المعنـــى

، بل اللغة المباشرة ، وتكاد الصورة أن تكون واضحة بكل المقاييس التصويرية والفنية ، ولا يحتاج القارئ إلى إعمال الذهن من أجل تفهمها .

ومن ثم سوف نسير فى خطا البحث على النحو التالي :

أولاً ــ "الغربة والغاية":

ونقصد من وراء الغربة أن الطهطاوى عاش فى غربة مستمرة يمكن تقسيمها على ثلاث مراحل وهى :

الأولى ــ تمثلت فى رحيله من طهطا إلى القاهرة لأجل إتمام تعليمه بالأزهر .

الثانية ــ تلك التي قضاها فى فرنسا مع البعثة واعظاً لها .

الثالثة ــ وتمثلها رحلة السودان حينما نفى من قبل الخديوي وكاد يهلك فيها .

هذه الغربة دفعته إلى بذل أقصى ما يمكن من أجل أن يثبت ذاته .

ومن الغربة تولدت الغاية فى حرصه كل الحرص على التفوق والظهور على الساحة القومية بما كان له من تطلعات يأمل فى تحقيقها ، ولعل هذه الغاية دفعته إلى عدم الاستسلام أو اليأس أو الخضوع .

ونحن لا نقصد بالغربة ما فسره سيجموند فرويد فى إصابة الشخص بالانفصام Schizophrenia أو الإكتئاب Depression أو ما أسماه بعصاب الوسواس القهري Neurosis Obsessive Compulsive (٢) .

وإنما نقصد بالغربة هنا الغربة المكانية ، أي غربة الشاعر فى وطنه ، أو بعيدا عن وطنه .

إذن المفهوم الخاص بالغربة هو غربة المكان ، وليس ما ورد تحت مادة (غرب) بلسان العرب بكل معانيها المادية ومن خلال ذلك تشكلت صورة الوطن عند الطهطاوى ، فقد ارتبط الطهطاوى بكل جزئية من جزئيات وطنه بل إنه صنع وقدم هذا الفكر من أجل خدمة وطنه .

وأمام هذه الصور المترامية الأطراف والنامية فى وجدان الشاعر شيئاً فشيئاً جاءت رحلته للسودان فقد " نقل الطهطاوى إلى السودان ناظراً لمدرسة ابتدائية ،

وتبعثرت القوى الحديثة ، وفرض الجهل والتخلف من جديد ـ هذا على أيام عباس ـ وليس من الممكن فى ضوء المصادر المتاحة تحديد سبب بعينه جعل عباس ينفى الطهطاوى إلى وظيفة بسيطة نائية " (٣) .

وجاءت الأقاويل التي تفند هذا النفي ، ومجملها أن عباس قد حاول هدم ونفى أصحاب الفكر التنويري الذين طالبوا بإقامة دولة حديثة .. وقد أثر هذا النفي على الطهطاوى تأثيراً بالغاً بل قد تناول من نفسيته فأصابها بالحزن على هذا الوضع المتردي ، انظر إلى قوله حالة نفية إلى السودان: " وإنما توجهت بالقضاء والقدر إلى بلاد السودان ، وليس مما قضاه الله مفر ، أقمت برهة خامد الهمة جامد القريحة في هذه الملمة حتى كاد أن يتلفنى سعير هذا الإقليم الغابر بحره وسمومه .. فما تسليت هنا إلا بتعريب تليماك وتقريب الرجا بدور الأفلاك " (٤) .

وعليه فإن صورة الوطن تمر عبر مجموعة من القوالب التصويرية التي تبين حب الشاعر لوطنه ، كما أن عنصر التصوير لدى الشاعر يسير عبر قنوات متنامية ، ففي شعره تجد أنك تقف فى بداية الأمر على صورة بسيطة ثم صور متراكمة أو ممتدة .. الخ ذلك .

ثانيا ـ التصوير عند الطهطاوى ـ

وسوف نحاول من خلاله الوقوف على " الغربة والغاية "و " سطحية التصوير " تلك التي ربط فيها الشاعر بين صور الوطن وصورة ممدوحه ، ونتطرق إلى " التطور التصويري والنمو العضوي " عند الطهطاوى ، وهذه ظواهر تصويرية نصل من خلالها إلى صورة الوطن عنده وكيف تنامي الخط الشعري لدية لتتلاحم الصور فتبدو شكلاً متكاملاً يعبر عن وحدة البناء الفني الملاحظ من خلال التطابق بين أجزاء الصورة الشعرية .

وقد حشد الطهطاوى فى شعره الكثير من المعاني التي تؤكد على الوطن ، والعناصر الأساسية فى بناء الوطن والارتقاء به وأمام إدراك الشاعر لقيمة وطنه

تبدو نزعة " الأنا ــ وال نحن" واضحة فى شعره ، فهو يفخر بالأنا المصرية ، واتبع ذلك بضمير العظمة نحن كدليل على عظمة مصر وقوتها ، كما إنه الشعور الجمعي فى استخدامه للضمير " نحن " ما هو إلا تفسير لحالة عند المصريين وهذا واضح فى قوله(٥) :

يا حزبنا قم بنا نسود	فنحن فى حربنا أسود
نحن البهاليل فى المعارك	نحن الصناديد فى المهالك
نحن لبوث الشرى كماه	نحن لأوطاننا حماة

...الخ

ونأمل من خلال البحث أن نقف على قيمة الوطن وصورته من خلال شعر الطهطاوى ، كما أننا نأمل من خلال هذا العرض الموجز أن نكون قد بينا البحث وأركانه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

◻ من هوامش البحث

(١) دلائليات الشعر ــ مايكل ريفاتير ــ ترجمة ودراسة محمد معتصم ــ ط١ــص٧ــ مطبعة النجاح الجديدة ــ الدار البيضاء / المغرب ١٩٩٧م.

(٢) انظر فى ذلك : ما كتبه دكتور أحمد عكاشة فى مقدمة ترجمة كتاب " ليوناردو دافنشى " مكتبة الأنجلو المصرية ــ ١٩٧٠م.

(٣) أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ــ د. محمود فهمي حجازي ــ ص٢٩ــ دار غريب / القاهرة .

(٤) انظر مقدمة الطهطاوى لكتاب " مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك "ــ وهذا نقلاً عن أستاذنا الدكتور محمد فهمي حجازي فى كتابة أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ــ ص٢٩.

(٥)   ديوان رفاعة الطهطاوى ـ جمع ودراسـة دكتـور طـه وأدى ـ دار المعارف /مصر .

صورة مصر في شعر رفاعة الطهطاوي

د / عيد حجازي عبد العليم

يتناول هذا البحث جزءا من جوانب حياة الطهطاوي منذ النشأة حتى صار معلما بالأزهر الشريف ، ثم يتعرض لفترة حياة الطهطاوي في الغربة بين باريس والخرطوم وأوضاع المجتمع المصري في فترة حياة رفاعة الطهطاوي التي تمتد من عام (١٨٠١ : ١٨٧٣) م .

ويجعل أهم روافد ثقافة الطهطاوي مستمدة إحداهما من التراث العربي القديم بجميع روافده الدينية والتاريخية والفكرية والفنية .

والأخرى مستمدة من الفكر التنويري الفرنسي الذي عاشه الشاعر / الطهطاوي في فترة غربته في باريس من (١٨٢٦ : ١٨٣١) م .

ثم يعرض البحث عن صورة مصر من خلال ما أبدعه الطهطاوي من شعر ، وتتعدد تلك الصور وهي تناسب فترات حياة الشاعر فيتحدث في البداية عن صورة مصر وعلمها من خلال الأزهر الشريف وعلمائه ويبين أن الأزهر بعلومه وعلمائه كأنهم شموس أضاءت ظلمات الأرض وعبير علومهم عم الورى كلهم .

ويتحدث عن صورة النيل رمز الخير والعطاء في مصر ، عطاء بلا حدود ، وفيض دون مقابل ، وإذا كانت مصر هي جنة الله في أرضه فإن النيل هو كوثرها الشهي . ويشبه بعض حكام مصر في كثرة عطاياهم وجودهم بالنيل ، كما يجعل مصر غنية ومستغنه بالنيل عن كل ما في الدنيا ، والطهطاوي يؤكد في حديثه عن صورة مصر من خلال النيل وأنها جنة عظيمة تساوي جنة عدن بدون الحاجة إلي إيمان تؤكد ذلك .

وفي معرض حديث الطهطاوي عن مصر وفخره بحضارتها يتذكر ما فعله أجداده من الفراعنة من حضارة ، وأن انتماءه لمصر فخر له ، وأن المشروعات التي تقام حديثا وادخلها " إسماعيل " تعادل الحضارة القديمة وستظل باقية كبقاء

الأهرامات ، ويذكر أسماء بعض المدن القديمة التي لها دور مهم في صناعة التاريخ والحضارة ليس لمصر فقط بل للمنطقة كلها .

وعندما يحن الشاعر إلي وطنه في فترات الغربة التي قضاها في باريس (١٨٢٦ : ١٨٣١) م والفترة التي قضاها في السودان (١٨٤٩ : ١٨٥٠) م فيذكر أولاده الذين تركهم في طهطا ، وكيف أنه لا تروق له الدنيا بعيدا عن مصر لما فيها من نعيم وأهل وصحبه .

ثم يفتخر الشاعر بمصر، ويفتخر بالنيل والتاريخ والعلوم والجنود ، ويذكر فضلها في كل المجالات ، وما أحدثه العصر من مدنية حديثة من إدخال التيار الكهربائي ، وفتح القناة أمام الملاحة البحرية ، وخطوط السكك الحديدية ، والتلغراف والبريد ، وخزانات المياه العالية .

ويتحدث عن قوة مصر وجيشها ، وأنهم شجعان يخضون المعارك ولا ترهبهم قوة العدو لأنهم مدربون تدريبا جيدا ويستعرض الأسلحة والمعدات والحصون والقلاع وتنظيم الجنود في المعارك وقوة بأسهم وسداد رأي القادة ، وأن القاهرة ستظل قاهرة لأعداءها جميعا .

ثم يختم البحث بالحديث عن بعض مظاهر شعر رفاعة الطهطاوي من الناحية الفنية ، ولعل من أبرزها تأثره بأسلوب القرآن الكريم ، وتميز شعره بالوضوح في الصورة المقتصرة في معظمها علي التشبيه واستخدام الكلمات بنفس دلالتها المعجمية والبعد عن الغموض ، ولعل هذا البحث يكون قد أضاف ولو قليلا إلي أدب رفاعة الطهطاوي وإلي مصرنا العزيزة ، وأسال الله تعالي أن يوفقنا إلي ما فيه الخير في الدين والدنيا والآخرة ، وهو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب .

ملخص بحث

الفكر النحوي عند رفاعة الطهطاوي

كما يبدو في " التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية "

الدكتور/ يوسف أحمد جاد الرب
كلية الآداب جامعة أسيوط

ثمة أسماء أعلام ما تكاد تذكر حتى تذكر معها معان معينه متشحة بها لا ينفك أحدها عن الآخر ، وصاحب هذه السطور واحد من هؤلاء الأعلام ، فما يكاد يذكر رفاعة الطهطاوى حتى تتوارد معاني التنوير والنهضة والتحديث ، ولا مثلبة فى ذلك ؛فالطهطاوى واحد من أبرز رجالات التنوير والثقافة والفكر ، وعلم من أعلامه فى القرن التاسع عشر ، بل هو رائد النهضة الثقافية فى مصر آنذاك ولا عجب فى ذلك ، وقد رزق الرجل منذ نعومة أظافره من الصفات الخلقية والخلقية ما جعله أهلا لأن يتبوأ هذه المكانة ، ويجدر هذه المنزلة .

وقد بدأت همته العالية وروحه الطموح منذ أن رشح إماما للبعثة إلى فرنسا ، فراح يتعلم الفرنسية ليعرف علوم أهلها وينهل من معارفهم ، فكانت ثمرة ذلك هذه المؤلفات والمعربات الكثيرة لتكون نواة وأساسا لهذه الحركة الفكرية والنهضة الثقافية فى مصر المحروسة حينئذ .

وفى هذه المؤلفات والمعربات المتعددة فى شتى ألوان المعرفة فى العلوم والآداب تبدو موسوعية الطهطاوى جلية ، فجهوده العلمية جديرة بأن تذكر وفضله فيها لا يمكن أن ينكر . وهذا البحث لا يدعى استقصاء أعمال رفاعة الطهطاوى وجهوده العلمية من تأليف وترجمة وتعريب ، كما لا يروم تحليلها ، فهذا لا يتسع له المقام هنا ، كما أنه ليس من مناط هذا العمل ، وقد تكفلت دراسات أخرى به .

ومهما يكن من أمر ، فإن الجهود على كثرتها وتنوعها تؤكد موسوعية الطهطاوى ، وحسن استيعابه وتمثله لعلوم الغرب ، كما تبرز سعة

أفقه ورحابة فكره ، بحيث يعد حقا رائد الفكر العربي الحديث ، ذلك الفكر الـــذي تغلغلت أصوله لدى رفاعة ، وقد عرض أستاذنا الدكتور محمود فـــهمي حجـــازي لأصول هذا الفكر من مناح متعددة : سياسية واقتصادية واجتماعيـــة وتربويـــة وعلمية عارضا لها بالتحليل من خلال مؤلفات الطهطاوى .

بيد أن ما يعنينا منه هو الجانب اللغوي عند رفاعـــة عامـــة ، وفكـــره النحوي خاصة ، وذلك كما يبدو فى " التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية "

فمن يممعن النظر فى هذا المؤلف يجد الطهطاوى ذا رؤية لغوية واضحـــة ، وفكر نحوى جلى ، وقد تمثل فكره النحوي فى هذا الكتـــاب فـــى مظـــهرين رئيسين :

أ. فى منهجه وتبويبه النحوي .

ب. فى التفريعات والمسائل .

فأما المظهر الأول ، من حيث منهجه فى التناول وتبويبه النحوي ، فربمـــا تلخص فى الآتي :

١.منهجه الخاص فى تبويب الأبواب النحوية فضلا عن ترتيـــب أبـــواب الكتلـــة الواحدة .

٢.اعتباره الحالة الإعرابية فى الترتيب والتبويب دون الاعتـــداد بنـــوع العنصـــر اللغوي أو الوظيفة الموقعية .

٣.عمق فكره النحوي وإدراكه للمعاني العميقة بين الأبواب النحوية

٤. طغيان فكرة العامل واعتداده فى ثنايا كتابة .

٥.إدراكه لفكرة التقابل بين العناصر اللغوية المعينه وما يصاحبـــها مـــن حـــالات إعرابية خاصة بها .

وأما المظهر الثاني في التفريعات والمسائل ، فكان من أهم سماته :

١. الإلحاح على الفكرة وتبسيطها ولو بتكرارها .

٢. عقده بابا فى الجمل الخبرية على الرغم من قرب هذا أكثر من الدراسة البلاغية .
٣. اختتامه معظم مسائله النحوية بجداول تجمع شاردها ،وتركز واردها .
٤. ربطه النحو العربي بأمور أخرى مهمة ترتبط به ارتباطا وثيقا كالخط والإملاء والقراءة الحسنة .

إلى جانب أمور أخرى سوف يكشف عنها البحث مفصله .

هكذا يبدو الفكر النحوي عند رفاعة الطهطاوى من خلال كتابه " التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية " ، وهو ما جاء مجملا فى هذه العجالة ـ سيأتي تفصيلا فى ثنايا البحث .

مع صادق دعواتنا بنجاح هذا المؤتمر ، وسداد خطى القائمين عليه .

حول منهج البحث عند رفاعة الطهطاوى

من خلال كتابه

(نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز)

بقلم / محمد عبد الحكيم القاضي

المقصود من هذا البحث ـ الذي أعجلني عن التأني فيه شو اغل الفكر ، وجوائح البدن ـ هو تجلية جانب من الجوانب العلمية التي تكاد تكون مجهولة عند الطهطاوي، في غمرة البحوث التي تعنى باتجاهاته الحديثة المنحازة إلى روح الفكرة الغربية ، وهذا الجانب هو جانب التصنيف الديني .

وإذا صح لنا أن نرجح أن كتاب نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز تعد أخر الكتب التي صنفها الطهطاوي إذ وافته المنية قبل أن يكتب مقدمة له ، أقول إذا صح لنا أن نرجح هذا فقد يخفف ذلك الاستنتاج من المغالاة في نسبته كلية إلي التحيز للثقافة الغربية ، خصوصا وأن الجزء الأخير منه يفهم من خلاله ـ إن لم يعبر صراحة ـ أن نظام الدولة في الإسلام هو نظام مسنون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فالإمامة العظمى في نظره هي منصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى استحقاق التصرف العام على المسلمين ، وحيث أطلقت الإمامة فإنما تنصرف للخلافة وهى بهذا المعنى رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا وخلافه عن النبي صلي الله عليه وسلم " وهو يعد نصب الإمام واجبا علي الأمة بالشرع وجوبا كفائيا " وهذا الذي سبق هو الفكر الفقهي الأصيل الذي ثار عليه أصحاب النزعة الغربية فيما بعد .

ومن أهداف البحث تبين بعض ملامح المنهج في كتابة الشيخ رفاعة الطهطاوى الذي يمثل الكتابة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري وهي مرحلة تاريخية تحتاج إلي مزيد بحث فيما يتعلق بالمنهج فى كتابات أعلامها فى مختلف المجالات .

وتتلخص أهم ملامح المنهج عند الطهطاوى وفى السيرة فيما يلي : ـ

١ ـ ما يتعلق بالمصادر : ـ

يظهر في كثرة المصادر والروافد العلمية في الكتاب ، ففي بحوثه في السيرة المختلفة مثل (الروض الأنف للسهيلى ، وسرة ابن هشام ن وكتاب النجم الغيطى في السيرة ، وتاريخ ابن الأثير ، والسيرة الحلبية ، وغيرها فإذا ما تعرض لأية من الآيات انصبت أسماء كتب التفسير كالرازي والبيضاوى والقرطبي ، وهكذا الحال إذا ما تعرض للمباحث المختلفة فى العقيدة أو الفقه أو غيرها

وتعامله مع هذه المصادر موفق إلي حد كبير ، فهو ينقل النص المفيد في بابه ، ويمزج أحيانا بين النصين بطريقة منهجية .

٢ ـ ما يتعلق بالتعامل مع الوقائع : ـ

وهو هنا يغلب عليه جانب الميل إلي التحري ، والتحقق من الروايات ، ففي قصة المعراج ، يذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم العرش ، ويرده بأنه : ـ

• ليس بصحيح وليس بثابت ، بل وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلي ذروة العرش لم يثبت في حديث صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا ، وإنما صح في الأخبار انتهاؤه إلي سدرة المنتهي فحسب)

وكذلك عدم إقراره لبلوغ النسابين بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوغا تفصيليا

إلا أن هذا الميل إلي التحري لم يسلم من الزلل كأي جهد بشري ، ففي حديثه عن القصة المشهورة بقصة الغرانيق أورد هذه القصة ، وذكر في صدرها ما يدل على اطمئنان لصحتها علي الرغم من أن نقاد الحديث ودارسيه قديما وحديثا ردوها ، وكذلك أصحاب النظر من الباحثين فمن الذين ردوها قديما البيهقى والقاضى عياض في الشفا ، ومن المحدثين محمد عبده ، ومحمد محمد أبو شهبه ، وناصر الدين الألباني .

وثمة ملمح آخر في تعامل الطهطاوى مع الروايات وهو محاولته الاستنباط من الوقائع التاريخية ن ولعل من الأمثلة الواضحة علي ذلك قوله تعليقا على بكاء النجاشي وأصحابه حين سمعوا القران ، من المهاجرين إلي الحبشة " وتفهم من

فيض عين النجاشي وأصحابه بالدموع حين سماع قراءة جعفر رضـــي الله عنـــه سورا من القرآن ، وأن له ولأصحابه معرفة بالعربية الفصحى ، فلعل بـــلاد هـــذا النجاشي المتملك عليها هي الأراضي المجاورة لأرض اليمن ، ويبعـــد أن تكـــون هذه السور ترجمت لهم من العربية بلسانهم لان الترجمة لا تؤثر في قلوبهم حتـــى تفيض دموعهم ، ويدل عليه فيض دموع الحبشة القادمين مع جعفـــر رضـــي الله عنه لما تلا عليهم سورة يس "

إلا أن استنباطات الطهطاوي كاستنباطات أي مؤرخ قـــد يشـــوبها الســـهو لعـــدم استحضار العناصر الروائية المختلفة ، ففي ذكره بناء العرب الكعبة علـــي غـــير قواعد إبراهيم وتعليق النبي صلى الله عليه وسلم علي ذلك بقوله لعائشة : ـ

" ولولا حدثان قومك بالجاهلية لنقضت بناء الكعبة وأظهرت قواعد الخليل "

يقول الطهطاوي " ولم يعش صلى الله عليه وسلم ولم يتفرغ الخلفاء لذلك "

ولو أن لدي الطهطاوى النص الذي أورده صاحب الجامع اللطيف عن ابن عبـــاس ناهيا الزبير عن هدم الكعبة حتى لا تظل تهدم وتبني فيتهاون الناس بحرمتـــــها ، أقول لو وقع له ذلك لغير قوله " ولم تتفرغ الخلفاء لذلك "

٣ـ ما يتعلق بصياغة التصنيف :

وهو أمر له اتصاله بمنهج البحث من حيث أن صياغة النتائج تعد أهم خطـــوات البحث لأنها ثمرته .

ويلاحظ علي صياغة الطهطاوي في سيرته أن قالبها العام قريب الشـــبه بطريقـــة المصنفين القدامى في السيرة والتاريخ ، ومن مظاهر ذلك :

١ ـ جريه على مناهج القدماء في التأريخ بالسنين :

ونظرة إلي فهرست الكتاب بجزئيه لا تدع مجالا للريبة في ذلك خصوصا البـــاب الرابع الذي اشتملت فصوله علي تواريخ كل سنة بعد الهجرة ، ظواهرهـــا ومـــا فيها من الغزوات .

وهو يضم إلي ذلك مواليد السنة ووفياتها ، ففي أحداث السنة الثانية يقول : " وفي هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير " وفي أحداث السنة الرابعة يحرص علي تسجيل أنه " في هذه السنة توفيت فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف "
كما يحرص علي تسجيل بعض الأحداث الأخرى كإسلام عروة بن مسعود الثقفي في أحداث السنة الثامنة وحج أبي بكر بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إحداث السنة التاسعة .

٢ ـ البحوث الاستطرادية :

وهي ظاهرة في الكتب المطولة من السيرة الذاتية كسيرة ابن هشام والسهيلي وغيرهما ، أما أن توجد هذه بصور واضحة في سيرة مختصرة كالتي بين أيدينا فهو أمر يستحق التوقف إذا كثرت البحوث الاستطرادية التي ليست من جنس التاريخ ، وإنما يدعوه اليها الموقف فهي من سياق الموقف لا من جنس الفن العلمي ، وهذه البحوث الاستطرادية أنواع :

(ا) منها البحوث الفقهية :

كبحثه في أثناء حديثه عن عام المولد الشريف مسألة حكم رواية الواعظ لمقتل الحسين رضي الله عنه ، وقد يطول هذا البحث لدرجة أنه يستخدم كلمة (رجع) للرجوع إلي أصل الكتاب .

(ب) بحوث العقيدة : ـ

ومن أمثلة ذلك إيراده بحثا مطولا فيما يجب في حق الأنبياء عند تعرضه لقوله تعالي
" وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي" فقد استغرق في هذا البحث من (٢ / ١٠٩ : ٢ / ١١٢)

(ت) بحوث بلاغية :ـ

مثل ذلك البحث الذي عقده في إحدى المحسنات البديعية : " يقال له غريب الاتفاق "

فهو يفسره ويعرفه ويذكر أمثلة له من الشعر والنثر ، وكل ذلك في تعليق علـــي بيت لابن الفارض وهو قوله مضمنا ذكر أهل بدر

فليصنع القوم ما شاءوا لأنفسهم

هم أهل بدر ، فلا يخشون من حرج

(ث) بحوث في الأديان : ــ

فهو مثلا ينتهز فرصة الحديث عن تحويل القبلة وذكر اليهود فيفرد مبحثا ليـــس بالقصير حول اليهود وفرقهم والتوراة وأقسامها يشغل ثـــلاث صفحـــات ، علـــى الرغم من أن الحادثة نفسها استغرقت أربعة اسطر .

(ج) بحوث تاريخية :

كذلك المبحث التاريخي الذي عقده في الحديث عن أمية ابن أبـــي الصلـــت بعـــد قصيدته الحائية المشهورة علي الرغم من ورود نهي النبي صلى الله عليه وســـلم عن روايتها .

(ج) بحوث أخري

منها ما هو لغوي ، ومنها أصولي ، ومنها ما يتعلق بما يســـمي عنـــد القدمـــاء بأبواب الأدب ، إلي غير ذلك من البحوث .

٣ ــ محاولة استقصاء الأقوال المختلفة : ــ

فقد أحصي في تسمية غزوة الرقاع وسببها ثمانية أقـــوال ، ولـــم يعلـــق عليـــها مرجحا ، وهذا كثير في صنع القدماء ، وان كان أحيانا يجمع بين الأقوال ويعتـــذر لبعض أصحابها ، كصنيعه حين أورد بيعة العقبة الثالثة " التي هي فـــي الحقيقـــة بيعة ثانية ، لأن الأولى لم تكن بيعة كما تقدم ، ولعل من عد البيعات ثلاثا اعتـــبر أن بيعة العقبة الأولى التي اجتمع فيها الخمسة من الخزرج كانت بيعة سكوتية ."

بعض مظاهر التجديد في التدوين عند الطهطاوي : ــ

إن هذه السلفية في التصنيف لم تتخلص من مظاهر التجديد التي شابتها ، وهـــو أمر لا ينبغي أن يكون غريبا علي مثل الطهطاوي ، في أفقـــه الواســـع وســـيرته العلمية والعملية ذات الطابع التجديدي .

فمن أمثلة ذلك : ـ

من حيث الشكل : ـ

ما صنعه الطهطاوي من إلحاقه بحثا متكاملا عن نظام الدولة الإسلامية وعمالاتها ، واعتباره هذا البحث الذي يتكون من ٣٢١ صفحة متمما لكتاب نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز وهذا الصنيع لم يدرج عليه المتقدمون في كتابة السيرة ، وإنما درجوا علي ختام كتبهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بذكر بعض أخلاقه وصفاته ومعجزاته وأزواجه وقرابته ومواليه ... وهو ما صنعه الطهطاوي في الباب الخامس الذي يمثل الجزء الثاني من الكتاب .

ويمكن أن يضاف إلي سلاسة العبارة وحسن التخلص من الاستطرادات علي كثرتها إلا في النادر ، وإدراجه النصوص الجديدة التي لم تكن عند المتقدمين ، كما صنع بإدراج أكثر همزية العلامة عبد العزيز الزمزمي التي عارض بها همزية البوصيري والتي استغرقت سبع صفحات من (٧٥ : ٦٣)

(ب) من حيث المضمون :

إلي جانب الأثر الذي تركه شكل التصنيف في مضمونه يمكن أن نضيف أيضا مثالا للتجديد المنهجي في تسجيل نتائج بحثه في السيرة متمثلا في معالجة الطهطاوي ما يمكن أن نسميه بفقه السيرة ن أو الجوانب التربوية فيها وهو أمر تكاد تكون السير التقليدية قد خلت منه .

إلا أن الباحث يجد بعض ذلك منثورا في نهاية الإيجاز مثل تعليقه علي ما روي من مصاحبة حفر الخندق للعسرة والمجاعة ، حتى شد الصحابة الحجر علي بطونهم من الجوع والجهد ، وشكواهم إلي النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، قالوا " ورفعنا عن بطوننا عن حجر ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين " علق علي ذلك بقوله :

" وهذا منه صلى الله عليه وسلم تعليم للأمة الصبر علي الجوع ، وإلا ففي الحقيقة هو مطعم شبع من فيض مولاه "

تقويم عام للمنهج :

ربما قادتنا السطور السابقة وتقليب النظر في مصنف رفاعة إلطهطاوي في سيرة النبي

صلى الله عليه وسلم إلي القول بانه مصنف يعبر عن شخصية منهجية بذلت مجهودا واضحا في جمع المعارف المتنوعة ، أخبارا وآدابا وأحكاما ودراسات متعلقة بالسيرة المباركة ، من مصادرها المتعددة والمتنوعة ، وهي شخصية حاولت بصورة واضحة أن تظهر بمجهودها العلمي في هذه المصادر .

وقد جنحت هذه الشخصية المنهجية إلي أن تصبغ تسجيلها لفحوي بحثها بالروح التراثي السلفي بما في هذا النمط من إيجابيات وسلبيات كما أنها حاولت ألا تحوم خبرتها البحثية من أنفاس التجديد . فأضافت من الجديد ما لم يتوسع فيه القدماء ، أو ما لم يكن لهم عهد به في هذا اللون من لتصنيف ، وقد يكون أدى ذلك إلي إغفال بعض أدوات منهج البحث العلمي في السيرة خاصة ، كالتمكن معلوم الحديث النبوي ومصطلحه وحيازة الأدوات الفقهية فيما تعرض له من موضوعات علمية إلا أن هذا إلي جانب وجوده في كثير من مصنفات السابقين ـ باعتبارهم بشرا ـ يمكن أن يعتذر عنه بأمرين :

الأول : ما يظن من تركيز اهتمام المصنف في أخريات أيامه بجمع شئ من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يختم به حياته دون أن يضع جل تركيزه في الدرس العلمي المتأني ،

وأما الثاني : فانقضاء أجل المصنف ـ رحمة الله ـ قبل مراجعة نسخته بدليل انه طبع مؤلفاته كلها في حياته ألا هذا الكتاب الذي طبع سنة ١٢٩١ بدون مقدمة ، وكتاب تعريب القانون المدني الفرنساوي الذي طبع سنة ١٢٩٢ هجرية . ولعله لو بقي حتى اشرف على طباعته لاستدرك بعض ذلك أو جله .

ولعل هذه السطور تكون دعوة إلي مزيد من الدراسات المتأنية في نهاية الإيجاز للطهطاوي ، تكشف عن أدواته العلمية ، وخصائصه المنهجية ، ومعارفه المتنوعة .

ملخص بحث

إرهاصات أدب الأطفال عند الطهطاوى

د.حسن إسماعيل عبد الغنى

كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا

-١-

يحاول هذا البحث إلقاء الضوء على البدايات الأولى التي واكبت التفكير فى تخصيص أدب للأطفال ، والمتمثلة فى جهود أحد أبرز رواد التنوير فى العصر الحديث رفاعة رافع الطهطاوى .

واللافت للنظر أن الدراسات الحديثة التي أرخت لنشأة هذا الفن الأدبي الذى خاطب وجدان الطفل لم تشغل نفسها كثيراً بالوقوف أمام إسهامات رفاعة الطهطاوي فى هذا الميدان ، بل تخطته – فى كثير منها و أبرزت ما قدمه محمد عثمان جلال (ت ١٨٩٨) من ترجمة لأعمال لافونتين ، وإعادة صياغتها وتمصيرها وتقديمها لأطفال المصريين فى مائتي حكاية ، محملة بجذورها الفرنسية فى صياغة عربية باسم " العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ " ، ثم ثنت هذه الدراسات بالحديث عن حكايات أحمد شوقى (١٨٦٨ – ١٩٣٢) للأطفال ، والتي نظمها على ألسن الحيوان، والمطبوعة في الجزء الرابع من الشوقيات .

-٢-

والثابت أن ما قدمه رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) من إسهامات كانت بمثابة إرهاصات لأدب الأطفال سبقت جهود محمد عثمان جلال وأمير الشعراء أحمد شوقى ، فالطهطاوي عقب عودته من فرنسا ، ومن منطلق موقعه التعليمي بمصر ، لم يتردد فى صياغة أدب خاص بالناشئة على غرار ما كان يقدم لناشئة الفرنسيين ، وقد صرح بذلك فى صدارة كتابه المرشد الأمين للبنات والبنين قائلا " صدر لى الأمر الشفاهى من ديوان المدارس بعمل كتاب فى الآداب والتربية ،

يصلح لتعليم البنين والبنات على السوية ، فشمرت عن ساعد الاجتهاد وعملت هذه المجموعة التي جاءت وفق المراد ، لم تدع فى هذا المعنى لعين المتمني مطمعا، ولا لقوس الاقتراح منزعا زفت إليها أبكار المعالي ، وحفت بمبتكرات المعاني ، وسميتها " المرشد الأمين "للبنات والبنين " وانطلاقا من رؤيته الاستشرافية ، ونزعته التجديدية أدخل قراءة القصص والحكايات فى مناهج الدراسة الابتدائية لتلاميذ "مدرسة المبتديان" ، ليطالع أحداث المصريين وللمرة الأولى الحكايات المترجمة من مثل " حكايات الأطفال " و" عقلة الصباع" ، وبذلك أسهم فى تقريب الأطفال من عالم الأدب داخل مقررات التعليم الابتدائي فى سابقة لم تشهدها المناهج الدراسية من قبله إلى جانب ما سبق خص الناشئة عبر نظمه الشعري بقصيدة جاءت فى نهاية ديوانه حمل عنوانها الخطاب المباشر لهم بعنوان "منظومة فى تأديب النشء " والقصيدة كما قدم لها الدكتور طه وادي جامع ديوان الطهطاوى تذكر فى مجال تربية النشء على المستويين العلمي والأخلاقي .

-٣-

والمتأمل فى إرهاصات الطهطاوى للنشء يجدها تصدر على محاور ثلاثة هي :-

المحور الأول : نشر القيم التعليمية التهذيبية بينهم .

المحور الثاني : ربط النشء بالوطن .

المحور الثالث : ربط النشء بالدين .

وهذه المحاور تشكل جانبا مهما من سمات الكتابة الأدبية للطفل كما قعدها كتاب الأطفال فى عصرنا ، حيث أجمعوا على ضرورة مراعاتها عند كتابة أعمال إبداعية للطفل .

مجتمعة كانت أو متفرقة وبخاصة المحور الأول ، فلا يكاد يخلو عمل أدبي للطفل إلا واحتوى مضمونه أو ازدانت خاتمته بقيمة تعليمية تهذيبية ، هدفها مراعاة الفارق الإدراكى والتخيلي للطفل ، ونجد ذلك بكثرة فى حكايات شوقى للأطفال.

والطهطاوى عندما دار فى فلك هذا المحور قدمه بما يتفق مع فكره وطبيعة عصره ، أما فكره ـــ فقد جمع بين الجذور التراثية والزاد العلمي القادم به من رحلته التنويرية بفرنسا ، ولقد استطاع أن يوظف هذا الزاد الفكري فى خطابه للنشء بما يوافق طبيعة عصره الذى أطبق عليه الجهل والفقر والشعوذة ، من هنا ركز على نشر وبث الغايات التعليمية والقيم السلوكية بين (البنين والبنات) ليعينهم على الاقتراب من الحياة ، وفهمها ، ويسهم فى تربية جيل واعد يخرج بقوة من عباءة الجهل والتخلف ، ولعل هذا ما دفعه إلى تأليف كتابه (المرشد الأمين للبنات والبنين) والذي يكشف عنوانه من الوهلة الأولى عن غاية تربوية ، ويتضح ذلك من خطته التي أقامها الطهطاوى على مقدمة وسبعة أبواب ، تفرعت عنها فصول ،عالجت الكثير مما يهم البنين والبنات ، كبيان تربية الأطفال من الذكور والإناث ، وفى تعليم الأطفال حين تربيتهم أحوال المعاد كالمعاش ، وفى اشتراك الذكور والإناث فى بعض الصفات وافتراقهما فى بعض ، وفى تشريك البنات مع الصبيان فى التعلم والتعليم ، وفى المدارسة والمطالعة ، إضافة إلى فصول دارت حول الوطن والدين والسياسة ، وعموم القرابة وحقوق بعضهم على بعض ، وواسطته فى توصيل ذلك كله خطاب تقريري مباشر يفصح عما يرمي إليه دون التواء .

وعلي الجانب المقابل تعد قصيدته " منظومة في تربية النشء درساً وعظياً حث فيها النشء علي بر الوالدين ، وحسن السلوك ، وضرورة التزامهم بالأدب ، والقناعة ، والنظافة ، وامتثالهم لحميد الصفات ، والرفق بالفقير ، والخوف من الله ، وحفظ كتابه الكريم ، والبعد عن الخصال الذميمة كالغضب ، والعناد ، وإفشاء السر ، إلى جانب تنويهه علي ضرورة احتشام البنات وعفتهن .

والمتأمل لهذا النسق الأخلاقي يلحظ فيه نبرة وعظية ، وصوت عقل متأمل ، وكأنه يرسم للناشئة دستوراً أخلاقياً يتناسب مع واقعهم ، وإن اختلفنا معه في الإفراط في التقريرية المباشرة ، التي لا تتناسب وما يقدم من أدب للأطفال في عصرنا الحالي

ـ ٤ ـ

والطهطاوي في المحور الثاني يرغب في ربط النشء بوطنهم ، فمقطوعاته الشعرية الوطنية كما لاحظها الدكتور طه وادي " أقرب إلى طبيعة النشيد الحماسي ، الذي يلهب المشاعر ، ويعبئ الهمم ، ويربي النشء " وربما كان للغزو الأجنبي أثره في محاولة نظم الطهطاوي ما يساعد علي إيقاظ الحس الوطني في نفوس الناشئة ، وتذكيرهم بأمجادهم وتاريخهم المشرف ، ولقد جمع هذه المعاني في قوالب نظمية ، بثها في كثير من مؤلفاته كالمرشد الأمين ، ومنظومة وطنية مصرية ، وفي بعض أعداد من مجلة روضة المدارس .

ولقد خص الوطن بمباحث عدة في كتابه المرشد الأمين تحدث فيها عن تعريفه لمفهوم كلمة وطن ، وما يجب علي أبناء الوطن من ولاء وحب له .

ـ٥ـ

ويمثل المحور الثالث ــ ربط النشء بالدين ــ واحدا من الركائز الرئيسة التي حاول الطهطاوي تقديمها للنشء ، وبخاصة في كتابه " المرشد الأمين للبنات والبنين " حيث أفرد لها فصلاً بعنوان " تعويد الأطفال من أول شبوبيتهم علي العقائد الدينية والتغذي بألبان الأحكام الشرعية " ، والرجل في هذا المبحث ينطلق من قناعة أثر هذه التربية الدينية علي صلاح أمر النشء ، وعلي ضرورة تأدبهم بكتاب الله الكريم ، والعكوف عليه وحفظه ، ومدارسة سنة نبيه الأمين .

وبعد ، فالطهطاوي بإرهاصاته المستنيرة استطاع أن يعبد الطريق لمن جاء بعده ، ويرسم الملامح العامة لخطاب الطفل الأدبي ، ونحن لا نستطيع أن نحاسب الرجل علي ما قدم من إرهاصات في مجال أدب الأطفال بمفهومنا المعاصر لهذا الأدب ، لكن علينا أن نقدر جهده حسب ما قدمه ومعطيات عصره ، فقد خاطب النشء واقترب منهم ، وكانت نظرته شمولية في بلورة الملامح الرئيسة لتربية النشء علي أساس تربوي خلقي ، وبأسلوب تقريري مباشر ، ووعظي عالي النبرة ، نلحظ من خلاله شخصية الطهطاوي رجل الدين ، الذي استمد معينه من علوم السنة ودروس الأزهر الشرعية ، الأمر الذي غلب عليه الجانب الأخلاقي في خطاب النشء ،

بينما نري الطهطاوي المحمل بثقافات الغرب ، المطلع علي آدابهم في إسهاماته في مجال الترجمة ومعه طلابه عبر نقل القصص العالمي إلى العربية ليدخل ضمن مقررات الدرس في المدارس الابتدائية ، الأمر الذي يؤهله لصدارة المساهمين في حركة التنوير الأدبي والفكري ، وغرس البذرة الأولى التي أثمرت بعده فنا أدبيا خاطب وجدان الطفل وعقله .

الألفاظ المعرّبة والدخيلة
في شعر الطهطاوي

د. عيسى شحاته عيسى علي
مدرس العلوم اللغوية
كلية الدراسات العربية
جامعة المنيا

الإطار العام : ـ

لجأت اللغة العربية ـ كغيرها من اللغات ـ إلى اقتراض ألفاظ [1] ، من لغات الشعوب التي اتصلت بها منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا هذا ، وذلك حينما وجدت عندهم أسماء لما ليس عندهم من نبات وحيوان ، ومصنوعات ومعان وأفكار .

وبعد الفتح الإسلامي خرج العرب من شبه الجزيرة العربية وخالطوا شعوبا أخرى ، ذات حضارات قديمة ، وجدّت في حياتهم معان وأفكار ، ووقعت أنظارهم على مصنوعات ، وحيوانات ، ونباتات ، واستعملوا في بيوتهم أثاثا وأدوات جديدة، ودخلت حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية مفاهيم وقيم ، وظواهر جديدة عليهم ، فكانوا في حاجة إلى التعبير عنها بلغتهم ، فترجموا ما استطاعوا ، واستعانوا بوسائل أخرى ، كالقياس والاشتقاق والمجاز . ولكنهم مع ذلك اضطروا إلى اقتراض ألفاظ أجنبية ، ولهم في تعاملهم مع هذه الألفاظ محاولات لإلباسها ثياب العربية ، وإخضاعها لنظمها الصوتية والصرفية ، فإذا ما تمّ لهم ذلك في لفظ ما سُمّي بالمعرب ، أما إذا اضطروا إلى نطقه كما هو سمّي بالدخيل [2] .

وفي عصرنا الحاضر زاد احتكاك العربية باللغات الأجنبية ، وقد بدأ هذا الاحتكاك في العصر الحديث بمجيء الحملة الفرنسية (١٧٩٧م ـ ١٨٠١م) ثم تجلّى واضحا على يد رائد النهضة الحديثة رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٢م) حيث هُيّئت له فرصة الاحتكاك المباشر بأوربا أثناء سفره إلى فرنسا (١٨٢٦ ـ ١٨٣١م) ثم قيامه بالدور الرائد في الترجمة [3] .

وتقوم مشكلة هذا البحث على افتراض وقوع ألفاظ أجنبية معربة أو دخيلة حديثا ؛ أو معربة أو دخيلة قديما . في شعر الطهطاوى [٤] ، ومن ثم يقوم البحث بجمعها وتصنيفها ودراستها .

وقد وقع الاختيار على شعره مادةً للبحث باعتباره ممثلا لثقافته ونابعا من وجدانه ، ومعبرا عما تأثر به مبدعه مما اكتسبه من ثقافة مجتمعه ، ولأن وجود الألفاظ المعربة أو الدخيلة حديثا في شعره يعد توثيقا لها منه ، وإقراراً منه بدخولها في نسيج المستوى الفصيح للغة العربية في تلك الفترة التاريخية .

وهذه الفترة التاريخية وإن كان وضع اللغة الفصيحة فيها حرجا إلا أن الطهطاوى كما يقول الدكتور طه وادى . "كان يكتب شعره ونثره وترجمته باللغة العربية الفصيحة ـ رغم ما كانت تعانيه اللغة من فقر وبوار . وما كانت تمر به من أزمات ومزاحمات ؛ من هنا يعد الطهطاوى أيضا رائدا من رواد التجديد بالنسبة لتاريخ اللغة العربية في العصر الحديث . إن اللغة قبل الطهطاوى ـ في مجال الشعر والنثر لم تكن وسيلة تعامل حية أو أداة ثقافية راقية . لقد منح الطهطاوى اللغة عن طريق التأليف والترجمة ـ قدرات هائلة على التعبير والتفكير على مستوى الكتابة الأدبية والعلمية"[٥] .

ويهدف البحث هنا إلى دراسة الألفاظ المعربة والدخيلة في شعر الطهطاوى دراسة لغوية من خلال جمعها وتصنيفها إلى مجالات دلالية ، وتأصيلها مع تتبع تاريخ دخولها إلى العربية ، ودراسة ما حدث لها من تغير على المستوى الصوتى أو الصرفى أو الدلالى عند انتقالها إلى العربية .

وقد استعانت الدراسة في سبيل تحقيق هذه الأهداف بالمنهج الوصفى والتاريخى والتحليلى ، وذلك من خلال الإجراءات التالية : ـ

١ ـ استقراء الديوان لرصد الألفاظ المعربة أو الدخيلة .

٢ ـ توزيع هذه الألفاظ على المجالات الدلالية المختلفة .

٣ ـ تأصيل هذه الألفاظ لمعرفة اللغة الأصلية التى جاءت منها ، ودلالتها في هذه اللغة وبنيتها وما حدث لها عند انتقالها إلى العربية من تغير في البنية أو الدلالة مع تتبع تاريخ دخولها العربية .

وقد عنى اللغويون العرب قديما وحديثا بالتأليف فى موضوع الألفاظ المعربة والدخيلة ، من القدماء أبو منصور الجواليقى (ت ٥٤٠هـ) له كتاب : المعرب من الكلام الأعجمى والسيوطى (ت ٩١١هـ) وله كتاب : المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب وابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) وله رسالة فى التعريب ، والعلائى (ت٩٢٢هـ) وله كتاب جامع التعريب ، الخفاجى (ت١٠٦٩هـ) وله كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل . وفى العصر الحديث : الألفاظ المعربة والدخيلة لأدى شير (ط٤ ١٩٨٦م) ، وتفسير الألفاظ الدخيلة لطوبيا العنيسى (ط دار العرب ١٩٦٤م) ، وغرائب اللغة العربية : روفائيل نخلة اليسوعى (ط٤ ١٩٨٦م) .

وهناك بحوث علمية فى هذا المجال أيضا منها : الألفاظ ذات الأصول البهلوية فى المعلقات السبع قام بها الدكتور محمد علاء الدين منصور ــ كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٩٣م ، ودراسة للدكتور : شعبان ربيع طرطور : "جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية فى كتابه المزهر" .

أما عن الرسائل الجامعية فقد قامت عدة رسائل بدراسة الألفاظ والمصطلحات المعربة من هذه الدراسات :

- قضية المصطلحات المعربة فى مؤلفات حنين بن إسحق . رسالة دكتوراه إعداد : مصطفى إبراهيم على . كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٨٤م .

ركز فيها الباحث على المصطلحات من خلال بيان معناها فى لغتها الأصلية ثم المعنى الذى اكتسبه عند دخولها العربية وما طرأ عليها من تغير .

- ألفاظ الحياة الثقافية فى مؤلفات أبى حيان التوحيدى . رسالة دكتوراه إعداد : طه صالح الشذر - آداب القاهرة سنة ١٩٨٥م ، عرض فيها الباحث للألفاظ المعربة فى مجال الثقافة ضمن مجالاتها الدلالية ، وللتغير الصوتى والصرفى والدلالى الذى طرأ عليها بانتقالها من لغتها الأصلية إلى العربية .

- الألفاظ العلمية عند جابر بن حيان الكوفى (دراسة لغوية ومعجم) رسالة ماجستير ، إعداد : فائق خلف سليمان ، دار العلوم سنة ١٩٨٦م ، ناقش فيها المصطلحات المعربة

من خلال الأوزان العربية ، وهذا غير مقبول فى دراسة الألفاظ المعربة لأنه من لغة أخرى لها نظامها الصرفى المختلف عن نظام العربية .

- أبنية المصطللحات فى رسائل إخوان الصفا : رسالة ماجستير ، إعداد : موسى إبراهيم موسى . كلية الآداب جامعة المنيا سنة ١٩٩١م . عرض فيها الباحث لبعض المصطلحات المعربة من حيث معناها وشكلها فى لغتها الأصلية ، ثم المعنى الذى انتقلت إليه فى العربية.

- ألفاظ الحضارة عند المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر . رسالة ماجستير ، إعداد : رجب عبد الجواد إبراهيم . آداب القاهرة سنة ١٩٩٣م . عرض فيها الباحث أيضا لبعض الألفاظ المعربة فى مجالاتها الدلالية وقام بتأصيلها .

- الألفاظ الفارسية المعربة فى كتاب صبح الأعشى (معجم ودراسة لغوية) رسالة ماجستير . إعداد : هانى حواس . كلية الدراسات العربية - جامعة المنيا ١٩٩٤م .

- الألفاظ الفارسية فى تاج العروس . دراسة لغوية رسالة دكتوراه ، إعداد : موسى إبراهيم موسى . كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٩٧م .

ومن الملاحظ فى الدراسات السابقة أنها تبحث عن الألفاظ المعربة أو الدخيلة فى نصوص من التراث اللغوى والأدبى القديم إلى حد ما - أما دراستنا هنا فإنها تقوم على أساس استقراء لنص من النصوص الحديثة وهو شعر الطهطاوى . وجاءت خطة الدراسة هنا كالآتى : -

- **الإطار العام : -** وفيه حديث عن أسباب الاقتراض اللغوى وأنواعه وسبب اختيار شعر الطهطاوى موضوعا للدراسة ، ثم الهدف منها ، والمنهج والدراسات السابقة وخطة الدراسة .

- التمهيد وفيه حديث عن لغة الطهطاوى ومفهوم المعرب والدخيل بين القدماء والمحدثين.

- المحور الأول : وفيه الدراسة التأصيلية للألفاظ موزعة على المجالات الآتية :

١ - الألفاظ السياسية والاقتصادية .

٢ - ألفاظ الحضارة المادية .

٣ - ألفاظ الحياة الثقافية والعلمية .

٤ ـ ألفاظ الحياة الاجتماعية .

ـ مع تتبع تاريخ دخول الألفاظ إلى العربية بقدر الإمكان من خلال النص على ورودها في الشعر الجاهلي أو القرآن الكريم أو الشعر الأموي والعباسي والعثماني وعصر الطهطاوي . وكذلك رصد ما حدث لبعض الألفاظ من توسيع في الدلالة أو تضييق فيها .

ـ المحور الثاني : الدراسة اللغوية ، ويعنى بدراسة ما حدث لهذه الألفاظ من تغيرات في البنية الصوتية وذلك من خلال دراسة التغيرات التي لحقت الصوامت والصوائت وكذلك تغيرات في البنية الصرفية من خلال بيان الألفاظ التي تم الاشتقاق منها وجمعها والنسب إليها ، وتذكيرها وتأنيثها ، وتعدد صور بعض الألفاظ بسبب تعدد اللهجات العربية التي قام أصحابها بتعريب هذه الكلمات .

ثم خاتمة توضح نتائج البحث ، وقائمة بالمصادر والمراجع .

ثم كشاف معجمي بالألفاظ المعربة والدخيلة في شعر الطهطاوي يبين أصل الكلمة ومجالها الدلالي : ولمحة عن تاريخ دخولها العربية . وكشاف معجمي بالألفاظ موزعة على اللغات ، وآخر بالألفاظ الموزعة على المجالات الدلالية .

التمهيد :

١ - لغة الطهطاوى :

ضعف استخدام اللغة العربية - إلى حد ما - فى أواخر العهد العثمانى ، وكادت تقتصر على التعليم داخل الأزهر ، وقلت نسبة المشتغلين بها إبداعا وفكرا ، ولكنها فى بداية عهد محمد على (الذى لم يتعلم القراءة بالعربية إلا وهو فى سن الأربعين) تعرضت لمزاحمة التركية لها ، وزادت أهمية التركية حين انتشرت لدى الصفوة ورجال الحكومة والجيش ، وأصبح للتركية وجود فى الصحف العربية ، كما ظهرت لغة أخرى على السطح وهى الفارسية - وإن كانت محدودة الاستعمال - لدى بعض الأتراك والمصريين ، وفرضت أحيانا على تلاميذ معظم المدارس الجديدة . ولم يعد للعربية كيانها الصحيح إلا فى عصر إسماعيل حين تعربّت لغة دواوين الحكومة والجرائد والترجمة . ومع كل ذلك فإن الطهطاوى الذى عاصر فترة ضعف اللغة العربية كان يكتب شعره ونثره وترجمته باللغة العربية الفصيحة ، وهذا ما يؤكد دور الطهطاوى وكثير من معاصريه هذا الدور المؤثر والخطير من أجل تطويع اللغة العربية لتكون قادرة على أن تصبح أداة راقية للأدب والفكر[٦] .

ومع احتفاظ الطهطاوى باللغة الفصحى يمكن من خلال تأمل شعره ملاحظة استعمالات خاصة تعد من قبيل التغير اللغوى فى الألفاظ والتراكيب أشير إلى بعضها لأنها تحتاج إلى دراسة مستقلة من ذلك : قوله : "لست ألفوك"[٧] أى لست آلفك . وكذلك جمعه كلمة نسمة على نواسم حين قال :

"نواسم الأنس بها بواسم"[٨] وهو جمع غير مألوف[٩] .

وهو أيضا يستعمل فى شعره ألفاظا من بطون المعاجم ، قد تكون قليلة الاستعمال فى عصره وعصرنا أيضا من ذلك : (الثماد)[١٠] ، وهى تعنى : المكان الذى يجتمع فيه الماء[١١] ، و(العيلم)[١٢] ، بمعنى الضبع الذكر ، و(ملث)[١٣] ، بمعنى :مطر ، (الأقيال)[١٤] جمع : قيل بمعنى ملك[١٥] ، و(الطلا)[١٦] بمعنى الخمر ، (طرّ)[١٧] بمعنى جميع ، والأباطح والشواطح[١٨] بمعنى الأماكن العالية والمنخفضة .

وإلى جانب هذه الألفاظ القديمة نجد استعمال الطهطاوى لألفاظ الحضارة التى تشير إلى الوضع الحضارى للمجتمع المصرى فى ذلك الوقت ، من ذلك ما نراه فى عباراته الآتية :

البريد الكهربائى[١٩] وقصد بها التلغراف ، وطريق من حديد[٢٠] أى السكة الحديد ، وابورات المياه[٢١] أى السفن التى تمر من قناة السويس ، وشموس الغاز[٢٢] هى مصابيح تضاء بالغاز .

وهذه الألفاظ استعملها جنبا إلى جنب مع الألفاظ القرآنية كما فى قوله : "كم جوار منشآت بلغات البحر ترطن"[٢٣] ، كما عطف القديم على الجديد قال : "وبنادقكم ولوا معكم"[٢٤] ، وقصد بالبنادق السلاح المعروف وباللوامع السيوف .

أما عن الطهطاوى والألفاظ الدخيلة فإننا نجد فى شعره كثيرا منها كما سيأتى فى الدراسة التأصيلية ، ومن خلال البحث فى تعليقاته على القصائد الشعرية أو تقديمه لها نجد بعض العبارات التى تتضح منها محاولته التوفيق بين الصورة الصوتية للكلمة الدخيلة فى لغتها الأصلية وبين ما يختاره لها من صورة فى نقلها إلى العربية ، من ذلك ما نراه فى تعليقه على مقدمة "يعقوب" صاحب قصيدة (كسر العود) التى ترجمها رفاعة بعنوان (نظم العقود فى كسر العود) يقول الطهطاوى : "وسعدى : اسم امرأة ، ولفظ الأصل يقرب فى العربى من ظاهره لهذا أحسنت ترجمته بذلك"[٢٥] .

وهو يعنى أيضا بدقة نطق الكلمة فى لغتها الأصلية قال : "(دفرينوا) بضم الدال المهملة ، اسم شاعرة فرنساوية شهيرة لاسيما بالمراثى"[٢٦] . وقال ايضا : (بُرنى) بفتح الباء مع إشمامها رائحة الفاء فراء ساكنة فنون مكسورة اسم شاعر فرنساوى شهير أيضا بالمراثى"[٢٧] .

٢ ـ مفهوم المعرب والدخيل بين علماء التراث اللغوى والمحدثين :

أطلق سيبويه مصطلح المعرب على ما غيرته العرب من الكلام الأعجمى حين نقله إلى العربية ، وعلى ما لم تغيره قال فى باب بعنوان : "ما أعرب من الأعجمية" : "اعلم أنهم مما يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما ألحقوه ببناء كلامهم ، وربما لم يلحقوه"[٢٨] .

ونجد أيضا الشهاب الخفاجي يطلق لفظ المعرب علـى كـل مـا نقـل إلى العربيـة قـال : "واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربيـة ، والمشـهور فيـه التعريـب ، وسماه سيبويه وغيره إعرابا ، وهو إمام العربية ؛ فيقال حينئذ معرب ومعرّب ، وقـد يعـرّب لفـظ ثم يستعمل فى معنى آخر غير ما كان موضوعا له"(٢٩).

ورأى الجوهرى أن تعريب الكلمة هو أن تتكلم بهـا العرب على طريقتهـا وأسلوبها قال : "تعريب الاسم الأعجمى : أن تتفوه به العرب علـى منهاجهـا تقـول عربتـه العـرب وأعربته أيضا"(٣٠) .

وبعضهم يطلق لفظ الدخيل على المعرب قال السيوطى : "ويطلق على المعرب دخيل ، وكثيرا ما يقع ذلك فى كتاب العين والجمهرة وغيرهما"(٣١) .

وجعل أبو منصور الجواليقى عنوان كتابه (المعرّب من الكلام الأعجمى علـى حـروف المعجم) وفيه من الألفاظ التى غيرتها العـرب وأخضعتـه لأوزانهـا وفيـه أيضـا مـا لم تغـيره العرب . وفى مقابل ذلك نجد الشهاب الخفاجى يجعل عنوان كتابه (شفاء الغليل فيما فـى كلام العرب من الدخيل) وفيه أيضا من الألفاظ ما تصرف فيهـا العـرب حـين نقلهـا إلى العربية وفيه ما بقى كما هو دون تغير عن صورته فى لغته الأصلية .

ويجمع صاحب اللسان بـين المصطلحـين حـين يقـول : "البخـت والبختيـة دخيـل فـى العربية أعجمى معرب"(٣٢) .

ويبدو من كلام ابن كمال باشا صاحب رسـالة التعريـب أنـه يفـرق بـين المصطلحـين حين يقول : "واعلم أن اللفظ المعرب إن كان موافقا لواحد من أبنية لغة العـرب ، جاريـا على وفق أصل من أصولهم كـ (خرّم) فلا حاجة فى تعريبه إلى التغيير ، وإلا فلابد فيه مـن نوع تغيير ، إما للإلحاق بـأبنيتهم كمـا فـى (درهـم) ، وإمـا للتوفيـق لأصولهـم كمـا فـى (مهندس)" (٣٣) .

وقال فى موضع آخر : "وأما القسم الذى استعملوه على حاله و لم يتصرفوا فيه أصـلا فمنه (البخُت) قاله الجوهرى ووافقه صاحب القاموس : البخُت : الجـد ، وهـو معـرّب ، و لم يصيبـا فـى القـول بـالتعريب ، لأنـه غـير مغـيّر ، وقـد مّـر أن التغيـير معتـبر فـى حـد التعريب"(٣٤) .

ونجد عند بعض المحدثين تفريقا بين مصطلحى المعرب والدخيل ، فاللفظ المعرب هو اللفظ الأجنبى الذى ألبسته العرب ثياب العربية ، أما إذا اضطروا إلى النطق به على النحو الذى سمعوه والطريقة التى ينطقه بها ذووه سمّى بالدخيل[٣٥].

ومن المحدثين أيضا من وضع مصطلح (الدخيل) فى مقابلة مع مصطلح (الأعجمى المولد) يقول الدكتور على عبد الواحد وافى : "يراد بالدخيل الأجنبى ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء فى ذلك ما استعمله العرب الفصحاء فى جاهليتهم وإسلامهم ، وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين .... ويطلق على القسم الأول من الدخيل الأجنبى اسم (المعرّب) ، وعلى القسم الثانى منه ، وهو ما استعمله المولدون من ألفاظ أعجمية لم يعربها فصحاء العرب اسم الأعجمى المولّد"[٣٦] .

وباستقراء مظاهر التحريف التى لحقت الكلمات الأعجمية المعربة تبين أنها ترجع إلى نوعين : تحريف فى الأصوات ، وتحريف فى الأوزان . أما التحريف فى الأصوات فيحدث بزيادة أصوات على الكلمة أو بحذفٍ منها ، أو باستبدال أصواتٍ ببعض الأصوات الأصلية .

وأما التحريف فى الأوزان ، فإنه ناتج عن التحريف فى الأصوات ، فالحذف أو الزيادة أو التبديل كل ذلك يؤدى إلى انحراف وزنها عن وضعه القديم ، وقد أدى ذلك إلى تحول بعض الكلمات الأعجمية إلى أوزان عربية مثل (دِرْهَم) ، وبعض الألفاظ الأعجمية المعربة ظل وزنها غريبا عن أوزان العربية [٣٧] .

أما الدكتور عبد الصبور شاهين فإنه يرى أن اللفظ المعرب ما دخل العربية مع حدوث تغيير أو أكثر ، أما الدخيل فهو ما تقبله العربية من ألفاظ أجنبية دون أن يحدث لها أى تغيير[٣٨] .

وإذا كان اللغويون العرب قد وضعوا شروطا محددة للكلمة المعربة ، فإن مجمع اللغة العربية ـ فى محاولة منه للوقوف أمام السيل الجارف من ألفاظ الحضارة الأوربية الحديثة الداخلة إلى العربية ـ أصدر قرارا مضمونه : "يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب فى تعريبهم"[٣٩] ، ولقد حرص المجمع أن

يتقيد بطريقة العرب فى تعريبهم من حيث الأصل ، ثم جاءت بعض القرارات الأخرى لتوسع طريقة التعريب بإساغة بعض اللواحق الأجنبية فى اللفظ[٤٠] .

ويؤيد الدكتور عبد الصبور شاهين هذا التوسع ، ويرى أنه يُكتفَى بتغييرين فى الكلمة الأعجمية لتصبح معربة ، لأن أوزان العربية الأصلية لن تتسع لتضم كل ما تفرزه اللغات الأجنبية من مصطلحات لا يمكن حصرها ، ولأنهم كانوا قديما لا يواجهون هذا الطوفان فسهل عليهم التغيير واشتراط الوزن العربى[٤١] . ويقول : "إن الحياة الحديثة تواجهنا يوميا بالكثير من الألفاظ ، التى يتعين علينا أن نستعملها ، ولا ريب أن التدخيل هو أيسر الوسائل لاستعمال اللفظ الجديد ، ولكنه أشبه بالعملة الرديئة التى تطرد العملة الجيدة ، والعملة الجيدة هنا هى المقابل الأصيل عند الترجمة ، أو التعريب عندما لا نجد وسيلة إلى الترجمة ، غير أن بعض المثقفين يختصرون الطريق ، ويدخلون اللفظ الأجنبى ، دون أن يحاولوا ، ولو طلاءه بلون عربى ، وتلك آفة يجب أن نعمل على معالجتها وتلافى آثارها المخربة فى كيان اللغة العربية[٤٢] .

وأرى أنه لابد من الوقوف أمام هذه المشكلة ويكون ذلك بالتنسيق بين كل مجامع اللغة العربية وجهات الترجمة ، وأن تكون العناية باللغة القومية لها مكانها عند المسئولين .

والدخيل هو دائما أسماء لمسميات لا علاقة لها بجذور العربية ، ولم تكن من مسمياتها أو مكتشفاتها فهى مواليد غربية فى أرض غريبة ، ومن حق الذين قابلوها لأول مرة أن يضعوا لها أسماءها ، والأسماء لا تتغير من لغة إلى لغة أخرى ، بل تُنطق كما هى ، سواء دلت على معان اشتقاقية أو حددت معانى جامدة[٤٣] .

والقول السابق يثير نقطتين مهمتين جدا تتعلقان بهذا البحث :

ـ النقطة الأولى : تتعلق بأسماء الأعلام ، وكنت مترددا فى حشدها ضمن الألفاظ التى يقوم البحث بدراستها ؛ لأنها كما سبق لا تتغير من لغة إلى لغة أخرى ، وهى أيضا تشبه أسماء الآلات والأجهزة التى دخلت اللغة العربية حديثا ، ودخلت أيضا معظم لغات العالم بشكل قريب من أصلها التى يرى بعض الباحثين أنها تمثل جزءا مما يسمّى بالألفاظ الدولية : rocabulaire international حيث إنها توجد فى معظم لغات العالم بشكل قريب من أصلها[٤٤] ويرى آخرون أنها ليست بحسب وضعها العلمى ـ مما ينسب إلى لغة

دون لغة"[٤٥] ، ولكنى آثرت ضمها لألفاظ البحث لأن بعضها يحمل أسماء دخلت العربية فى عصر الطهطاوى مما يعد من الألفاظ الدخيلة حديثا ، وهذا أمر لـه فائدته فى دراسة علاقة اللغة بالواقع الاجتماعى . وبعضها الآخر مشتق من ألفاظ معربة ، وحدث لبعضها الآخر أنواع من التغير فى البنية وكل ذلك له فائدته فى الدراسة اللغوية .

ـ أما النقطة الثانية فهى تتعلق بالألفاظ التى دخلت العربية قديما من أخواتها الساميات ، فهذه الألفاظ تعد فى نظرى ـ أقرب بكثير من الألفاظ التى دخلت العربية من لغات أخرى كالهندأوربية ولو كانت على أوزان العربية .

ويرى أصحاب الدراسات اللغوية المقارنة أنه "إذا قابلت كلمة عربية سامية فى لغة أخرى سامية فالأرجح أن تكون الكلمة سامية أصلية ، ورثتها العربية واللغة السامية الأخرى عن السامية الأم ، والقول بأن لفظة عربية دخيلة من لغة سامية ، نستنتجه من تحقيق لفظ الكلمة ومعناها ، وكيفية استخدامها فى العربية وفى اللغة الأخرى والصلة بينها وبين سائر ألفاظها . ونعتبرها دخيلة إذا كان الاشتقاق واضحا للكلمة فى إحدى اللغتين وينعدم فى الأخرى[٤٦] .

وبعض الألفاظ السامية التى جمعتها من ديوان الطهطاوى مما نصت عليه كتب المعربات القديمة والحديثة يدخل ضمن السامى المشترك مثل : اليم[٤٧] ، در[٤٨] ، طاقية[٤٩] ، سلطان[٥٠] ، مدرسة[٥١] ، سجود[٥٢] . وقد رصدت الألفاظ التى ذكر اللغويون العرب أنها من لغات سامية غير العربية وقمت بالنص عليها وعلى اللغة السامية التى جاءت منها ، وبذلك يمكننا القول بأن البحث يجمع ويؤصل ويدرس الألفاظ غير العربية فى ديوان الطهطاوى .

وهناك ألفاظ وردت فى الديوان وذكر بعض الباحثين أنها دخيلة من لغات غير سامية ولكن تبين بالبحث أنها عربية مثل كلمة : طاقية .

المحور الأول : تأصيل الألفاظ موزعة على المجالات الدلالية :

أولا : الألفاظ السياسية والاقتصادية

أ ـ ألفاظ خاصة بالحكم والتشريف والشخصيات العلمية والسياسية والشعوب :

١ ـ إبراهيم (عبرى) :

قصد به الطهطاوى إبراهيم باشا (الديوان ٨٥) .

ذكر اللغويون العرب أنه اسم أعجمى وفيه لغات إبراهيم إبراهام ، وإبراهَم ، وإبراهِم ورد فى شعر لعبد المطلب ، وفى القرآن الكريم (سورة البقرة١٢٤) وتصغيره بُرَيّه (المعرب للجواليقى٦١ ، لسان العرب ١ / ٣٩٤ ، القاموس المحيط ٧٨/٤ ، فى التعريب لابن كمال باشا ص٥٠ ، وشفاء الغليل ٣٣ . وقال ابن عباس : "إبراهيم بلغة توافق السريانية" (غريب القرآن٣٩) وهو فى العبرية "أفراهام" معناه فى التوراه : "أبو الشعب" أو "أبو الجماهير ... ويرجع الاستخدام الحالى للاسم إلى النبى إبراهيم عليه السلام الذى كان يُسمّى أولا (أبرام) ومع انتقال الاسم إلى العربية قلبت فتحة الهمزة كسرة والفاء الأسنانية الشفوية المجهورة الرخوة باء (شفوية مجهورة شديدة) (المعجم الكبير ٣٤/١ ، وأسماء الأعلام المعاصرة١٢٠) .

٢ ـ إسكندر (يونانى) :

قصد به الطهطاوى الإسكندر الأكبر المقدونى (الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠) .

ذكر الجواليقى فى(المعرب٨٩) أنها كلمة أعجمية ليس لها فى كلام العرب مثال . وهى إسكندر ، وأسكندر بكسر الهمزة وفتحها (وانظر : المعجم الكبير٢٩٣/١ ــ ٢٩٥) (أسماء الأعلام المعاصرة ١٢٢) .

٣ ـ إسماعيل (عبرى) :

قصد به الطهطاوى الخديوى إسماعيل (الديوان ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢) .

وذكر الجواليقى فى (المعرب ٥٥ ، ٦١) أن أصلها (إشماويل) وحدث الإبدال لقرب السين من الشين فى الهمس ، وفيه لغات : إسماعيل وإسماعين .

وهو فى التوراة Yisamel يشماعيل ، ومعناه : يسمع الله واسم الإله (إيل) ومعناه الحرفى (يسمع الرب) ، أو من يسمعه الرب وصيغة الاسم مشتقة من مادة سامية مشتركة دلالتها الأساسية (سمع) وهى فى الآشورية (شيموع) وفى الفينيقية (شمع) وفى العبرية (شامع) وفى الآرامية (شمع) ، وفى الحبشية (سمع) ، وفى العربية سمع (أسماء الأعلام المعاصرة ١٢٣) وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم (سورة البقرة١٢٥) .

٤ ـ باشا (فارسى) :

قصد به الطهطاوى لقب من ألقاب الشرف (الديوان ٨٥ ، ١٤٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠).

لم ترد فى كتب المعربات القديمة ، وهو لفظ دخيل من اللغة التركية منحوت فى الأرجح من باد شاه الفارسية بمعنى السلطان (المعجم الكبير٢/٢٥) ، أسماء الأعلام المعاصرة ١٢٦ ، (المعجم الوسيط ١/٣٦) ورأى طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ص٧) وأدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ص١٦) أنه مركب من (با) أى قدم ورجل ومن (شاه) أى ملك وسلطان ، وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى غرائب اللغة العربية ٢١٨ ، أنه لفظ فارسى .

وهو فى (قاموس الفارسية٩١) "باشى ، بمعنى : رئيس كبير ، ملك ، حاكم الولاية ، مستشار البلاط ، شريف ، وفى (المعجم الفارسى الكبير ٢٧٤) باشا ، بالمعانى السابقة . وقد حدث لهذا اللفظ توسع دلالى الآن فنجد الناس الآن يطلقون كلمة باشا على أى إنسان للاحترام والتعظيم وإن لم يكن قد حصل على هذا اللقب الذى ألغى الآن .

٥ ـ تاج (فارسى) :

قصد به الطهطاوى إكليل الملك (الديوان ١٠٠ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٨٥) .

ذكرها أصحاب المعاجم العربية ولم يذكروا أنها معربة (الجمهرة٣/٢١٤ ، الصحاح ١/٣٠١ ، لسان العرب ٢/٦٢ ، المعجم الوسيط ١/٩٣) .

وذكر جورجى زيدان أنه سريانى (اللغة العربية كائن حى ١٠٣) وأصله Togho أما روفائيل نخلة اليسوعى فقد ذكر أنه فارسى (غرائب اللغة العربية ٢٢١) وهو فى الفارسية "تاج خروسى : عرف الديك ، نبات زهره أحمر كعرف الديك وتاج كذارى : تتويج

الملك ، تاج كَل : إكليل من الورد ، تاج تخت : التاج والعرش (قاموس الفارسية١٥٣) ، (المعجم الفارسى الكبير ٦٧٩/١) .

٦ ـ تخت (فارسى) :

قصد به الطهطاوى كرسى العرش (الديوان ٧٨ ، ٩٣) .

دخلت كلمة (تخت) العربية قديما للدلالة على الصندوق تحفظ فيه الثياب (الجمهرة ١٨٦/٣ ، لسان العرب ١١/٢ ، القاموس المحيط ١٤٤/١ ، تاج العروس ٤٦٨/٤ ، المزهر ٢٨٢/١ ، معجم الالفاظ الفارسية ٣٤ ، تفسير الألفاظ الدخيلة ١٧) ، ثم حدث له توسع فى الدلالة فأصبح يطلق على جوقة الموسيقى ، ومكان مرتفع للجلوس أو النوم ، ووعاء تصان فيه الثياب (المعجم الوسيط٨٦/١ ، جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية ٤٩ ، المصطلح العربى ١٢٠/١ ، الألفاظ الفارسية المعربة فى تاج العروس ٩٠) ، وهى فارسية (غرائب اللغة العربية ٢٢١) وهو فيها : تخت Takht : العرش الملكى ، كرسى الولاية ، مقعد ، كرسى ، عاصمة ، مقر الحكم ، حجرة أو خزانة لحفظ الثياب أو النقائس (المعجم الكبير ٤٣/٣ ، قاموس الفارسية ١٥٧) .

٧ ـ الترك (تركى) :

قصد بها الطهطاوى أبناء تركيا (الديوان ١٢٣ ، ١٢٩) .

وتعنى الجيل المعروف الذى يقال له الديلم ، والجمع أتراك (القاموس المحيط ٢٨٨/٣ ، لسان العرب ٣٢/٢) . ولم يذكر ياقوت الحموى فى (معجم البلدان ٢٦/٢) شيئا عن اشتقاقها ، وذكر أنها وردت فى الحديث الشريف . وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢٧٢) كلمة (تركمان) ضمن الكلمات المقتبسة من اللغة التركية . وفى (أسماء الأعلام المعاصرة ١٣٤) : "تركمان فى التركية مكونة من كلمة : ترك ، واللاحق مان ، ومعنى كلمة ترك مان : شبيه الترك" .

٨ ـ جراكسة (تركى) :

قصد به الطهطاوى مجموعة من الناس (الديوان ١٢٩).

وفى (أسماء الأعلام المعاصرة ص٢٠٢) : "شركس صورة كتابية صوتية عن الكلمة التركية (جركس) ومعناها : (نصل السهم ، سنان الرمح، حربة ، مخروطى الشكل) .

٩ ـ خاقان (تركى) :

قصد بها الطهطاوى اسم الملك (الديوان ١١٨ ، ١٤١ ، ١٤٧) .

لفظ تركى معناه السلطان الأعظم (القاموس المحيط ٤/٢١٦ ، الألفاظ الدخيلة ٢٣ ، معجم الألفاظ الفارسية ٥٦ ، غرائب اللغة العربية ٢٧٣) . وهو صورة صوتية للقب التركى Kaghan (المصطلح العربى ١/٥٠) وهو فى الفارسية : خاقان ، لقب بعض ملوك الترك والصين فيه معنى العظمة والقدرة (قاموس الفارسية٢١٢) .

١٠ ـ خديوى (فارسى) :

قصد به الطهطاوى أحد حكام مصر أبناء محمد على (الديوان ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٠) .

لم تذكره كتب المعربات القديمة ، وهو فى التركية يعنى الوزير ، وفى الفارسية (خديو) ، وهى من الفهلوية (الفارسية القديمة) بمعنى ملك وسلطان وأمير عظيم وحاكم ، والوزير الأعظم وكبير القوم (تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٤ ، معجم الألفاظ الفارسية ٥٢ ، أسماء الأعلام المعاصرة ١٤٢) .

واقتصرت دلالته فى العربية على حاكم مصر فى أواخر عهد الدولة العثمانية (المعجم الوسيط ١/٢٢٩ ، المصطلح العربى ١/٤٨) .

١١ ـ دارا (فارسى) :

قصد به الطهطاوى اسم ملك من الملوك القدماء (الديوان ١٤١) .

اسم ملك من ملوك الفرس القدماء واسم مدينة أيضا فارسية أو قلعة حصينة (فى التعريب ٤١ ، معجم البلدان ٢/٤١٨) ، ومن معانيها فى الفارسية : اسم ملك (أسماء الأعلام المعاصرة ١٤٣) ، (المعجم الفارسى الكبير ١/١١١٨) .

١٢ ـ الدروز (فارسى) :

قصد به الطهطاوى طائفة الدروز المعروفة فى لبنان (الديوان ١٤٣) .

ورد فى غرائب اللغة العربية ص٢٢٧) درز : ارتفاع فى الثوب ناتج عن جمع طرفيه بالخياطة ، ودرزى : خياط ، دَرزى : من أتباع دين الدروز المنتمين إلى أبى محمد عبد الله الدرزى المتوفى سنة ١٠١٩م ، وانظر المعجم الوسيط ٢٨٩/١ ، والمعجم الفارسى الكبير ١٦٠/١، وقاموس الفارسية ٢٤١) .

١٣ ـ دست (فارسى) :

قصد به الطهطاوى كرسى الحكم (الديوان ١٦٥) .

"قال الخفاجى فى (شفاء الغليل ١٢٢) استعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرآسة" . (وانظر : تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٧ ، والمعجم الوسيط ٢٩٣/١ ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ٦٣) ، وهو فى الفارسية Dast ومن معانيه فيها الوزير والقوة والقدرة واليد (المعجم الفارسى لالكبير ١١٨٠/١) .

١٤ ـ الروم (يونانى) :

قصد به الطهطاوى شعب من الشعوب (الديوان ١٠٦) .

جيل من الناس أعجمى ، وقد تكلمت به العرب قديما ، وورد فى القرآن الكريم (سورة الروم٢) (انظر : الصحاح ١٩٣٩/٥ ، المعرب ٢١١ ، معجم البلدان ٩٧/٣ ، المهذب للسيوطى ٥٢ ، المعجم الوسيط ٣٩٧/١ ، المصطلح العربى ٥٣/١) وهى : Romeose مقتبسة من اللغة اليونانية (غرائب اللغة العربية ٢٥٨).

١٥ ـ سينيور (إيطالى) :

قصد به الطهطاوى السيد (الديوان ١٢٢) .

دخيلة حديثا وهى كلمة إيطالية بمعنى السيد Senor (ملاحظات حول أنواع الألفاظ المعربة ١٣١) .

١٦ ـ طوسون (تركى) :

قصد به الطهطاوى الأمير طوسون زوج الأميرة فاطمة بنت الخديوى إسماعيل (الديوان ١٦٤ ، ١٦٥) .

اسم تركى بمعنى ثور ، عجل ، ويأتى مجازا بمعنى : شاب قوى ، شجاع (أسماء الأعلام المعاصرة ١٥٨) .

١٧ ـ الفرس (فارسى) :

قصد به الطهطاوى جيل من الناس (الديوان ١٢٩) .

وهم أمة من الناس ينتمون إلى بلاد فارس ، وكلمة فارس هذه أصلها فارسى معرب أصله (بارس) (المعرب ٢٩١ ، معجم البلدان ٢٢٦/٤ ، المعجم الوسيط ٧٦/٢) أو (يارس) فى البهلوية (الألفاظ البهلوية ١٧ ، قاموس الفارسية ٤٩٤) ورد هذا اللفظ فى الحديث وفى الشعر الجاهلى (المعرب ٢٩١ ، المفصل ٥٨) .

١٨ ـ فيليب (يونانى) :

قصد به الطهطاوى اسم علم فرنسى (الديوان ١٩٨) .

من اليونانية بمعنى صديق الخيول أو محب الخيول (أسماء الأعلام المعاصرة ١٦٠) .

١٩ ـ قيصر (لاتينى) :

قصد به الطهطاوى اسم ملك من ملوك الروم (الديوان ١٤١) .

ذكر الجواليقى أنه أعجمى اسم ملك الروم (المعرب ٣١٩) والكلمة لاتينية الأصل Caesar كانت اسم علم لأحد ملوك الروم (غرائب اللغة العربية ٢٧٩ ، أسماء الأعلام المعاصرة ١٦١ ، المعجم الوسيط ٨٠٠/٢ ، المصطلح العربى ١٦٨/١) .

٢٠ ـ كسرى (فارسى) :

قصد به الطهطاوى ملك من ملوك الفرس (الديوان ٨٥) .

فارسى معرب ، ورد فى شعر الأعشى ، وهو بالفارسية خسرو (المعرب ٢٨٢ ، المعربات الرشيدية ١١٦ ، فى التعريب ٣٩ ، المفصل ١٦٩) . (وانظر : اللغة العربية

كائن حى ٧٨) وهو فى الفارسية : كسرى : ملك ، لقب ملوك الساسانيين (قاموس الفارسية ٥٣٨) .

٢١ ـ ملطيرون :

قصد به الطهطاوى اسم عالم فرنسى (الديوان ٧٢) .

وهو الجغرافى الفرنسى (١٧٧٥ ـ ١٨٢٦م) (مالتبرون) (Malte -Bran) عالم جغرافى من أصل بولندى ، عاش فى فرنسا وألف بالفرنسية ، وقد ترجم الطهطاوى كتابا له هو كتاب (Ceographie Universale - Panise - 1828) الجغرافيا العمومية سنة ١٨٣٤م (انظر : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ص١٣٠) وتحولت التاء إلى طاء نتيجة التفخيم فى نطق العرب للكلمة ، وقد فعل ذلك المترجمون العرب فى العصر العباسى فكانوا يُعربّون اللاتين اللاطين ، استاتيكا ـ اسطاطيقا .

٢٢ ـ منتسكيو :

قصد به الطهطاوى أحد العلماء الفرنسيين (الديوان ٧٢) .

هو تشارلز لويس منتسكيو Charles Lauis Montesquieu فيلسوف فرنسى من أشهر كتبه (روح الشرائع) (L,Esprit des-lois) عاش فى القرن الثامن عشر الميلادى (١٦٨٩ ـــ ١٧٥٥م) . وقد ترجم رفاعة الطهطاوى هذا الكتاب إلى العربية (انظر : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ص٣٤) .

ب ـ ألفاظ خاصة بالأسلحة والجيش :

١ ـ بندقية (فارسى) :

قصد به الطهطاوى السلاح المعروف (الديوان ٩١) .

قال الجواليقى فى (المعرب ١٠٧) التمر الذى يسمى بندقا ليس بعربى ، وذكر الخفاجى فى (شفاء الغليل ٦٥) أن البندق الذى يرمى به كأنه من هذا على طريق التشبيه . وفى (القاموس المحيط ٢٠٩/٣) البندق فارسى معرب . وفى (المعجم الوسيط ٧٣/١) :

"قناه جوفاء كانوا يرمون بها البندق فى صيد الطيور ، وأله حديد يقذف بها الرصاص" . وفى المعجم الكبير ٥٨٣/٢ : "سلاح نارى يحمل ، يستخدم فى الحرب أو العيد" . وهو فى الفارسية بندق bunduq : جوزة أو بندق أو شجرة البندق أى شئ قابل للقذف من الآلات الحربية ، ومدفع أو بندقية قديمة الطراز . (Steingass . P . 202) ، الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٢) .

٢ ـ زند (فارسى) :

قصد به الطهطاوى استعمالا مجازيا تعنى عمق التفكير (الديوان ١٤١) .

ذكر اللغويون العرب أن الزّندين سودان يقدح بهما النار (الجمهرة ٢٦٠/٢ ، مجمل اللغة ٤٤١/٢ ، الصحاح ٤٨٠/٢ ، القاموس ٢٩٥/١ ، الوسيط ٤١٧/١) .

وذكر أدى شير (فى معجم الألفاظ الفارسية ٨٠) أن الزند : العود الذى تقدح به النار وهو الأعلى الذى يضرب به ، والزندة السفلى فيها ثقب وهى الأنثى فإذا اجتمعا قيل : زندان فارسيته زند وهو العود الأعلى وفى الفارسية زَنْدَه : قداحة (المعجم الفارسى الكبير ١٤٣١/١) .

٣ ـ سرج (فارسى) :

قصد به الطهطاوى رحل الفرس (الديوان ١٣٠) .

اكتفى بعض اللغويين بذكر معناه وهو رحل الدابة (الجمهرة ٧٦/٢ ، الصحاح ٣٢٢/١ ، القاموس ١٩٢/١ ، المعجم الوسيط ٤٤١/١) .

وذكر الجواليقى أنه فارسى معرب ، وأصله سرك (المعرب ٢٤٨) وتبعه فى ذلك الخفاجى (شفاء الغليل ١٤٨) ، وهو فى الفارسية سرج Sarj : سرج الحصان (Steingass . P. 150) (الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ١٧٣) .

٤ ـ سونكى (تركى) :

قصد به الطهطاوى خنجر فى مقدمة البندقية (الديوان ٩٠) .

وهى كلمة تركية سونكى أو سونكو ، ومعناها حربة ـ سنان البندقية (أسماء الأعلام المعاصرة ١٥٠) .

٥ - عسكر (فارسي) :

قصد به الطهطاوى الجند (الديوان ١٩١) .

وقد ذكر اللغويون العرب أنه فارسى معرّب ، ومعناه الجيش أو مجتمع الجيش وله اشتقاقات (الجمهرة ٥٠٢/٣ ، المعرب ٢٧٩ ، القاموس ٨٨/٢ ، المزهر ٨٠/١ ، شفاء الغليل ١٨٢ ، المعربات الرشيدية ١٥٧ ، تفسير الألفاظ الدخيلة ٤٨ ، معجم الألفاظ الفارسية ١١٤ ، المعجم الوسيط ٦٢٣/٢ ، المصطلح العربى ٢٣٦/١) . وهو فى الفارسية لشكر Lashkar بمعنى : جيش ، قوة عسكرية ، جماعة ، عدد كبير ، مجموعة أو شئ كثير (المعجم الفارسى الكبير ٢٥٩/٣ ، Steingass . P . 849 ، الألفاظ الفارسيةْ المعربة فى تاج العروس ٢١٦) .

وإذا كان روفائيل نخلة اليسوعى ذكر فى (غرائب اللغة العربية ١٩٥) أنها آرامية فربما دخلت من الآرامية للفارسية ومنها للعربية .

٦ - فرند (فارسي) :

قصد به الطهطاوى حد السيف (الديوان ٧٩) .

فرند السيف جوهره ويقال برند (الصحاح ٥١٩/٢ ، المعرب ١١٤ ، القاموس ٣١٠/١ ، شفاء الغليل ١٩٩ ، المزهر ٢٧٤/١ ، جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية ٨١) . وذكر طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ٥١) ، أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ١٩) ، أنها فارسية : برند ، ونعنى فيها جوهر السيف ووشيه . وقد وردت هذه الكلمة فى صورتيها (فرند) و (برند) فى شعر جرير بمعنى حد السيف والسيف نفسه (المفصل ٢٣٩) ، ومن معانيه فى المعجم الوسيط ٧١٢/٢) السيف ، وما يلمع فى صفحته من أثر تموج فى الضوء ، حب الرمان ، الورد الأحمر ، وهو فى (المعجم الفارسى الكبير ٥٤١/١) بَرند : Parand سيف أو بريق صفحة السيف ، زخرف السيف ، نوع من الحرير الحسن ، غطاء للسرج .

٧ - فشنك (تركى) :

استعملها الطهطاوى بمعنى طلقات الرصاص التى لها صوت فقط (الديوان ١٩٦) .

وهى كلمة تركية بمعنى حشو البارودة (تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٢) . وهى فى الفارسية (فشنگ) بمعنى رصاصة (قاموس الفارسية ٥٠٠) .

٨ ـ لجام (فارسى) :

قصد به الطهطاوى لجام الفرس (الديوان ١٣٠) .

ذكر قوم أنه عربى (الجمهرة ١٠١/٢ ، مجمل اللغة ٨٠٣/٣ ، المعرب ٣٤٨ ، شفاء الغليل ٢٣٢ ، الألفاظ البهلوية ص١٠ ، اللغة العربية كائن حى ص٤٥) .

ورأى أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ١٤١) أن اللفظة سامية الأصل ، وأن الفارسية أخذتها من الآرامية . وقد يؤيد رأيه ورود الكلمة فى الشعر الجاهلى (الألفاظ البهلوية ١٠) وتعدد مشتقاتها فى العربية (المعجم الوسيط ٨٤٩/٢) . وهى فى (قاموس الفارسية ٥٩٦) لگام .

جـ ـ ألفاظ خاصة بالتجارة والنقود :

١ ـ درهم (يونانى) :

قصد به الطهطاوى العملة القديمة المعروفة (الديوان ١٩٠) .

رأى اللغويون العرب القدماء أنه معرب من اللفظ الفارسى (درّم) (الجمهرة ٣٦٨/٣ ، الصحاح ١٩١٨/٥ ، المعرب ٥٦ ، شفاء الغليل ١٢٠) . ووضعه الثعالبى تحت فصل بعنوان أسماء قائمة فى لغتى العرب والفرس بلفظ واحد (فقه اللغة ١٩٨) . أما المحدثون فقد رأى بعضهم أنه يونانى Drahme ، وهو نقد فضة، ووزن أيضا ومنه (درّم) الفارسى ، وهو نقد فضة (تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٧ ، معجم الألفاظ الفارسية ٦٢ ، المعربات الرشيدية ١٩٣ ، اللغة العربية كائن حى ٧٨ ، غرائب اللغة العربية ٢٥٨ ، المعجم الوسيط ١٩٢/١ ، المصطلح العربى ١٣٢/١) . ويبدو مما سبق أن أصل هذا اللفظ يونانى ، وأن الفارسية أخذتها منها ومن الفارسية انتقلت إلى العربية (انظر : المفصل ١١٣٥) . وقد ورد فى القرآن الكريم (سورة يوسف ٢٠) .

٢ ـ التدهقن (فارسى) :

قصد به الطهطاوى كثرة المال (الديوان ١٢٠) .

فارسى معرب بمعنى رئيس القرية (الصحاح ١١٦/٥ ، المعرب ١٩٤ ، شفاء الغليل ١٢٤ ، المعجم الوسيط ٣١٠/١ ، غرائب اللغة العربية ٢٢٩) ، وقد ورد فى شعر الأعشى (المفصل ٣٦) وله صورتان فى الفارسية دهكان ، ده خان (تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٩ ، معجم الألفاظ الفارسية ٦٨ ، المعجم الفارسى الكبير ١٢٦٦/١ ، Steingass . P 540 ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ١٩٧) .

د ـ ألفاظ خاصة بالمركبات والوقود والطاقة :

١ ـ غاز (هولندى) :

قصد به الطهطاوى الوقود السائل الذى تدار به الماكينات (الديوان ١٢١) .

ذكر طوبيا العنيسى أن هذه اللفظة ارتجلها طبيب بلجيكى (ت ١٦٧٧م) لكى تدل على الجسم الهوائى الذى لا يتغير ولا يقبل الضغط (تفسير الألفاظ الدخيلة ٤٩) وذكرها روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢٨٤) أنها هولندية Geest ، تلفظ غِست : روح .

٢ ـ كهرباء (فارسى) :

قصد به الطهطاوى التيار الكهربى المعروف (الديوان ١٢٠) .

فارسى معرب أصله (كاه ربا) أى : جاذب التبن . وهو نوع من الصمغ أو اللؤلؤ أو الأحجار الكريمة (تاج العروس كهرب ١٨٤/٤ ، تفسير الألفاظ الدخيلة ١٣٨) وفى (المعجم الوسيط ٨٣٤/٢) : "الكهرباء : مادة راتيجينية صفراء اللون ، شبه شفافة قوية العزل للكهربائية ، وهى أولى المواد التى عرف تكهربهابالدلك ؛ ومنها اشتقت كلمة الكهربائية" . والآن تطلق على التيار الكهربى المعروف . وقد أقر المجمع هذه الكلمة لتكون مرادف للكلمة الإنجليزية Ambir (المصطلح العربى ٤٠٣/٢ ، Steingass . P.1066 ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ١٢١) .

٣ ـ وابور (إيطالى) :

قصد به الطهطاوى المراكب البخارية التى كانت تسير فى قناة السويس (الديوان ١١٧ ، ١٢٠) .

"(بابور) أصله إيطالى : (Vapore) معناه : بخار مرادفه باخرة" (تفسير الألفاظ الدخيلة ص٦) .

هـ ـ ألفاظ خاصة بالحيوانات :

١ ـ جؤذر (فارسى) :

قصد به الطهطاوى الفتاة الجميلة وجمعه على جآذر (الديوان ١٢٦) .

ولد البقرة الوحشية ، فارسى معرب ، ورد فى شعر عدى بن زيد (الجمهرة ٧١/٢ ، الصحاح ٦١٠/٢ ، المعرب ١٥٢ ، المعربات الرشيدية ١٥٣ ، غرائب اللغة العربية ٢٢٤ ، المفصل ٤٤ ، المعجم الوسيط ٤٦/١ ، المصطلح العربى ٤٦/١) ، وهو فى (المعجم الفارسى الكبير ٨٥٦/١) جَوْدر : ثور ، بقرة" .

ثانيا : ألفاظ الحضارة المادية :

أ - ألفاظ خاصة بالمبانى والأماكن والموانى والظواهر الطبيعية :

١ - إسكل (إيطالى) :

استعمله الطهطاوى بمعنى ميناء (الديوان ١٠٠) .

وهو لفظ إيطالى Scalo وهو معدول عن Scala أى درج ويراد به محط السفن فى المرافئ ومرادفه مرسى ومرفأ (طوبيا العنيسى٣) ومن معانيها أيضا : سلّم المبنى ، هيكل خشبى يستعان به (المعجم الوسيط ٤٥٦/١) وهى إسِكِله بمعنى المرسى أيضا فى الفارسية (د . عبدالنعيم حسانين - قاموس الفارسية ٧٠) ، وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ص٢٧٧) أنه لاتينى اندمج فى العربية بواسطة اليونانية أو الإيطالية .

٢ - برج (يونانى) :

استعمله الطهطاوى بمعنى منازل للشمس والقمر والنجوم يعرف منها بخت الإنسان وطالعه (الديوان ١٥٢) .

ومن معانى كلمة (البرج : الحصن . قال ابن منظور : كل ظاهر مرتفع فقد بَرجَ ، وإنما قيل للبروج بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها (اللسان ٣٥٩/١) ولم يذكر أنه معرب . وذكر صاحب القاموس أن البرج : الحصن (القاموس المحيط ١٧٧/١) وكذلك ابن دريد الذى رأى أنه عربى معروف (الجمهرة ٢٠٨/١) وكذلك الجوهرى (الصحاح ١ / ٢٩٩) أما طوبيا العنيسى فقد ذكر أن اللفظ يونانى Pyrgos معناه : حصن (العنيسى ٨) وفى (المعجم الكبير ٢ / ١٩٠) شواهد من الشعر والقرآن (النساء٧٨) على وجوده فى العربية قديما ، وفيه أيضا أنه فى السريانية burga (بُرْجا) وفى اللاتينية burgus بمعنى الحصن . وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى غرائب اللغة العربية ص٢٥٤) أنه يونانى .

٣ - بركان (لاتينى) :

قصد به الطهطاوى البركان المعروف قال : "بركان نار حيث ثار" (الديوان ١١٨) .

وقد وردت كلمة البركان فى الشعر العربى القديم ولكن بمعنى موضع يسمى بركان (المعجم الكبير ٢٦٠/٢) ، ووردت فى (المعجم الوسيط ٥٢/٢) بمعنى : فتحة فى القشرة الأرضية تخرج منها مواد منصهرة ، ويطلق على الجبل أيضا الذى يتكون من تراكم هذه

المواد ، وفيه أيضا أنها معرّبة . وفى (المعجم الكبير ٢/٢٦٠) : بركان Valcanus ، فى اللاتينية إله النار جبل يتفجر من فوهته حمم من نار ، ومواد منصهرة . وذكره روفائيل نخلة اليسوعى فى كتابه (غرائب اللغة العربية ٢٧٧) ضمن الكلمات الدخيلة من اللغة اللاتينية .

٤ ـ الخورنق (فارسى) :

قصد به الطهطاوى بناء عظيم قال مادحا الخديوى إسماعيل "رب الخورنق والسدير" (الديوان ١١٨) .

قال الجواليقى (المعرب ١٧٤) : "الخورنق كان يسمى (الخرنكاه) وهو موضع الشرب ، فأعرب . وهو بنية بناها النعمان لبعض أولاد الأكاسرة" . وذكر الجوهرى فى الصحاح ٤ / ١٤٦٨) أنه فارسى معرب . وقد ورد هذا اللفظ فى شعر عدى بن زيد (المفصل ٢٨) ، وهو فى الفارسية (خورنه) Khawarna (المعجم الفارسى الكبير ١/٨٩) . وقد حدث لهذا اللفظ تضييق دلالى فبعد أن كان يطلق فى الفارسية على كل صرح عظيم أطلق فى العربية على قصر النعمان ـ ثم أطلقه الطهطاوى مجازا على منجزات الخديوى إسماعيل .

٥ ـ السدير (فارسى) :

قصد به الطهطاوى بناء معين (الديوان ١١٨) .

ذكر الجواليقى فى (المعرب ١٨٧) أنه فارسى معرب أصله (سادلى) أى فيه ثلاث قباب متداخلة ، ويسميه الناس سه دلى ، فأعرب فقيل : سدير ، وذكر السيوطى فى (المزهر ١/٢٨٠) أن أصله (سدلّى) بتشديد اللام ـ أى ثلاث قباب بعضها فى بعض . وذكر طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ٣٤) أن أصله (سه دير) أى ثلاث قبب . وفى المعجم الوسيط ١/٤٣٩) : "هو بناء ذو ثلاث شعب أو قبة فى ثلاث قباب مُعرّب" . وفى المعجم الفارسى الكبير ١/١٥٢٥ : "اسم القصر الذى بناه النعمان بن المنذر مأخوذ من الفارسية (سد دير) مائة دارة.

٦ ـ سرادق (فارسى) :

استعمله الطهطاوى بمعنى ما يضرب حول الشىء أو يحيط به كالخيمة وإن أضافه إلى معان مجازية إذ قال : سرادق النبوة (الديوان ١٢٨) . وسرادق الحمد (الديوان١٥٢) .

ذكر بعض أئمة اللغة مادة سردق فى معاجمهم ولم يشيروا إلى أنها معربة فقد قال ابن دريد : "سردق البيت جعل له سرادقا (الجمهرة ٣٣٣/٣) .

وقال الجوهرى : "السرادق واحد السرادقات التى تمد فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف فهو سرادق (الصحاح ١٤٩٦/٥) .

وقال ابن منظور : "السرادق كل ما أحاط بالبناء ، والجمع سرادقات (اللسان٢٣٤/٤) ، وتابعه فى ذلك صاحب القاموس (القاموس المحيط ٢٣٧/٣) ، أما الجواليقى فقد ذكر أنه فارسى معرّب : وأصله بالفارسية (سرادار) .

وهو الدهليز (المعرب ٢٤٨) وأيده فى ذلك السيوطى (المهذب ٥٦) والخفاجى الذى قال : "معرب (سرابرده) ، وقيل : معرّب سراطاق ، وأخطأ من فسره بآلة القناديل وهو ما يمد فوق صحن الدار أو البيت (شفاء الغليل ١٤٨) .

وذُكرت له المعانى السابقة فى المعجم الوسيط (٤٤٢/١ ، د . صبرى المصطلح العربى ١٤٦/١) أنه معرب أيضا ، ولقد رفض الأستاذ أحمد محمد شاكر محقق كتاب (المعرب للجواليقى) أن تكون كلمة سرادق معربة ، ورأى أنها عربية مستشهدا بآراء اللغويين السابقين وبورودها فى القرآن الكريم (المعرب ٢٤٨ تعليق رقم٢) .

ورأى بعض المحدثين أن اللفظ سريانى ، وأصله Sarodhigo (د . صلاح المنجد . المفصل ٤٦) ويبدو أنه من المحتمل أن تكون العربية والفارسية أخذت هذا اللفظ من السريانية (د . صلاح المنجد . المفصل ٤٦) ولأن هذه الكلمة فى المعجم الفارسى تعنى : "الخيمة الكبيرة ، والستارة الكبيرة التى يجعلونها فوق صحن المنزل ، والدخان أو الغبار الذى يثور حول أطراف شئ" . (د . عبدالنعيم حسانين قاموس الفارسية ٥١٩) كما أن روفائيل نخلة اليسوعى ذكر (فى غرائب اللغة العربية ص٢٣٢) أنه لفظ فارسى .

٧ ـ قنال (لاتينى) :

قصد بها الطهطاوى قناة السويس (الديوان ١١٨) .

والقناة في اللغة العربية : الرمح الأجوف ، وكل عصا مستوية أو مُعوّجة أو مجرى للماء ضيق أو (اسع والمعجم الوسيط ٧٩٤/٢) وقد ذكره الطهطاوي باللام (قنال) Canal بمعنى مجرى الماء ، وقصد به قناة السويس وذكر روفائيل نخلة اليسوعي في (غرائب اللغة العربية ٢٧٩) أنها لاتينية وهي في معجم وبيتوا الإنجليزي الجديد تعني : مجرى مائي صناعي للسري أو الملاحة (انظر : The New lexicon Websters Dictionary . P . 143) ، وهو في الفارسية أيضا (قنات) بمعنى مجرى للماء تحت الأرض (د . عبدالنعيم حسانين قاموس الفارسية ٥١٩) . وفي القاموس الفرنسي التاريخي : "Canal مقترضة قبل ١١٥٠م ، وهي من الكلمة اللاتينية (Canalis) ، ومشتقة من (Canna) بمعنى قصبة أو قصب ، ثم أخذت معنى قناة منذ سنة ١٥٣٨م" .(انظر : Le (Robert . Dictionnaire Historigue de La . Langue Francoise .

٨ ـ ميدان (فارسي) :

استعمله الطهطاوي بمعنى ساحة القتال (الديوان ٨٩ ، ١٨٢) واستعملها بمعنى مكان السباق (الديوان ١٥٨) واستعمل مرادفها العربي الأصيل وهو كلمة حومة حين قال : "وجرينا في حومة السبق" (الديوان ١٥٨) واستعمل مرادفا عربيا آخر هو حلبة السبق (الديوان ١٢٣) .

وذكر ابن دريد أنه أعجمي معرب (الجمهرة ٣٠٣/٢) أما الجوهري فقال : "الميدان واحد الميادين" ، ولم يذكر أنه معرب (الصحاح ٥٤١/٢) . وكذلك صاحب القاموس (القاموس المحيط ٣٣٧/١) . وقال الخفاجي : "ميدان : معروف عربي" (شفاء الغليل ٢٣٩) وفي المعجم الوسيط (٧٢٩/٢) : "الميدان : فسحة من الأرض متسعة معدة للسباق أو للرياضة ونحوها ، يقال : ميدان السباق ، وميدان الكرة ، وميدان الحرب" . أما أدي شير فقد رأى أنه فارسي الأصل ، وهو مركب من (مي) أي الشراب ومن (دان) وهي من الأدوات التي تلحق الأسماء فتدل على الظرفية ، فسمّوا في أول الأمر ميدانا ، المحل الذي كانوا يشربون فيه الخمر ثم أطلقوه على الفسحة المعدة للسباق ولعب الخيل ، وهو ميدان بالتركية والكردية (معجم الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٨) ، وفي (قاموس

الفارسية ٧٠٨) ، : "الميدان : الأرض الفسيحة ، ميدان سباق الخيل" وفى (غرائب اللغة العربية ٢٤٦) فارس أيضا .

٩ ـ هرم (إغريقى) :

قصد به الطهطاوى أهرام مصر (الديوان ٧٩) .

فى الصحاح للجوهرى (٢٠٥٧/٥) : "الهرمان : بناءان بمصر ، وفى المعجم الوسيط (١٠٢٢/٢) وصف له دون ذكر لأصل الكلمة . وفى معجم البلدان لياقوت الحموى (٣٩٩/٥ ـ ٤٠٢) أخبار كثيرة عن الأهرام دون إشارة لأصل اللفظ ، وفى معجم الحضارة المصرية القديمة (لجورج بوزنر وآخرون ـ ترجمة أمين سلامة ص٦٥) : "لا يعرف أصل هذه الكلمة على وجه التحقيق ، ولكن يبدو أنها كانت من ابتكار الإغريق الذين أطلقوا عليها (مزاحا) الكلمة الإغريقية Pyramgs ، ومعناها كحكة من القمح ، وتذكرها النصوص المصرية دائما باسم (مر) التى لا يعرف نطقها الصحيح بالضبط" .

وهى فى الفارسية أيضا (هرم) بمعنى جسم مخروط الشكل قاعدته مثلثة أو مربعة أو كثيرة الأضلاع (قاموس الفارسية ٨٠٣) .

ب ـ ألفاظ خاصة بالبلاد والأنهار والكواكب والنجوم :

١ ـ الآستانة (فارسى) :

قصد به الطهطاوى عاصمة الدولة العثمانية (الديوان ١٤٧) .

وفى (قاموس الفارسية ص٤٤) : "أستان ، آستانة : عتبة ، أو مدخل ، ومجازا بمعنى البلاط الملكى أو الحضرة السلطانية" . ومن معانيها أيضا : العاصمة ، ومركز السلطنة وبهذا المعنى الأخير أطلقت على استانبول" (انظر : المعجم الكبير ١٢/١).

٢ ـ أثينا (كريتى) :

قصد به الطهطاوى عاصمة اليونان (الديوان ص١١٣) .

ويرجح أن اسمها مأخوذ من اللغة الكريتية التى عرفها الإغريق منذ الألف الثانية قبل الميلاد (المعجم الكبير ١٠٢/١) ، وفى (أسماء الأعلام المعاصرة للدكتور : صبرى إبراهيم

ص١٢٠) : "أثينا : اسم علم مؤنث مأخوذ من الاسم اليوناني اللاتيني (أثينا) بمعنى : إلهة أثينا ، أو من الكلمة اليونانية (أثين) سيدة أثينا ، أو ربة الحكمة" .

٣ ـ الأردن (آرامي) :

قصد به الطهطاوي نهر الأردن (الديوان ١١٩) .

ذكر بعض اللغويين أن الأردن في اللغة تعني : النعاس ، وأن الأردن اسم البلد سميت بهذا المعنى (اللسان ١٩٤/٥ ، معجم البلدان ١٤٧/١) وذكره الجواليقي في (المعرب ٧٦) أنه اسم البلد المعروف ، ولم يذكر الجوهري في (الصحاح ٢١٢٢/٥) ، ولا الفيروزآبادي في (القاموس ٢٢٣/٤) أنه معرّب . أما طوبيا العنيسي في (تفسير الألفاظ الدخيلة ص٣١) فقد ذكر أنه آرامي بمعنى الجاري ، وفي التوراه hayyarden هيَرْدن نهر في فلسطين يجري من الشمال إلى الجنوب (المعجم الكبير ١٩١/١) .

٤ ـ أفريقيا (بربري) :

قصد به الطهطاوي قارة إفريقيا حين قال (الدم الإفريقي) (الديوان ١٨٢) .

اسم أطلقه العرب على ما يعرف الآن بتونس ؛ وأصله من لفظ إفريقيا (Africa) الذي كان يقصد به الرومان كل المنطقة التي آلت إليهم بعد تخريب قرطاجنة ، ثم شاع الاسم علما على إحدى القارات (المعجم الكبير ٣٦١/١) .

ورأى بعض الدارسين أنه قد يكون أصل هذه الكلمة من اللغة البربرية بمعنى بلاد المغارات (الكهوف) ، أو من أصل لاتيني (أسماء الأعلام المعاصرة ص١٢٣) .

٥ ـ أوربا :

قصد به الطهطاوي بلاد أوربا (الديوان ١٢٣) .

وهي إحدى قارات العالم القديم وأصغر القارات جميعا بعد استراليا ، وحكى ياقوت الحموي في (معجم البلدان ٢٧٨/١) أن البيروني سمّاها (أوْرَفي) (وانظر : المعجم الكبير ٦٠٥/١ ـ ٦٠٦) .

٦ ـ باريس :

قصد به الطهطاوى عاصمة فرنسا (الديوان ٧٢) ولها صورة أخرى عنده وهى (باريز) (الديوان ١٨٣) .

وفى المعجم الكبير (٢/٢٢) هى "العاصمة السياسية والفكرية لفرنسا ، تضم مكتبتها عدداً كبيراً من المخطوطات العربية القيمة . وهى فى (Oxford Adfanced . P .608) Paris أى عاصمة فرنسا . وفى القاموس الفرنسى التاريخى كلمة Paris ، لفظ مبهم الأصل ، وربما أشار إلىاسم العشيرة الكليتية أوالغالية (de Parisii)(Le Robert : Dictionnaire , Historigue. de. Lo, Langue Francaise , Parıs , 1998 . 2 ,edition)

٧ ـ برلين :

قصد به الطهطاوى عاصمة ألمانيا (الديوان ١١٩) .

وهى أكبر المدن الألمانية ، قسمت بعد الحرب العالمية الثانية إلى برلين الشرقية وهى عاصمة ألمانيا الديمقراطية وبرلين الغربية ، وهى ولاية من ولايات الاتحادية (المعجم الكبير ٢/٢٦٦) ، (وانظر : The new Lexicon Wepsters Dictionary . P. 92) .

٨ ـ بغداد (فارسى) :

قصد به الطهطاوى عاصمة العراق (الديوان ١٠٥) .

ذكرها أبو منصور الجواليقى فى (المعرب ١٢٢) وياقوت الحموى (معجم البلدان ١/٤٥٦) بالذال (بغداذ) قال الجواليقى : "بغداذ : اسم أعجمى كأن بغ صنم، وداذ . عطية فكأنها عطية الصنم" . وفى (اللسان ١/٤٥٢) : بغداد : فارسية معناه : عطية الصنم . وفى (القاموس المحيط ١/٢٧٦) هى مدينة السلام . وفى (شفاء الغليل ص٦٦) : "بغداذ ، وبغداد ، وبغدان" . وهذه الصور ناتجة عن تعريب عدة قبائل عربية كل على حده لهذه الكلمة . ورأى طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ص١٢) أنها فارسية مركبة من باغ : بستان ، داد : عدل . فكأنها بستان العدل . ومعناها الحرفى فى (المعجم الفارسى الكبير للدكتور إبراهيم شتا ص١/٣٧٦) أنها "عطية الإله" .

٩ ـ تلمسان (بربري) :

قصد به الطهطاوى مدينة فى بلاد المغرب العربى (الديوان ٧٨) .

ذكر ياقوت الحموى (فى معجم البلدان ٢/٤٤) أنها تِلِمِسان بكسرتين ، وسكون الميم وسين مهملة وأن بعضهم يقول : تنمسان بالنون عوض اللام مدينة بالمغرب ، ولم يذكر شيئا عن أصلها ، وفى (المعجم الكبير ٣/١١٥) : تلمسان فى البربرية : تيلى ميسين ، أى منابع المياة العذبة ، مدينة جزائرية معروفة منذ عهد الرومان.

١٠ ـ تينِس (فرعونية) :

قصد به الطهطاوى مدينة مصرية قديمة (الديوان ١١٤) .

وهى مدينة اندثرت كانت بالقرب من بورسعيد (المعجم الكبير ٣/١٤٠) .

١١ ـ عطارد (آرامية) :

قصد به الطهطاوى الكوكب المعروف (الديوان ١١٧) .

فى (المعجم الوسيط ٢/٦٣٠) : نجم قريب من الشمس ، ابن المشترى كبير الآلهة فى الأساطير ، ورب الفصاحة والتجارة ينوّن ولاينوّن .

وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ١٩٦) أن عطارد : Outred دخيل من اللغة الآرامية .

١٢ ـ فرنسا (ألمانى) :

ذكرها الطهطاوى بصيغتين : (فرانسة ـ الديوان١٩٦) ، (فرنسا ـ الديوان ١٩٠).

قال الخفاجى فى (شفاء الغليل ١٩٨) : "فرنج : معرب فرنك سموا بذلك لأن قاعدة ملكهم فرنجة ومعربها فرانسة" .

وفى (غرائب اللغة العربية ٢٨٤) : "إفرنج : أهل أوربة ماعدا تركية . Frank : حر ، اسم شعب جرمانى استولى على غالية سنة ٤٨٦ ، فسميت فرنسة . وهذه الكلمة مشتقة من اسمه" . وكلمة فرانسى تعنى حر (أسماء الأعلام المعاصرة ١٥٩) .وهى جمهورية بأوربا عاصمتها باريس

(وانظر : The new Lexicon Wepsters Dictionary . P. 373) ؛ وفى معجم لاروس كلمة France من الكلمة اللاتينية (Franice) وقد استخدمت بمعنى دولة فرنسا منذ سنة ١٠٨٠م .

(Larousse , dictionnaire de la Langue Francaise , (ed) J. Dubois , Paris) .

١٣ - لندن :

قصد به الطهطاوى عاصمة انجلترا (الديوان ١١٩) .

وهى فى معجم ويبستر الجديد : عاصمة انجلترا وبريطانيا العظمى والمركز السياسى لدول الكومنولث ،

(وانظر : The new Lexicon Wepsters Dictionary . P 583)

١٤ - منف (فرعونى) :

قصد به الطهطاوى مدينة مصرية قديمة (الديوان ١١٤) .

وقد ذكر ياقوت الحموى أنها اسم مدينة فرعون مصر ، وأن أصلها بلغة القبط (مافه) بمعنى ثلاثون فعربت فقيل منف (معجم البلدان ٥/٢١٣) وفى (معجم الحضارة المصرية القديمة ٣٢١) أطلق اسم الهرم (من نفر) على مجموعة المساكن التى بنيت حول معبد بتاح وغدت (من نفر) باللغة الإغريقية (ممفيس) ، وبالعربية (منف) .

١٥ - النيل (إغريقى) :

قصد به الطهطاوى النهر المعروف (الديوان ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧) .

لم يذكر الجوهرى (فى الصحاح ٥/١٣٣٨) شيئا من أصله وكذلك الفيروزآبادى فى القاموس المحيط ٤/٦١) وأيضا (المعجم الوسيط ٢/١٠٠٥) .

ولكن ياقوت الحموى قال فى (معجم البلدان ٥/٣٣٤) : "هو تعريب نيلوس من الرومية" . وفى (معجم الحضارة المصرية القديمة ٣٤٣) : "النيل : Nile : ليس من السهل أن نتتبع أصل هذه الكلمة التى ورثناها من الأصل الإغريقى : Neilos".

١٦ - الهند (سنسكريتى) :

قصد به الطهطاوى دولة الهند المعروفة (الديوان ١١٨) .

ذكرت المعاجم العربية أنها شبه قارة تقع جنوب آسيا (القاموس المحيط ٣٤٦/١ ، المعجم الوسيط ١٠٣٧/٢) .

وقد ذكر الدكتور مراد كامل فى تعليقه رقم١ ص٣٨ من كتاب اللغة العربية كائن حى لجورجى زيدان أن كلمة هند أصلها سند ، وأن الفرس أطلقوا عليها اسم (هند) كعادتهم فى إبدال السين من السنسكريتية إلى هاء فى الفارسية . ولما جاء العرب أقروا اسم السند على البلاد الواقعة على ضفتى نهر السند ، وأطلقوا لفظ الهند على ما وراءها .

جـ - ألفاظ خاصة بالموسيقى والغناء :

١ - التك (فارسية) :

قصد به الطهطاوى نقرة موسيقية (الديوان ١٢٢) .

وفى (المعجم الوسيط ٨٩/١) أنها لفظة فارسية وكذلك فى (المصطلح العربى ٤٣/١) وفى (المعجم الفارسى الكبير ٧٤٢/١) : " تَكْ : نَقْر" .

٢ - جُنك (فارسى) :

قصد به الطهطاوى آلة موسيقية (الديوان ١٢٢) .

ذكر الخفاجى فى (شفاء الغليل ٦٧) أن الجُنك بالجيم الفارسية مما عربه المحدثون .

وفى (المعجم الوسيط ١٤٦/١) : "الجُنك : الطُّنبور : وهو آلة من آلات الطرب معرب " . (وانظر : المصطلح العربى ١٢٧/١) .

وهى أيضا فى (قاموس الفارسية ١٩٧) چنك : آلة موسيقية وترية . وفى (المعجم الفارسى الكبير ٩٣٧/١) چنك : آلة موسيقية على هيئة الاسطرلاب ، منقار ، الطائر ، منحنى ، ومقوس ، وخطاف" . وقد حدث لهذا اللفظ الآن تضيق فى الدلالة فهو يطلق على الآلة الموسيقية فقط .

د - ألفاظ خاصة بالحدائق والرياحين :

١ - بستان (فارسى) :

قصد به الطهطاوى الحديقة (الديوان ٧٨) .

ذكر الثعالبى فى (فقه اللغة ١٩٩) والسيوطى (فى المزهر ٢٧٦/١) وأيده الدكتور شعبان طرطور فى كتابه (جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية ص٤٤) أنه رومى معرب ، وجمعه بساتين . وذكر الجواليقى (فى المعرب ١٠١) أنه فارسى معرب وأنه ورد فى شعر الأعشى . وقال الخفاجى فى (شفاء الغليل ٦٢) : "جمعه بساتين معرب بوستان قيل معناه بحسب الأصل آخذ الرائحة .... وقيل ستان هنا ناحية" . وذكر أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ٢٢) وطوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ١١) أنه مركب من (بوى) أى رائحة ، وستان وهى أداة تدل على ظرف المكان . وورد مثل ذلك فى (المعجم الوسيط ٥٧/١ ، المصطلح العربى ١١٢/١ ، المفصل ١٧٦) وهو موجود أيضا فى السريانية والتركية والكردية (معجم الألفاظ الفارسية المعربة ٢٢ ، المصطلح العربى ١١٢/١) . وهو فى الفارسية Bustan مخفف من البهلوى (بوستان bo-stan بوى بمعنى رائحة ، وستان أداة مكان ، ويعنى أيضا حديقة ، واسم دور من الموسيقى القديمة (المعجم الفارسى الكبير ٤١٢/١، غرائب اللغة العربية ٢١٩) . ورصد الزبيدى فى (تاج العروس بسن ٤٤٣/٤) ماحدث له من تغير صوتى ودلالى بتوسيع دلالته توسع فيه حتى أطلقوه على الأشجار" (وانظر : المعجم الكبير ٣٠٧/٢) .

٢ ـ مسك (سنسكريتى) :

قصد به الطهطاوى طيب الرائحة (الديوان ٧٥ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤) .

رأى اللغويون العرب أنه فارس معرب وهو يذكر ويؤنث (الصحاح ١٦٠٦/٤، فقه اللغة للثعالبى ١٩٩ ، المعرب للجواليقى ٣٧٣ ، المزهر ٢٧٦/١ ، المهذب ٨٧ ، شفاء الغليل ٢٣٩) . وهذا اللفظ دخل العربية قديما بالإضافة إلى وروده فى القرآن الكريم (سورة المطففين ٢٦) (المفصل ٧٣ ، والألفاظ ذات الأصول البهلوية ٩) . وهو فى المعجم الفارسى الكبير ٢٧٦١/٣) : مشك : mushk : المسك . (وانظر : Staingass .P. 1247 ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ص١١٥) .

٣ ـ مندل (سنسكريتى) :

قصد به الطهطاوى عود طيب الرائحة (الديوان ١٥٩) .

رأى اللغويون أن المندلى عطر ينسب إلى المندل وهى من بلاد الهند (الصحاح ١٨٢٨/٥ ، القاموس المحيط ٥٥/٤ ، شفاء الغليل ٢٤٢) وفى (المعجم الوسيط ٩٤٨/٢) : "المندل : العود الطيب الرائحة" . وهو بلفظه هذا ومعناه فى الفارسية أيضا (قاموس الفارسية ٦٩) . ورأى جورجى زيدان فى (اللغة العربية كائن حى ص٣٩) أنها سنسكريتية . وعلى ذلك تكون اللفظة سنسكريتية دخلت العربية عن طريق الفارسية أو دخلت اللغتين فى وقت واحد .

هـ - ألفاظ خاصة بالملبوسات والزينة والحلى :

١ - جمان (فارسى) :

قصد به الطهطاوى حبات اللؤلؤ (الديوان ١٦٧) .

ذكر اللغويون العرب أنه فارسى معرب . ويعنى اللؤلؤ ، وحب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ ، ونسيج من جلد مطرز بخرز ملون تتوشح به المرأة (الجمهرة ١١٤/٢ ، المعرب ١٦٣ ، شفاء الغليل ٩٣ ، المعجم الوسيط ١٤٢/١ ، المصطلح العربى ١٢٦/١ ، الألفاظ ذات الأصول البهلوية ١٤) . وقد وردت فى شعر لبيد وفى الحديث الشريف (الصحاح ٢٠٩٢/٥ ، اللسان ٣٦٩/٢ ، المفصل ٢٣) . وزعم أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ص٤٥) أنه مأخوذ من اللفظ الفارسى جمان ، ومعناه المرج أو الخضرة ، والجنينة ، ويطلق أيضا على كل شكل مقبول لطيف . أو عن اللاتينية Gemma .

أما طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ص٢١) فقد قال : "جمان : فضة ، أما Gemuna اللاتينية فهو اسم جنسى لكل حجر كريم ، ويراد به أيضا بلّور نفيس وثمين . وفى (غرائب اللغة العربية ٢٢٣) جمان : لؤلؤ : فارسى" . وهو فى (المعجم الفارسى الكبير ٨٤٥/١) : "جمانة : درة ، صدر المجلس" . ومن المستبعد أخذ العرب عن اللاتينية فى العصر الجاهلى (انظر المفصل ١٤) .

٢ - طراز (فارسى) :

ذكره الطهطاوى فى صورتين (طراز فى الديوان ص١٠٨ ، طراز ص١٦٢ ، وقصد بها الزينة والجيد من الشئ .

فارسى معرب تكلمت بـه العـرب قديمـا (الجمهـرة ٣٢١/٢ ، مجمـل اللغـة ٥٩٤/٢ ، الصحاح ٨٨٣/٣ ، المعرب ٢٧/٢ ، تاج العروس ١٩٥/١٥ ، المزهر ٢٧٥/١ - ٢٨١ ، اللسـان ١٤٣/٨ ، المفصـل ٥٤ ، جـلال الديـن السـيوطى والمعـرب عـن اللغـة الفارسـية ص٧٦) .

وذكره روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢٣٨) ضمن الألفاظ الفارسية وهو فى الفارسية تراز Tiraz : أسلوب ، قانون ، نمط ، صورة ، زينة الثوب وحاشيته (المعجم الفارسى الكبير ١٨٥٢/٢ ، قاموس الفارسية ٢٤٧، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ص١١٢ ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ص٧٤) .

٣ ـ ياقوت (سنسكريتى أو فارسى) :

قصد به الطهطاوى نوعا من الجواهر (الديوان ١٢٣) .

فارسى معرب تكلمت به العرب قديما وورد فى القرآن الكريم (الرحمن٥٨) (الصحاح ٢٧١/١ ، فقه اللغة للثعالبى ١٩٨ ، المعرب ٤٤ ، القاموس المحيط ١٦٠/١ ، المزهر ٢٧٦/١ ، المهذب للسيوطى ٩٧ ، شفاء الغليل ٢٧٩ ، المعجم الوسيط ١١٠٩/٢ ، جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية ٩٤) .

وذكر طوبيا العنيسى أنه يونانى Yakithos ، وهو فى اللاتينية hyacinthas ، حجر كريم لونه أحمر (تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٦) ورأى بعضهم أنها مأخوذة من الكلمة التركية (ياقت) بمعنى مواد ملتهبة أو محرقة ، أو معرب كلمة ياكتة الفارسية (أسماء الأعلام المعاصرة ١٦٩) وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية أنها يونانية) . ورأى جورجى زيدان أنها سنسكريتية دخلت العربية قديما (اللغة العربية كائن حى ٣٩) وكل ما سبق يجعلنى أظن أنها ربما دخلت الفارسية ومنها إلى العربية أو دخلت اللغتين معا .

و ـ الألفاظ الخاصة بأوانى الأطعمة والأشربة :

١ ـ طبق (فارسى) :

ذكره الطهطاوى بمعنى الإناء يوضع فيه الطعام (الديوان ٧٩) .

وهو لفظ فارسي معرب (تابــه) بمعنى الإنـاء يطبـخ فيـه (فقـه اللغـة للثعـالبي ١٩٨ ، القـاموس المحيـط ٢٤٨/٣ ، المزهـر ٢٧٥/١ ، وفـي قـاموس الفارســية ١٥٣) : "تابــه : المقلاة" .

ثالثا : ألفاظ الحياة الثقافية والعلمية

أ ـ ألفاظ خاصة بوسائل الاتصال والمسافات :

١ ـ بريد (فارسى) :

أضاف الطهطاوى هذا اللفظ إلى كلمة الكهرباء وقصد به التلغراف قال "بريد كهربائى" (الديوان ١٢٠) .

ذكرت بعض المعاجم العربية أنها عربية بمعنى الرسول ، وأنه قيل لدابة البريد بريد لسيرها فى البريد (الجمهرة ٢٤١/١ ، الصحاح ٤٤٧/٢) . وفى (أساس البلاغة للزمخشرى ٤٠/١) : "أبردت له بريدا ، وهو الرسول المستعجل ، وذكر بعضهم أنها فارسية معربة أصلها (بريده دم) أى محذوفة الذنب لأن البغلة التى كانت تحمل البريد كانت كذلك ، ثم أطلق هذا اللفظ على الرسول نفسه ثم على المسافة (لسان العرب ٣٦٧/١ ، شفاء الغليل ٦٧ ، المعربات الرشيدية ١٤٩) ويفضل أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ١٨) كونه من أصل رومى :

Preredus (وانظر : المصطلح العربى ١١٠/١) . ويلاحظ مما سبق تغير دلالة هذا اللفظ فبعد أن كان يطلق على الدابة التى كانت تحمل البريد أصبحت تطلق على رسل البريد أنفسهم ، وهى الآن تطلق على نظام البريد المعروف .

٢ ـ فرسخ (فارسى) :

قصد به الطهطاوى مسافة معينة (الديوان ٧٨) .

فارسى معرب (الجمهرة ٣٣٢/٣ ، الصحاح ٤٢٨/١ ، المعرب ٢٩٨ ، المزهر ٢٨٢/١) ورأى طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة٥٠) وأدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ١١٨) أنه فارسى أصله فرسنك معناه : مسيرة ساعة على ظهر الخيل ، وقد ورد هذا اللفظ فى الحديث الشريف (المفصل ١٣٨ ، المعجم الوسيط ٧٠٦/٢) ، وهو فى الفارسية فرسنك Farsang ، وحدة قياس قديمة تعادل ثلاثة أميال (والمعربات الرشيدية ١٤٥ ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ص٢٥٣ ، Steingass . P. 301) .

ب ـ ألفاظ خاصة بالتعليم والفلسفة :

١ ـ الإكسير (يونانى) :

قصد به الطهطاوى معدنا ثمينا (الديوان ١٦٧) .

ذكر صاحب القاموس أن الإكسير : الكيمياء (القاموس ١٢٩/٢) ، وهى مادة مركبة كان الأقدمون يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب ، وشراب ـ فى زعمهم ـ يطيل الحياة معرب كسيريون فى اليونانية (المعجم الوسيط ٢٣/١، وانظر : غرائب اللغة العربية ٢٥٣ ، المصطلح العربى ١٠٤/١) .

٢ ـ برهان (فارسى) :

قصد به الطهطاوى الحجة الواضحة (الديوان ٨٤) .

ذكر بعض اللغويين العرب أنها بمعنى الحجة والإيضاح دون إشارة إلى أنها معربة (الجمهرة ٤١٦/٣ ، الصحاح ٢٠٧٨/٥ ، القاموس ١٩٨/٤ ، لسان العرب ٣٩٣/١ ، المعجم الوسيط ٥٤/١) وذكر أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ٢١) أنها فارسية تعريب بروهان . وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢١٩) أيضا أنها فارسية . وهى فى (المعجم الفارسى الكبير ٥٤٧/١) : "بروهان : ظاهر ، واضح ، جلى" . وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم (النساء ١٧٤) .

٣ ـ بند (فارسى) :

قصد به الطهطاوى جزء من قانون أو غيره (الديوان ١٠٣ ، ٢٠١) .

فارسى معرب ، بمعنى العلم الكبير ، علم الجيش ، القائد والعسكر (الجمهرة ٢٤٩/١ ، الصحاح ٤٥٠/٢ ، المعرب ١٢٥ ، اللسان ٥٠٢/١ ، شفاء الغليل ٦٧ ، تفسير الألفاظ الدخيلة ١٣ ، معجم الألفاظ الفارسية ٢٧) .

ويجمع على بنود ، وقد تكلمت به العرب قديما ، وقد ورد فى الشعر والحديث الشريف (الصحاح ٤٥٠/٢ ، المعرب ١٢٥ ، المزهر ٢٨٢/١ ، المفصل ١٠٣ ، جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية ٤٦) ، وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى غرائب اللغة العربية ص٢٢٠) أن بند فى كتاب : فارسية وهو فى الفارسية بند band ،

ومن معانيه فيها : قيد ، رباط ، عقد ، جزء من كتاب ، بند من قانون أو غيره (المعجم الفارسى الكبير ٣٩٧/١) . ويتضح من دراسة دلالات هذا اللفظ تنوعها وتعددها ؛ فهو يطلق على الألغاز والمعربات ، ويطلق على الحيلة ، فيقال : فلان كثير البنود (المعجم الكبير ٥٨١/٢ ، المعجم الوسيط ٧٣/١ ، المصطلح العربى ١١٥/١ ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ١٨٨) .

٤ ـ ترجمان (فارسى) :

قصد به الطهطاوى المُفصح (الديوان ١٥٦) .

ذكر الجوهرى فى (الصحاح ١٩٢٨/٥) : "أن ترجم كلامه : إذا نقله إلى لسان غيره" ، وقال صاحب (اللسان ٢٦/٢) : "الترجمان : المفسر" . و(انظر : المعجم الوسيط ٨٧/١) أما صاحب (المعربات الرشيدية ١٩٦) فقد أشار إلى أنه فارسى معرب (ترزبان) Tar - Zaban . ورأى روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ١٧٤) أنها آرامية . وذلك لا يتعارض مع القول السابق فربما دخلت من الآرامية إلى الفارسية ثم إلى العربية .

وهى فى (المعجم الفارسى الكبير ٧١٩/١) تَرْزَبان : فصيح ، حسن القول ، زلق اللسان) (وانظر : الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ٢٤٩) .

٥ ـ جوهر (فارسى) :

قصد به الطهطاوى أصل الشئ (الديوان ١٤٥ ، ١٥١) وبمعنى الشئ النفيس (الديوان ١٥٢ ، ١٦٣) .

فارسى معرب كوهر Gahaur ، والواحدة جوهرة ، وجوهر كل شئ أصله ، وكذلك الذى يخرج من البحر ، وما يجرى مجراه فى النفاسة مثل الياقوت والزبرجد (الجمهرة ٨٧/٢ ، ، الصحاح ٦١٨/٢ ، المعرب ١٤٦ ، اللسان ٣٩٩/٢ ، المزهر ٢٨١/١ ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ٤٩ ، المعربات الرشيدية ١٥٥ ، جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية ٥٧) . ونقل الجواليقى قول أبى العلاء : "لو حمل الجوهر على أنه من كلام العرب لكان الاشتقاق دالا عليه ، فإنهم يقولون : فلان جهير الصوت ، أى حسنة ؛ فيكون الجوهر من الجهارة التى يراد بها الحسن" (المعرب ١٤٦) . وذكر

الخفاجي في (شفاء الغليل ٩١) أنه معرب أما استعماله لمقابل العَرض فمولّد وليس في كلام العرب قديما هذا المعنى .
وفي (قاموس الفارسية ٥٨٠) : "كوهر : أصل ، شل ، جوهر ، كَوْهري : بائع الجواهر".

٦ ـ دفتر (فارسى) :

قصد به الطهطاوى الكتاب الذى تسجل فيه التواريخ والمعلومات (الديوان ١٤٢).
رأى بعض اللغويون العرب القدماء أن الدفتر واحد الدفاتر وهى الكراريس عربى صحيح وإن لم يعرف اشتقاقه (الصحاح ٦٥٩/٢ ، المعرب ١٩٥ ، القاموس المحيط ٢٩/٢ ، شفاء الغليل ١١٨ ، المعجم الوسيط ٢٩٨/١) .
أما طوبيا العنيسى فقد ذكر فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ٢٨) أنها فينيقية difthere أى : كتاب صغير . وقيل إنه فارسى أو تركى ورجح أدى شير أنه يونانى (معجم الألفاظ الفارسية ٦٥ ، المصطلح العربى ٥١/١) وذكره روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢٢٨) ضمن الألفاظ الفارسية . وهو فى الفارسية : دفتر : مكتب ، قلم فى إدارة ، كتاب ، سجل (المعجم الفارسى الكبير ١٢١٠/١ ، Steingass . P. 528).

٧ ـ قانون (يونانى) :

قصد به الطهطاوى القاعدة (الديوان ١٢٠ ـ ٢٠١) .
رأى بعض اللغويون العرب أن القوانين : الأصول ، والواحد : قانون ، وقانون كل شئ طريقه ومقياسه ، ورأوا أنها دخيلة (الصحاح ٢٨٥/٦ ، المزهر ٢٧٨/١) . وذكرها بعضهم دون إشارة إلى أنها دخيلة (القاموس ٢٥٧/٤) .
أما الخفاجى فقد ذكر أنه رومى معرب ، معناه : الأصل والقاعدة ، وأصل معناه المسطرة ، ثم سمى به آلة من آلات الطرب على التشبيه (شفاء الغليل ٢٠٨) . وفى (المعجم الوسيط ٧٩٩/٢) : "رومية ، وقيل : فارسية" . وذكر آخرون أنها يونانية (المصطلح العربى ٢٦٤) أن قانون بمعنى قاعدة يونانى ، وقانون بمعنى آلة حرب فارسى . وفى (قاموس الفارسية ص٥١٣) قانون : اسم آلة موسيقية ، واسم كتاب فى الطب لابن

سينا) . ومما سبق يمكن القول باحتمال دخول الكلمة الفارسية من اليونانية ، وفيها توسعت دلالتها فأصبحت تدل على القاعدة وعلى آلة الموسيقى ودخلت العربية بالمعنيين.

٨ ـ قُرطاس (يونانى) :

قصد به الطهطاوى الأوراق التى يكتب فيها (الديوان ١٤٦) .

وردت فى بعض المعاجم دون إشارة إلى أنها دخيلة (الصحاح ٩٦٢/٣ ، القاموس ٢٣٧/٢) وذكر بعضهم أنها دخيلة دون إشارة إلى اللغة التى جاءت منها (المعرب ٣٢٤ ، المهذب ٧٦ ، شفاء الغليل ٢١٢) . وذكر طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ٥٥) أن قرطاس : يونانى Chahtes ، معناه : ما يرسم به ، ومرادفه : ورقه وصحيفة . وأيده روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢٦٤) . وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم (سورة الأنعام ٧) ، وهو من الألفاظ المثلثة قُرطاس ، قَرطاس ، قِرطاس) بالمعنى نفسه وتجمع على قراطيس (والمعجم الوسيط ٧٥٥/٢ ، أسماء الأعلام المعاصرة ١٦١) .

رابعا : ألفاظ الحياة الاجتماعية

أ ـ ألفاظ دينية :

١ ـ برزخ (فارسى) :

قصد به الطهطاوى الفترة ما بين الموت والبعث (الديوان ٧٧) .

فى (الجمهرة ٣٠٢/٣) : "البرزخ : الحائل بين الشيئين ، وكذلك فسر فى التنزيل" ووردت معانيه فى (اللسان ٥٠٢/١) دون إشارة إلى أنه دخيل ، وكذلك (القاموس ٢٥٥/١ ، المعجم الوسيط ٥٠/١ ، المعجم الكبير ٢٢١/٢) . وقد ذكر أدى شير أنه فارسى (برزك) ومعناه : "النحيب والبكاء" (معجم الألفاظ الفارسية ١٩) وهى فى (المعجم الفارسى الكبير ٥٣١/١) : "برزك بمعنى البكاء" . وقد ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم (سورة المؤمنون ١٠٠) .

٢ ـ جبريل (عبرى) :

قصد به الطهطاوى سيدنا جبريل الملك المعروف (الديوان ١٣٠) .

وهو صيغة صوتية كتابية عن جبرائيل ، وجبرائيل فى العربية والعبرية والسريانية تدل كلمة (جبر) جبرا على الرجل القوى ، والاسم العبرى (جفرئيل) بمعنى : رجل الله ، وهو اسم علم مركب من (جيفر) و (إيل) بمعنى : إله ويرجع الاستخدام الحالى للاسم إلى الملاك (جبرائيل) الذى يرد اسمه فى القرآن الكريم (سورة البقرة ٩٧) جبريل (المعرب ١٦ ، ٣٧٥ ، اللسان ١٦٦/٢ ، القاموس ١١٠/١ ، أسماء الأعلام المعاصرة ١٣٦) .

٣ ـ فردوس (فارسى) :

قصد به الطهطاوى جنة الفردوس (الديوان١٤٢) .

وقد تردد بعض اللغويين العرب فى أصل هذا اللفظ الذى ورد فى القرآن الكريم (سورة المؤمنون ١١) ، فرأى بعضهم أنه عربى أو رومى (معانى القرآن للفراء ٢٣١/٢ ، المعرب ٢٨٨ ، شفاء الغليل ١٩٩) . وذكر آخرون أنه رومى (اللسان فردس ، المزهر ٢٧٦/١ ، المعربات الرشيدية ١٦٣) . وبعضهم رأى أنه يونانى (غرائب اللغة العربية ٢٦٢) . ونقل القرطبى عن مجاهد أنها رومية أو فارسية أو حبشية ، ورأى أنه إن ثبت

ذلك فهو وفاق بين اللغات ، كما نقل عن الضحاك أنها عربية تعنى الكرم (الجامع للقرطبى ١٠٨/١٢) ، وفى (المعجم الوسيط ٧٠٥/٢) : "الفردوس البستان الجامع لكل ما يكون فى البساتين مذكر وقد يؤنث" . وقال برجشتراسر فى كتابه (التطور النحوى للغة العربية ٢١٥) : "والفردوس لا نعرف أصله الفارسى ، غير أن اليونانية كانت قد استعارتها قبل الهجرة بما يقرب من ألف سنة وهى هناك :Paraddise " . وهى فى معجم ويبستر الجديد مقترضة من اللغة الفارسية القديمة (oldpersion) ، (انظر : The new Lexicon Wepsters Dictionary . P.727) وعلى ذلك يكون أصل هذه الكلمة ليس ساميا وإنما هو من الهندأوربية بدليل وروده فى الفارسية واليونانية (وانظر : أسماء الأعلام المعاصرة ١٥٩) .

٤ ـ الكاهن (عبرية) :

قصد به الطهطاوى المتكهن بالغيب (الديوان ١٢٩) .

وردت هذه الكلمة واشتقاقات لها دون إشارة إلى أعجميتها فى (الصحاح ٢١٩١ ، مجمل اللغة ٧٧٣/٣ ، القاموس ٢٦٠/٤ ، المعجم الوسيط ٨٣٥/٢) أما طوبيا العنيسى فقد ذكر أنها عبرية معناها : خادم الإله ، وأن الكاهن عند العرب معناه القاضى بالغيب (تفسير الألفاظ الدخيلة ٦٠) . وأيده فى ذلك جورجى زيدان (اللغة العربية كائن حى ٣٧) . وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢٠٤) أنها آرامية ، وإذا كانت الآرامية حلت محل العبرية فى بلاد الشرق الأدنى القديمة فإن ذلك يجعلنا نظن أنها عبرية أخذتها الآرامية ثم العربية والله أعلم .

ب ـ ألفاظ صفات الإنسان وأقاربه :

١ ـ بهلول (فارسى) :

قصد به الطهطاوى البطل الشجاع (الديوان ١١٣) .

ذكر اللغويون العرب أن البهلول : الضحاك الباسم (الجمهرة ٣٨١/٣ ، الصحاح ١٤٦٢/٤ ، الزمخشرى أساس البلاغة ٧١/١ ، اللسان ٥٢٣/١ ، المعجم الكبير ٦٣٥/٢) وذكر أدى شير فى (معجم الألفاظ الفارسية ٢٩) أن : "البهلول : الضحاك السيد الجامع

لكل خير ، تعريب بهلوان" ، وفي (المعجم الوسيط ١/٧٧) : "بهلوان : معربة وذكر روفائيل نخلة اليسوعي في كتابه (غرائب اللغة العربية ٢٢٠) أن : "بهلوان : فارسي ، معناه : بطل ، شخص ممتاز بقوته" ، وفي (المعجم الفارسي الكبير ١/٦١٣ بهلوان : بطل ـ شجاع ـ عظيم الجسد ـ بطل الرواية أو السيرة ـ مصارع" .

٢ ـ فاميلية (لاتيني) :

قصد به الطهطاوي العائلة (الديوان ١٢٣) .

وهي كلمة لاتينية أدخلها الطهطاوي بمعناها : Famille وهي في أكسفورد family تعني : مجموعة من الآباء والأبناء ينحدرون من حد واحد(Oxford - Adavanced - P.308) ، (وانظر : The new Lexicon Wepsters Dictionary . P.340) وفي القاموس الفرنسي التاريخي: Famille من الكلمة اللاتينية (Familia) من (Famulus) بمعنى خادم ، وأخذت الدلالة الخاصة بالأسرة منذ سنة ١١٨٠م ، (انظر : Le Robert : Dictionnaire HisTorigue de La , Langue Francoise) .

وانظر أيضا معجم لاروس : (Larousse , dictionnaire de la Langue Francaise) .

جـ ألفاظ الأعياد والحفلات :

١ ـ بال (لاتيني) :

قصد به الطهطاوي الحفل (الديوان ١٢٢) .

في أكسفور الحديث ball : تعني : حفل راقص من خلال تجمع اجتماعي معين ، وبرنامج منظم (Oxford - Adaranced - P.59) . ، وانظر أيضا : The new Lexicon Wepsters Dictionary of The English Langauge)، وفي معجم لاروس (J.Dubois) : كلمة bal : من الكلمة الفرنسية (baller) والتي ترجع إلى الكلمة اللاتينية المتأخرة (balare) بمعنى رقص " . (انظر : Larousse , dictionnaire de la Langue Francaise (bal) .

٢ ـ مهرجان (فارسي) :

قصد به الطهطاوي الحفل (الديوان ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٧٠) .

وهى كلمة فارسية مركبة من كلمتين : Mehr ، ومن معانيها الشمس ، والثانية gun ، ومن معانيها الحياة أو الروح .وهى اسم عيد عند الفرس (شفاء الغليل ٢٣٩، تفسير الألفاظ الدخيلة ٧١ ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٧ ، المعربات الرشيدية ٢٠٣ ، غرائب اللغة العربية ٢٤٦) وهى فى الفارسية (مِهركان) بمعنى : أعظم عيد عند الفرس القدماء يعد عيد الفيروز . (القاموس الفارسية ٧٠٥) .

د ـ ألفاظ خاصة بالموت والدفن :

١ ـ تابوت (مصرية قديمة) :

قصد به الطهطاوى الصندوق الذى يوضع فيه الجثة (الديوان ١٩٧) .

ذكر بعض اللغويين العرب أن التابوت فيه لغة أخرى وهى التابوه و لم يشيروا إلى أعجميته (الصحاح ٩٢/١ ، القاموس ١٤٣/١ ، اللسان ١٢/٢) وفى (المعجم الوسيط ٨٤/١) أنها معربة .

وذكر طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ١٦) أن "تابوت : عبرانى أصله (تبة) وهى صندوق من خشب" . وأيده فى ذلك روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢١١) . وهى كلمة مصرية قديمة ، وهى فى الحبشية تابوت ، وفى الآرامية اليهودية تيبوتا ، وفى العبرية تيبا ، وفى التركية Tabut أى كفن ، صندوق كبير ، مكان فى المتحف تعرض فيه التوابيت ، (أسماء الأعلام المعاصرة ١١٩/١) وفى الفارسية "تابوت كش : حامل التابوت" (المعجم الفارسى الكبير ٦٧٧/١) . وقد وردت فى القرآن الكريم (سورة البقرة ٢٤٨) .

.المحور الثانى:

ـ التغيرات فى البنية

تؤدى ظاهرة الاقتراض اللغوى إلى حدوث تغيرات فى بنية الكلمة المقترضة . وقد تنبه لغويون القدماء لما يحدث للكلمة الدخيلة فى العربية من تغيرات عند تعريبها ، وكان تركيزهم على الدخيل من اللغة الفارسية ، لأن كلمات كثيرة مما عرب قديما كان من الفارسية .

وهم قد يعربون بدون تغيير ، وقد يبدلون صوتا بصوت ومنه ما يكون مطردا ، ومنه مالا يطرد ، "فالبدل المطرد فى كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية ، وأما ما لا يطرد فيه البدل ؛ فالحرف الذى من حروف العرب ، نحو سين سراويل ، وعين إسماعيل" (٥٣) .

وقد يحدث بعد أن تعرب الكلمة أن يُشتق منها ، أو ينسب إليها ، أو تجمع أو تصغر ، وقد تتعدد صورها بسبب تعدد اللهجات التى تعاملت معها وقد تكون الكلمة فى أصل لغتها مركبة من كلمتين أو أكثر فتدخل العربية كلمة واحدة وتعامل فيها معاملة الكلمة الواحدة .

ومن خلال دراسة الألفاظ المعربة والدخيلة فى شعر الطهطاوى يمكن لنا تقسيم هذه التغيرات اللغوية إلى :

١ ـ تغيرات صوتية : وتشمل : تغيرات فى الصوامت ـ مطردة وغير مطردة ، وتغيرات فى الصوائت . ولكل أثره فى المقاطع الصوتية للكلمة المعربة .

٢ ـ تغيرات صرفية : وتشمل : ما حدث للكلمة المعربة من اشتقاق ، وتذكير أو تأنيث ، وجمع ، ونسب ، وكذلك الكلمات المركبة وتحولها إلى كلمة واحدة .

النوع الأول : التغيرات الصوتية

أولاً : التغيرات التي لحقت الصوامت :

أ ـ تغيرات مطردة :

وهي تغيّر الحرف الأجنبي الذى ليس له مثال فى العربية إلى حرف عربى ، وقد حدثت معظم أنواع القلب هنا بين أصوات متقاربة فى المخرج ، أو مشتركة فى الصفة ومتقاربة فى المخرج ، أو مشتركة فى الصفة فقط كالآتى : ـ

١ ـ قلب (الپاء) الفارسية باء عربية :

- پروهان (Parwahan) ←——— بُرهان .
- پزرگ (Puzurg) ←——— برزخ .

٢ ـ قلب (الپاء) الفارسية فاء عربية :

- پرند Parand ←——— فرند .
- پارس paras ←——— فارس .

٣ ـ قلب صوت (v) اللاتينية إلى فاء عربية :

- Vapore ←——— وابور .

٤ ـ قلب الجيم (چ) الفارسية جيما عربية :

- چنگ Chang ←——— جنك .

٥ ـ قلب الكاف (گ) الفارسية جيما عربية :

- گوهر gauhar ←——— جوهر .
- لگام Ligam ←——— لجام .
- مِهرگان margan ←——— مهرجان .

وقد حدث القلب السابق بين الجيم والكاف الفارسية لما بين الصوتين من تقارب فى المخرج ، فصوت الكاف الفارسى : حنكى انفجارى مجهور ، والجيم العربية لثوية حنكية مع اللسان فهو مركب مجهور . ويطلق سيبويه على صوت الكاف الفارسية : الحرف الذى بين الكاف والجيم يقول : "يبدلون من الحرف الذى بين الكاف والجيم : الجيم لقربها منها . و لم يكن من إبدالها بد ، لأنها ليست من حروفهم"(٥٤).

بل إن براجشتراسر يذهب إلى أبعد من ذلك فهو يرى أن الجيم فى العربية وقت تعريب هذه الألفاظ الفارسية كانت قريبة فى نطقها من (الكاف) (٥٥) .

٧ ـ قلب (الگاف) الفارسية قافا عربية :

ـ دهگان bihgan ←――――― دهقان .

وهى قريبة المخرج أيضا من القاف (٥٦) .

٨ ـ قلب (الگاف) الفارسية كافاً عربية :

ـ چنگ Chang ←――――― جنك .

٩ ـ قلب الكاف الفارسية خاء عربية :

ـ فرسنگ Farsang ←――――― فرسخ .

ـ برزگ Puzurg ←――――― برزخ .

١٠ ـ قلب الهاء الأخيرة قافاً .

وبعد هذا أيضا من نوع القلب المطرد خاصة فى تعريب الكلمات الفارسية مع أن الصوتين موجودان فى العربية ، ويعلل لذلك سيبويه بأن الهاء فى هذه الكلمات الأجنبية جاءت فى موضع لا يشبه كلام العرب فصارت كالأصوات الغريبة يقول سيبويه : "فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم" (٥٧) .

ـ تابه Tapa ←――――― طبق .

ـ خورنه Khawarna ←――――― خورنق .

ب ـ تغيرات غير مطردة :

١ ـ قلب الفاء العبرية باء عربية (وهما صوتان متقاربان فى المخرج)

إفراهام ←ـــــــــــــ إبراهام .

٢ ـ قلب صوت الكاف فى اللاتينية إلى جيم عربية (وهما صوتان متقاربان فى المخرج) .

ـ فرنك ←ـــــــــــــ فرنجة .

والكاف والجيم يتبادلان المواقع فى بعض الكلمات العربية ، يقال : أخذ سك فى بطنه وسج ، إذا لان بطنه ، ويقال : ريح سيهك وسيهج ، وريح سيهوك وسيهوج : إذا كانت شديدة (٥٨) .

٣ ـ قلب الياء فى العبرية همزة عربية :

ـ يشماويل ←ـــــــــــــ إسماعيل .

ـ هياردن ←ـــــــــــــ الأردن .

والإبدال بين الياء والهمزة حدث فى العربية ولهجاتها من ذلك ما ذكره سيبويه فى هرقت وهمرت وهرحت تريد أرقت وأمرت وأرحت (٥٩) ، وقد قرأ "هياك نعبد وهياك نستعين" بالهاء أبو السوار الغنوى(٦٠) .

٤ ـ قلب الواو همزة :

ـ جَوْذَر ←ـــــــــــــ جُؤْذُر .

وذكر اللغويون العرب أنه قد تهمز الواو فى مثل هذا الموضع فى الضرورة(٦١) ، وقرئ "وبالسؤق والأعناق" مهموزا(٦٢) .

٥ ـ قلب التاء طاء :

ـ مالتبرون Malt-Bron ←ـــــــــــــ ملطبرون .

ـ تراز Taraz ←ـــــــــــــ طراز .

ـ تابه Taph ← طبق .

وقد حدث الإبدال بين التاء والطاء في العربية ولهجاتها فقد ذكر ابن عصفور أن التاء أبدلت من الطاء في فستاط ، والأصل فسطاط بدليل قولهم فساطيط ، ولا يقولون فساتيط ، وفي أستاع ـ يستيع والأصل أسطاع يُسطيع(٦٣) .

وقال ابن السكيت " يقال : الأقطار والأقتار ، ويقال رجل طين ورجل تين ، ويقال : ما أستطيع ، وما أستيع ، وما أسطيع بمعنى واحد"(٦٤) .

٦ ـ قلب السين زايا :

باريس Paris ← باريز .

ـ وتبدل السين من الزاي في بعض الكلمات العربية "يقال : مكان شأس وشأز ، وهو الغليظ ويقال : نزغه ونسغه وندغه ، وذلك إذا طعنه بيد أو رمح"(٦٥) .

٧ ـ قلب الخاء قاف (وذلك لقرب المخرج أيضا) :

ـ دهخان dhkhan ← دهقان .

وهذا القلب مقبول لأن صوت الخاء حنكي قصي احتكاكي مهموس ، وصوت القاف لهوي انفجاري مهموس ، فهما يقتربان من بعضهما مخرجا وصفة .

٨ ـ قلب الشين سين :

ـ لشكَر Lashkar ← عسكر .

ـ مشكْ mushk ← مِسك .

وقد تحل السين محل الشين وكذلك العكس في بعض الكلمات العربية ، يقال : حمس الشر وحمش ؛ إذا اشتد وقد احتمس الديكان واحتمشا إذا اقتتلا . ويقال : عطس فلان فسمته وشمته . ويقال : عنس وعنش : للسواد ، وقد غبس الليل وأغبس وغبش وأغبش"(٦٦) ، ويقال : جعشوش والأصل جعسوس ، بالسين والجمع جعاسيس ، أي صاغرون أذلاء" (٦٧) .

٩ ـ قلب اللام عينا :

لشكر Lashkar ←——— عسكر .

ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا القلب غير مطرد ، والعين أبعد ما تكون عن اللام . وأنه ربما قام الذى عرّبها بقلب الشين سينا أولا فشعر ثقل اللسان عن نطق اللام ثم السين ، لأن اللسان ينطق اللام ثم يرجع قليلا لينطق السين ، فقلب اللام عينا(٦٨) .

جـ ـ الحذف :

حدث لبعض الكلمات تغير فى بنيتها الصوتية وذلك بحذف بعض المقاطع الصوتية منها من ذلك :

١ ـ حذف الهاء الأخيرة :

زنده ←——— زَند .

مافه ←——— منف .

٢ ـ حذف جزء من الكلمة :

فرسنك Farsang ←——— فرسخ .

برجس Pyrgos ←——— برج .

كسيريون Xerion ←——— إكسير .

نيلوس nelos ←——— نيل .

ياقوتس Yakitgos ←——— ياقوت .

رومز Romeos ←——— روم ز

ومعظم الكلمات السابقة جاءت إلى العربية من اليونانية ويلاحظ حذف (os) الأخيرة من هذه الكلمات .

د ـ الزيادة :

حدث لبعض الكلمات تغير فى بنيتها الصوتية وذلك بزيادة أصوات على الكلمة الأصلية من ذلك :

أفريقا Africa ←——— أفريقيا .

سِنْرٌ Senor ←――― سينيور .

ثانيا : التغيرات التي لحقت الصوائت

حدث للصوائت ما حدث للصوامت في الكلمات المقترضة فتعرضت أيضا للمد والقصر من ذلك :

١ ـ تحول الفتحة الطويلة إلى فتحة قصيرة .

تابه Taph ←――― طبق .

٢ ـ تحول الضمة القصيرة إلى فتحة قصيرة .

كهربا Kah ruba ←――― كَهْرَباء

٣ ـ تحول الكسرة القصيرة إلى فتحة طويلة .

غست Geest ←――― غاز .

٤ ـ تحول الضمة القصيرة إلى كسرة قصيرة .

مُشْكَ mashk ←――― مِسك .

٥ ـ تحول الضمة الطويلة إلى ضمة قصيرة .

بوستان boStan ـ أو bo-stan ←――― بُستان .

٦ ـ تحول الفتحة إلى كسرة قصيرة .

بَرند Parand ←――― فِرند .

النوع الثانى : التغيرات الصرفية

كان للغويين العرب أيضا موقف من الكلمات المعربة من ناحية المعالجة الصرفية فلقد حاولوا الاشتقاق من هذه الكلمات ، وكلما كثرت مشتقات الكلمة كلما دلّ ذلك على تمكنها فى التعريب .

يقول سيبويه : "اعلم أن كل اسم أعجمى أعرب وتمكن فى الكلام فدخلته الألف واللام وصار نكرة فإنك إذا سميت به رجلا صرفته ، إلا أن يمنعه من الصرف ما يمنع العربى ، وذلك نحو اللجام ، والديباج ، والبرندج ، والفيروز ، والفرند والزنجبيل ، والأرندج ، والياسمين فيمن قال : ياسمين" (٦٩) .

كما يرى سيبويه جواز معاملة اللفظ الأجنبى الذى لم يأت على مثال أبنية العرب معاملة العربى الفصيح يقول : "فإن قلت أدع صرف الآجر ، لأنه لا يشبه شيئا من كلام العرب ، فإنه قد أعرب وتمكن فى الكلام ، وليس بمنزلة شئ ترك صرفه من كلام العرب ، لأنه لا يشبه الفصل ، وليس فى آخره زيادة ، وليس من نحو عمر وليس بمؤنث ، وإنما هو بمنزلة عربى ليس له ثان فى كلام العرب نحو إبل ، وكدت تكاد ، وأشباه ذلك"(٧٠).

ومن خلال دراسة الألفاظ المعربة والدخيلة فى شعر الطهطاوى أمكن بالاستعانة بالمعاجم العربية . تحديد الكثير من اشتقاقات للكلمات المعربة ، وتحديد أبنية الجمع ، والعثور على صيغ منسوبة ، وكذلك أقوال حول تذكير بعض هذه الكلمات ، وتأنيثها كما تبين أن بعض هذه الكلمات كان مركبا فى لغته الأصلية ثم أصبح كلمة واحدة فى العربية ، وكذلك تبين وجود عدة صور لبعض الكلمات التى افترضتها العربية وذلك نتيجة لاختلاف اللهجات التى قامت بتعريب هذه الكلمات. ونعرض الآن هذه القضايا بإيجاز وذكر أمثلة :

أولا : الإشتقاق .

من خلال دراسة الكلمات المعربة والدخيلة فى شعر الطهطاوى تبين أن بعضها أمكن فى التعريب من بعضها الآخر ، وتبين ذلك بكثرة اشتقاقات كلمة عن أخرى ، فبعض

الكلمات اشتق منها المصدر واسم الفاعل واسم المفعول ، واسم المكان . وبعضها اشتق منه الفعل والمصدر فقط ، وبعضها اشتق منه الفعل فقط ، وبعضها لم يشتق منه شئ .

وأعرض الآن للألفاظ المعربة التى تم الاشتقاق منها (مرتبة على حروف المعجم) .

١ - بُرج : بَرجَ بُرُوُجًا ، وهو أبرج ، وهى برجاء ، والبارجة سفينة ذات برج : (المعجم الوسيط ١/٤٨) .

٢ - بُرهان : برهَن برهنة (المعجم الوسيط ١/٤٨) .

٣ - بُستان : البستنة : علم فلاحة البساتين (المعجم الوسيط ١ / ٥٧) .

٤ - بغداد : تبغدد فلان : انتسب إلى بغداد (المعجم الوسيط ١ / ٥٧) .

٥ - تاج : توّجته فتتوج (الصحاح ١/٣٠١) التاج ذو التائج (المعجم الوسيط ١/٩٣).

٦ - تَرْجُمان : ترجم الكلام بينه ووضحه ، الترجمان : المترجم ، الترجمة : ترجمة فلان : مسيرته وحياته (المعجم الوسيط ١ / ٨٦) .

٧ - خَاقان : خقّن القوم الخاقان على أنفسهم رأسوه وملّكوه (المعجم الوسيط ١ / ٢٥٦) .

٨ - دِرْهَم : المُدَرْهَم : كثير الدراهم (المعجم الوسيط ١ / ٢٩٢) .

وفى (القاموس المحيط ٤/١١٠) : "إذا وجد اسم المفعول مُدَرْهَم ، فالفعل حاصل ودرهمت الخبازى : صار ورقها مدرهم" .

٩ - دِهْقان : ذكرها الطهطاوى بصيغة (التدهقن) وفى (معجم الألفاظ الفارسية لأدى شير ص٦٨) : "دَهقن وتدهقن" .

١٠ - سُرَادِق : سردق البيت : جعل له سرادقا (الجمهرة ٣/٣٣٣ ، والمعجم الوسيط ١/٤٤٢) وقالوا بيت مسردق (الصحاح ٥/ ٤٩٦) .

١١ - سَرْج : أسرج الفرس : شد عليه السرج ، السّراجة : حرفة السراج (الوسيط ١/٤٤١) .

١٢ - طراز : طَرزه حسن أى زيُّة حسن (شفاء الغليل ١٧٥) تطرّز ، الطرازة ، حرفة الطراز ، الطرّاز : الذى يعمل الطرز ، المطرّز : الطراز (المعجم الوسيط ٢ / ٥٧٤) .

١٣ ـ عسكر : المعسكر اسم مكان (المعجم الوسيط ٢ /٦٢٣) ووردت فى ديوان الطهطاوى (تعسكرت) ، وعسكر والمعسكر (المعجم الوسيط ٢/٦٢٣) .

١٤ ـ فردوس : فردس الكرم : وسّعه وعرّشه (الوسيط ٢/٧٠٥) .

١٥ ـ فرسخ : يقال سراويل مفرسخة أى واسعة (المعجم الوسيط ٢/٧٠٧) .

١٦ ـ كاهن : كَهُن وتكَهّن ، وكاهن ، وكهانة (المعجم الوسيط ٢/٨٣٥) .

١٧ ـ كهرباء : كهرب وتكهرب ، الكهربة : استنباط الكهرباء (الوسيط ٢/٨٣٥) .

١٨ ـ لجام : اللّجمة : موضع اللجام ، اللّجام : صانع اللجام (المعجم الوسيط ٢/٨٤٩) .

١٩ ـ مهرجان : مهرجونا كل يوم" (القاموس المحيط ٢/١٩٢) .

٢٠ ـ هند : المُهنّد : السيف المطبوع من حديد الهند (المعجم الوسيط ٢/١٠٣٧) .

ثانيا : جمع الألفاظ المعربة والدخيلة

الجمع نوعان : جمع تصحيح وجمع تكسير ، والأول "ما سلم فيه واحده من التغيير ، وإنما تأتى بلفظه البتة من غير تغيير ، ثم نزيد عليه زيادة تدل على الجمع كما فعل فى التثنية ، ويقال له جمع سلامة لسلامة لفظ واحده من التغيير(٧١).

أما جمع التكسير فهو "ما دل على أكثر من اثنين ، بتغيير ظاهر ، كرجل ورجال ، أو مقدر كـ (فُلك) للمفرد ، والجمع . فالضمة التى فى المفرد كضمة قفل ، والضمة التى فى الجمع كضمة أُسد ، وهو على قسمين : جمع قلة ، وجمع كثرة ، فجمع القلة تدل حقيقته على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة ، وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية ، وقد يستعمل كل منهما فى موضع الآخر مجازا ، وأمثلة جمع القلة أفعلة ، كأسلحة ، وأفعل ، كأفلس ، وفِعلة كفتية ، وأفعال كأفراس ، وما عدا هذه الأربعة من جمع التكسير فجموع كثرة" (٧٢) .

وقد حدث لبعض الألفاظ المعربة التى وردت فى شعر الطهطاوى منذ دخولها المعربة وفى عصره أن صيغت منها صيغ الجمع ، فمنها ما جمع بزيادة الألف والتاء مثل سرادق : سرادقات ، ومنها ما جمع على مثال أوزان معينة من جموع التكسير ـ جموع القلة وجموع

الكثرة ـ وهذا نلاحظه من خلال عرض هذه الألفاظ مع محاولة ترتيبها على أمثلة أوزان الكلمات العربية : ـ

١ ـ فُعُول :

- برج   بروج (معجم ألفاظ القرآن ١٢٦/١) .
- بند   بنود (المعجم الكبير ٥٨١/٢) .
- تخت   تخوت (المعجم الوسيط ٨٦/١) .
- سرج   سروج (المعجم الوسيط ٤٤١/١) .
- كسرى   كسور (المعرب ٣٣٠) .

٢ ـ فعالل :

- أسكل   أساكل (ديوان الطهطاوى ١٠٠) .
- برزخ   برازخ (المعجم الوسيط ٥٠/١) .
- بندقية   بنادق (الديوان ٩١) .
- ترجمة   تراجم (المعجم الوسيط ٨٦/١) .
- جؤذر   جآذر (الصحاح ٢/) .
- جوهر   جواهر (المعجم الوسيط ١٥٤/١) .
- دفتر   دفاتر (الصحاح ٦٥٩/٢ ، المعجم الوسيط ٢٩٨/١) .
- فرسخ   فراسخ (المعرب ٢٩٨) .
- فرند   فراند (المعجم الوسيط ٣١٠/١) .

٣ـ فعاليل :

- برهان   براهين (المعجم الوسيط ٥٤/١) .
- بستان   بساتين (المعجم الوسيط ٥٧/١) .
- بهلول   بهاليل (المعجم الوسيط ٧٧/١) .
- دهقان   دهاقين (المعجم الوسيط ٣١٠/١) .
- سلطان   سلاطين (المعجم الوسيط ٤١٠/١) .
- فردوس   فراديس (المعجم الوسيط ٧٠٥/٢) .
- قرطاس   قراطيس (المعجم الوسيط ٧٥٥/٢) .

- ميدان   ميادين (الجمهرة ٢/٣٠٣ ، الصحاح ٢/٥٤١) .

٤ ـ فواعيل :

- خاقان   خواقين (الديوان ١٤١) .
- قانون   قوانين (الصحاح ٦/٢١٨٥) .
- ياقوت   يواقيت (الصحاح ١/٢٧١) .

٥ ـ أفعال :

- تاج   أتواج (المعجم الوسيط ١/٩٤) .
- طبق   أطباق (القاموس المحيط ٢/٥٧١) .

٦ـ أفعلة :

- طرز   أَطرزة (المعجم الوسيط ٢/٥٧٤) .

٧ ـ فُعُل :

- طِراز   طُرز (المعجم الوسيط ٢/٥٧٤) .

٨ـ فعاللة :

- دهقان   دهاقنة (المعجم الوسيط ١/٣١٠) .
- كسرى   أكاسرة (المعرب ٣٣٠) .
- ترجمان   تراجمة (المعربات الرشيدية ١٩٦) .

٩ـ الجمع بزيادة ألف وتاء :

- سرادق   سرادقات (الصحاح ٥/١٤٩٦) .
- وابور   وابورات (الديوان ١٢٠) .

١٠ ـ فِعْلان :

- تاج   تيجان (الديوان ٨٥) (المعجم الوسيط ١/٩٤) .

١١ ـ أفاعل :

- كسرى   أكاسر (المعرب ٣٣٠) .

ثالثا : النسب إلى الألفاظ المعربة والدخيلة

من التغيرات التى حدثت فى بنية بعض الكلمات المعربة والدخيلة النسب إليها والنسب كما يعرفه سيبويه بقوله : "اعلم أنك إذا أضفت رجلا إلى رجل . فجعلته من آل ذلك الرجل ، ألحقت ياءى الإضافة ، فإن أضفته إلى بلد فجعلته من أهله ألحقت ياءى الإضافة ، وكذلك إن أضفت سائر الأسماء إلى البلاد أو إلى حى أو قبيلة" (الكتاب ٣/٣٣٥) .

من الكلمات التى نسب إليها من ألفاظ الطهطاوى المعربة ما يأتى :

- البستانى : عامل البساتين (المعجم الوسيط ١/٥٧) .
- التاجى : الشريان التاجى : شريان على شكل التاج يغذى القلب (المعجم الوسيط ١/٩٤) .
- الجمانى : العظيم الجمة الطويلها (المعجم الوسيط ١/٤٤٢) .
- الجوهرى : صانع الجواهر وبائعه (المعجم الوسيط ١/١٥٤) .
- الطرزى : الطراز (المعجم الوسيط ٢/٥٧٤) .
- العسكرى : الجندى (المعجم الوسيط ٢/٦٢٢) .
- كسرى : كسروى (المعرب ٣٣٠) .
- المندلى : عطر ينسب إلى المندل (الصحاح ٥/٨٢٨) .

رابعا : التصغير

١ ـ جاء على وزن مُفَيْعِل : درهم   دُرَيْهِم (لسان العرب درهم) .

٢ ـ جاء على وزن فُعَيل : هند   هنيدة (المعجم الوسيط ٢/١٠٣٧) .

خامسا : التذكير والتأنيث

اختلفت اللهجات العربية فى تذكير بعض الأسماء وتأنيثها ، فما يُذكّره بعضهم قد يؤنثه آخرون ، قال الفراء : أهل الحجاز يقولون : هى النخل وهى البسر والتمر والشعير ، فأهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون كذلك ، وربما أنثوا والأغلب عليهم التذكير"(٧٣) .

وقد تأثرت الكلمات المعربة والدخيلة بذلك الاختلاف اللهجى من أمثلة ذلك ما نراه فيما يأتى : ـ

- السلطان : يذكر ويؤنث (القاموس المحيط ٣٦٣/٢) .
- الفردوس : وقد يؤنث (القاموس المحيط ٢٣٣/٢) .
- المسك : يذكر وربما يؤنث (المعجم الوسيط ٩٠٤/٢) .

سادسا : لهجات المعرب

سبق أن ذكرنا أن الكلمات المقترضة قد تختلف صورتها في اللغة التي دخلت إليها وذلك بسبب اختلاف القبائل التى قامت بتعريب هذه الألفاظ قال الجواليقى : "وإذا كان حكى لك في الأعجمية خلاف ما العلامة عليه فلا ترينه تخليطا ، فإن العرب تخلّط فيه ، وتتكلّم به مخلّطا لأنه ليس من كلامهم ، فلما اعتنقوه وتكلموا به خلّطوا" (٧٤) .

وإليك أمثلة من هذه الاختلافات اللهجية ، أو الصور المتعددة للألفاظ المعربة والدخيلة فى شعر الطهطاوى : ـ

- إبراهيم ، إبراهام ، إبراهَم ، إبراهِم (المعرب ٦١) .
- إسكندر ، أُسكندر (المعرب ٨٩) .
- إسماعيل ، إسماعين (المعرب ٦٢) .
- بغداد ، بغداذ ، بغدان (المعرب ٦٢) .
- التابوت ، التابوه (اللسان ١٢/٢) .
- تلمِسان ، تنمسان (معجم البلدان ٤٤/٢) .
- الفِرند ، البرند لغه فيه (معجم الألفاظ الفارسية ١١٩) .
- قِرطاس ، قُرطاس ، قَرطاس مع ثبات المعنى (المعجم الوسيط ٧٥٥/٢) .
- كِسرى ، كَسرى ، والأولى أفصح (المعرب ٣٣٠) .
- وابور ، بابور (الأولى وردت فى ديوان الطهطاوى بالواو والثانية ذكرها طوبيا العنيسى فى تفسير الألفاظ الدخيلة ص٦ بالباء) .

سابعا : ألفاظ مركبة دخلت العربية لفظا واحدا

- اللغة العربية لها نظام معين فى اشتقاق الألفاظ من بعضها البعض ، ولذا فهى تسمى لغة اشتقاقية ، وهناك لغات إلصاقية كالتركية والفارسية تعتمد فى تعدد معانى الجذر الواحد على إضافة سوابق أو لواحق للكلمة .

وأعرض الآن لبعض الألفاظ التى كانت مركبة فى لغتها الأصلية ولما اقترضتها العربية صارت فيها لفظا واحدا :

- باغ داد   بغداد .
- بو ستان   بستان .
- بروهان   برهان .
- ده خان   دهقان .
- سد دير   سدير .
- سرابرده   سرادق .
- كاه ربا   كهرباء .
- مهر كَان   مهرجان .

الخاتمة والنتائج

وبعد هذه الرحلة مع الألفاظ المعربة والدخيلة فى شعر الطهطاوى يمكن تلخيص أهم نتائج هذه الدراسة فيما يلى : -

أولا : من خلال تأصيل الألفاظ ومجالاتها الدلالية تبين الآتى : -

١ - رغم ضعف الفصحى فى عصر الطهطاوى إلا أنه تمكن من التعبير بها شعرا ونثرا وفى هذا تأكيد لدوره فى تطويع العربية لتصبح أداة للتعبير عن الأدب والفكر .

٢ - ظهرت ملامح الحضارة الحديثة فى لغة الطهطاوى من خلال تعامله مع ألفاظ الحضارة فظهرت عبارات امتزج فيها العربى بالدخيل مثل : البريد الكهربائى — وابورات المياه - شموس الغاز .

٣ - أفاد الطهطاوى من الكلمات التى اقترضتها العربية قديما الخاصة بالملوك والأكاسرة والقياصرة وأعمالهم ووظفها فى مدح أسرة محمد على مثل : الخورنق - السدير - قيصر — كسرى .

٤ - استعمل إلى جانب الكلمات الدخيلة مرادفاتها العربية كما فى : ميدان حومة.

٥ - بلغ عدد الكلمات المعربة والدخيلة فى شعره تسعة وثمانين لفظا أمكن تحديد اللغات الأصلية لثلاثة وثمانين لفظا منها . وبلغ عدد اللغات الأصلية لهذه الكلمات ثلاث عشرة لغة ، وكانت أكثر الكلمات المعربة والدخيلة من اللغة الفارسية ، ثم اليونانية ، ثم التركية ، ويتضح ذلك من خلال الجدول التالى :

اللغة	الفارسية	اليونانية	التركية	اللاتينية	العبرية	السنسكريتية	الفرعونية	الإيطالية	البربرية	الآرامية	الإغريقية	الألمانية	الكريتية	الهولندية	المجموع والنسب المئوية
العدد	٤٢	٨	٦	٥	٤	٣	٣	٣	٢	٢	٢	١	١	١	٨٣
النسبة المئوية	٥٠,٦	٩,٦	٧,٢	٦٠,٢	٤,٨	٣,٦	٣,٦	٣,٦	٢,٤	٢,٤	٢,٤	١,٢	١,٢	١,٢	١٠٠٪

٥ - تنوعت الألفاظ المعربة والدخيلة فى شعر الطهطاوى بين ألفاظ دخلت العربية قديماً (جاهلية — إسلامية — أموية — عباسية) وأخرى دخيلة فى العصر العثمانى أو عصر الطهطاوى من الألفاظ الجاهلية / بستان - جؤذر - جمان - سرج - طراز - كسرى .

ومن الألفاظ القرآنية / درهم - الروم - فردوس - قرطاس - ياقوت .

ومن ألفاظ الحديث الشريف / بند - ترك - فرسخ .

- ومن ألفاظ العصر العثمانى حتى عصر الطهطاوى : أسكل سونكى ، فشنك ، بال ، سينبور ، فاميلية .

٦ - حدث لبعض الألفاظ المقترضة تغير دلالى كما فى كلمة البريد التى كانت تعنى دابة البريد ثم أصبحت تدل على رسل البريد أنفسهم ثم نظام البريد المعروف الآن . وكذلك حدث توسيع فى دلالة بعض الألفاظ مثل : باشا ، بستان ، وحدث تضيق دلالى لبعضها كما رأينا فى : خورنق - تخت .

- توزعت الألفاظ إلى مجالات دلالية متعددة بنسب مختلفة كما هو موضح بالمحور الأول ، وكانت الألفاظ السياسية والاقتصادية هى أكثر الألفاظ ورودا ، فلقد كان الطهطاوى كثير المدح للأسرة الحاكمة فى عصره والجدول التالى يوضح ذلك : -

الألفاظ	السياسية والاقتصادية	الحضارة المادية	الحياة الثقافية والعلمية	الحياة الاجتماعية	المجموع
العدد	٣٦	٣٤	١٠	٩	٨٩
النسبة المئوية	٤٠,٤	٣٨,٢	١١,٢	١٠,١	١٠٠٪

ثانيا : التغيرات فى البنية :

- حدثت تغيرات فى بنية الكلمات المقترضة على المستوى الصوتى والصرفى كالآتى :

أ - تغيرات صوتية وشملت تغيرات فى الصوامت والصوائت .

١ - تمثلت تغيرات الصوامت فى تغيرات مطردة ، وأخرى غير مطردة :

- التغيرات المطردة كانت فى الأصوات الأجنبية التى ليس لها مثيل فى الأصوات العربية فتحولت الأصوات (پ ، چ ، گ) الفارسية والصوت (v) اللاتينى إلى أصوات عربية قريبة منها فى المخرج والصفة .

- تغيرات غير مطردة : حدث ذلك فى بعض الكلمات بإيدال بعض الأصوات الأجنبية التى لها مثيل فى العربية إلى أصوات أخرى عربية قريبة منها فى المخرج والصفة .

٢ ـ وتمثلت التغيرات فى الصوائت فى تحول بعضها إلى أصوات أخرى عند دخوله العربية ، فتحولت ـ فى بعض الكلمات ـ الضمة الطويلة إلى قصيرة ، والضمة القصيرة إلى فتحة قصيرة أو كسرة قصيرة ، وتحولت الفتحة القصيرة إلى كسرة قصيرة ، وتحولت الكسرة القصيرة إلى فتحة طويلة .

وترجع كل هذه التغيرات فى الصوامت والصوائت إلى دور الناطقين فى العربية ومحاولاتهم جعل هذه الكلمات تتسم مع الشكل الجديد من الأبنية العربية الخالصة ، كما خضعت هذه التغيرات فى معظمها إلى قانونى المماثلة والمخالفة وساعد على ذلك قرب المخرج والصفة بين الأصوات الأجنبية والعربية التى تبادلت المواقع .

ب ـ خضع عدد من الألفاظ المقترضة لقواعد اللغة العربية كالآتى : ـ

١ ـ اشتق من بعضها الفعل والمصدر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، واسم المكان .

٢ ـ كما جمع بعضها على أوزان معينة تشبه الأوزان العربية فبعضها جمع بإضافة الألف والتاء وبعضها جمع على مثال : فعول ، فعالل ، فعاليل ، فواعيل ، أفعال ، أفعلة ، فُعُل ، فعاللة ، فعلان ، أفاعل .

٣ ـ كما أضيفت ياء النسب إلى بعضها ، وصغر بعضها الآخر .

٤ ـ تعرضت بعض الألفاظ لاختلاف صورتها النطقية بسبب الاختلاف فى اللهجات العربية ، وجاء من هذه الألفاظ ما يذكر ويؤنث .

٥ ـ حدث لبعض الألفاظ المقترضة التى كانت مركبة فى لغتها الأصلية أن دخلت العربية لفظا واحدا .

وبعد فإنى أحمد الله ـ تعالى ـ أن منحنى الجهد والوقت والصبر لإتمام هذا البحث الذى أرجو به خدمة العربية لغة القرآن الكريم .

فإن أكن أصبت فبتوفيق الله وإن كانت الأخرى فحسبى أننى اجتهدت وللمجتهد أجر .

ـ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ـ

الهوامش والتعليقات

(١) اللغات الإنسانية في تفاعل مستمر دائم بسبب التقائها واحتكاكها الناتج من عوامل متعددة ، ونتج عن ذلك ما يسمى بظاهرة الاقتراض اللغوى ولتفصيلات أكثر حول ذلك انظر : فندريس : اللغة ٣٤٨ وما بعدها ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربى القاهرة سنة ١٩٥٠م ، د . على عبد الواحد وافى "فقه اللغة" ص١٩٩ جـ٧١ القاهرة ١٩٧٣م ، د . إبراهيم أنيس "من أسرار اللغة ص١١٧ ط٤ القاهرة ١٩٧٢م ، د . حسين مجيب المصرى "بين العربية والفارسية والتركية" بحث بمجلة مجمع اللغة العربية ص٤ نوفمبر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

(٢) حول أساليب العرب فى تعريب الكلمات الأجنبية انظر : أحمد بن سليمان باشازاده فى التعريب ، تحقيق ودراسة د . أحمد خطاب العمر ص٨ وما بعدها ، طبعة جامعة الموصل كلية الآداب ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . ، وانظر أيضا : السيوطى "المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ١/٢٨٦ وما بعدها ، تحقيق : محمد جاد المولى بك ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، على محمد البجاوى - المكتبة العصرية - بيروت ط١ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، الخفاجى : شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجى ص١٦ ط١ القاهرة سنة ١٩٥٢م ، عبد الرشيد عبد الغفور : المعربات الرشيدية (معربات رشيدى) ترجمه من الفارسية إلى العربية د . نور الدين آل على ، د . أمين عبد المجيد بدوى ص١٠٧ ضمن كتاب التعريب وأثره فى الثقافتين العربية والفارسية د. نور الدين آل على ط١ القاهرة ١٣٧٩هـ - ١٩٧٩م ، د. عبد الصبور شاهين : اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ٣١٢ طبعة دار الاعتصام القاهرة ١٤٦١ هـ - ١٩٨٦ م ،

د . صبرى إبراهيم السيد : المصطلح العربى : الأصل والمجال الدلالى ١/١٨ وما بعدها طبعة دار المعرفة الجامعية الإسكندرية سنة ١٩٩٦م .

(٣) ولد رفاعة الطهطاوى (١٨٠١م) بمدينة طهطا إحدى مدن صعيد مصر ، وتعلم بالأزهر ، وتتلمذ للشيخ حسن العطار الذى كان قد اتصل بعلماء الحملة الفرنسية عندما نزلت مصر ، ورشحه العطار ليكون إماما لبعثة محمد على إلى فرنسا ، فقضى بها خمس سنين ، عاد بعدها ليكون رائدا من رواد نهضة مصر فى العصر الحديث ، وتجلت ريادته

فيما قام به من أعمال عظيمة فى مجال الترجمة والتأليف فقد عين ناظرا لمدرسة الألسن ، وفيها أنشأ رفاعة قلم الترجمة . انظر : الزركلى ـ الأعلام ٢٩/٣ ط٦ بيروت سنة ١٩٨٤م ، وانظر : د . محمود فهمى حجازى : أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ـ دار غريب للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٩٤م .

(٤) جمع الدكتور طه وادى أشعار الطهطاوى من كل مكانها ، ونشرها بعنوان "ديوان الطهطاوى" مقدما له بدراسة أدبية ، ونشر هذا الديوان فى طبعته الأولى سنة ١٩٧٨م . ويعتمد هذا البحث على الطبعة الثانية من الديوان التى نشر فى سنة ١٩٨٤م ، وفيها ما يزيد على أربعين قصيدة تتفاوت طولا وقصرا ، ما بين خمسة أبيات (كما فى قصيدته فى مدح حسين كامل باشا ص١٦١) ومائتين بيتا (كما في قصيدته فى مدح الرسول (ﷺ) انظر : ديوان الطهطاوى : جمع ودراسة د . طه وادى ط٢ دار المعارف . القاهرة سنة ١٩٨٢م .

(٥) المصدر السابق ١١٤ .

(٦) نفسه ٤٤ .

(٧) نفسه ١٨٤ .

(٨) نفسه ١٦٧ .

(٩) نفسه ١٦٧ .

(١٠) نفسه ٧٤ .

(١١) المعجم الوسيط ١٠٠/١ .

(١٢) ديوان الطهطاوى ١٠١ .

(١٣) المصدر السابق ١٢٧ .

(١٤) نفسه ١٢٠ .

(١٥) المعجم الوسيط ٧٩٧/٢ .

(١٦) ديوان الطهطاوى ١٢٢ .

(١٧) السابق ٩٢ .

(١٨) نفسه ٧٩ .

(١٩) نفسه ١٢٠ .

(٢٠) نفسه ١٢٠ .

(٢١) نفسه ١٢٠ .

(٢٢) نفسه ١٢١ .

(٢٣) نفسه ١٢٢ .

(٢٤) نفسه ٩١ .

(٢٥) نفسه ١٨٧ تعليق رقم ج .

(٢٦) نفسه ١٨٧ تعليق رقم أ .

(٢٧) نفسه ١٨٧ تعليق رقم ب .

(٢٨) سيبويه الكتاب ٤/٣٠٣ .

(٢٩) الخفاجي شفاء الغليل ص٢٣ .

(٣٠) الجوهري : الصحاح مادة عرب ١/١٧٩ ، والسيوطي : المزهر ١/٢٦٨ ، وراجع حاكم مالك لعيبي : الترادف في اللغة ص١٦٤ ط١ العراق سنة ١٩٨٠م .

(٣١) السيوطي : المزهر ١/٢٦٩ .

(٣٢) ابن منظور : لسان العرب ٢/٣١٣ .

(٣٣) ابن كمال باشا ، في التعريب ٣٠ .

(٣٤) السابق ٥٢ .

(٣٥) انظر : د . صبري إبراهيم ، المصطلح العربي ١/١٨ .

(٣٦) د . علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ١٩٩ .

(٣٧) المرجع السابق ٢٠٣ وما بعدها .

(٣٨) د . عبد الصبور شاهين ، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ٣١٥ .

(٣٩) المرجع السابق ٣١٤ ، د . علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ٢٠٨ .

(٤٠) د . عبد الصبور شاهين ، اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ٣١٥ .

(٤١) السابق ٣١٤ .

(٤٢) نفسه ٣٣٩ .

(٤٣) نفسه ٣٣٥ .

(٤٤) نيقولا دوبرشان : ملاحظات حول أنواع الألفاظ المعربة فى اللغة العربيـة المعـاصرة ص١٢٨ ، بحث مجمع اللغة العربية ص٣٣ مايو ١٩٧٤م .

(٤٥) ابن كمال باشا : فى التعريب ص٥٠ .

(٤٦) انظر : تعليق الدكتور كامل مراد رقم ١ ص٤٠ من كتاب اللغة العربية كائن حى لجورجى زيدان .

(٤٧) استعمل السيوطى كلمة اليم بمعنى البحر (الديوان ١٣٠) ، وقد رأى فريق من اللغويين أنها كلمة سريانية (الجمهرة ١٢٣/١ ، المعرب ٤٠٣ ، المهذب للسيوطى ٩٩ ، المزهر للسيوطى ١٢٦٨/١ ، ونقل السيوطى فى المهذب ٩٩) عن بعض العلماء أنها عبرية أو نبطية ، وذكرها جورجى زيدان فى كتابه (اللغة العربية كائن حى ٩٥) ضمن الألفاظ ذات الأصل السريانى أو الكلدانى أو العبرانى، وذكرها روفائيل نخلة اليسوعى فى كتابه (غرائب اللغة العربية ٢١٠) مع الألفاظ الآرامية ومن هذا كله يبدو لى أنها من السامى المشترك .

(٤٨) قصد الطهطاوى بكلمة (الدر) النجوم المضيئة (الديوان ١٥١ ، ١٦٦ ، ١٦٩، ١٧٦) وقد قال عنه السيوطى : "الدرالمضئ بالحبشية" (المهذب ٤٦) ولم يذكر أصحاب كتب المعربات ، أم المعجمين العرب أنه معرب وذكروا أن معناه ما عظم من اللؤلؤ (انظر : الجمهرة ٧٢/١ ، مجمل اللغة ٣١٧/٢ ، الصحاح ٦٥٦/٢ ، اللسان ٢٣٧/٤ ، القاموس المحيط ٢٧/٢) .

(٤٩) قصد الطهطاوى بكلمة (الطاقية) غطاء الرأس (الديوان ٧٨) . وقد ذكر الدكتور صبرى إبراهيم فى (المصطلح العربى ٦٦/٢ ـ ٦٧) أنها فارسية ومعناها رباط الشعر ، غرفة ، وقباء ذو طيتين . وقد اعتمد فى ذلك على وجود الكلمة فى المعجم الفارسى الكبير ١٨٤٤/٢) ولكن ذلك لا يعنى تأكيد كونها فارسية فالكلمة لم تذكرها كتب المعربات القديمة أو الحديثة ، وذكرها (المعجم الوسيط ٥٩٢/٢) بمعنى غطاء للرأس مصنوع من الصوف أو القطن أو نحوهما وهى محدثة . والمتأمل لمعانى مادة (طوق) فى

المعاجم العربية وهى الاستدارة والإحاطة (الصحاح ١٥١٩/٤ ، اللسان ٢٢٤/٨ ، المعجم الوسيط ٥٩٢/٢) يتبين له عروبة هذه الكلمة والله أعلم .

(٥٠) قصد الطهطاوى بكلمة (سلطان) الحاكم (الديوان ٧٨ ، ٧٩) ، وقد ذكرت المعاجم العربية أن : السلطان تعنى الحجة والبرهان ، وأنه مشتق من السليط الذى يضاء به ، ومن معانيه أيضا : الملك والوالى والقوة والقهر . (القاموس المحيط ٣٦٣/٢ ، لسان العرب ٣٢٧/٦ ، المعجم الوسيط ٤٦٠/١) . وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ١٨٨) أنها آرامية ، ورأى طوبيا العنيسى فى (تفسير الألفاظ الدخيلة ٧٨) أيضا أنه آرامى وأصله (شولطانا) معناه التسلط أى صعب السلطة مشتق من شلط أى تسلط . ولكن كثرة اشتقاقات الكلمة فى العربية كما سبق أن رأينا فى المعاجم العربية وكذلك فى (تفسير القرطبى ٢٣٣/٤) ترجح أنها من السامى المشترك .

(٥١) قصد الطهطاوى بكلمة (مدرسة) مكان تعلّم التلاميذ (الديوان ٧٤ ، ٧٩) وقد ذكر بعض اللغويون العرب مادة درس ولم يشيروا إلى عجمتها (الجمهرة ٢٤٥/٢، الصحاح ٩٢٧/٣ ، القاموس ٢١٣/٢ ، المعجم الوسيط) . ولكن السيوطى أشار فى (المهذب ٤٦) إلى أن الدراسة القراءة بالعبرانية وأيده فى ذلك روفائيل نخلة اليسوعى فى (غرائب اللغة العربية ٢١٣) . ولم يذكر معظم أصحاب كتب المعربات العرب أن هذا اللفظ غير عربى وكذلك أصحاب المعاجم وكذلك كثرة اشتقاقات مادة (درس) فى العربية يرجح كون هذا اللفظ من السامى المشترك.

(٥٢) قصد الطهطاوى بكلمة (السجود) الخضوع (الديوان ١٠٣) ولم تذكر المعاجم العربية أنها أعجمية (الجمهرة ٦٦/٢ ، الصحاح ٤٨٣/٢ ، القاموس ٢٩٧/١ ، المعجم الوسيط ٤٣٢/١) ولكن السيوطى فى (المهذب ص٥٣) أشار إلى أنها سريانية ، وذكر روفائيل نخلة اليسوعى فى غرائب اللغة العربية ١٨٥ أنها آرامية، والسريانية لهجة من لهجات الآرامية ، ولما لم يذكرها أصحاب كتب المعربات ، ولكثرة اشتقاقاتها فى العربية رأيت احتمال كونها من السامى المشترك.

(٥٣) انظر : سيبويه : الكتاب ٣٠٦/٤ .

(٥٤) المرجع السابق ٣٠٥/٤ .

(٥٥) برجشتراسر : التطور النحوى للغة العربية ١٤٤ .

(٥٦) سيبويه : الكتاب ٤/٣٠٥ .

(٥٧) المرجع السابق ٤/٣٠٥ .

(٥٨) ابن السكيت : الإبدال ١٦٨ .

(٥٩) سيبويه : الكتاب ٤/٢٣٨ .

(٦٠) ابن خالويه : مختصر فى شواذ القرآن ٩ .

(٦١) ابن عصفور : الممتع فى التصريف ١/٣٩٠ .

(٦٢) الآية ٣٣ من سورة ص . هى قراءة "قنبل" انظر : أحمد البنا ، إتحاف فضلاء البشر ٢/٤٢١ .

(٦٣) ابن عصفور : الممتع فى التصريف ١/٣٩٠ .

(٦٤) ابن السكيت ، الإبدال ١٠٣ .

(٦٥) المرجع السابق ١٣١ .

(٦٦) السابق ١٩٠ ، ١١٠ .

(٦٧) انظر : ابن عصفور : الممتع فى التصريف ١/٤١٢ .

(٦٨) انظر : الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ص٢٨٩ .

(٦٩) سيبويه : الكتاب ٣/٢٣٤ .

(٧٠) السابق ٣/٢٣٥ ، وانظر د . موسى إبراهيم ، الألفاظ الفارسية فى تاج العروس ص٣٠٤ .

(٧١) ابن يعيش ، شرح المفصل ٥/٢ .

(٧٢) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ص٣١٧ .

(٧٣) الفراء : المذكر والمؤنث ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ص١٠٧ ط القاهرة ١٩٧٥م ، وانظر : أبوعبيدة "مجاز القرآن" ٢/٨٨ .

(٧٤) الجواليقى : المعرب ٥٧ .

المصادر والمراجع

١ - إبراهيم أنيس (دكتور) من أسرار اللغة ط٤ القاهرة ١٩٧٢م .

٢ - ابن خالويه : مختصر فى شواذ القرآن ط مكتبة المتنبى - القاهرة بلا تاريخ .

٣ - ابن دريد : جمهرة اللغة ط حيدر آباد سنة ١٣٤٥هـ .

٤ - ابن السكيت : الابدال تحقيق عبد السلام هارون . الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٥ - ابن عباس : كتاب غريب القرآن . تحقيق د . أحمد بولوط - مكتبة الزهراء - القاهرة ط١ سنة ١٩٩٣ م .

٦ - ابن عصفور الإشبيلى ، الممتع فى التصريف . تحقيق د . فخر الدين قبادة - طبعة بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .

٧ - ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ط دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٨م .

٨ - ابن فارس ، مجمل اللغة ، دراسة وتحقيق د . زهير عبد المحسن سلطان ط١ مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٩ - ابن كمال باشا (أحمد بن سليمان) رسالة فى تحقيق تعريب الكلمات الأعجمية ، تحقيق ودراسة د . أحمد خطاب العمر . جامعة الموصل - مركز البحوث الحضارية والأثارية . العراق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٠ - ابن منظور ، لسان العرب . طبعة جديدة ومحققة دار إحياء التراث العربى - مؤسسة التاريخ الإسلامى - بيروت - لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١١ - ابن يعيش ، شرح المفصل ، مكتبة المتنبى ، القاهرة (بلا تاريخ) .

١٢ - أبو عبيدة (معمر بن المثنى اليتمى) مجاز القرآن ، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ط٢ بيروت ١٩٨١م .

١٣ - أحمد بن محمد البنا ، إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر تحقيق : د . شعبان محمد إسماعيل ط بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

١٤ - أدى شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٠م .

١٥ ـ برجشتراسر ، التطور النحوى للغة العربية ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ـ طبعة مكتبة الخانجى ـ القاهرة ـ دار الرفاعى بالرياض ١٩٨٢م .

١٦ ـ الثعالبى ، فقه اللغة وسر العربية ، منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان (بلا تاريخ) .

١٧ ـ الجواليقى ، المعرب من الكلام الأعجمى هلى حروف المعجم ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط٢ مطبعة دار الكتب القاهرة سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م .

١٨ ـ جورج بوزنر وآخرون ، معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة أمين سلامة ، مراجعة د . سيد توفيق ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م .

١٩ ـ جورجى زيدان ، اللغة العربية كائن حى ، مراجعة د . مراد كامل ـ دار الهلال ، القاهرة (بلا تاريخ) .

٢٠ ـ الجوهرى (تاج اللغة وصحاح العربية) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط٣ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٢١ ـ حاكم مالك لعيبى ، الترادف فى اللغة ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق ١٩٨٠م .

٢٢ ـ الخفاجى (شهاب الدين أحمد) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل مراجعة : محمد عبد المنعم خفاجى ، ط١ نشر مكتبة الحرم الحسينى ـ القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

٢٣ ـ روفائيل نخلة اليسوعى ، غرائب اللغة العربية ط٤ ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٦م .

٢٤ ـ الزبيدى (تاج العروس من جواهر القاموس) ط١ مصر سنة ١٣٠٦هـ .

٢٥ ـ الزركلى ، الأعلام ط٦ ـ بيروت ١٩٨٤م .

٢٦ ـ الزمخشرى ، أساس البلاغة ط٣ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥م .

٢٧ ـ سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ـ طبعة مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٧٩م .

٢٨ ـ السيوطى : المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين ـ طبعة بيروت ١٩٨٦م .
ـ المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب ، تحقيق د . إبراهيم محمد أبو سكين ـ طبعة القاهرة ١٩٨٠م .
٢٩ ـ شعبان ربيع طرطور (دكتور) جلال الدين السيوطى والمعرب عن اللغة الفارسية فى كتابه المزهر . مكتبة سعيد رأفت ـ جامعة عين شمس ١٩٨٢م .
٣٠ ـ صبرى إبراهيم السيد (دكتور) : ـ
ـ أسماء الأعلام المعاصرة (دراسة فى علم اللغة الاجتماعى) دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦.
ـ المصطلح العربى (الأصل والمجال الدلالى) دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦ .
٣١ ـ صلاح الدين المنجد (دكتور) ، المفصل فى الألفاظ الفارسية المعربة ، ط١ القاهرة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م .
٣٢ ـ طه وادى (دكتور) ، ديوان الطهطاوى (جمع ودراسة) ط٢ ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٤م .
٣٣ ـ طوبيا العنيسى ، تفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه ، طبعة دار العرب ـ القاهرة ١٩٦٥م .
٣٤ ـ عبد الرشيد عبد الغفور : المعربات الرشيدية (معربات رشيدى) ترجمه من الفارسية إلى العربية د . نور الدين آل على ، د . أمين عبد المجيد بدوى ، ضمن كتاب التعريب وأثره فى الثقافتين العربية والفارسية د . نور الدين آل على ــ ط١ القاهرة ١٣٧٩هـ ــ ١٩٧٩ م .
٣٥ ـ عبد الصبور شاهين (دكتور) اللغة العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ــ القاهرة ١٩٤٥م .
٣٦ ـ على عبد الواحد وافى (دكتور) فقه اللغة ــ دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ ط٧ القاهرة ١٩٧٣م .
٣٧ ـ الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : ـ

- المذكر والمؤنث ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، مكتبة دار التراث ـ القاهرة ١٩٧٥م .

- معاني القرآن : ج١ تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار ، ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ، ج٢ ط٢ بيروت ١٩٨٠م ، ج٣ تحقيق: د.عبدالفتاح إسماعيل شلبي ومراجعة الأستاذ على النجدى ناصف . ط١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .

٣٨ ـ فندريس ، اللغة ، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ، ومحمد القصاص ـ مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربى ـ القاهرة ١٩٥٠م .

٣٩ ـ الفيروز آبادى ـ القاموس المحيط ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية ١٣٠٦هـ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ .

٤٠ ـ القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب مصورة عن ط٢ بتحقيق أبى إسحق إبراهيم أطفيش ١٩٨٧م .

٤١ ـ مجمع اللغة العربية :

- المعجم الوسيط ط٣ القاهرة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ .

- المعجم الكبير ط١ القاهرة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢ م . .

٤٢ ـ محمد علاء الدين منصور (دكتور) ، الألفاظ ذات الأصول البهلوية فى المعلقات السبع ـ جامعة القاهرة ـ مايو ١٩٩٣م .

٤٣ ـ محمود فهمى حجازى (دكتور) أصول الفكر العربى الحديث عند الطهطاوى ـ دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة ط١ ١٩٩٤م .

٤٤ ـ موسى إبراهيم موسى (دكتور) الألفاظ الفارسية فى تاج العروس دراسة لغوية ، مخطوط على الآلة الكاتبة ـ رسالة دكتوراه ـ جامعة المنيا ١٩٩٧م .

٤٥ ـ نيقولا دوبرشان ، ملاحظات حول أنواع الألفاظ المعربة فى اللغة العربية المعاصرة . بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية حـ٣٣ ربيع الثانى ١٣٩٤ ـ مايو ١٩٧٤م .

٤٦ ـ ياقوت الحموى : معجم البلدان ـ دار صادر ، دار بيروت ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤م .

المراجع الأجنبية

معاجم فارسية : ـ

١ـ إبراهيم شتا (دكتور) :

فرهنگ بزرگ فارسي . فارسي عربي . مكتبة مدبولي القاهرة ١٤١٢ هـ .

٢ـ عبد النعيم محمد حسانين (دكتور) :

قاموس الفارسية ـ فارسي عربي ـ دار الكتاب المصرى ـ دار الكتاب اللبنانى ط١ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

معاجم أوربية : ـ

(1) Larousse , dictionnaire de la Langue Francaise , (ed) J. Dubois , Paeis , 1992 .

(2) Le Robert : Dictionnaire Historigue, de, Lo, Langue Francaise , Paris , 1998 . 2 ,edition.

(3) "Oxford Advanced Learners of Current English . A.s.Hornby Third Edition 1974

(4) Steingass , F. "Acomprehensire Persien - English Dictionary" Beirut New Reprint Libraine du Liban (1975) .

(١) كشاف معجمي بالألفاظ المعربة والدخيلة في شعر الطهطاوى (*)

م	اللفظ	صفحة وروده في الديوان	اللغة	المجال الدلالى	لمحة عن تاريخ دخوله العربية
١	الآستانة	١٤٧	فارسى	أسماء البلاد	—
٢	إبراهيم	٨٥	عبرى	أسماء الأعلام	وردت فى القرآن الكريم (البقرة ١٢٤)
٣	آثينا	١١٣	كريتى	أسماء البلاد	—
٤	الأردن	١١٩	آرامى	أسماء البلاد	ذكره الجواليقى فى (المعرب٧٦)
٥	أسكل	١٠٠	إيطالى	حضارة مادية	ذكره طوبيا العنيسى فى كتابه ص٣
٦	إسكندر	١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٠	يونانى	ألفاظ سياسية	ذكره الجواليقى فى (المعرب ٨٩)
٧	إسماعيل	٩٨، ١٠٦، ١١٨، ١٢٠	عبرى	ألفاظ سياسية	وردت فى القرآن الكريم (البقرة ١٢٤)
٨	أفريقيا	١٨٢	بربرية	اسماء البلاد	—
٩	إكسير	١٦٧	يونانى	التعليم والفلسفة	لم يرد فى كتب المعربات القديمة
١٠	أوربا	١٢٣	—	أسماء البلاد	ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان (٢٧٨/١).
١١	باشا	٨٥ ، ١٤٧ ، ١٦٩	فارسى	ألفاظ الحكم والتشريف	ذكره طوبيا العنيسى ص٧
١٢	باريس	٧٢	—	أسماء البلاد	—

(*)أرى أن تحديد تاريخ افتراض اللغة العربية للفظ ما من لغة أخرى لأمر ليس بالسهل والمعاجم ليست كافية في ذلك لأن معظمها ينقل بعضها عن بعض ، وإنما مصدر ذلك هو الدراسة المعجمية الإحصائية لألفاظ النصوص العربية في تواريخها المتعددة دراسة وصفية ولذلك أشرت في النهر الخاص بتاريخ دخول اللفظ إلى أن ذلك مجرد لمحة عن تاريخ دخول اللفظ إلى اللغة العربية .

م	اللفظ	صفحة وروده في الديوان	اللغة	المجال الدلالي	لمحة عن تاريخ دخوله العربية
١٣	بال	١٢٢	لاتيني	الأعياد والحفلات	لم تذكرها كتب المعربات، ويبدو أنها دخلت في عصر الطهاوي ـ ولم تعد تستعمل الآن.
١٤	برج	١٥٢	يوناني	حضارة مادية	ورد في القرآن الكريم (النساء ٧٨).
١٥	برزخ	٧٧	فارسي	ألفاظ دينية	ورد في القرآن الكريم (المؤمنون ١٠٠).
١٦	بركان	١١٨	لاتيني	حضارة مادية	وردت في الشعر العربي القديم دالة على موضع.
١٧	برلين	١١٩	—	أسماء البلاد	—
١٨	برهان	٨٤	فارسي	التعليم والفلسفة	ورد في القرآن الكريم (النساء ١٧٤).
١٩	بريد	١٢٠	فارسي	وسائل الاتصال	قديم ورد في الجمهرة لابن دريد ١/٢٤١.
٢٠	بستان	٧٨	فارسي	الحدائق والرياحين	جاهلي، ورد في شعر الأعشى كما في (المفصل ١٥).
٢١	بغداد	١٠٥	فارسي	أسماء البلاد	ذكره الجواليقي في المعرب ١٢١.
٢٢	بند	١٠٣، ٢٠١	فارسي	التعليم والفلسفة	وردت في الحديث الشريف كما في (المفصل ١٠٣).
٢٣	بندقية	٩١	فارسي	الأسلحة	كلمة بندق قديمة ذكرها الجواليقي للمعرب ١٠٧، ولكن البندقية تعني ما يرمى به للصيد ورد في شفاء الغليل ٦٥.
٢٤	بهلول	١١٣	فارسي	صفات الإنسان	قديم ورد في الجمهرة ٣/٣٨١ وردت في القرآن الكريم (سورة البقرة ٢٤٨).
٢٥	تابوت	١٩٧	فرعوني	الموت والدفن	

م	اللفظ	صفحة وروده في الديوان	اللغة	المجال الدلالي	لمحة عن تاريخ دخوله العربية
٢٦	تاج	١٠٠ ، ١٥٠ ، ١٥١	فارسي	ألفاظ الحكم والتشريف	ورد في الجمهرة ٢١٤/٣
٢٧	تخت	٧٨ ، ٩٣	فارسي	ألفاظ الحكم والتشريف	ذكره ابن ابن دريد في (الجمهرة ١٨٦/٣) .
٢٨	ترجمان	١٥٦	فارسي	التعليم والفلسفة	قديم ذكره الجوهري في (الصحاح ١٩٢٨/٥) .
٢٩	ترك	١٢٣ ، ١٢٩	تركي	الشعوب	وردت في الحديث الشريف (معجم البلدان ٢٦/٢) .
٣٠	التك	١٢٢	فارسي	ألفاظ الموسيقى	—
٣١	تلمسان	٧٨	بربرية	اسماء البلاد	ذكره ياقوت الحموي في (معجم البلدان ٤٤/٢) .
٣٢	تينيس	١١٤	فرعونية	أسماء البلاد	—
٣٣	جؤذر	١٢٦	فارسي	الحيوانات	جاهلي ، ورد في شعر عدى ابن زيد كما في (المفصل ٢٤).
٣٤	جبريل	١٣٠	عبري	ألفاظ دينية	ورد في القرآن الكريم (سورة البقرة ٩٧) .
٣٥	جراكسة	١٢٩	تركي	ألفاظ الحكم	لم ترد في كتب المعربات القديمة ؛ ويبدو أنها دخلت في العصر العثماني.
٣٦	جمان	١٦٧	فارسي	الزينة والحليّ	جاهلي ، وردت في شعر لبيد كما في (المفصل ٢٣) .
٣٧	جنك	١٢٢	فارسي	ألفاظ الموسيقى	ذكره الخفاجي في شفاء الغليل ٦٧ .
٣٨	جوهر	١٤٥ ، ١٥١	فارسي	الزينة والحلى	قديم ورد في الجمهرة ٨٧/٢ .

م	اللفظ	صفحة وروده في الديوان	اللغة	المجال الدلالي	لمحة عن تاريخ دخوله العربية
٣٩	خاقان	١١٨ ، ١٤١ ، ١٤٧	تركي	ألفاظ الحكم والتشريف	أموي ، ورد في شعر يزيد بن الطثرية كما في (المفصل ١٩٢) .
٤٠	خديوى	١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٥٨	فارسي	ألفاظ الحكم والتشريف	لم تذكره كتب المعربات القديمة ، ويبدو أنه دخل في العصر العثماني
٤١	خورنق	١١٨	فارسي	حضارة مادية	ذكره الجواليقي في المعرب ١٧٤ .
٤٢	دارا	١٤١	فارسي	الحكم والتشريف	ورد في شعر شاعر أموي (المفصل ١٩٨).
٤٣	درهم	١٩٠	يوناني	التجارة والنقود	جاهلي ، ورد في شعر الأعشى (المفصل ٣٥) وفي القرآن (يوسف ٢٠) .
٤٤	الدروز	١٤٣	فارسي	الشعوب	—
٤٥	دست	١٦٥	فارسي	ألفاظ الحكم	جاهلي ، وذكره الخفاجي في شفاء الغليل ١٢٢ .
٤٦	دفتر	١٤٢	فارسي	التعليم والفلسفة	قديم وذكره الجوهري في الصحاح ٦٥٩/٢ .
٤٧	دهقان	١٢٠	فارسي	التجارة والنقود	جاهلي ، ورد في شعر الأعشى (المفصل ٣٥) .
٤٨	الروم	١٠٦	يوناني	الشعوب	وردت في القرآن الكريم (الروم ٢).
٤٩	رند	١٤١	فارسي	السلاح	ورد في الجمهرة ٢٦٠/٢ "الزندان عودان يقدح بهما النار .
٥٠	سدير	١١٨	فارسي	حضارة مادية	جاهلي ، ورد في شعر عدي بن زيد (المفصل ٤٤) .
٥١	سرادق	١٢٨	فارسي	حضارة مادية	جاهلي ، ورد في شعر سلامة ابن جندل (المفصل ٤٦) .

م	اللفظ	صفحة وروده في الديوان	اللغة	المجال الدلالي	لمحة عن تاريخ دخوله العربية
٥٢	سرج	١٣٠	فارسي	الأسلحة	جاهلي (شرح للعلقات ٣١ ، الألفاظ البهلوية ١٠) .
٥٣	سونكي	٩٠	تركي	الأسلحة	لم تذكرها كتب للعربات ويبدو أنها دخلت في العصر العثماني .
٥٤	سينيور	١٢٢	إيطالي	الحكم والتشريف	لم ترد في كتب للعربات ويبدو أنها دخلت في عصر الطهطاوي .
٥٥	طبق	٧٩	فارسي	أواني الأطعمة	وردت في القرآن (الانشقاق١٩) تعني حال ومنزلة ، وذكرها الثعالبي في (فقه اللغة ١٩٨) تعني الإناء .
٥٦	طراز ، طرز	١٦٢ ، ١٠٨	فارسي	زينة وحليّ	جاهلي ، ورد في شعر حسان ابن ثابت (المفصل ٥٤) .
٥٧	طوسون	١٦٥ ، ١٦٤	تركي	الحكم والتشريف	لم ترد في كتب المعربات ويبدو أنها دخلت في عصر الطهطاوي .
٥٨	عسكر	١٩١	فارسي	الجيش والرايات	قديم ، ورد في الجمهرة لابن دريد ٥٠٢/٢ .
٥٩	عطارد	١١٧	آرامية	أسماء الكواكب	—
٦٠	غاز	١٢١	هولندية	الوقود والطاقة	لم ترد في كتب المعربات القديمة ، وذكرها طوبيا العنيسي ص٤٩ .
٦١	فاميلية	١٢٣	لاتيني	صفات الإنسان	لم ترد في كتب المعربات ويبدو أنها دخلت في عصر الطهطاوي .
٦٢	فردوس	١٢٢	فارسي	دينية	وردت في القرآن الكريم (سورة المؤمنون ١١) .
٦٣	فرس	١٢٩	فارسي	الشعوب	جاهلي ، ورد في شعر لقيط بن يعمر (المفصل ٥٨) .
٦٤	فرسخ	٧٨	فارسي	وسائل الاتصال	ورد في الحديث الشريف (المعجم الوسيط ٧٠٦/٢) .
٦٥	فرند	٧٩	فارسي	الأسلحة	قديم ورد في الصحاح للجوهري ٥١٩/٢

م	اللفظ	صفحة وروده في الديوان	اللغة	المجال الدلالي	لمحة عن تاريخ دخوله العربية
٦٦	فرنسا	١٩٦	ألماني	أسماء البلاد	ذكره الخفاجي في شفاء الغليل ١٩٨ .
٦٧	فشنك	١٩٦	تركي	الأسلحة	لم ترد في كتب المعربات ويبدو أنها دخلت في عصر الطهطاوي .
٦٨	فيليب	١٩٨	يوناني	شخصيات علمية وسياسية	لم ترد في كتب المعربات ويبدو أنها دخلت في عصر الطهطاوي .
٦٩	قانون	١٢٠ ـ ١٢١	يوناني	التعليم والفلسفة	قديم ، ذكره الجوهري في الصحاح ٢١٨٥/٦ .
٧٠	قِرطاس	١٤٦	يوناني	التعليم والفلسفة	ورد في القرآن الكريم (الأنعام ٧) .
٧١	قنال	١١٨	لاتيني	حضارة مادية	—
٧٢	قيصر	١٤١	لاتيني	الحكم والتشريع	ذكره الجواليقي في المعرب ٣١٩ .
٧٣	كاهن	١٢٩	عبري	ألفاظ دينية	قديم : ذكره الجوهري في الصحاح ٢١٥/١ .
٧٤	كسرى	٨٥	فارسي	الحكم والتشريع	جاهلي ، ورد في شعر الأعشى (المفصل ٦٧) .
٧٥	كهرباء	١٢٠	فارسي	الوقود والطاقة	وردت في تاج العروس للزبيدي ١٨٤/٤ .
٧٦	لجام	١٣٠	فارسي	الأسلحة	جاهلي ، شرح المعلقات السبع ٣١ ، الألفاظ البهلوية ص١٠ .
٧٧	لندن	١١٩	—	أسماء البلاد	—
٧٨	مسك	٧٥ ، ١١٢ ، ١٣٢	فارسي	حدائق ورياحين	جاهلي ، ورد في شعر الأعشى (المفصل ٧٣) .
٧٩	ملطيرون	٧٢	—	شخصيات علمية	—

لمحة عن تاريخ دخوله العربية	المجال الدلالي	اللغة	صفحة وروده في الديوان	اللفظ	م
—	شخصيات علمية	—	٧٢	متشكيو	٨٠
وردت في الصحاح للجوهري (٥/١٨٢٨).	حدائق ورياحين	سنسكريتي	٧٥ ، ١٢٢ ، ١٣٢	مندل	٨١
ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥/٤١٣) .	أسماء البلاد	فرعونية	١١٤	منف	٨٢
ذكرها الخفاجي في شفاء الغليل ٢٣٩ .	أعياد وحفلات	فارسي	١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٧٠	مهرجان	٨٣
ذكره ابن دريد في الجمهرة .	حضارة مادية	فارسي	٨٩ ، ١٨٢	ميدان	٨٤
ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان (٥/٣٣٤) .	أسماء الأنهار	إغريقية	٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧	النيل	٨٥
ورد في الصحاح للجوهري .	حضارة مادية	إغريقي	٧٩	هرم	٨٦
وردت في الشعر الجاهلي (معلقة عمرو بن كلثوم) .	أسماء البلاد	سنسكريتية	١١٨	هند	٨٧
لم ترد في كتب المعربات ، وذكرها طوبيا العنيسي ص٦ .	الوقود والطاقة	إيطالي	١١٧ ، ١٢٠	وابور	٨٨
وردت في القرآن الكريم (الرحمن ٥٨) .	زينة وحُلِيّ	سنسكريتي	١٢٣	ياقوت	٨٩

٢ ـ كشاف معجمي بالألفاظ موزعة على اللغات

١ ـ الفارسية : الآستانة ـ باشا ـ برزخ ـ برهان ـ بريد ـ بستان ـ بغداد ـ بند ـ بندقية ـ بهلول ـ تاج ـ تخت ـ ترجمان ـ تك ـ جؤذر ـ جمان ـ جنك ـ جوهر ـ خديوى ـ خورنق ـ دارا ـ الدروز ـ دست ـ دفتر ـ دهقان ـ زند ـ سدير ـ سرادق ـ سرج ـ طبق ـ طراز ـ عسكر ـ فردوس ـ فرسخ ـ فرند ـ كسرى ـ كهرباء ـ لجام ـ مسك ـ مهرجان ـ ميدان .

٢ ـ اليونانية : أسكندر ـ إكسير ـ برج ـ درهم ـ الروم ـ فيليب ـ قانون ـ قرطاس .

٣ ـ التركية : ترك ـ جراكسة ـ خاقان ـ سونكى ـ طوسون ـ فشنك .

٤ ـ اللاتينية : بال ـ بركان ـ فاميلية ـ قنال ـ قيصر .

٥ ـ العبرية : إبراهيم ـ إسماعيل ـ جبريل ـ كاهن .

٦ ـ السنسكريتية : مندل ـ هند ـ ياقوت .

٧ ـ الفرعونية (المصرية القديمة) : تابوت ـ تينيس ـ منف .

٨ ـ الإيطالية : أسكل ـ سينيور ـ وابور .

٩ ـ البربرية : أفريقيا ـ تلمسان .

١٠ ـ الآرامية : الأردن ـ عطارد .

١١ ـ الإغريقية : النيل ـ الهرم .

١٢ ـ الألمانية : فرنسا .

١٣ ـ الكريتية : أثينا .

١٤ ـ الهولندية : غاز .

٣ ـ كشاف معجمي بالألفاظ موزعة على المجالات الدلالية

أولاً : الألفاظ السياسية والاقتصادية (ست وثلاثون لفظا : ٤٠,٤٪) .

أ ـ ألفاظ الحكم والتشريف والشخصيات العلمية والسياسية والشعوب (٢٢) : إبرهيم ـ إسكندر ـ إسماعيل ـ باشا ـ تاج ـ تخت ـ ترك ـ جراكسة ـ خاقان ـ خديوى ـ دارا ـ الدروز ـ دست ـ الروم ـ سينيور ـ طوسون ـ الفرس ـ فيليب ـ قيصر ـ كسرى ـ ملطيرون ـ متسكيو .

ب ـ ألفاظ الأسلحة والجيش (٨) : بندقية ـ زند ـ سرج ـ سونكى ـ عسكر ـ فرند ـ فشنك ـ لجام .

جـ ـ ألفاظ التجارة والنقود (٢) : درهم ـ التدهقن .

د ـ ألفاظ المركبات والوقود والطاقة (٣) : غاز ـ كهرباء ـ وابور.

هـ ـ ألفاظ الحيوانات (١) : جؤذر .

ثانيا : ألفاظ الحضارة المادية (أربعة وثلاثون لفظا ٣٨,٢٪) .

أ ـ ألفاظ المباني والأماكن والموانى والظواهر الطبيعية (تسعة ألفاظ) : أسكل ـ برج ـ بركان ـ خورنق ـ سدير ـ سرادق ـ قنال ـ ميدان ـ هرم .

ب ـ الفاظ البلاد والأنهار والكواكب (ستة عشر لفظا) : الآستانة ـ أثينا ـ الأردن ـ أفريقيا ـ أوربا ـ باريس ـ برلين ـ بغداد ـ تلمسان ـ تينيس ـ عطارد ـ فرنسا ـ لندن ـ منف ـ النيل ـ الهند .

جـ ـ ألفاظ الموسيقى والغناء (لفظان) : التك ـ جنك .

د ـ ألفاظ الحدائق والرياحين (ثلاثة ألفاظ) : بستان ـ مسك ـ مندل .

هـ ـ ألفاظ الملبوسات والزينة والحلى (ثلاثة ألفاظ) : جمان ـ طراز ـ ياقوت .

و ـ الفاظ أوانى الأطعمة (لفظ واحد) : طبق .

ثالثاً : ألفاظ الحياة الثقافية والعلمية (عشرة ألفاظ : ١١,٢ ٪) .

أ ـ ألفاظ وسائل الاتصال والمسافات (٢) : بريد ـ فرسخ .

ب ـ ألفاظ التعليم والفلسفة (٨) : الإكسير ـ برهان ـ بند ـ ترجمان ـ جوهر أ دفتر ـ قانون ـ قرطاس .

ثالثاً : ألفاظ الحياة الاجتماعية (تسعة ألفاظ : ١٠,١٪) .

أ ـ الفاظ دينية (٤) : برزخ ـ جبريل ـ فردوس ـ الكاهن .

ب ـ ألفاظ صفات الإنسان وأقاربه (٢) : بهلول ـ فاميلية .

جـ ـ ألفاظ الأعياد والحفلات (٢) : بال ـ مهرجان .

د ـ ألفاظ الموت والدفن (١) : تابوت .

ملخص بحث

نقل المصطلحات اللسانية في عصر النهضة

أ . د / محي الدين محسب
أستاذ العلوم اللغوية بكلية الدراسات العربية ـ المنيا

تحاول هذه الدراسة أن تقدم صورة من تاريخ المصطلح اللساني في الثقافة العربية الحديثة .وذلك من خلال قاموس ثنائي اللغة (الفرنسية : لغة المدخل ، والعربية : لغة الشرح) . وهذا القاموس من تصنيف محمد النجاري (توفي ١٩١٤ م) الذي كان يعمل قاضيا بمحكمة الإسكندرية المختلطة .

ولعل المرحلة التاريخية التي ظهر فيها هذا القاموس ما تزال بحاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات التي تستهدف الكشف عن اوجه التفاعل بين مشروع النهضة المصرية آنذاك ومعطيات الحضارة الأوربية .وفي هذا السياق يمكن للمصطلحيات terminology أن تؤدي دورا علي قدر كبير من الأهمية .

فالمصطلح ليس مجرد لفظ ، وإنما هو مفتاح يقود إلي مفهوم علمي ، أو إلي نسق معرفي ، أو إلي نشاط مهني . ولقد كانت هذه الوجوه ماثلة في مشروع النهضة . ومن ثم فان دراسة مصطلحات هذا المشروع يمكن أن تؤدي إلي تصور أدق لجوانب إنجازاته ، أو زوايا قصوره .

لقد شهدت مصر في السنوات الواقعة بين حافتي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر تلك الصدمة الحضارية التي أحدثتها الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ــ ١٨٠١ م) .وكان أن بدا ــ بعد الرحيل العسكري للحملة ــ مشروع النهضة التحديثية علي يد محمد علي (١٨٠٥ ــ ١٨٤٩) . وكان من أهم معالم هذا المشروع الاتصال والتفاعل مع معطيات الحضارة الأوربية وبخاصة مع المعطيات الفرنسية .

توالي إرسال البعثات إلي فرنسا منذ عام ١٨٢٥ م ، وتتباعت الاستعانة بالخبراء الفرنسيين في مجالات شتي ، وأنشئت المؤسسات التي قامت بدور أساسي في

دعم هذا التفاعل مثل : " مدرسة الألسن " (١٨٣٥ م) و " قلم الترجمة " (١٨٤١) و " المحاكم المختلطة " [١] (بدءا من ١٨٧٦ م) فضلا عن مؤسسات التعليم حيث كانت اللغة الفرنسية مادة أساسية ، ثم ظهور الصحف المكتوبة بالفرنسية [٢] وفي هذا السياق أصبح تعلم اللغة الفرنسية من ضرورات الارتقاء في المكانة الاجتماعية .وكان من الطبيعي أن يترتب علي ذلك اطراد الزيادة في عدد الأشخاص ثنائي اللغة bilinguals. ولقد وصل التمكن من الفرنسة درجة جعلت بعض المصريين يستطيعون تأليف كتب وشعر بها نن مع عجزهم عن ذلك بالعربية . [٣] وكان من الطبيعي أيضا أن يترتب علي ذلك اطراد النمو في حركة الترجمة من الفرنسية إلي العربية ، ومن العربية إلي الفرنسية .

وفي هذا المناخ كان لابد أن تصبح الحاجة ملحة لظهور نشاط " قاموسي " [٤] .

وما أن نقترب من منتصف القرن التاسع عشر حتى يعبر رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ ــ ١٨٧٢ م) عن هذه الحاجة الملحة فيقول " اللغة الفرنساوية لم يفض ختامها إلي الأن بقاموس شاف مترجم " [٥] .

ولعل مؤدي عبارة الطهطاوي تلك أن القاموس الثنائي اللغة (فرنسي ــ عربي) الذي وضعه إلياس بقطر [٦] وظهر عام ١٨٢٩ م ، أو القاموس الثنائي اللغة أيضا (فرنسي ــ عربي عامي) الذي وضعه مار سيل وسماه " كنز المصاحبة " ، ونشر سنة ١٨٣٧ م [٧] لم يكونا شافيين . أو لعل الطهطاوي لم يكن ــ أصلا ــ يعلم عنهما شيئا .

وعلي أية حال فإن النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد شهد ظهور اكثر من عمل قاموسي علي أيدي المستشرقين ، وذلك مثل [٨] :

ــ قاموس كازيميرسكي : نشر في باريس ١٨٦٠ م (عربي ــ فرنسي) في مجلدين .

ــ قاموس شربونو : نشر في باريس ١٨٧٦ م (فرنسي ــ عربي) في مجلدين .

ـ قاموس ماشويل : نشر في الجزائر بدءا من سنة ١٨٧٧ م ، (عربي ـ فرنسي)

ـ قاموس بوسييه : القاموس العلمي العربي الفرنسي ، نشر في الجزائر ١٨٨٧ م

وكما يلاحظ فان أيا من هذه القواميس لم ينشر في مصر . وبالتالي فان الحاجة التي عبر عنها رفاعة الطهطاوي ظلت قائمة ومشروعة بالنسبة للمصريين الذين يتطلعون لوجود هذا القاموس ، سواء لإعانتهم في أعمال الترجمة ، أو لإشباع رغبة من يريد منهم أن يري كيف تعبر الفرنسية عن الحياة ، وبخاصة لدي بعض الطبقات التي كانت تنظر إلي استعمال هذه اللغة بوصفه علامة علي التميز الاجتماعي (٩) .

في هذا الإطار ـ إذن ـ يأتي قاموس النجاري ، وتأتي قيمته التاريخية ـ بوصفه علي حد علم الباحث حتى الآن ـ أول قاموس فرنسي عربي ينشر في مصر ، وعلي يد مصنف مصري .

وفي سياق هذا الملخص أود أن استلفت نظر القارئ الكريم إلي المحاور التي عولج من خلالها موضوع الدراسة :

في " التمهيد " ثمة تعريف بالإطار التاريخي الذي ظهر من خلاله قاموس النجاري ، ثم نبذة عن النجاري نفسه . ثم تلا ذلك تقديم وصف عام للقاموس ، وللتصورات اللغوية التي بني عليها . ثم تلا ذلك دراسة المقابلات العربية التي وضعها النجاري أمام المصطلحات اللسانية الفرنسية ولقد اشتمل هذا الجزء من البحث علي المحاور التالية :

١. ترجمة مصطلح " المصطلح "
٢. مدي التنسيق المصطلحي الذي أجراه النجاري في ترجمة اللواحق الدالة علي " العلم "
٣. مصطلحات " المنهج " ومقابلاتها .

٤. تحليل مجموعة المقابلات الدالة علي الدرس اللساني بصفة عامة .

٥. تحليل مجموعة المقابلات الدالة علي كل علم فرعي من العلوم التي تدرس مستويات البنية اللغوية (الأصوات ، والصرف ، والجملة ، والدلالة) .

٦ . تحليل مجموعة المقابلات الدالة علي علوم وثيقة الصلة بالدرس اللساني .

٧ . تحليل مجموعة المقابلات الدالة علي أشكال التنوع اللغوي باعتبار أن اللغة وتنوعاتها هي موضوع اللسانيات .

أثر رفاعة الطهطاوي فى الوعي النهوضى الحديث بالمغرب: رحلة تحفة الملك العزيز بمملكة باريز للسفير المغربي ابن إدريس العمراوى (نموذجا)

د٠زكى مبارك

المعهد الجامعي للبحث العلمي

جامعة محمد الخامس / الرباط / المغرب

المقدمة :صدمة الحداثة والوعى النهوضى الحديث بالمغرب٠

بدأت بوادر الوعي النهوضى الحديث بالمغرب فى التبلور بمجرد الاصطدام المباشر مع أوربا التوسعية والاحتلالية والذي نتج عنه انهزام الجيش المغربي فى معركة إيسلى أمام القوة الفرنسية سنة١٨٤٥ م، وانهزام نفس الجيش فى معركة مدينة تطوان المدينة الثغر، أمام الجيوش الأسبانية التي احتلتها سنة ١٨٦٠م وفرض الأسبان على السلطات الحاكمة المغربية شروطا قاسية للجلاء عنها٠

هذه الهزائم المتكررة والمتابعة كانت باعثا للحكام المغاربة والفئات الواعية من الشعب على التدبر والتفكير فى أسباب هذه الهزائم وظروفها وملابستها٠ "وقد انتبه المغاربة منذ الساعة إلى أن الأنظمة العتيقة فى الجيش وفى الدولة لم تعد مجدية إزاء التقدم الأوربي الحديث، وتكون فى نفوس القادة شعورهم بالحاجة إلى التجديد وانتحال وسائل النهوض"(١)

من الطبيعي أن يهتم الحكام المغاربة والفئات الواعية من الشعب بما كانت تعرفه مصر من تحولات منذ حملة نابليون وما نتج عنها من تطورات فى الميادين الفكرية والسياسية والتعليمية والإدارية جعلت من مصر، العروبة والإسلام ،أهم مركز لإشعاع ونشر الفكر العربي النهوضى الحديث٠

كما أنه من الطبيعي كذلك أن تهتم الفئات الواعية من المغاربة التي تتوقف فى مصر بالحركة الثقافية والعلمية التي أحدثتها (صدمة الحداثة) التي تعرض لها

بعض المفكرين العرب والمسلمون خلال زيارتهم للأقطار الأوربية ووقوفهم منبهرين ومندهشين أمام جوانب مهمة من مظاهر هذه الحضارة وهى فى عنفوان شبابها وقوتها الفكرية والعسكرية والصناعية والتجارية، خلافا لما كانت عليه معظم البلدان العربية والاسلامية.

من رواد الحركة الثقافية والعلمية فى مصر، الشيخ رفاعة الطهطاوي الذى حاول فهم مقومات هذه الحضارة الغربية ودراسة المنابع التي تتغذى منها والتي تشكل مصدر قوتها وضعفها.

ومن أشهر مؤلفاته التي تناولت هذه الجوانب رحلته إلى فرنسا التي تحمل عنوان (تخليص الإبريز فى تلخيص باريز) والتي طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٩٣٤م(٢)

فكما سبقت الإشارة لذلك، كانت الفئات المثقفة والمتنورة من المغاربة تحرص كل الحرص على التوقف بالقاهرة من اجل الاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم، والقراءة عليهم، ولقاء العديد منهم، والاطلاع على ما أخذت توفره المطبعة المصرية من كتب للاطلاع عليها أو نسخها أو شراءها وحملها للمغرب حيث حظيت مدوناتهم بأسماء شيوخهم الذين اجتمعوا بهم فى مدارسهم ومساجدهم كما وضح ذلك الدكتور محمد محمود الكحلاوى.(٣)

من هذه الفئات التي اطلعت على رحلة الشيخ رفاعة الطهطاوي وتأثرات بها شكلا ومضمونا الفقيه محمد بن عبد الله الصفار الأندلسي التطواني والكاتب الأديب الحاج إدريس بن محمد بن إدريس العمراوى.

روح الطهطاوي فى رحلة الصفار إلى فرنسا(١٨٤٥ - ١٨٤٦م)(٤)

رحلة الفقيه محمد بن عبد الله الصفار عبارة عن تقرير دبلوماسي وسياسي حول مقامه بالديار الفرنسية ، وفى باريز خاصة التي وصل إليها فى دجنبر ١٨٤٥م وهو كاتب للسفير المغربي عبد القادر إشعاع الذى وجهه السلطان مولاي عبد الرحمان فى مهمة سفارية إلى باريز لقد دون الكاتب الصفار كل ارتساماته ومشاهداته وملاحظاته التي استرعت فضوله أو مست مشاعره أو

حركت انطباعاته وجلبت أنظاره. وبعد عودته إلى المغرب ألف رحلتـــه ليقدمـــها إلى السلطات المغربية كتقرير دبلوماسي لتطلع عليه والتعرف على أحوال البـــلاد الفرنسية وما بلغته من تطور وتقدم فى كل مناحي الحياة، وفى ظروف تاريخيـــة حاسم تميز بالمقاومة المغربية لكل أنواع التدخل الأوربي فى البلاد.

ما يهمنا من هذه المرحلة هو معرفة مدى تأثر كاتبها برحلة الشيخ رفاعـــة الطهطاوي المصرى.

فى الفصل الثالث من المرحلة الذى خصصه لمدينة بـــاريز يقـــول الصفـــار (...اعلم أن هذه المدينة هي قاعدة بلاد الفرنســيين وأم حواضرهـــم وكرســـى مملكتهم ومسكن عظمائهم... وهى مدينة عظيمة كبيرة ذكر الرفعة أفندي فـــى رحلته أن محيطها سبعه فراسخ، وكان طال مكثه بها نحو الخمس سنين)(٥)

وتعلق محققة الرحلة عن هذه الإشارة الخفيفة لرفاعة الطهطاوي قائلـــة :. إذا كان ابن خلدون قد ساهم فى وضع اللبنات والأسس التي بنى عليها الصفـــار رحلته، فإن المقارنة بين الرحلتين تبين أن الصفـــار أخـــذ أشـــياء كثـــيرة عـــن الطهطاوي إن كتاب الطهطاوي يبدو أنه كان مفتوحا أمام الصفار فى بعض النقـــط واستمد منه أشياء عديدة نظرا لوجود اوجه تشابه كبيرة فى الأســـلوب والشـــكل وفى بعض التفاصيل بل هناك تصرف واضح فى عبارات الطهطاوي مـــن حيـــث اسلوبها الأصلي بشكل لا يمكن أن ينظر إليه من حيث الأعراف الغربية إلا بأنـــه من باب السرقة الأدبية . غير أن ذلك ليس مـــن عيـــوب الأعـــراف والتقـــاليد الإسلامية بل يعتبر على العكس من ذلك مؤشر على مدى كفاءة الكتاب واعتمـــاده على مصادر من الدرجة الأولي تستحق كامل الثقة بل والاقتداء بها.

من الإشارات الواضحة لهذا التأثر ما ورد كذلك فى مقدمـــة هـــذه الرحلـــة بالصيغة التالية:(... من حيث البنية تجمع رحلة الصفـــار بيـــن خصوصيـــات أدبيات الرحلة فى شكلها الكلاسيكي وعناصر جديدة أكـــثر حداثـــه. فـــى ســـنة ١٨٣٤م صدر عن مطبعة بولاق المصرية كتاب تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز

لمؤلفه رفاعة الطهطاوي الذى قضى فى باريز خمس سنوات وقد تأثر محمد الصفار إلى حد كبير بهذا الكتاب شكلا ومضمونا لكن دون لكن دون أن يكون مجرد مقلد له٩(٧)

وأخيرا شهادة أخرى للباحثة الأمريكية حول هذا التأثير الذى جاء فى الصيغة التالية:

(٠٠ولعل هذا الفضول كان قد استمد وجوده من تقارير الرحالة الأوربيين والمغاربة وغيرهم من المسلمين الذين نقلوا أخبارا عن التحولات العلمية والتقنية العظمى التي تحدث فى مختلف أرجاء أوروبا بل لعله كان بسبب ظهور كتب الرحلات كرحلة المصري رفاعة الطهطاوي إلى باريز التي وجدت طريقها إلى مكتبة بن إدريس وزير السلطان)(٨)

إن هذا الوزير هو بالذات والصلة أب السفير المربى ابن إدريس العمراوى صاحب الرحلة السفارية كتحفة الملك العزيز بمملكة باريز:(٩) فمن خلال عنوان هذه الرحلة يتضح جليا مدى تقاربه وتشابهه من عنوان رحلة رفاعة الطهطاوي: تلخيص الإبريز فى تلخيص باريز٠

تلخيص الإبريز لرفاعة الطهطاوى وتحفة الملك العزيز لابن إدريس العمراوى: بعض مظاهر التأثير والاقتداء:

السفير ابن إدريس العمراوى:

هو الحاج إدريس بن عبد الله بن محمد الحاج إدريس العمراوى٠ أصله من مدينة مراكش الحمراء وللرباط كان مآله وهو مغرب شمسه٠ اهتمت أهم المصادر المغربية بذكر عائلته والتركيز على أنه ابن الوزير الحاج إدريس العمراوى الذى عمل بجانب السلطان مولاى عبد الرحمان ولعب دورا أساسيا فى توجيه سياسة حكومته وإدارة شؤونها٠

استفاد السفير ابن إدريس من المكانة التى كان يحتلها أبوه فعكف على التحصيل والتثقيف .

سافر إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وتوقف بعد عودته بالقاهرة، شأنه فى ذلك شان كل الفقهاء المغاربة وأدبائهم وعلمائهم الذين يتوجهون إلى المشرق والمغربى فيتوقفون فى أهم مراكزه الثقافية للاتصال بأدبائها ورجالات العلم والفكر والسياسة فيفيدون ويستفيدون .

لقد زار ابن إدريس القاهرة،وعن هذه الزيارة يقول" .. وقد رأيت مصر القاهرة وسلكت أكثر طرقها ونظرت إليها من مكان عال فى وسطها يستوعب النظر منه جلها فقدرت أنها أكبر من مدينة فاس بأربع مرات".(١٠)

أما عن رحلة رفاعة الطهطاوى فلا ينكر اطلاعه عليها،بل إن هذه الرحلة هى التى ساعدته على فهم بعض الأمور عن الحياة الفرنسية التى ظلت عالقة فى ذهنه ولم يستوعبها فكره .وفى هذا الصدد كتب " ..فقد ذكر لنا أن الدار عندهم تساوى ثمانيين ألف ريال وأكثر،ومن أراد بقعة يبنى فيها اشتراها من المخزن بعشرة آلاف ريال فأكثر،وكراء الدار عندهم تابع لثمنها،فمن الدور ما يكترى بخمسمائة ريال فى الشهر ومنها ما يصل ألف ريال وكنت كذبت فى ذلك حتى رأيته مذكورا فى رحلة الشيخ رفاعة المصرى"(١١)

وفى مناسبة أخرى يقول حول الكوميديات أى قاعات المسرح والموسيقى:"...على أن لهم كوميدية مخصوصة قد يلعب فيها بكل تلك الأشياء ويسمونها الكوميدية السلطانية. وكنت أضحك من ذلك وأعده من جملة المزاح الذى لا يعبأ به، وأنه ليس من الجد فى شئ حتى وقفت على كلام الشيخ رفاعة المصرى فى رحلته"(١٢)

من هذه الاعترافات يتضح جليا أن السفير المغربى لم يطلع على رحلة رفاعة الطهطاوى إلا بعد عودته من مهمته السفارية إلى باريز. لقد استعان بها لمراجعة وفهم بعض الأمور سبق له أن دونها أو ظلت عالقة بذهنه،فاتخذها مرجعا ومصدرا يعود إليه ليستنير به. ولعل هذه الطريقة هى التى تفسر أوجه التأثر والاقتداء وما

يوجد في الرحلتين من تشابه وتقارب في المقدمة وفي الموضوعات التي تعرضت لها الرحلتان والمنهج الذي سلكه العمراوي في تأليف رحلته.

فكما فعله الطهطاوي في ذكر سبب الرحلة والمراحل التي قطعتها منذ الخروج من القاهرة إلى الوصل إلى مدينة مرسليا والإقامة بها والخروج من مرسليا إلى باريز، اقتفى ابن إدريس العمراوي خطوات رفاعة الطهطاوي فسار على نهجه ومنواله في تدوين مراحل رحلته.

لقد ذكر هو كذلك أسباب الرحلة وملابساتها منذ خروجه من فاس إلى طنجة ، ومن طنجة إلى مرسيليا،ومن مرسيليا إلى باريز بعد توقف استراحة في مدينة ليون (lyon)

يقول الطهطاوي عن هذه المرحلة:"..من مدينة ليون سرنا منها إلى باريز فدخلناها صبيحة اليوم السابع من مخرجنا من مرسيليا.. وقد مررنا بقرى كثيرة وأغلبها مشتمل على البيع والشراء،عظيمة الأبنية مزينة بالأشجار،وبالجملة فالقرى مسلسلة متصلة ببعضها غالبا،خصوصا مع جد السير حتى أن الإنسان لا يظن إلا أنه في بلدة واحدة"(١٣)

يقول ابن إدريس عن المرحلة من السفر:"..وفي تلك الطريق قرى متصلة وبيوت مسكونة وبساتين وجنات ومزارع فيها أنواع الحبوب والفواكه وأكثر أشجار هذه الجنات التوت والزيتون"(١٤)

عن باريز وعن أهاها كتب رفاعة الطهطاوي يصف بعض مظاهر الحياة فيها فيقول:" ومما قيل إن باريز جنة النساء،،وأعراف الرجال،وجحيم الخيل وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أو بجمالهن.. وأما الرجال فإنهم بين هؤلاء وهؤلاء عبيد النساء"(١٥)

ويقول العمراوي في هذا الباب:".. ويكفي في تقبيح سيرتهم وخبث سريرتهم غلبة النساء عليهم وطاعة النصارى لنسوانهم ومبالغتهم في اتباع مرادهن أشهر من أن تذكر.. حتى أنهم يقولون في أمثالهم باريز جنة النساء وجنهم الخيل"(١٦)

عن باقى مناحى الحياة فى باريز يذكر الطهطاوى أحوال السكان وعادتهم فى الأكل والملبس والمتنزهات التى يقضون فيها أوقات فراغهم، والمؤسسات الخيرية والعلمية والفكرية التى تتواجد بهذه العاصمة الأوربية.

نفس الموضوعات نجدها كذلك عند العمراوى حيث يعطى تفاصيل مدققة عن أعضاء الحكومة الفرنسية،وجنان النباتات والوحوش، ودار السلاح ، ودار الضرب، ودار الطباعة، ودار السلع والأثاث،ودار العسكر والعجزة ودار الكتب والكومديات ودار الأعمال التجارية والصحافة أو الأوراقة اليومية.

عند الأوراق اليومية كتب الطهطاوى:"٠٠ ومن الأشياء التى يستفيد منها الإنسان كثير الفوائد التذاكر اليومية المسماة " الجرنالات " جمع جرنال٠٠ وهى ورقات تطبع كل يوم وتذكر كل ما وصل إليهم علمه فى ذلك اليوم وتنشر فى المدينة وتباع لسائر أهل فرنسا أن تقول ما يخطر لها وأن تستحسن وتستقبح ما تراه حسنا أو قبيحا وان تقول رأيها فى تدبير الدولة ولها حرية تامة ما لم تضر بذلك فإنه يحكم عليها وتطلب بين يدى القاضى"(١٧٩

عن هذه الأوراق كتب إدريس العمراوى "٠٠ ومما يستعان بها على أمورهم الصحافة التى يسمونها الكازيطات ويسمونها أيضا الجرنالات وكيفيتها ان لهم دار يكتبون فيها أخبار ما يقع فى العالم كله بحسب ما يروج سماعه. وسائر الناس يشترونها من حوانيت معدة لبيعها فى كل سوق وكل من تأمل ما ذكرناه من حالها وموضوعها يستحسنها ويعرف قدر نفعها ولا تسأل عن عورات تفضحها ومسلوئ تبديها ومهاوى تنبه عن الواقع فيها إلا أنها لا تسلم من الكذب الصراح وذلك لأنهم يكتبون فيها كلما راج فى السنة الناس من صحيح أو سقيم"(١٨٩

وأخيرا ها هو ابن إدريس العمراوى يختم رحلته بنفس الصيغة والأسلوب الذى قدم بها الطهطاوى مؤلفه حيث كتب يقول فى الصفحة الأولى من تخليص الإبريز:"٠٠ وقد استشهدت الله سبحانه وتعالى على أن لا أحيد فى جميع ما أقوله عن طريق الحق وان أفشى ما سمح به خاطرى فى الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد

وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم أنى لا استحسن إلا ما لم يخالف نص الشريعة المحمدية على حاميها افضل الصلاة واشرف التحية"(١٩)

وفى خاتمة رحلة ابن إدريس العمراوى يقول :٠٠ ونعتذر لأولي النقد والاعلام عما زلت به الأقلام وجلبته من فضول الكلام وإن رأوا عورة فيسدلوا عليها الغطاً فما على مثلي يعد الخطأ وليظنوا بى الظن الجميل فما زغت عن الحق ولا عنه أميل على انى أطنبت فى بعض الحال بوصف حالهم واستحسنت بعض أفعالهم فمقصودى أن أزين منها ما وافق الشرع وسلمه العقل والطبع"(٢٠)

إذا كان مقام رفاعة الطهطاوى بالديار الفرنسية من سنة ١٨٢٦ إلى ١٨٣١ بمعنى انه قضى فيها حوالى خمس سنوات للدراسة والتثقيف والاطلاع فإن إدريس العمراوى لم يقض بباريز سوى اربعين يوما من ١٧ يوليو ١٨٦٠ إلى غاية ٢٠ غشت ١٨٦٠ ٠

فخلال هذه المدة القصيرة تمكن السفير المغربى من التغلغل داخل المجتمع الفرنسى والتعرف على مختلف المناحى الحياتيةفيه٠

ولئن نالت رحلة الطهطاوى ما نالته من شهرة ومجد فلكونها ترتبط بمكانة هذا الرجل العلمية والأدبية فى مصر النهضة كما حظيت رحلته بعناية خاصة وتقدير ملحوظ لدى السلطات الحاكمة فى مصر، وفى طليعتها محمد على، الذى اعجب بها بعد قراءتها فأمر بترجمتها إلى التركية وطبعها باللغتين وتوزيع نسخة بعد طبعها على الدواوين والوجوه والأعيان والمواظبة على قراءتها والاستفادة منها فى المدارس المصرية٠

أما رحلة السفير المغربى"تحفة الملك العزيز" فلم تطبع إلا بالحروف بفاس إلا سنة ١٩٠٩م أي بعد حوالي خمسين سنة عودة السفير من باريز وظلت مجهولة لدى الكثير من المثقفين المغاربة ولم تطبع وتنشر إلا فى سنة ١٩٨٩م كما أشرنا إلى ذلك فى الهامش (رقم٩)

غير أن هذا لا يعنى مطلقا عدم اطلاع السلطان سيدى محمد عبد الرحمن (١٨٥٩ – ١٨٧٣) ورجالات دولته وحاشيته عليها والاستفادة منها كل الاستفادة فمن

علامات هذه الاستفادة ومؤشراتها ما قام به هذا السلطان من محاولات إصلاحية حيث جلب من ارض الكنانة صناعا اختصاصيين للعمل فى معمل السكر "٠٠ واحيا ما اندثر بالمغرب من العلوم والحساب والتعديل والهندسة واخترع الجيش النظامى السعيد كما وجه إلى أوربا والى المشرق العربي بعثات تعليمية وبها بدأت النهضة المغربية تحاكى النهضة الوطنية فى مصر "(٢١)

من هذه الإصلاحات التى حاول السلطان مولاى عبد الرحمان القيام بها واعتماده على مصر لإنجازها ومن خلال عنوان رحلة ابن إدريس العمراوى وما احتوت عليه من اوجه المقاربة والتشابه، يتضح جليا مدى التأثيرات العميقة والملموسة التى مارستها النهضة المصرية فى مصر على المفكرين والأدباء والساسة المغاربة هذه الممارسات وهذه التأثيرات ستظل من هذا الوقت والى زمننا الحاضر تنتعش بالعطاءات المتبادلة بين مصر والمغرب فلم تعرف جمودا ولم تصب بالعناء لأنها عطاءات تستمد مقوماتها الروحية والمعرفية والمعنوية من منبع واحد ومشترك لا ينضب ولا يجف منبع التراث العربى والاسلامى٠

الهوامش

(١)-محمد عابد الجابرى:الأصلة والتحديث فى المغرب مجلة الثقافية (الجزائرية) السنة الثالثة عشرة عدد ٧٧ سبتمبر أكتوبر ١٩٨٣ص ٥٥ إلى ٩٢

(٢) اعتمدنا على هذه الرحلة للقيام بدراسة جامعية حاولنا من خلالها إبراز جوانب التواصل الثقافي بين المغرب ومصر والدراسة التي اعتمدناها هي التي قام بها الدكتور محمد فهمي حجازي وعنوانها (أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي) وقد نشرنا بحث مقتطف من دراستنا هذه تحت عنوان

٠ رفاعة الطهطاوي وإدريس العمراوي نموذج للتواصل الثقافي بين مصر والمغرب . نشر هذا البحث بالمجلة التاريخية المغربية .العدد ٥٧/ ٥٨/ يوليو ١٩٩٤ . تونس / ص ٤٩٥

٣ـ محمد محمد الكحلاوي : آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين / الدار المصرية اللبنانية. القاهرة / ١٩٩٤ ص ٨٥.

٤. تم تحقيق وطبع هذه الرحلة تحت عنوان صدفة اللقاء مع الجديد رحلة الصفار إلى فرنسا ١٨٤٥/ ١٨٤٦ ، دراسة وتحقيق سوزان ميلار ، جامعة هارفاد ، عرب الدراسة وشارك في التحقيق الدكتور خالد بن الصغير. تم طبعها ضمن منشورات كلية الآداب بالرباط / ١٩٩٥ .

٥ـ رحلة الصفار : المصدر السابق ذكره / ص١٣٧

٦ـ رحلة الصفار : المصدر السابق ذكره / ص٧٣

٧ـ رحلة الصفار : المصدر السابق ذكره / ص٧

٨ـ رحلة الصفار : المصدر السابق ذكره / ص ٨

٩ـ قمنا بتحقيق وترجمته إلى الفرنسية هذذه الرحلة تحت عنوان : من آدب الرحالات : تحفة الملك العزيز بمملكة باريز . مطبعة مؤسسة التغليف والطباعة . طنجة ١٩٨٩ وعلى هذه النسخة اعتمدنا في هذا البحث.

١٠ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص٥٧

١١ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص٦٠

١٢ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص٨٩

١٣- أصول الفكر العربي الحديث : المصدر السابق ذكره ص١٩١

١٤ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص٨٩

١٥ـ أصول الفكر العربي الحديث : المصدر السابق ذكره ص٢١٥

١٦ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص٩٣

١٧ـ أصول الفكر العربي الحديث : المصدر السابق ذكره ص٣١٠

١٨ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص٩٧/ ٩٨/ ٩٩.

١٩ـ أصول الفكر العربي الحديث : المصدر السابق ذكره ص١٤١

٢٠ـ تحفة الملك العزيز المصدر السابق ذكره ص١٢٦

٢١ ـ المانوني محمد : مظاهر يقظة المغرب الحديث : الجزء الأول / مطبعة الأمنية / الرباط / ١٩٧٣


المحور الثاني
الترجمة والتعريب

تعريب التعليم الطبي

د / قاسم سارة ـ منظمة الصحة العالمية

ماذا لو بعث رفاعة الطهطاوي حيا بيننا ، ورأي الحال التي نحن عليها اليوم من بعد عن الأخذ بأسباب المدنية والعلوم الحديثة واكتفاء بالمظاهر والقشور منها ، وكيف سيكون موقفه لو عرف فيما عرف من الدواهي التي ألمت بنا أن ثمة من يشكك في قدرة العربية علي استيعاب العلوم ، وماذا سيقول عندما يسمع من يزعم أن التخلف هو القدر الذي ستنحدر إليه الأمة لو توقفت عند لغتها وأولتها بعض الاهتمام . وماذا سيعمل عندما يعرف أن التعليم الجامعي في البلدان العربية يعاني من درجة كبيرة من الاختلاف في لغات التعليم التي تعتمدها الجامعات ، فهل سيصدق أن التعليم في الجامعات المغربية والتونسية والجزائرية وبعض الجامعات اللبنانية بالفرنسية ، وأنه في الجامعات المصرية والعراقية والأردنية وبعض الجامعات اللبنانية بالإنكليزية ، وأن الجامعات السورية والسودانية هي التي تتفرد بالتدريس باللغة العربية إلي جانب عدد من المقررات التي تدرس هنا وهناك مثل الطب الشرعي والطب النفسي وطب المجتمع في بعض الجامعات العراقية والمصرية واليمنية الليبية . تري هل سيختار الدعوة إلي التخلص من مظاهر التبعية الفكرية ، وإحدى مخلفات السيطرة التي تركها المستعمرون بعد رحيلهم عن البلدان العربية ، أم سيؤثر العودة إلي زمانه ؟ لا أراه بما عرفت عنه من حرص علي التحديث والتنوير والأخذ بسبل الارتقاء والتمدن إلا واقفا بيننا مصححا بعض ما يجنح إليه الوهم من مزاعم واهية ، وكأني أسمعه يقول :

يا قوم إن حديثنا عن تعريب التعليم والتعلم لا يقصد به بأي حال من الأحوال الصد عن تعلم اللغات الأجنبية والإضراب عن الاستفادة منها في إغناء العلوم والمعارف وفي مخاطبة الأوساط العلمية غير العربية والتفاعل معها وفي المشاركة في الحركة العلمية العالمية ، بل المقصود بها نقل حصيلة الفكر ونتاج

العلم والمعرفة في العالم إلي المتعلم العربي في كل المراحل التعليمية ، مع تطوير قدراته علي التواصل باللغات الأجنبية الأخرى

ياقوم إن التعريب تطوير للقدرات وتنمية للمعارف باللغة الأم وباللغات الأخرى ، وهو دعوة للانفتاح علي العالم بالقراءة والمشاركة .

ياقوم إن المشكلة في التخلف ليست في استعمال اللغة الأم في التعليم والتعلم بشكل عام ، والمؤشر الهام هو الكمية التي نقرأها ، ومردود قراءاتنا علي الواقع الاجتماعي وعلي التنمية في بلادنا . فالأمة التي تقرأ أكثر ستستفيد أكثر في تنمية بلدها وتطوير قدراته .

ملخص :

إذا كانت الوظيفتان الرئيسيتان لمنظمة الصحة العالمية هما التعاون التقني مع البلدان الأعضاء وتوجيه العمل الصحي الدولي وتنسيقه ، وهما وظيفتان متكاملتان ، وتشتملان معا علي التبشير بكل ما من شأنه تحسين الصحة والتشجيع علي القيام بإجراءات صحية معينة ، ونشر المعلومات ، فلا عجب أن توجه المنظمة برامجها نحو تعزيز جمع وتقييم ونشر المعلومات بأعلى الطرائق مردودا في مجال التنمية الصحية ، وأن تتحرى طرقا جديدة لتكثيف التعاون مع الأوساط العلمية وللتشجيع علي المشاركة الفعالة من قبل سائر الأطراف المعنية .

وعند الحديث عن نشر المعلومات الصحية وإيصال الرسائل الصحية إلي الذين تمس حاجتهم إليها ، تظهر أهمية استعمال اللغات الوطنية وإغناء تلك اللغات بالمصطلحات العلمية ، وترويج المنشورات الطبية التي تزيد من قدرة العاملين في الخدمات الصحية علي الأداء الأمثل .

وسنستعرض في هذه الورقة دور المكتب الإقليمي لشرق المتوسط في منظمة الصحة العالمية في إيصال المعلومات الصحية والطبية إلي المريض والي

القائمين علي رعايته والي المسئولين عن الصحة العمومية في بلدان الإقليم ... بأيسر الأساليب فهما وأكثرها استيعابا ، وأنفعها للناس .

مقدمة

يكاد عصرنا الحاضر أن ينفرد بديمقراطية المعرفة ، وتلك ظاهرة عظيمة في تطور تاريخ العلوم عامة ، والعلوم الصحية والطبية خاصة . ونعني بديمقراطية المعرفة مشاركة المجتمع بجميع طبقاته في مسيرة التعليم والتعلم . ومساهمة المهتمين في كل مجال من مجالات المعرفة بتبادل المعارف بسهولة ويسر . ولا يمكن تحقيق ذلك علي النحو الأمثل دون استخدام اللغة الوطنية أداة للتفاهم بين الجميع ، معلمين كانوا أو متعلمين .

مفهوم اللغة بالنسبة للفرد والجماعة

اللغة بصفة عامة هي وعاء العلم والمعرفة ، ووسيلة التعليم والتعلم ، وأداة التفاهم والتواصل بين الناس . فالطفل الوليد يبدأ في التعرف علي عالمه الجديد بما تقع علي عيناه من شخوص أو أشياء وما تسمعه أذناه في نفس الوقت من أسماء أو أوصاف تستقر في ذهنه وذاكرته باللغة التي ينطق بها من حوله ، أيا كانت تلك اللغة . وتمضي الشهور والسنون ، ويصير الوليد صبياً فيافعاً فكهلاً . وتتنامي حصيلته من المعارف والمفردات ، ويتطور عقله ، وتتعاظم قدرته علي التفكير والتعبير مستعملا في ذلك ما مر به من دروس مكتسبة باللغة الأم التي ارتضاها ونشأ معها حتى أصبح له عقل يفكر ولسان ينطق . فاللغة علي مستوي الفرد إذن هي مدخل معرفته ، ومخرج تعبيره ، ومنطاق لسانه، وأداة تفاهمه ، وسواغ كل نشاط من مناشط حياته اليومية .

أما علي المستوي الجماعي فإن اللغة هي النسيج الحي للحضارة والثقافة . والثقافة هي ذلك الجو الاجتماعي الخاص الذي تتنامي فيه شخصية الفرد والجماعة علي النحو المميز الذي يختلف عن غيره من الثقافات وهو جو يتألف من قيم وأفكار وأخلاق وأسلوب حياة ويشارك في إغنائه كل فرد وكل جماعة في

إطار المجتمع . ولقد ثبت في عديد من الأبحاث التربوية أن اســتيعاب المعرفة باللغة الأم أيسر واقرب منالا .

لقد أجريت دراسات عديدة لاستقصاء أبعاد هذه القضية الجوهرية المؤثرة علــى حاضر الأوضاع الصحية والثقافية ، فضلا عن مستقبل الصحة العمومية والفردية في كل مكان . وأسفر التحليل عن إيضاح عدد من الحقائق الأساسـية المحيطة بهذه القضية :

الحقيقة الأولى : أن اللغة ليست لغة العلم فقط ولكنها لغة الثقافــة والحضــارة . والثقافة هي ذلك الجو الاجتماعي الذي تتنامي فيه شــخصية الفــرد وطباعــه ، ويشارك كل فرد من أفراد المجتمع في إغنائه . فيوم تكون لغة الثقافة غير لغــة الأمة ، تنهار الأمة وتتلاشي . ويوم تكون لغة العلم غير لغة الثقافــة ، تصــاب الأمة بفصام ثقافي كهذا الذي نراه اليوم في جل بلدان هذا الإقليم ، ويصبح العلـم غصنا غريبا مطعما في شجرة لا تألفه ، ويؤدي ذلك إلي بقاء الأمة أمة ناقلة بدل أن تكون أمة مبدعة .

الحقيقة الثانية : إن المناسبات التي قلبت فيها لغة التدريس في العصر الحديــث من العربية إلي الأجنبية ، توافقت دائما مع الاحتلال الأجنبي أو مع ما هو أســوأ من الاحتلال . فلغة التعليم الطبي في كلية طب قصر العيني بمصر ظلت هي اللغـة العربية سبعين عاما وقلبت إلي الإنكليزية بعد الاحتلال البريطاني علي يد اللــورد كرومر . ولغة التعليم في الكلية الإنجيليــة الســورية التــي أصبحــت الجامعـة الأمريكية في بيروت ، ظلت بالعربية قرابة ثلث قرن ، وقلبت إلي الإنكليزية يــوم قلبت لغة التعليم في مصر .

ولغة التعليم الطبي في تونس والجزائر والمغرب هــي لغــة المحتــل المســتعمر الفرنسي ، وفي الصومال لغة المستعمر الإيطالي ، وفي العــراق لغــة المحتــل الإنكليزي إلي آخر القائمة .

الحقيقة الثالثة : إن الطالب في بلادنا يتلقى علومه كلها ، في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية ، باللغة العربية . ثم إذا بنا نطلب إليه فجأة أن يقلب كل تعليمه إلي لغة أجنبية .

فكأننا نوحي له بأن كل ما تعلمه بلغته هراء ولا قيمة له ، وسوف يبدأ الآن التعليم الحق ، وبذلك نفقده الثقة في ما تعلم . حتى إذا ما أخذ يتعلم باللغة الأجنبية وجد أن ما أوحي له به غير صحيح ، فيفقد الثقة في معلمه الجديد . ولهذا التزعزع الوجداني وفقدان الثقة المتعاقب أثر تربوي لا يخفي علي أحد . وها هنا يتساءل الكثيرون بحق ، إذا كان السبب في تغيير لغة التعليم هو صعوبة استعمالها ، فأيهما أسهل ؟ أن نغير لغة التعليم للآلاف المؤلفة من الطلبة إلي لغة غريبة لا يجدون مبررا مقنعا لانقلابهم إليها أم أن نغير لغة التعليم لدي الأساتذة فنطلب إليهم بذل قليل من الجهد ليستطيعوا إحسان التدريس بلغتهم الأم ؟

الحقيقة الرابعة : أن مستوي تعليم اللغة الأجنبية في المدارس الثانوية منخفض جدا في جميع البلدان العربية بحيث لا يكاد خريج المدارس الثانوية يعرف أوليات اللغة الأجنبية . ثم يراد له بهذا الرأسمال الضحل أن يستوعب علوما يستصعب الإنكليز والفرنسيون دراستها بلغتهم هم .. وفي هذا حتما خفض للمستوي العلمي للطالب ولا سيما في سنواته الأولى ، إذ من غير المعقول له أن يستوعب الدروس الطبية الأساسية بمثل ذلك الرصيد المتواضع من اللغة الأجنبية . وتكون نتيجة ذلك ، انخفاضا لا ريب فيه في مستوي الطالب العلمي .

الحقيقة الخامسة : أن التعليم في كثير من كليات الطب لا يتم باللغة الأجنبية ولا باللغة العربية ، ولكنه يتم بلغة ثالثة مهجنة ، مما ساهم أكثر فأكثر في خفض المستوي العلمي لدي الطلاب . وحين يمتحن الطالب يكتب في ورقة امتحانه كلاما غير مفهوم ، ويقدر له المدرس درجة الامتحان بمزيد من حسن الظن ، والافتراض لما يحسب أن الطالب ينوي أن يقول .

وتكون النتيجة مزيدا من انخفاض المستوي العلمي لدي الخريجين .

الحقيقة السادسة : أن العراقيل التي تذكر في وجه تعريب التعليم الطبي هي في الواقع نتائج له وليست بأسباب له . فلمن تؤلف الكتب وتصدر المجلات وتصاغ المصطلحات باللغة العربية إذا لم يكن ثمة تعليم بالعربية ؟ في حين لو أن التعليم لو كان بالعربية فسيتسابق المؤلفون إلي التأليف واللغويون إلي وضع المصطلحات ودور النشر إلي إصدار المجلات بالعربية .

الحقيقة السابعة : إن عجز الطبيب العربي عن التعليم بالعربية وهم كبير أو رهاب phobia، مرده إلي هذا الجو النفسي المريض الذي أقيم حول موضوع التعريب ، وإلا فهل يصدق عاقل أن المرء يعجز عن أن يستعمل لغته الخاص في التعبير عن أفكاره بأي مناسبة وفي أي موضوع ؟

الحقيقة الثامنة : أن منظمة الصحة العالمية ، وهي الضمير الناطق لدول العالم جميعا ، تدعو إلي توفير الصحة للجميع بحلول عام ألفين ، وتختار لذلك أسلوب الرعاية الصحية الأولية الذي يقوم أول ما يقوم علي مشاركة المجتمع . فكيف يمكن أن نضمن مشاركة المجتمع في الارتقاء بصحته إذا كنا سنخاطبه بلغة غير لغته ؟ إننا إذن نقاوم توفير الصحة للجميع بأسوأ مما نتصور .

الحقيقة التاسعة : إن المصطلح العلمي ليس كل المادة الفكرية ، ولا هو أهم عنصر في اللسان ، بل المهم أن نلفظ المادة الفكرية بلساننا العربي . فاللغة كيان فكري ونفسي ، أما المصطلحات فهي قوالب لفظية جعلت لاستيعاب معان محددة ، وليست هي بحد ذاتها صميم المشكلة ... إن كون مادة أو آلة أجنبية الاسم ، لا يدعونا إلي أن يكون شرحنا لخصائصها وآليتها باللغة الأجنبية .

الحقيقة العاشرة : إن اللغة العربية قد أصبحت لغة رسمية ولغة عمل في منظمة الصحة العالمية منذ أكثر من عشرين عاما ، وقد واكب ذلك إنشاء برامج عربي أصدر حتى الآن عددا ضخما من الكتب المترجمة إلي اللغة العربية ، وقد أصدرت المنظمة المعجم الطبي الموحد بالاشتراك مع مجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو يضم خمسة

وعشرون ألف مصطلح تصلح أن تكون النواة الأساسية الموحدة ، التي يمكن أن تصحح بعض مفرداتها ويضاف عليها .

والمنظمة الآن من خلال البرنامج العربي الإقليمي ، بصدد زيادة مفرداته إلي مائة وخمسين ألف مصطلح ، وإشراك أكبر عدد ممكن من أساتذة كليات العلوم الصحية في الوطن العربي ببيان الرأي في مسودات مصطلحاته قبل إقرارها من قبل لجنة توحيد المصطلحات .

الحقيقة الحادية عشرة : أن جميع دساتير الدول العربية تنص علي أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، وأن قوانين تنظيم الجامعات في جميع الدول العربية تنص علي أن لغة التعليم هي اللغة العربية ، وان التدريس بغير العربية يحتاج إلي استثناء خاص ، وأن العودة إلي الأصل وهو التدريس بالعربية لا يحتاج إلي قانون ولا قرار ، فالقرار السياسي متضمن حكما في الدستور والقانون ، وإنما الحاجة إلي العزم والتطبيق .

ويتزايد يوما بعد يوم إدراك هذه الحقائق وغيرها في ربوع البلدان العربية .

ولذلك تكاثرت في الحقبة الأخيرة القرارات والتوصيات الداعية إلي وجوب تعريب التعليم بمختلف فروعه ومراحله في كل مدارس ومعهد وجامعات الدول العربية .

المتطلبات والجهود

لا بد لي أن أشير إلي أن المتطلبات التي تذكر كلما ذكر تعريب التعليم الطبي هي فى الواقع نتائج لغياب التعريب وليست بأسباب تعيق تنفيذه . فلمن تؤلف الكتب وتصدر المجلات وتصاغ المصطلحات باللغة العربية إذا لم يكن ثمة تعليم بالعربية ؟ في حين أن التعليم لو كان بالعربية فسيتسابق المؤلفون إلي التأليف واللغويون إلي وضع المصطلحات ودور النشر إلي إصدار المجلات بالعربية .

وسنتناول بالبحث المتطلبات التالية :

١. تهيئة المدرسين .
٢. توفير المصطلح الطبي الموحد .

٣. توفير الكتب العربية المنهجية والمرجعية .

٤. إعداد الوسائل التعليمية .

٥. توفير الدوريات العملية .

أولا:تهيئة المدرسين بتعزيز اقتناعهم ، تنظيم الزيارات إلى كليات الطب التي تدرس باللغة العربية، وإقامة الندوات الدورية لتبادل الخبرات ،وتهيئة العدد الكافي من المدرسين القادرين على التدريس باللغة العربية ،وتشكيل مجموعة عمل من المكتب الإقليمي لزيادة كليات الطب ، ومتابعة مسيرة التعريب فيها ، وتعريفها بأحدث التطورات والمنشورات والمراجع المتاحة باللغة العربية ، ووضع البرامج المناسبة لدورات تدريبية لإعداد المدرسين علي الترجمة والتأليف والنشر باللغة العربية وهكذا نظم المكتب الإقليمي لشرق المتوسط في منظمة الصحة العالمية زيارات لأساتذة الطب والصيدلة في الجامعات العربية إلي الجمهورية العربية السورية (حيث يتم تدريس العلوم والطب باللغة العربية) نذكر منها :

عام ١٩٩٠ ــ ١٦ أستاذا من السودان

١١أستاذا من مصر

عام ١٩٩١ ــ ٩ أساتذة من مصر

١٤ أستاذ من السودان

٩ أساتذة من اليمن

عام ١٩٩٣ ــ ٣١ أستاذ من السودان

٥ أساتذة من مصر

٦ أساتذة من تونس

٤ أساتذة من الأردن

٢ أستاذان من المملكة العربية السعودية

٥ أساتذة من العراق

وقد شارك الأساتذة المشاركون بهذه الزيارات في ندوات أو حلقات عملية وفي المحاضرات والدروس العملية والجلسات والمدارسات السريرية كل بحسب اختصاصه .

ثانيا : توفير المصطلح الطبي الموحد بالإسراع بإصدار الطبعة الرابعة من المعجم الطبي الموحد ، وإصدار المعاجم الطبية المتخصصة ، والالتزام باستخدام المصطلحات الطبية الموحدة ،ومراجعتها وتحديثها بين حين وأخر . ونظرا لما للمعجم الطبي من أهمية سنخصه ببعض التفاصيل .

المعجم الطبي الموحد

يعد المعجم الطبي الموحد من أهم الخطوات علي درب تعريب التعليم الطبي فقد آلف اتحاد الأطباء العرب " سنة ١٩٦٦ لجنة لتوحيد المصطلحات الطبية ، تضم صفوة من المؤمنين بوجوب التوحيد ، المتمكنين من المعرفة بالطب واللغة من الأقطار التي فيها كليات طب وطنية راسخة القدم ، وعهد إليها أن تنهض باعداد معجم موحد للمصطلحات الطبية ، يضم من الكلم أكثرها تداولا في التعليم والتأليف والممارسة ، وتجتهد فتضع لكل منها واحدا يقابله من أصلح التعابير .

وقد عقدت اللجنة اجتماعات عديدة في القاهرة وبغداد والموصل ودمشق ولبنان ، أقرت في كل منها عددا من المصطلحات ، وكانت هذه المصطلحات تطبع منجمة في مطبعة المجمع العلمي العراقي وتوزع علي الهيئات والمؤسسات العلمية المعنية بأمر المصطلحات الطبية ، حتى إذا ما تم إنحاز المعجم جرت إعادة النظر فيه ، وأجريت عليه تعديلات كثيرة ، ثم طبعت طبعته الأولى في سنة ١٩٧٣ في مطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد وأعيد طبعه بالأوفست في القاهرة عام ١٩٧٧ ثم صدرت طبعة ثانية مصححة بالأوفست مطبوعة في مطبعة جامعة الموصل عام ١٩٧٨.

في ذلك الوقت شعرت السلطات العربية بأن الوقت قد حان لإعادة النظر في المصطلحات المستخدمة والسعي إلي تحديثها وزيادتها في ضوء التجربة السابقة

. وهكذا عهد مجلس وزراء الصحة العرب إلي المكتب الإقليمي لشرق المتوسط بهذه المهمة ، ولذلك أنشئت في المكتب الإقليمي لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات الطبية العربية ، وقد ضمت إلي جانب أعضاء لجنة توحيد المصطلحات الطبية في اتحاد الأطباء العرب ، عددا من الأعضاء الجدد جلهم من أقطار تدرس الطب بالفرنسية .وحسبما جاء في مقدمة الطبعة الثالثة من المعجم الطبي التي صدرت باللغات الثلاثة ، العربية والإنكليزية والفرنسية في عام ١٩٨١ استغرق إعداد هذه الطبعة الجديدة للمعجم الطبي الموحد أربع سنوات عقدت اللجنة فيها ثلاثة عشر اجتماعا في الإسكندرية وبغداد وتونس ودمشق والرباط وعمان والجزائر ، وكانت خاتمتها في أواخر كانون الأول / ديسمبر من سنة إحدي وثمانين وتسعمائة وألف .

تضمنت الطبعة الثالثة حوالي ٢٥ ألف مصطلح طبي . ولقد طرحت للاستخدام والتطبيق منذ عام ١٩٨٣ ولا تزال . ومنذ ذلك الوقت والمكتب الإقليمي لشرق المتوسط في منظمة الصحة العالمية يتلقى طلبات للاستزادة من المواد المعجمية ، وملاحظات حول تلك المواد ، مما دفع لجنة العمل الخاصة بالمصطلحات والتي يمثلها الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ، نائب المدير الإقليمي من موقع عمله كمقرر لهذه اللجنة منذ إنشائها وكقبلة يقصدها من يريد المساهمة أو الإمداد بالمعلومات الارتجاعية لتحديث المعجم للعمل علي إدخال المصطلحات الجديدة من أمهات المعجم الإنكليزية ، وإعداد مسارد متكاملة من تلك المصطلحات مع مقابلاتها العربية المقرحة ثم قسمت هذه المسارد إلي أجزاء متساوية ، ووزعت بالترتيب علي قائمة طويلة من أساتذة الجامعات ومن المهتمين بالمصطلح العلمي العربي في شتي أنحاء البلاد العربية لدراستها وإبداء الرأي في المقابلات المختارة منها . حتى إذا اكتمل وصول تلك الآراء ، تكون فريق عمل من خبراء المكتب الإقليمي وأحد خبراء مكتب توثيق المعلومات في جامعة الدول العربية ALDOC لحوسبة المعاجم ، وإتاحته علي قرص مكتنز بذاكرة القراءة فقط (-CD

ROM) وطبعه علي صفحات الإنترنت ، بالإضافة إلي طبعه بإخراج ورقية متميزة . (وتشهد هذه الأيام مولد المعجم باخراجاته الورقية والحوسبية والفضائية علي الإنترنت مع إدخال تكنولوجيا تعرف الصوت Voice recognition وتكراره وتكنولوجيا إدماج الصور الساكنة والمتحركة . ولعل الخطوات التالية القريبة التحقيق تزويد المعجم بالشروح ، وإصدار معاجم فرعية متخصصة وشرح مفرداتها وتحديث المواد المعجمية بشكل دوري ومنتظم ، بعد خلق آلية إدارية وفنية تتكفل بإنجاز ذلك .

<u>ثالثا : توفير الكتب العربية المنهجية والمرجعية</u> بالبدء بترجمة كتاب أو أكثر في كل علم من العلوم الطبية والصحية وتأليف كتب دراسية متعددة المؤلفين في الفروع العلمية المختلفة ، والتشاور بين المكتب الإقليمي وبين كليات الطب العربية بشأن ما هو متاح من الكتب المرجعية ، وما لا تزال كليات الطب محتاجة إليه ، وتوثيق التعاون بين جميع الأطراف لإصدار المراجع اللازمة تباعا ، وتشجيع التأليف والترجمة بتوفير الحوافز ، وتشجيع الناشرين علي إصدار الكتب المنهجية والمرجعية بالعربية ، والاهتمام بتوفير المراجع الأزمة للمعاهد العليا للتمريض وكليات العلوم الصحية والطبية الأخرى . وفي مجال توفير الكتب العربية المنهجية والمرجعية شرع المكتب الإقليمي بإصدار سلسلة الكتب الطبية الجامعية التي تهدف إلي تلبية احتياجات الطلبة والمدرسين من الكتب الجامعية علي المسارين اللذين اختارهما المكتب الإقليمي لتحقيق هذه الرسالة وهما رعاية تأليف سلسلة كاملة من الكتب الجامعية يشارك في تصنيف كل منها نخبة من أساتذة كل علم ينتمون إلي أكبر عدد ممكن من كليات الطب العربية ، وفي هذا المسار أصدر الطب الشرعي والسموميات والغذاء والتغذية وطب المجتمع والطب النفسي ، أما في المسار الثاني وهو ترجمة سلسلة من المراجع المتفق عليها عالميا فقد أصدر المكتب الإقليمي أساسيات علم الوبائيات والفيزيولوجيا الطبية (غايتون) ، وذلك إلي جانب تعاونه مع المجمع الأردني لإصدار كتاب مرجعي في

الجراحة (بيلي اندلوف) وتعاونه مع المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية في إصدار الكتب الطبية اللازمة للطلاب العرب في مرحلة الدراسات قبل التخرج . ومما هو جدير بالذكر ما قام به المكتب الإقليمي من خطوات لتشجيع المؤلفين والمترجمين ودور النشر في كافة البلدان العربية وذلك بالتعاقد المباشر معهم علي شراء وتوزيع عدد كبير من النسخ وتوزيعها علي الكليات الطبية وعلي المدرسين وعلي المكتبات المتخصصة فيها ، ويتابع المكتب الإقليمي إعداد ونشر وتوزيع فهرس الموضوعات والمنشورات الطبية Index Medicus في الإقليم .

رابعا : إعداد الوسائل التعليمية من شرائح وصور ورسوم وبيانات وأفلام وتسجيلات ،وحصر ما هو متاح من هذه الوسائل ، وإعلام الكليات بتوافرها ، وتيسير تبادلها ، ودعم مراكز تطوير مناهج التعليم الطبي في الإقليم ، وتيسير الاستفادة منها ، والتنسيق مع المؤسسات الأخرى المعنية بإنتاج وتوزيع الوسائل التعليمية والتعاون مع المجلس العربي للاختصاصات الطبية في هذا المجال . وترافق ذلك بعقد حلقات عملية بلدانية حول مواد التعليم والتعلم ؛ وخاصة تحضيرها باللغات الوطنية وإنتاجها وتدبيرها ، ومن أهم تلك الحلقات العملية البلدانية ما عقد في : ـ

دمشق : الجمهورية العربية السورية ، تموز / يوليو ١٩٨٧

الإسكندرية : جمهورية مصر العربية (المكتب الإقليمي لشرق المتوسط في منظمة الصحة العالمية) شباط / فبراير ١٩٨٩

نيقوسيا : قبرص ، نيسان / أبريل ١٩٩١

المنامة : البحرين ٣ ، نيسان / أبريل ٤ ـ أيار / مايو ١٩٩٤

دمشق : الجمهورية العربية السورية ، أيلول / سبتمبر ١٩٩٤

وقد أثمرت هذه الحلقات العملية بوضع تصور واضح وتنفيذ فعلي لبرنامج حاسوبي بشكل قاعدة معطيات تضم مواد التعليم والتعلم الملائمة والمتوافرة في

الإقليم ، من كتب ونشرات وأفلام سينمائية وفيديوية وملصقات ، وشـــرائح مـــع إرفاق كل منها بتعريف موجز ، وتنويه إلى مصدرها وإمكانية الحصول عليـــها ، والمواضيع التي تتضمنها ، ومكـــان نشـــرها وتوزيعـها ، وتـــاريخ صدورهـــا والمستهدفين الذين يمكنهم الاستفادة منها . ووزعت قواعـــد المعطيـــات بشـــكل أقراص لينة ، وينتظر أن يتم تحديثها وإصدارها بشكل أقراص مكتزة للقراءة فقط CD - ROMS بالقريب العاجل .

خامسا توفير الدوريات العلمية بإصدار مجلة أو اكثر لنشر ملخصات لما تنشـــره الدوريات الأجنبية من مقالات وبحوث ، والتعاون مع المؤسسات العربية المعنيـــة بإصدار المجلات والدوريات العلمية ، مثل اتحاد الجامعات العربيـــة ، والمركـــز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية ، والمجلس العربي للاختصاصات الطبيـــة ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، واتحـــاد الأطبـــاء العـــرب وســـائر الاتحادات المهنية الصحية والطبية (الصيادلة وأطباء الأسنان والتمريـــض ..) ومكتب تنسيق التعريب ، والنقابات والروابط المهنية ، وتشجيع كليات الطب علي الاعتراف بهذه المجلات باعتبارها مؤهلة لنشر الأبحاث العلمية المجيزة للترقيـــة والتقدير ، والعمل علي إدخال ملخصات البحوث العربية في شـــبكات المعلومـــات بالدول العربية المختلفة ، والتشديد علي ضرورة توفير المجلات العلمية الأجنبيـــة ، وتشجيع الهيئات العلمية الدولية علي إصدار طبعات عربية من إنتاجها. وفـــي مجال توفير الدوريات العلمية شرع المكتب الإقليمي بـــإصدار المجلـــة الصحيـــة لشرق المتوسط التي تنشر بعض مقالاتها باللغة العربية إلـــى جـــانب ملخصـــات بالعربية لمقالات المكتوبة باللغات الأخرى.

الخاتمة

ثمة منظمات عربية ودولية ساهمت إلي جانبها منظمة الصحة العالمية في بعـــث حركة التعليم والتعلم وقامت بمجهود ضخم في هذا المجال حتى أصبـــح التعريـــب

في متناول من يخلص النية لخدمة هذه القضية الحيوية والجوهرية ، وما نحتاجه اليوم هو التصميم والعزم علي تحقيق التقدم العلمي .

الترجمة وتعريب العلوم بين الواقع والمأمول

خالد محمد الأصور

باحث بالهيئة العامة للاستعلامات

اللغة أهم مقومات شخصية الأمة ، فهي سجل ماضيها ، وصورة حاضرها ونافذة مستقبلها ، ولن تنهض أمة لا تصون هويتها ولا تعتز بلغتها ، ولغتنا العربية هي لغة وحي السماء " إنا أنزلنا قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " يوسف (٢٠)

فاختيار الله للعربية وعاء للتفكير للرسالة الخاتمة الخالدة قضية ذات أبعاد لغوية وثقافية وعلمية وحضارية ، من خلال ارتباط التعبير بالتفكير ، ودور التعبير في التفكير والإبداع الأدبي والعلمي ، هذا الاختيار يعني امتلاكها هذه الأبعاد . ويأتي طرح قضية " الترجمة وتعريب العلوم بين الواقع والمأمول " كأحد محاور هذا المؤتمر ، مساهمة فعالة في تحقيق الوعي الحضاري والتحصين الثقافي والاستقلالية الذاتية للامة ، وتخليص العقل العربي والمسلم من اضطراب المفاهيم والتباس المصطلحات التي تتقاذفها المساحة الفكرية والثقافية يوميا خاصة في ظل ما يسمى " بالعولمة" والنظام العالمي الجديد مما يشكل تهديد مباشرا لمكتسباتنا الحضارية ، وانتصار الدخيل على حساب الأصيل ، وخلطا بين التبادل الثقافي والغزو الفكري ، وصبا للقيم الفكرية للأمة في أوعية مصطلحات غريبة منها .

إن أخطر ما يواجه الأمم التعبير بأوعية الآخرين ، والتفكير بأدوات الآخرين ، وإن عدم التعريب يعني التغريب ، مهما زعم البعض أن اللغة مجردا أداة للتوصيل ، وهمش دورها في التفكير ، وتجاهل علاقة التعبير بالتفكير والنقل الثقافي ، وما تتضمنه مفردات اللغة من شحنات ومؤثرات في التشكيل العقلي والتكوين الشخصي للأمة واستقلالها الحضاري .

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

حافظ إبراهيم

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي

رَمَوْنى بعُقْمٍ فى الشبابِ وليْتَنى ... عَقمِتُ فلَم أجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِى

وَلَدْتُ ولمَّا لَم أجِدْ لعرائسي ... رجالاً أكفاء وأدت بناتى

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آى به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء المخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عز الدواء أساتى

فلا تكلونى للزمان فأنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلها بالمعجزات تفننا ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادى بوادي فى ربيع حياتي

ولو تجزون الطير يوما علمتم ... بما تحته من عثرة وشتات

سقى الله فى بطن الجزيرة أعظما ... يعز عليها أن تلين قناتي

حفظن ودادي فى البلى وحفظته ... لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الأعظم النخرات

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من القبر يدنيني بغير أناة

وأسمع للكتا[illegible] في مصر [illegible] ... فأعلم إن الصائحين نعاتى

أيهجرني قومي عفا الله عنهم ... إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها سرى ... لعاب الأفاعي فى مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات

إلى معشر الكتاب والجمـ[illegible]افل ... بسطت رجائي بعد بسط شاتي

فإما حياة تبعث الميت فى البلى ... وتنبت فى تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ... ممات لعمري لم يقس بممات

اللغة العربية

للشاعر الراحل / محمد البرعي

من خط بالقلم الحروف الأولى ... الله خص بنورها التنزيل
لغة البيان وقد شرفت بأحمد ... يدعو وينشر للحديث فصولا
الله نزلها علية معلما ... واختارها لغة تنير عقولا
عاشت قرونا منذ أن ولد الهدى ... فتبوأت قمم اللغات أصولا
تلك الرسالات التي قد نزلت ... بالحق كانت للبيان دليلا
الله وثقها وأحكم فصلها ... للعالمين منهجا وسبيلا
سور هي التنزيل فى صفحاته ... الله فصل نورها تفصيلا
ببلاغة الفصحى كان بيانها ... شعر ترتله الورى ترتيلا
يا بنت عدنان وأنت على المدى ... لم نلق للجرس الجميل مثيلا
نبع من السحر الذي يسبى النهى ... قد طاف بين السامعين شمولا
لك فى المحافل ندوة قريشية ... ضمت إلى قمم البيان فحولا
هزوا المنابر واعتلوا درجاتها ... جيل ينافس فى الخطابة جيلا
يا مهبط الوحي الأمين بمكة ... بوركت أرضا منزلا ونزيلا
الله خصك بالرسول مبشرا ... واختار أجمل خلقه جبريلا
وأتى النبي مؤدبا ومعلما ... لغة البيان فزادها تبجيلا
فحروفها كالنور فاض بأرضها ... غمر البقاع ضروبها وسهولا
الناطقون بها حماة تراثها ... صانوا حماها فتية وكهولا
يا مجمع الفصحى وحصن تراثها ... لازلت ظلا للبيان ظليلا
قد كنت منذ نشأت موئل عزها ... تقضى لها حقا عليك نبيلا

والیوم قد هبت علیك عجمة كانت على لغة البیان وبیلا
فانهض وخذ بید البیان فإنه لم یرض غیرك للبیان كفیلا

- مفهوم وأهمیة التعریب والترجمة

تعریف الشيء هو مفتاحه الذي نلج به إلى حقیقته وجوهره وبدون ذلك تطیش الرؤى فى كل اتجاه وتخبط خبط عشوائي ، لذا ینبغي تعریق مدلول هذه الكلمات :

- مفهوم التعریب:هو نقل المصطلح العلمي بمنطوقه الأجنبي وكتابته بحروف عربیة مع محاولة صیاغته صیاغة عربیة كلما أتمكن ذلك ، أو " هو نقل الكلمة الأجنبیة ومعناها إلى اللغة العربیة كما هي دون تغییر فیها أو مع أجراء تعدیل علیها ، لینسجم نطقها مع النظامین الصوتي والصرفي للغة العربیة لتتفق مع الذوق العام للسامعین ، ولتیسیر الاشتقاق منها " .(١)

ومن ذلك كلمة "تلفاز" المستخدمة فى بعض البلاد العربیة : وكلمة " تلفزیون" المستخدمة فى بلاد أخرى للدلالة على المصطلح الأجنبي "Television"

كما تستعمل هذه الطریقة أیضا فى أسماء الأعلام والبلاد والمناطق الجغرافیة وغیرها ،

- أهمیة التعریب : إن حضارة الأمة العربیة والإسلامیة لن تستعید عافیتها إن هي هجرت لغتها ، ووضعت حواجز اللغة العسیرة الهجینه المستوردة ما بین عقول أبنائها وبین تلقینهم العلوم المختلفة بلغتهم العربیة بسهولة ویسر ، وسلخت عنها جلدها وأهانت كرامتها ، وأرضعت أبنائها الضعف والتخاذل ، وإن هي قصرت الإبداع بالعربیة على العلوم الفقهیة والأدب والتاریخ ، وحالت بینها وبین العلوم الطبیة والهندسیة والتقنیة وغیرها من علوم عصریة متطورة .

إن الكثير منا يتحرك اليوم من موقف "المتخاذل" التابع بتبعية مرضيـة للغرب ، فلدى الكثيرين منا ــ ولنكن صرحاء مع أنفسنا ــ رغبـة دفينـة (بوعينا الكامل أو بدونه) تستدعى الاستعمار " وهو مـا اسـماه الفيلسـوف والمفكر الجزائري مالك بن نبي " القابلية للاستعمار " والتي تنشأ من ثقافة بائسة يملؤها الإحساس بالدونية إذا تعلق الأمـر بشـخوصنا وإمكانياتنـا ، وبالاستعلاء إذا تعلق الأمر بالغرب وكل ما هو غربي ، مما يعنى أننا لا نصلح لشيء بينما يصلح الغرب لكل شئ ، وأدى هذا الإحساس المرضى إلى تصـور أن أي مشكلة إذا استعصى حلها علينا كعرب ، فحلها المؤكد لدى الغـرب ، أصاب لك ضمن ما أصاب نظرة الكثير منا إلى اللغة العربية على أنـها لغـة أصولية لانتفع لهذا العصر !! .(٢)

إن البعد اللغوي أوضح ملامح التبعية الثقافية حين تستقر فـي الأذهـان خرافة قدرة اللغة الأجنبية على الوفاء بمتطلبات العصر ، وعجز اللغة العربيـة عن ذلك ، رغم أن هذه التبعية اللغوية لم تتقدم بمجتمعاتنا العربيـة ، فضـلا عن أنها تولد التبعية النفسية . وغنى عن البيان أن العلم الـذي لا يمـارس بالغة القومية علم نقلى عقيم لأنه عاجز عن التجسيد فى المجتمع فى صـورة تطور تقني ملموس دليل هذا أن الإبداع العلمي العربي قد توقف مع توقـف تسجيل العلوم بالعربية ، فالنهضة العربية الحقيقية ترتبـط بتـأليف العلـوم بالعربية ، وكانت أخطر مؤامرة وقعت فى حبائلها اللغة العربيـة هـي هـذا التمزق اللغوي الذي شاب حياتها الثقافية والعلمية خلال القـرن العشـرين ، والذي تمثل فى تقسيم الساحة الفكرية العربية إلي قسمين : قسـم الدراسـات الدينية والأدبية وتستعمل فيه العربية ، وقسم العلوم والتقنيه والبحث العلمـي وتستعمل فيه اللغة الأجنبية .

وينبغي التأكيد على أن البحث فى أهمية التعريب يجب ألا ينصب على المبدأ ، لأنه من المسلمات العقلية والعلمية والثقافية والحضاريـة ، والـذي

يتعلق بأصل الوجود بأبعاده الثلاثة : الماضي بمخزونه الثقافي ، والحاضر وعلاقته به ، والمستقبل ودور هذا المخزون التاريخي فى تشكيله ، وإنما لابد وأن يتجه إلي الوسيلة والتطبيق ن فلا يمكن أن يتحقق النمو والنهوض والبناء الحضاري بغير اللغة... والاستقراء التاريخي وقراءة الحاضر يدلان على انه لا يوجد بلد ارتقى بغير لغته ... إننا لو اجتزأنا قدراً من مواقفنا الدفاعية عن اللغة العربية وقدرتها ومرونتها وخلودها ... الخ لإنضاج بعض البحوث وتطويرها وتذليل تعليمها ـ لأهلها ـ ولغير الناطقين بها ، وإبداع بعض العلوم والفنون التي لا تتصل لا بتعلمها ، لتغير الحال ، ولدبت فيها الحياة .(٣)

- <u>مفهوم وأهمية الترجمة</u> :تعتمد الترجمة على تفهم المقصود بالمصطلح الأجنبي ، ثم محاولة إيجاد بديل له فى اللغة العربية يدل علية بطريقة لالبس فيها ولا غموض ، حتى لا تتداخل المصطلحات العربية بعضها مع بعض ، ومثال ذلك كلمة " اليخضور " التي وضعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة للدلالة على المادة الخضراء فى النبات ، مقابل الكلمة الأجنبية (Chlorophyll) وغير ذلك .

وتتمثل أهمية الترجمة فى أنها رافد مهم لإثراء اللغة وتطورها ومسايرتها لمتطلبات العصر وكل عصر ، وعالمنا المعاصر يوصف بأنه عصر المعلومات فى مختلف المجالات ، حيث ظهرت مصطلحات جديدة فى شتى فروع المعرفة ، ويأتي دور الترجمة للقيام بمهمة تزويد اللغة بمصطلحات جديدة تعبر عن المخترعات والمكتشفات الجديدة ، وهى تمثل جسراً يتم عبره تبادل المفاهيم والأفكار بين مختلف اللغات ، والترجمة ليست بالأمر الغريب على لغتنا العربية ، حيث شهدت فى القرنين الثاني والثالث للهجرة أزهى عصور الترجمة فأخذت عن اليونانية والفارسية ترجمات فى مختلف العلوم والفنون ، وأعادت إخراجها فى ثوب لغتنا العربية الجميلة .

ومن ثمرات الترجمة الاتصال بثقافات وتجارب الآخرين ، فذلـــك عـــامل هام أثبت فاعليته فى دفع حركة التقـــدم والرقـــى ، فنظـــرة الســـريعة إلـــى الحضارات الإنسانية تبين لنا أن كل حضارة انطوت على نفســـها ، وقطعـــت حبال الاتصال مع الآخرين ، ذبلت وماتت ، أما الحضارة التي فتخت أبوابـــها ، وتركت نوافذ مشرعة إلى الخارج ، ازدادت فتوتها قوة ، وتفتحت براعمـــها ، فتطورت ، أنتجت للبشرية إنتاجاً أضاء لها حياتها بما أضافته له مـــن علـــم وثقافة ، ولا يتحقق هذا إلا باللغة .

ولما كانت اللغات متعددة والثقافات متنوعة ، وجب على كل شـــعب – إن أراد اللحاق بركب الحضارة – أن يبذل قصارى جهده فى نقل علـــم وثقافـــة الآخرين عن طريق ترجمة ما كتب فى اللغات الأخرى إلى لغتـــه ، فالترجمـــة عنصر أساسي ومهم جدا فى بناء الحضارة ، فما أهملتها أمة إلا وتعثرت فـــى سيرها ، بل وتخلفت عن المسيرة ، فما من أمة فى القديم أو الحديث قـــامت حضارتها بمعزل عن الحضارات أو الثقافات الأخرى ، ذلك أن تزاوج الثقافـــات هو الذي ينمى كل ثقافة ويثريها ، فإذ تقوقعت ثقافة على نفسها كـــان مثلـــها كمثل الأسرة تقتصر فى المصاهر على الأقرباء ، فيضعف النســـل ، وتدكـــها العلل فتعقم ويصيبها الشلل .(٤)

◆ دوافع الترجمة (٥):

وهى متعددة فتارة تطلب لحاجة ، وهذا يكون فـــى بدايـــة نهضـــة الأمة ، كما حدث للعرب فى العصر الأمـــوي والعباســـي ، إذ أن حركـــة الثقافـــة وظهور قضايا خلافية فى المجتمع دفع المتخلفين إلى اللجوء إلى ما عند الآخرين ، ليدعم كل فريق رأيه بالحجج والبراهين التي فى الثقافـــات الأخـــرى ، وتـــارة أخرى يكون الدافع إلي الترجمة إشباع لذة عقلية ، كما حدث لهم أيضا فى مجـــال الفلسفة والآداب ، كما أنها تطلب أيضا لتعزيز المقومات الشخصية للأمـــة بمـــا تضيفه إلى معلوماتها ومعارفها ، مما يزيدها قوة ورسوخا بين الأمم ، فإذا أردنـــا

أن نبدأ السير فى طريق التقدم بخطوات سريعة فيجب علينا أن نترجم نتاج الثقافات الأجنبية ، فقد نقل المسلمون الأوائل التراث الإغريقي وهضموه وأضافوا إليه ، فكان ذلك دعامة أساسية فى قيام الحضارة الإسلامية ، وكذلك كانت الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية أساسا لنهضة أوروبا والإسراع فى بناء حضارتها .

- العناصر اللازمة للترجمة :(٦)

١. العناية باللغة العربية عناية تمكن المتحدث من صياغة أفكاره بأسلوب عربي فصيح ، ولا يتأتى هذا إلا إذا تربى فى المدرسة على منهج سليم يساعده على تكوين الملكة اللغوية ، وتلك هي اللبنة الأولى للترجمة من لغة أجنبية إلى العربية .

٢. إتقان لغة الثقافة المنقول منها ، فلن يتاح التواصل مع الثقافات العالمية إلا بإتقان لغات الآخرين ، حتى لاتشوه الأفكار المنقولة ، أو ينتفض عنصر منها يخل بالمعنى المراد .

٣. ثقافة المترجم فى المجال الذي يترجم فيه ، فكلما كانت درجة إلمامه بالمعلومات التي تتعلق بهذا الفن كبيرة وثقافته واسعة ، وارتفعت درجة إتقانه لمفهوم النص إلى اللغة العربية وضحت فكرة المؤلف للقارئ العربي .

٤. ثقافة عامة ، فالذي لا يهتم ولا يحرص على الاستمرار في تثقيف نفسه بشتى المعارف والعلوم ، لا يكون قادرا على الترجمة بصورة صحيحة ، كما أن المترجم فى حاجة إلى طائفة من العلوم والفنون بوجه عام كي يحسن الترجمة التي تخصص فيها . 🗗 التعريب : أسبابه ـ طريقته ـ شروطه(٧):

أسباب التعريب :

١. الحاجة الملحة : حيث دخلت العربية بعض الأسماء التي رأى العرب أنهم فى حاجة ملحة إليها ، كأسماء الحيوانات والنباتات والملابس والمخترعات الحديثة .

٢. خفة اللفظ الأجنبي فى النطق من نظيره العرب ، فكانت سببا لتغلبه ومدعاة لنسيان اللفظ العربي ، مثل (المسك) بدل من (المشموم) ، (والياسمين) بدل من (السمسق) .

٣. الافتخار وحب الظهور ، فقد يتكلم الرجل أو المرأة بالكلمة الأجنبية ليظهر بأنه يجيد لغات أخرى ، حيث يقحم أثناء حديثه بالعربية بعض الألفاظ الأجنبية .

٤. إعجاب أمة بأخرى فتقتبس منها بعض الألفاظ لغتها إحساسا نها بتفوقها على لغتها ، فقد اقتبس الأتراك والفرس ألفاظ كثيرة من العربية إعجابا بها وبأبنائها .

- طريقة التعريب:فقد سلك العرب فى تعريبهم للكلمات الأعجمية طريقتين :

— الطريقة الأولى :التغيير فى أصوات الكلمة وصورتها بما يوافق ألسنتهم وأبنية كلامهم ، حفظاً لألسنتهم من لكنه العجم ، فيصقلون اللفظ الأعجمي ويهندمونه بحسب أوزان لغتهم . فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم ، وهذا التغيير أشهر صوره :

١. تحريف فى الأصوات : كأنه يكون بإبدال حرف من حرف ، مثل جورب وأصلها

الفارسي : كورب ، أو بزيادة حرف مثل ، مثل : ديباج ، وأصلها الفارسى : ديبا ، أو بنقصان حرف ، مثل نشا : وأصلها نشاسته ، أو بتحريك ساكن ، مثل كازرون – اسم مدينه – وهى فى الفارسية بسكون الزاى ، فينطقونها : كازْرون ، أو بإبدال حركة بحركة ، مثل دستور ووهى فى الفارسية بفتح الدال .

٢. تحريف فى الأوزان وهذا نتيجة التحريف فى الأصوات بزيادة حرفي على أحرف الكلمة الأعجمية أو نقصان حرف منها :أو إبدال حركة بحركة أو حرف

بحرف أو تحريك ساكن ن فذلك يؤدى لانحراف وزن الكلمة الأعجمية على غرار الأوزان العربية مثل كلمات درهم ، دينار ، ديباج ، جورب ، وهذا القسم يعرف عند اللغويين بالمعرب وهذا اللفظ الأجنبي الذى استعمله العرب بعد تطويعه للغتهم سواء بالزيادة أو النقص أو القلب او الألحاق .

- الطريقة الثانية وهى ادخال الكلمة الاجنبية بصورتها فى العربية دون تغيير ، ويعرف هذا باسم الدخيل ، وذلك مثل : خراسان تليفون .

- شروط التعريب :

١- ألا نلجاء الى التعريب غلا عند الضروره : وذلك إنسجاما مع القرار الحكيم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ونصه " يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم ول يجوز التعريب مع إمكانية إيجاد الفاظ عربية مقبولة بقليل من الجهد ز

٢- أما قبل تحقيق هذه الضرورة ، فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب ، إذا تحرى الناقل العليم بأسرار العربية اللقظ الأنسب لآداء مدلول اللفظ الأعجمى .

٣- الكف عن استعمال اللفظ المعرب غذ كان له اسم فى لغة العرب ، إحياء للفصيح وقتلا للدخيل .

٤- أن نحاول كلما اضطررنا الى التعريب أن ننزل اللفظ المعرب على أوزان الغربية ليكون عربيا أو بمنزلته .

٥- ولا مانع من النحت إذا اضطررنا اليه فى تعريب المصطلحات العلمية والفنيه ، ولكن عند الضرورة القصوى .

٦- فالطريقة المثلى ــ إذن ــ فى نقل مدلولات المخترعات الحديثة ألا نلجأ للتعريب إلا بعد بذل الجهد فى الترجمة اولاً ، فإذ لم يوجد للفظ الأجنبى مقابل عربى فالاشتقاق او المجاز ن فإذا عجزنا ، نعرب اللفظ الأجنبي تعريبا مطابقا لقواعد اللغة ، ونصقله وفق منطق وأوزان لغتنا ، وهى ليست

باللغة الجامدة الميته ، بل هى اللغة المرنه المطواع التى كتب لها الله تعالى النماء والبقاء والخلود.

- ثراء اللغة العربية

منذ نزول القرآن الكريم عربيا على خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، كان للغة العربية دور كبير فى إحياء ونهضة الأمة العربية والإسلامية ، حيث كانت الوعاء الزاخر الذى وسع كافة العلوم والفنون ،حيث نشرت أشعة النور والمعرفة والحضارة خلال ثمانية قرون من عمر الزمن ؛ فأكدت ما فيها من سعة وثراءفى المفردات والتركيب ووضوح البيان .

لقد أثبت التاريخ أن اللغة العربية هى الأغنى والأحلى والأغزر والأوفى بين اللغات ، لذلك كانت لغة التشريع وعلوم الحديث ، والتفسير والفقه ، والأدب والشعر ، والحب والحرب ، والطب ، ولوم النبات والحيوان ، والحساب والهندسة والجبر والموسيقى والزخرفة ، والفلاحة والكمياء ، والجغرافيا وطبقات الأرض والمعادن والجواهر ، وعلوم البحار والأجواء والأنواء .(٨)

إن لغتنا العربية ــ وهى لغة محكم التنزيل ــ يقول علماء اللغة أنها أكثر لغات العالم كفاية ومرونة أقدرها على التعبير عن مختلف فنون القول ، فعلى حين أن ما يستعمل من ألفاظ ، وكما يقول الحسن الزبيرى فى " لسان العرب " هو ٥٦٢٠ لفظا ، فإن عدد أبنية كلام العرب ، وكما يقرر الخليل بن أحمد فى " العين " يبلغ ١٢,٠٠٥,٤١٢ ، والى ذلك هي أكثر لغات العالم أصواتا ومقاطع ، إذ بها ٢٨ حرفا غير مكرر ، بينما فى اللغة الإنجليزية ٢٦ حرفا ومنها مكرر ، وفى هذا السياق يصفها سليمان البستانى مترجم " إلياذة هوميروس " بأنها أطول اللغات الحية عمرا ، وأقدمها عهدا وأكثرها ثراء بالألفاظ والمعاني.(٩)

وقد صدر كتاب بالإنجليزية أكد من خلال عنوانه أن " العربية الفصحى أم اللغات الهندية والأوروبية وأصل الكلام " ويقع فى ٢٨٥ صفحة ، وهو مبنى على بحث مضن وغير مسبوق استغرق عشر سنوات قامت به المؤلفة د. تحية

عبد العزيز أستاذ اللغة الإنجليزية / بجامعة عين شمس ، تناولت فيه المقارنة لثلاث لغات قديمة (اللاتينية ، والسكسونية ــ وهى اللغة الجرمانية التي بنيت عليها الإنجليزية الحديثة ــ واللغة العربية الفصحى) وقد أسفرت الدراسة عن حقائق بالغة الأهمية والإثارة تؤكد أن اللغتين السكسونية واللاتينية عبارة عن شطر فقط من اللغة العربية .(١٠)

وقد شهد شاهد من أهلها ، حيث يرى المستشرق الفرنسي " لوى ماسنيون " أن لغة الضاد : هي اللغة الوحيدة القادرة على أن تصير اللغة العالمية بين سائر الأمم ، فيقول : " لندفع العرب إلى احترام عربيتهم ، هذه الآلة العضوية الصافية والصالحة لنقل اكتشافات الفكر عبر الدول ، فلا نخيلها مسخاً مقلداً للغاتنا الآرية ، كما لا نتركها تنحصر فى قومية ضيقة مثل العبرانية الجديدة للصهيونية المتطرفة ، إن البعث الدولي للغة العربية عامل أساسي فى إشاعة السلام بين الأمم فى المستقبل ، وقد كانت هذه اللغة فى نظير كثير من الفرنسيين المسيحيين ــ وأنا منهم لغة الحرية ووحي الحب "(١١) .

تعلُّم اللغات الأجنبية : ينبغي ونحن ندعو إلى التعريب والترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية أن نؤكد الدعوة فى نفس الوقت إلى عدم تجاهل اللغات الأجنبية الهامة ، فاستعمال اللغة العربية لايعنى بالضرورة إهمال اللغات الأجنبية ، بل على العكس ينبغي العناية بها فى التعليم العام المتوسط والجامعي ، نظراً لأهمية الانفتاح العلمي على العالم ، ولن يتم ذلك إلا من خلال التواصل المستمر مع اللاتي الأجنبية التي تنشر بها مختلف العلوم والتقنيات المختلفة .

إن تعلم اللغات الأجنبية يتعين عدم الخلط بينها وبين التعريب ، فهما قضيتان منفصلتان ، والشخص الذي يدرس بلغة أجنبية لايعنى ذلك أنه يعرف هذه اللغة ، لأنه لا يستطيع أن يعبر عما بداخله بها ، إنما فقط يتفهم بها ، ولذلك فإن البعثات فى الخارج يجب أن تكون على درجة من الكفاءة والكفاية فى تعلم اللغة الأجنبية ما يمكنه من نقل هذه اللغة إلى اللغة الأم بكل دقة دون خلل أو خطأ ، وإتقان

التعريب والترجمة لن يكون على المستوى المطلوب إلا بإتقان تعليم اللغات الأجنبية ، وبدون ذلك لن يكون الجدار سميكاً بيننا وبين علوم العصر وتقنياته ، ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فقد أمر زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ أن يتعلم السريانية ، وسار خلفاء المسلمين من بعده على هذا النهج فأنشأوا دور الترجمة وتعلم اللغات المعاصرة لهم والتواصل مع الناطقين بها .

وتعليم اللغات الأجنبية لاينبغى أن يكون بأي حال على حساب اللغة العربية حتى لا تستمر حاله التمزق اللغوي التي تعايشها ، وكان من ثمارها المره إن الطبيب المتخرج اصبح لا يجيد الإنجليزية بسبب اللغة الخليطه التى يدرس بها (انجلو -اراب) وفى نفس الوقت لايجيد العربيه التى هى لغه الأم ، ومثال على ذلك فقد رفضت كليه طب القاهرة منح طالبه شهادة البكالوريوس فى العام الدراسي ١٩٩٦/١٩٩٧ - وهى ليست الحالة الوحيدة فى جامعات مصر - رغم نجاح الطالبة التي حصدت سنوات الدراسة بتفوق لا تجيد القراءة والكتابة باللغة العربية ، وكان هذا الكشف الخطير عندما طلبت إدارة الكليتين الطالبة كتابه طلب الحصول على شهادة البكالوريوس نكتبه باللغة الإنجليزية ورفضت الكلية منحها الشهادة إلا بعد نجاحها فى اجتياز امتحان فى اللغة العربية "محو الاميه !!

فلجأت الطالبة للقضاء غير أن المحكمة أيدت قرار الكليه.. وهذه الطالبة هي إحدى خريجات المدارس الاجنبيه التى اصبحت تهدد باندثار اللغة العربية واختفاء حروفها من مصر نظرا لأعمالها تدريس اللغة العربية جنبا إلى جنب مع اللغة الإنجليزية !!

التراث العلمي العربي

إن ثراء اللغة العربية قد به القاصى والدانى ، وقد سجل " بريفوت "أحد مضفى المؤرخين فى كتابة " تكوين الإنسانية فى القرن ١٩ " أن هبة عظيمة

جادت بها الحضارة العربية على العالم ، كما أشادت المستشرقة الألمانية زيجريد هونكة بفضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا والغرب عموماً والغرب فى كتابها " شمس العرب تشرق على الغرب ".

وقد نقل المترجمون الغربيون الكثير من المصطلحات العربية ، وامتلأت المكتبات الغربية بآلاف المجلدات العربية فى شتى العلوم .. من ذلك فى سنة (٩٩٩)م ظهر كتاب " الجراحة لأبى القاسم ، والتى طبقت سمعته الآفاق ، وكان أهم مرجع فى لفن الجراحى ، وكتاب الحاوى الطيب " أبو بكر الرازى " (٨٦٤ـ ٩٣٢م) ومؤلفاته الأخرى التى حفلت بالمفردات الطبيبة ووالدوائية ، وأتبى البيرونى الذى يلقب بارسطو العرب دوران الأرض حول الشمس ، وظهرت مراجع أخرى مثل " تقويم البلدان " لأبى الفداء (١٢٧٣ـ ١٣٣١م) كما ألف الإدريسى " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " وقبله ألف المسعودى " مروج الذهب " وقد أشاد بجهودهما العلم الفلامنكى " مركاتور " أحد مؤسسى الجغرافيا الحديثة ، كما اكتشف ابن الهيثم قواعد وقوانين البصر والعين

كل ذلك حرك الترجمة فى الأتجاه الأخر، أى من العربية الى غيرها من اللغات الأخرى ، وتسابق علماء الترجمة فى أوروبا على نقل هذه الوقائع والكنوز الثمينة إلى لغاتهم ، وأدى سقوط بغداد أمام زحف التتار عام ١٨٥٢م الى التوجه النهضة العلمية الى الأوروبيين الذين أدركو أهمية الترجمة فى بداية حملاتهم الصليبية فى القرن الحادى عشر ، وعندما اندحروا على يد صلاح الدين تحولوا الى خزائن الكتب العربية فى الأندلس خاصة فى علوم الطب ، وعرفت الفترة ١٢ـ ١٦ بعصر الأستعراب الأوربي . فترجمت كتب ابن رشد وابن سينا ولاسيما "القانون" والذى استمر تدريسه فى المعاهد الأوروبية لمدة ستة قرون ، وكانت صقلية بين الشرق والغرب ، وقد نقل عن طريقها أثمن كنوز للمعرفة فى الشرق ، وفى سنة ١٢٢٤ م أسس الملك فريدريك الثانى جامعة نابولى ، وضم الى مكتبها نفائس من هذه الكنوز .

إن التراث العربى الإسلامى كان من الضخامة بحيث لا تكفى عشرات الكتب فى تغطيته ، وهو لم يسلم من التعتيم أو النهب والانتحالات والسطو الأوروبى ، فقسطنطين الأفريقى الراهب فى دير" بيزا " بايطاليا فى القرن (١١) كان أول من ترجم كتاب " العشر مقالات فى العين " الى اللاتينية ، ونسبه لنفسه باسم " طب العيون الأفريقى " وأغفل اسم المؤلف الحقيقى ، كما سرق كتاب ابن الجزار (زاد المسافر) وانتحله لنفسه بعد ترجمته للاتينية ، واستمرت الكذبة عشرة قرون حتى اكتشفها مؤرخ طب العيون الألمانى الفذ " جوهانس هير شبرج " عام ١٩٠٥ وأعلنها على الملأ .ز ومما سبق يتضح أن اللغة العربية كانت السباقة لاستيعاب العلوم فى كتب موسوعية ، وأخرى جراحية ، فيها وصف دقيق للأمراض وطرق معالجتها ، وهى أول الكتب التي حوت رسوماً للأدوات الجراحية ورسوما تشريحية ومقاطع تظهر طبقات العين .. فهل بعد كل هذا يقال بأن اللغة العربية لا تصلح لغة للعلم ، أو إنها ستهبط بمستوى الطب إذا درس بها ، إن قولا كهذا يعنى أن قائله جاهل غافل عن حقيقته لغته وتراثه العربي العلمي العظيم . (١٢)

تجارب الأمم الأخرى :

إن اكتساب أمة لعلم فى عصرها يمر بثلاث مراحل

ك المضغ ــ الهضم ، التمثل ويمكن لأمة أن تمضغ علم عصرها بلغة أجنبية ، ويمكن أن تهضم الى حد ما ، ولكن لايمكن لها ابداً ان تمثل بعلم عصرها إلا بلغتها القومية ، ولم يتمثل أجدادنا لم عصرهم إلا بعد أن نقلوه الى لغتهم وعلموه بها فى مدارسهم ، حيث تمثلوه وأوجدوا العلم العربى الذى أخذته منهم أوروبا ، وإذا استعرضنا قائمة الأمم نجد ان التى تمسكت علم عصرها بلغتها القومية هى التى تسود . (١٣)

والعجيب والغريب أن تتسع اللغة اليابانية لكل المنجزات العلمية والتقنية على الرغم من عقم أبجديتها ، وطريقة كتابتها ، ومحدودية مفرداتها ، وأن

تتسع اللغة الصينية للإنجاز والإنتاج الحضاري ، وأن تحيا العبرية وتسترد من بطون التاريخ والمتاحف ، وتنفخ فيها الروح ، لتصبح لغة العلم والدين والسياسة ، وحتى التعبير عن أدق المصطلحات والمبتكرات العلمية فى الفيزياء والرياضة الحديثة .. فضلا عن اللغات الهندية والإندونيسية والفيتنامية .

أ) كل هذا فى اوقت الذى تنحسر فيه اللغة العربية بانحسار أهلها ونكوصهم الحضارى الى درجة يحاول معها بعضهم أن يخرج العربية من ساحة ولغة العلم نهائيا ويحاصرها بالمتاحف والمعابد ، فلغة المعهد عنده غير لغة لمسجد ، والعربية لا تصلح لغة للعلم ، فليقتصر فيها على لغة العبادة والترتيل ، ولتعزل عن الحياة ، وتفصل عن الدولة ومدارسها ومعاهدها وجامعتها ومناهجها ، لأنها ليست لغة العلم ولا الحضارة ولا المراجع (!!) وشيئا فشيئا تصير كالسريانية ، وغيرها من اللغات البائدة التى انتهت الى المتاحف ودور الآثار وبعض المعابد ، حيث يمارسها طبقة من رجال الدين ، وتردد ترانيمها للتبرك دون أن تعى منها شيئا ، لاهى ولا من يستمع اليها . (١٤)

شبهات وردود

عند أن تأمل الأبعاد المختلفة لقضية تعريب العلوم يمكن اكتشاف عدد من الشبهات والمغالطات التي تحتاج إلى ردود لفحصها ونقدها .. ويمكن مناقشة أهم هذه الشبهات فيما يلى :

١) شبهة شائعة مؤادها ، اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمى والمصطلحات التقنية التى نشأت فى لغات اخرى ، ولن نرد على هذه الشبهة بترديد كثيراً ــ وهو حق وصدق ــ عن خصوبة العربية وغناها وقدراتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث ، أو الاستشهاد بعدد غير قليل من المحاولات العلمية الناجحة فى نقل مصطلحات العلم الحديث للعربية ، أو بالتذكير باستيعاب العربية ــ فى

عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ـ العلوم المختلفة .. فكل ذلك ربما يكون معروفا للقائلين بعجز اللغة العربية ، لذا يكون مفيدا محاولة اكتشاف أسباب الوقوع فى هذه الشبهات ، وهى لا تخرج من الاحتمالات الآتية :

أ. أن يكون القائلين بعجز العربية لا يفهمونها، فهما جيدا ، ولا يدركون قدرتها وإمكاناتها الهائلة ، لكن يجب تذكيرهم بأنه مهما كان تعمقهم فى اللغات الأجنبية ، فسوف يظلون عاجزين عن معرفة كل أسرارها ، لأنها رغم كل شئ ليست لغتهم الأم .

ب. بعض الذين يشككون في قدرة اللغة العربية مع إصرارهم على استعمال اللغة الأجنبية رغم عجزهم الفادح أحيانا في فهم أسرارها إنما يحاولون إخفاء تفاهة مضمون ما يقدمونه من مادة عن طريق تغريب الشكل الذي يضمونها فيه .

ج . الاحتمال الثالث هو الكسل ، حيث يقول البعض : مادمنا نأخذ مضمون العلوم من الخارج ، فلماذا نتعب أنفسنا ونبدد وقتنا في محاولة نقلها الى العربية ، وخطر هذا الاتجاه أنه لا يدل فقط على الكسل ، بل على تجاهل طبيعة التقدم العلمي وارتباطه الوثيق باللغة .

٣) الشبهة الثانية يقول أصحابها أن استعمال اللغة العربية يعز لنا عن العلم المتقدم واحتلال مكانه بارزة لن يكون إلا ببناء الوحدة الثقافية للأمة والارتباط بجذورها التاريخية .

كما ان المثيرين لهذه الشبهة "نما يخلطون بين استعمال اللغة العربية وتعلم اللغات الاجنبية ،فلا احد ينكر فائده بل ضروره ـ تعليم اللغات الأجنبية، لكن ذلك شيء واستعمال اللغة القومية شيء آخر ، وقد ادت هذه المغالطة إلى معضلة صعبه ، فلانحن حققنا الاتصال بالعالم ، ولا حافظنا على وحدتنا الثقافية ، لإهمالنا لغتنا القومية ، ولم تتعمق فى تعلم اللغات الأجنبية ، كما

أدت الى تصور محاولات الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية برغم انـــه لا مبرر لبذل الوقت والجهد والمال فى ذلك ، فى حين ان الدول المتقدمة المعتز بلغاتها القومية تعتز بلغاتها القومية تعترف بالترجمه والنقل وسائل فعاله فـــى الاتصال والتبادل بين الحضارات واللغات المختلفة

(٣) وشبهة أخرى تتعلق بالادعاء القائل : إن التعليم فى المرحلة الجامعيـــة ، وخاصة الدراسات العليا لا يمكن أن يتم بغير العربية ، وهذا تجـــاهل واضـــح لنجاح التعليم بالعربية ف كل مراحل التعليم قبل الجامعى فـــى معظـــم الـــدول العربية ، وخطورة هذه الشبهة أنها ترتبط بتدهـــور مســـتويات التعليـــم فـــى الجامعات ، فكثير من الأساتذة لايجيدون اللغات الأجنبيـــــة التعملـــون بـــها ، ومعظم الطلاب يجهلونها ، وذلك يكون على حساب المادة العلمية والمســـتوى ، ويكون على حساب محاولات التأليف فى اللغة العربية ، ومحاولات الترجمـــة إليها ، ونحصل فى النهاية على أجيال غير قادرة على مواصلة التعليم ورفـــع المستوى العلمى ، وملاحقة تطورات العلم والتكنولوجيـــا لأنـــها لا تســـتطيع القراءة فى لغات أجنبية ، ولا تجد ، أو لا تؤمن بما هو متاح فى اللغة العربية .

التعريب بين الأساتذ والطالب

لا جدال فى أن الطالب أى طالب ت يفهم ما يلقى علية من معلومـــات ـــ أى معلومات ـــ بلغته الأصلية أمهل وأتم مما لو ألقيـــت عليـــة بلغـــة غيرهـــا ، فالطالب العربي حين يتعلم بأي لغة كانت ، إنما يفهم ويحفظ باللغة العربـــي ، لا بالغة التى يتعلم بها ، وهو بذلك يترجم العلوم التى يقرؤها أو يسعها قبـــل أن يفهمها أو يحفظها ، فهو بذلك يضيع نصف وقته الذى يصرفه فـــى تلقـــى الغلم فى ترجمة هذا العلم إلى لغة عقله ، بل أن الأستاذ نفسه مهما أتقن اللغة الأجنبية ، ومهما تصور أنها لغته التى يحسن التعبير بها والفهم فيها ، فغنـــه يفهم ويعلم ايضا بلغته الأصلية وإن لم يشعر بذلك أو يحسة ، ولأساتذة الذين

يقولون بعدم استطاعتهم التحدث أو الكتابة باللغة الأجنبية إنما يقولون ذلك عندما لا يجدون فى انفسهم القدرة على معرفة المصطلحات العلمية وحدها أو بمعرفة قواعد اللغة الأجنبية ، ولكنهم دون شك مهما كان علمهم باللغة الأجنبية وجهاهم بلغتهم العربية ، فأنهم يستطيعون التحدث والكتابة بطريقة أوضح وأقرب إلى فهم الطلاب باللغة العربية

ولا جدال بعد ذلك فى أن اللغة هى أهم مقومات المجتمع الذى يريد أن يحفظ لنفسه حريته واستقلاله ومعتقداته ، ولذلك تحرص كل أمة على لتها ، تصونها وتعلمها وتسعى لتقدمها ، ولن نجد فى التاريخ أمة وأحدة تركت لغتها إلى لغة غيرها إلا وأصبحت هذه الأمة جزء اً من الأمة صاحبة اللغة المستعملة فى الحديث .

وإزاء احتدام الجدال فى السنوات الأخيرة حول مدى إمكانية تدريس العلوم الطبية باللغة العربية بين مؤيد ومعارض ، ولكل من الفريقين حججه وأسانيده التى يدعم بها موقفه ، فقد قام أ.د / أسامة رسلان ـ أستاذ المناعة بطب عين شمس وأمين عام نقابة الأطباء بإجراء دراسة ميدانية واقعية بعنوان " تدريس الطب بالغة العربية من منظور الأستاذ والطالب " وقد نزلت الدراسة أرض الواقع وحقل التجربة الأساسى ، والمتمثل فى الأساتذة والطلب ، لاستطلاع آرائهم فى هذا الشأن للوصول الى أقرب راى الى الصواب ، ووفقا لهذا الاستطلاع وافق ٦٠% من الأساتذة ورحبوا بالتدريس باللغة العربية مؤكدين أنه لايعوق تقدم العلوم ، ولا يحتاج وقتا أطول لتوصيل المعلومة ، وحصروا صعوبات التدريس بالعربية ، فيما يلى :

ـ عدم الأهتمام بتدريس اللغة العربية فى مراحل التعليم قبل الجامعى مما أثر على مستويات الطلاب .

ـ الاستهانة باللغة العربية فى كافة وسائل الإعلام وتقديم العاميات واللهجات المحلية عليها .

ـ قلة المراجع العربية ، وصعوبة عملية الترجمة ، بل وتوقفها حالياً .

بينما رفض ٧٥% من الطلاب التدريس بالعربية مفضلين الانجليزيـــة ، وإذ طالبوا بدعمها ببعض الشرح بالعربية ، وهذا يدل على ضعف مستواهم فـــى اللغتين معاً ، وقد حصر الطلاب مصاعب الدراسة بالعربية فيما يلى :

ـ قلة التراجم وصعوبة عملية الترجمة وكثرة تكاليفها .

ـ صعوبة متابعة الدراسات العليا والاطلاع على الدوريات العلمية الأجنبية .

وكل هذه الصعوبات يمكن تذليلها بالأخذ بالتوصيات التى سنختم بها البحث .

وفى تجربة شخصية للدكتورة سرى سبع العيش ـ استشارى طـــب العيون بالأردن ـ فيقول : كان طلاب الطب يجدون السهولة الكـــبرى عندمـــا أشرح لهم بالعربية ما قرأوها وعسر عليـــهم بالإنجليزيـــة ، وكنـــت أشـــعر بالمعاناة التي يلاقيها الطلاب عند مكابدة أوراق الامتحانات ، فيحاول بعضـــهم إضافة جمل وتعليقات بالعربية توحي بالصعوبة الكبيرة التي عاناها فى فـــهم السؤال بالإنجليزية

المصطلح العلمي العربي

المصطلح شئ مهم جداً فى ثقافات الشعوب ، وفى خطابها فى كل شـــئون الحياة ، ولو اضطرب المصطلح لاضطربـــت الأمـــة وكـــاد ينعـــدم التفـــاهم ، والمصطلح ـ كما عرفه البعض : كبسولة تختزن الكثير من المعـــاني التـــي تتفق عليها الجماعة ، مما يوفر التفصيل اللغوي والحديث الطويل ، فحينمـــا ننطق اللفظ المصطلح علية ، فإن ذلك يستدعى كثيرا من المعاني والإيحـــاءات الممنوعة المرتبطة به ويجعلها حاضرة فى الذهن ، فمثـــلا كلمـــة " النحـــو " مصطلح يجر وراءه تلك القواعد الكثيرة بأمثلتها وشواهدها .. وعلـــى ذلـــك فكل العلوم مليئة بالمصطلحات

وتأتى صياغة المصطلحات العلمية فى مقدمة القضايـــا التـــي ينبغـــي الاهتمام بها فى عملية التعريب ن من حيث أنها ليست قضيـــة لغـــة فقـــط ،

يوضع فيها اللفظ إزاء المعنى ن بل هي أيضا قضية فكرية يعبر بواسطته عن تطوير المجتمع العربي واستيعابه حضارة العصر ، دونما مساس بثوابت ثقافية الذات ، فالمصطلح الأجنبي نتلقاه فى حدود المعنى والصيغة فى البيئة التي أنتجته ثم نجرى عليه من التغيير فى حالتي الترجمة أو الترعيب ما يجعله مقبولا بقدر الإمكان فى الذوق العربي كظن لكن يبقى دائما لغة عقلها وإطارها الفكري الذي يعطى لمفاهيمها دلالات وإيحاءات لا يمكن أن تتطابق مع لغة أخرى .

وقد نبه القرآن الكريم لهذه القضية الخطيرة عندما وجه المسلمين إلى ضرورة استخدام مصطلح " انظرنا " وهى عن مصطلح " راعنا " الذي يستعمله اليهود كنوع من التضليل :

" يل آيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا " البقرة ١٠٤

إن أهمية تحديد المصطلح ، ووضوح دلالته ، أمر وقيمة فكرية بالغة لدرجة إفراد كثير من الباحثين صفحات فى المقدمة لمعجم المصطلحات المستعملة ، بل تفرد الآن معاجم لمدلولات كل علم ، كمعاجم المصطلحات : الفلسفية أو الدبلوماسية أو النفسية ، وقد نستغرب أننا نحن المسلمين قد سبقنا إلي وضع معاجم لمصطلحات كثيرة من الفنون

لغوية أو فقهية أو غيرها ، حتى يضبط اللفظ بمدلولاته ، ولا نكاد نجد من كتب أصول الفقه ، إلا وفصل " دلالات الألفاظ " يأخذ مساحة كبيرة فيه . (١٦)

إن الأمة بحاجة إلي بحث عميق فى المصطلح الذي هو تعبير عن ذاتها ، وللفهم السليم لابد من فهم المصطلح ، وللتعليل والاستنباط السليم لابد من فهم فقه المصطلح وهذه الأمة من المفترض أن تكون فى موقع المنتج لا المستهلك ، المرسل لا المستقبل ، ولكنها فى واقع الأمر تستهلك المصطلح

الوافد وتتنافس فى تصنيعه وتسويقه دونما رقابه أو إشراف علمي مما انتج حالة من الفوضى والاضطراب المصطلحي.

الرموز العلمية

يحتل الرمز العلمي ركنا أساسيا فى قضية التعريب ، وما يقال عن المصطلح يقال عنه ، إذا لا غنى للكاتب العلمي عن استخدام الرموز سواء أكانت أحرفا مفردة أم كلمات مركبة ، وسواء أكانت الكتابة فى الكيمياء ، أو الطب ، أو الصيدلة ، أو الطبيعيات ، أو علوم الأرض ، أو الزراعة ، أو الصناعة ، أو الاقتصاد ، فإن استخدام الرمز أمر ضرورة لسهولة تداول المعارف العلمية وتسجيلها فى عهد النهضة الإسلامية ذخرت اللغة العربية بالعديد من الرموز العلمية كى تستوعب العلوم والمعارف آلتي نقلها العرب ترجمة عن الإغريق والفرس والهنود ظ. وفى أواخر القرن ١٩ قدم الرواد من المتعلمين والمترجمين " الألفبائية العربية أساسا للرمز العلمي الحديث ، وبذل كثير من الرواد جهود فى حل مسألة الرمز حتى أمكن وضع الجدول الدوري باللغة العربية وأصبح من السهل الكتابة فى الكيمياء والصيدلة والفيزياء برموز عربية وتم تعريب كثير من الأعمال اللارياضية ، غير أن العربية تواجه اليوم ردة خطيرة فتراجعت الكتابة العلمية العربية ، وامتد استخدام الرمز الأجنبي بشكل يمثل تحديا سافرا للأمة وذاتها ،

وشاعت الدعوة الى ازدواجية لغوية حيث تسود حياتنا العلمية ومعاملاتنا الدولية لغة أجنبية ، وهدا من أخطر ما يوجه إلى اللسان العربي .

والخلاصة بالنسبة للمصطلح والرمز العلمي ، فإن المفاهيم التي تأتينا من خارج ذاتنا بحكم التقدم الحضاري الذي لغيرنا علينا الآن و ينبغي استقبالها .. فى حالة الضرورة .. بأن نلبسها اللباس العربي ، فإما أن نجد له مقابلا فنترجمه ، وإما لا نجد فنعربه بطريقة من طرق التعريب .

وهذا النداء ننقله عن " نشرة أخبار المصطلح " فـــي المغـــرب ، جاء فيه " فتعالوا يا أهل العلم إلي كلمة ســـواء بيننـــا وبينكـــم ألا نســـتعمل إلا مصطلحاً واحداً للمفهوم الواحد فى المجال العلمي الواحـــد ، وألا نفـــترض مـــن خارج الذات إلا بعد لفراغ من إحصاء ممتلكات الذات ، وألا يعمل بعضنا بمعـــزل عن بعض ، ونحن جميعا قطع فى محرك واحد ، وهو محرك الذات ".

جهود التعريب والترجمة

لعبت أعمال التعريب والترجمة دورا بارزا في تطوير الفكـــر العربـــي الإســـلامي وتطعيمه بالثقافات الأخرى ، وإثرائه بالمزيد من العلوم والفنـــون ، ممـــا مكـــن المدنية العربية الإســـلامية مـــن الامتـــداد إلـــى أوروبـــا وإذكـــاء روح البحـــث والاستكشاف والإسهام في إقامة صرح الحضارة العالمية الراهنة من خلال جمـــع شتات العلوم من اليونانية والفارسية والسريانية إلى العربية وزيادتها وترقيتها .
واتسمت حركة الترجمة في العصر الإسلامي منذ بدايتها بسمة مميزة فـــي رقـــي الفكر والعلم لاهتمامها بترجمة الكتب العلمية بالدرجة الأولى ، فقد بدأ المـــهتمون بالترجمة من خلفاء وأمراء وعلماء باختيار كتب الطـــب والفلـــك والرياضيـــات والفلسفة وغيرها ، فأقبلوا علي ترجمتها وتفضيلها علي كتـــب الآداب والتـــاريخ والأساطير ، وهذا الاختيار هو الذي ارسي القواعد الأولى للعلوم عند المسلمين ، وساعد في تفوقهم وابتداعهم العديد من النظريات العلمية المهمة التـــي أخذتـــها عنهم أوروبا وأقامت عليها أركان حضارتها .
وقد بدأت حركة الترجمة في العصر الإسلامي في العهد الأموي علي يد خالد بـــن يزيد بن معاوية ، وحظيت منه بالتشجيع والمؤازرة ثم من لدى مروان بن الحكـــم ، فعبد الملك بن مروان ، فهشام بن عبد الملك ، فالخليفة عمر بن عبـــد العزيـــز ولم تلبث وكذا الترجمة أن خبا نورها في أواخر عهد الأمويين إلـــي أن انتعشـــت مجددا في العصر العباسي علي يد أبي جعفر المنصور ، ثم كان التشجيع الواســـع الذي لقيته علي يد هارون الرشيد ووزرائه ومحبي العلوم والفنون ، فكان ذلـــك

من العوامل الأساسية التي أدت إلى ازدهار حركة النقل للعربية وتعاظم الالتقاء والامتزاج بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافات الأخرى ولا سيما اليونانية ، وكان لمؤسسة " بيت الحكمة " التي أنشأها الرشيد دور عظيم في ذلك .

وفي العصر الحديث ن بدأت النهضة العلمية العربية علي يد محمد علي وفق أسس سليمة ،فأوجد قاعدة تعليمية صناعية باللغة العربية ، وكانت سائر الكليات . بما فيها الطب والهندسة تدرس بالعربية ، ثم اسقط الحلفاء الغربيون نظام محمد علي لانه كان يهدف لإقامة الدولة العربية الواحدة علي أساس حضاري ولغوي عربي وإسلامي ولم يكن هذا النظام متهما بالانغلاق لأنه كان يرسل البعثات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية ، وكان طلابها يعودون بعلمهم وتقنيتهم ليعلموها بالعربية أو بترجمة عربية ، ولكن ما أن حكم الإنجليز مصر حتى " أنجلزوا " ما كان معربا بقيادة الحاكم الاستعماري " كر ومر " والذي مازالت آثاره الضارة ما زالت باقية إلى الآن في مصر .

لقد أخذت أعمال ومشاريع التعريب في الآونة الأخيرة تسير بخطي بطيئة لا تتناسب مطلقا مع هذا البحر المتدفق من المعلومات والاكتشافات العلمية من حولنا ولم تلق العناية الكاملة علي الرغم من المؤتمرات والندوات التي اسهم في إعدادها أساتذة كبار وصرف من اجلها مال وافر ، وقد كتب المخلصون حول هذا الأمر وبينوا وخطب الدعاة أجادوا ، ولكن هذه الدعوات والصيحات المخلصة لم تلق سبيلا للاستجابة ، وبقيت أعمال الترجمة ومشاريع التعريب قاصرة علي بعض المراكز الإقليمية دونما تنسيق فيما بينها ، بسبب ضعف الإمكانيات والتجهيزات وشح الحوافز والمخصصات المرصودة للعاملين فيها .

لذلك فان واقع الترجمة الراهن في عالمنا العربي يأخذ اتجاهين : اجتهادات فردية غير رسمية تخضع للمبادرات الشخصية ، واتجاهات رسمية إلا أنها تأخذ منحى قطريا غير موحد .. وهي كلها جهود محمودة ولكن يتعين التنسيق فيما بينها والتوسع فيها .

والحالة الضعيفة " للتعريب والترجمة " دفعت بالشيخ إبراهيم البازجي ، وهو من كبار اللغويين إلى الدعوة لتداركها ، فالكتابة في كثير من الأغراض باتت عبئا ثقيلا يستوجب السعي الحثيث لتطويع اللغة العربية أسلوبا ولفظا كي تستوعب المعاني والمستحدثات الجديدة ، فقال البازجي في " البيان " تحت عنوان " اللغة والعصر " يا ليت شعري ما يصنع أحدنا لو دخل أحد المعارض الطبيعية أو الصناعية ، ورأي قائمة من المسميات العضوية يحدث كل يوم من المخترعات العلمية والصناعية والمكتشفات الطبيعية والكيماوية والفنون العقلية واليدوية ، وما لكل ذلك من الأوضاع والحدود والمصطلحات التي لا تغادر جليلا ولا دقيقا إلا تدل عليه بلفظه المخصوص ، ولا ريب أن الكثير من ذلك لا يتحرك له به لسان ، ولا يعهد له بين ألواح معجمات اللغة ألفاظا يعبر بها عنه ، ولا يغنيه في هذا الموقف ما عنده من ثمانين اسما للعسل ن وخمسمائة للأسد ...

.. التعريب والتنمية : تعني التنمية الانتقال المجتمعي من وضع متخلف نسبيا إلى وضع اكثر تقدما ، وسواء كان المتطور التنموي اقتصاديا أم إنسانيا ، فان التنمية تكون إنجازا عندما تحدث من داخل كل فرد ، والسؤال الهام هنا أليست اللغة هي " الوعاء " و "الوسيط " لكل الأنشطة لذا فن تعليم العلوم في الجامعات والمعاهد العليا بغير اللغة ألام " العربية " يمثل إهدارا خطيرا للخلية الأساسية للتنمية (الإنسان) ومن ثم فان استمرار هذا الهدر يعد تعويضا رئيسيا للتنمية ذاتها ، وهكذا يمكن القول بان بين كل من تعريب العلوم والتنمية تأثيرا أصيلا ومتبادلا ... لذا نشير إلى أهمية ضرورة استيعاب مؤسسات اتخاذ القرار علي المستوي السياسي في الدول العربية للعلاقة الوطيدة بين التعريب والتنمية فهي علاقة تقفز إلى أبعاد أمنية ومستقبلية للإنسان العربي

التوصيات

ما أكثر الندوات والمؤتمرات التي تتمخض عنها مئات وآلاف التوصيات ، ولكن هذه التوصيات لن تساوي المداد الذي كتبت به ، ولن تعدو تلك المؤتمرات أن تكون مجرد " مكملة " إذا لم تدخل توصياتها ــ أو بعضها ــ حيز التنفيذ .. ولا مفر من عرض توصياتنا:

١ ــ اعتبار الترجمة والتعريب مشروعا قوميا توفر له كل الإمكانيات المادية والبشرية والتشريعية .

٢ـ سيادة اللغة العربية على خطاب المؤتمرات العلمية وغيرها وتوجيهه أنشطة المجتمع لمنع غير العربية .

٣ـ. الاستفادة بالتقنيات الحديثة كالترجمة الآلية للغة العربية وتوفير البرامج والمعاجم العربية المختلفة .

٤ـ استصدار تشريع يقرر سيادة اللغة العربية في وسائل الأعلام والتعليم والوزارات وغيرها .

٥ـ توجيه جميع نشاطات المجتمع إلى منع استخدام غير العربية في الإعلان وأسماء الشركات .

٦ـ وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ومراعاة التقريب بين المصطلحات العلمية والعربية.

٧ـ أن يكون لكل الجامعات خطة فى مجال التأليف العلمي بالعربية والترجمة والتنسيق فيما بينها .

٨ـ إدخال جهود التأليف العلمي بالعربية والترجمة إليها ضمن الأعمال المطلوبة للترقية بالجامعات .

٩ـ جعل اللغة العربية مادة أساسية فى الكليات العلمية والنظرية في جميع سنوات الدراسة ١٠ـ إلزام أعضاء هيئات التدريس الدارسين بالخارج بترجمة رسائلهم العلمية العربية .

١١ــ الاهتمام باللغات الأجنبية فى مختلف مراحل التعليم على ألا يكون ذلك على حساب العربية

١٢ــ مطالبة قادة ووزراء ومسئولي الدول العربية بالتزام اللغة العربية الصحيحة فى خطبهم وبيناتهم .

١٣ــ إجراء مزيد من الدراسات الميدانية على الطلبة والأساتذة للتعرف على عوائق التعريب أزالتها .

١٤ــ إنشاء صندوق عربي مركزي لتمويل عملية ترجمة وتعريب العلوم .

١٥ ــ التأكيد على أن " تعريب العلوم " يجب أن يكون جزء من " تعريب المجتمع بأسره .

المصادر

١ــ د. محمد السيد بكر: من قضايا فقه اللغة ــ ص ١٣٦ ــ مؤسسه الرياض ١٤٠٧

٢ــ د. محمد توفيق الرخاوى : عناصر التعريب وقضيتنا الحضارية ــ الأهرام ١٩٩٥/١٠/٢٢

٣ــ عمر عبيد حسنه : مقدمه " فى شرف العربية " ــ ص ٢٤ــ ٣٠ بتصرف ــ كتاب
الأمة ٤٢ــ ١٩٩٤ ،

٥،٤ ، ٦ ــ د. محمد شامة : ورقه متقدمة للمؤتمر الرابع لجمعيه لسان العرب ــ نوفمبر ١٩٩٧،

٧ــ د. محمد السيد بلاسي : بحوث فى فقه العربية ــ ص ٥١ ــ ٥٤ ــ ط ثانيه ١٩٩٧

٨ــ د. سرى سبع العيش : بحث مقدم لجمعيه تعريب العلوم الطبية الأردنية ــ ص٢

٩ــ حليم فريد تادرس : صحيفة الأهرام ١/٢٦ /٢ /١٩٩٧
١٠ــصحيفه الأهرام ١٩/١١/ ١٩٨٩ ،
١١ــ عثمان سعدى : التعريب الشامل ممكن وفي كل المجالات ــ صحيفة الشرق الأوسط ٨/١٧ / ١٩٩٥،
١٢ــ د. سرى سبع العيش : مرجع سابق ــ ص : ٥ــ ٦،
١٣ ــ عثمان سعدى : صحيفة الشرق الأوسط ١٦ / ٨/ ١٩٩٥ ،
١٤ ــ عمر عبيد حسنه : مرجع سابق ــ ص : ٢٥ ــ ٢٦ ،
١٥ ــ د. محمد عاطف كشك : نقلا من كتاب " مشـــكلات فــى طريــق الحيــاة الإسلامية" للشيخ محمد الغذالى ــ دار البشر ــ ص ٧٧ــ ٨٠ بتصرف.
١٦ ــ عمر عبيد حسنه : مرجع سابق ــ ص : ١٣ ــ ١٤ .
١٧ــ د. محمد رءوف حامد : التعريب ضرورة تنموية ــ صحيفة الأهرام ١٩/ ٥/ ١٩٩٥ ،

و الحمد لله الذي هدانا لهذا
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله " .

رفاعة الطهطاوي ... مترجما !

بحث مقدم من :

د / بهاء درويش

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

بآداب المنيا

متي أرادت الأمم الجادة أن تأخذ نصيبا وافرا من العلم وان تلحق بركب العلم والتقدم ـ الذي قد يكون فاتها لأسباب معينة ـ فلابد بادئ بالاتجاه نحو الأمم التي سبقتها علما وحضارة وان تنقل عنها ، حتى إذا ما استوعبت ما نقلته ما أمكنها إن تنطلق بنفسها في ركب الحضارة والتقدم معتمدة علي نفسها ، بل وتضيف إلى علوم تلك الأمم التي سبقتها .

هكذا فعلت الأمم الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي حينما استوعبت علوم الأوائل نقلا وترجمة ، وهكذا أراد محمد علي في العصر الحديث أن يفعل حين أراد أن يبعث لمصر نهضتها .

فحين أراد محمد علي أن ينهض بمصر وان ينتشلها من الانحطاط الفكري الذي كانت قد تردت فيه* أرك أن هذه السياسة الإصلاحية ، لن تكون سوي بالانفتاح علي الغرب ، فبدأ بالاستعانة بالأجانب من معلمين وأطباء ومهندسين وضباط وصناع لتعليم المصريين فنونهم ـ ولكنه سرعان ما لاحظ أن هذه الخطوة لن تحقق له هدفه المنشود لأسباب منها انه كان يريد أن ينهض بمصر والمصريين في أسرع وقت ممكن ، وثانيا لان هؤلاء الأجانب الذين استعان بهم لم يكونوا جميعا أكفأ من أنجبت بلادهم ، بل أن منهم كثيرين كانوا جوابين يضربون في الأرض ، وثالثا لان حرص هؤلاء الأجانب علي إطالة مدة خدمتهم وارتزاقهم لم يكن مما يجعلهم يتحمسون كثيرا لتلقين المصريين فنونهم " . (١)

من هنا فقد عدل عن هذه الخطوة إلى إرسال بعثات مختلفة إلى ممالك أوربا ليحلوا بعد عودتهم إلى مصر محل هؤلاء الأجانب بعد أن يكونوا قد نهلوا من

العلم الأوروبي وليقوموا بنقل هذه العلوم والفنون الغربية إلى العربية بعد أن يكونوا قد تعلموا اللغات الغربية التي ينقلون عنها . (٢)

كان الشيخ رفاعة الطهطاوي من أبرز المترجمين الذين اعتمد عليهم محمد علي في إنجاز مهمته التي رأي فيها نهضة مصر ألا وهي ترجمة علوم الغرب ، فلم يكتف فقط بما ترجمه رفاعة الطهطاوي ولكنه أقام له مدرسة الألسن ووضعه علي رأسها ناظرا لها ، وفيها أنشأ رفاعة الطهطاوي قلم الترجمة من أول فرقة تخرجت من مدرسة الألسن .

إن النقطة التي يود هذا البحث إن يبرزها تتلخص فيما يلي :

إن رفاعة الطهطاوي لم يكن مجرد أداة حققت لمحمد علي رغبته في نقل علوم الغرب ، فلم تكن الترجمة التي امتهنها رفاعة الطهطاوي وظيفة اختارتها له أو فرضتها عليه حكومة محمد علي ولكنها وظيفة اختارها لنفسه وبنفسه وفرضها عليها ، إذ كان قد أدرك مبكرا ــ مثله في ذلك مثل محمد علي ــ " أن الترجمة هي النواة الأولى في بناء النهضة العلمية " (٣)

ومن ثم فقد التقت غيرته علي مصر والمصريين مع رغبة محمد علي في النهوض بمصر عن طريق الترجمة ، ففرض هذه الوظيفة علي نفسه . علي هذا النحو لم يكن تشجيع محمد علي لرفاعة الطهطاوي في كل صوره سوي عامل ساعد علي إنجاز ما أنجزه رفاعة الطهطاوي ، ولم تكن ترجمات رفاعة الطهطاوي محض تحقيق لرغبة ولي النعم ــ كما كان يحب أن يسميه ــ ولكنها مهمة كان قد عزم أن يكرس لها حياته ويشجع غيره عليها غيرة منه علي أبناء بلده ورغبة منه في أن يحصلوا من العلوم والفنون ما جهلوه . ففي إدراك رفاعة لأهمية الدور الذي تقوم به الترجمة ، وفي تكريسه لحياته كمترجم أو كمشرف علي الترجمة تكمن أهمية رفاعة الطهطاوي وأهمية الدور الذي لعبه حتى كني " بزعيم النهضة العلمية " .

سيحاول هذا البحث في عجالة وفي نقاط محددة أن يبرز هذه النقطة :

١ ـ كان رفاعة الطهطاوي قد رزقه الله بأستاذ ألمعي مستنير هو الشيخ حسن العطار ، طاف ببلاد كثيرة برا وبحرا فأفاد من هذه الرحلات واتسع نطاق تفكيره ، حتى إذا ما نزلت الحملة الفرنسية بأرض مصر ، اتصل ببعض علمائها واخذ عنهم بعض علومهم واعجب بما وصل إليه الشعب الفرنسي من رقي وحضارة ، وقارن في نفسه بين علوم الفرنسيين وعلوم المصريين التي كانت تدرس في الأزهر ، فرأى الفرق كبيرا والبون شاسعا وقال " لا بد ان تتغير حال بلادنا ويتجدد لها من المعارف ما ليس فيها " (٤)

كان رفاعة الطهطاوي من الذين قربهم هذا الشيخ المستنير وأقرأهم ما كان يقرا ، ومن ثم فقد اثر في رفاعة الطهطاوي تأثيرا عميقا وحرك فيه الرغبة في النهوض بمصر بترغيبه في هذه العلوم الجديدة ، حتى إذا ما سنحت الفرصة وسافر رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا ، لم يكن ليترك هذه الفرصة تضيع دون ان يستغلها ، فأتقن الفرنسية اتقانا غير عادي في فترة قصيرة ، يحركه باعث التعرف علي العلوم والآداب التي كتبت بهذه اللغة ، وباعث النهوض ببلده التي رأي أنها لن تنهض وترقي إلا إذا انتقلت إليها هذه العلوم الجديدة .

٢ ـ لم يتم إرسال رفاعة الطهطاوي ـ في أول بعثة كبيرة إلى فرنسا ـ كأحد طلابها ، ولكنه أرسل مع البعثة إماما لها . فلم يكن مطلوبا منه أن يتعلم علوم الفرنسيين وأنظمتهم ، ولكنه كان مكلفا فقط بوظيفة الوعظ والإرشاد وإمامة المبعوثين في صلاتهم .(٥) فإذا عرفنا انه لم يتوقف عند حدود المهمة التي أرسل لأجلها ـ مثل غيره ـ بل عكف علي تعلم اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه حتى تفوق علي سائر طلاب البعثة ، كان في ذلك دليل علي أن عمله الأساسي في الدولة ـ الترجمة ـ وقيامه علي شئونها وظيفة اختارها لنفسه ، رأي فيها نفع بلاده بنقل العوم العصرية إلى لغتها (٦) فلننظر إليه في تخليص الإبريز يذكر كيف أن البلاد الإفرنجية قد بلغت أقصى مراتب البراعة في العلوم الرياضية والطبيعية وما وراء الطبيعة أصولها وفروعها ، وان الدول الإسلامية تحتاج إلى

البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه .(٧) ويذكر في موضع آخر أن طلب العلم لا يتأتي إلا بالسفر ، وان ثمرة هذا السفر لا تحصل إلا بنشر العلوم والفنون المتحصلة وبكثرة تداولها وترجمة كتبها . (٨)

٣ ــ كان محمد علي في إرساله للبعثات يراعي التخصص بمعني انه كان يطلب من كل مبعوث أن يترجم إلى العربية الكتب التي تقع في نطاق تخصصه ، ولما كان رفاعة الطهطاوي قد أرسل إماما للبعثة ، أي لم يطلب إليه التخصص في علم أو فن بعينه يقوم بترجمة كتاب فيه ، فلقد ساعده هذا علي أن يترجم في علوم وآداب متعددة اختارها هو وفقا لما تهواه نفسه ، كما يفسر هذا ثقافته الموسوعية التي عاد بها من فرنسا قارئا لكثير من العلوم التي صادفها ومترجما لاثنتي عشرة رسالة عن الفرنسية إلى العربية في مختلف العلوم والفنون والآداب .

٤ ــ كان من الطبيعي بعد أن عاد رفاعة الطهطاوي إلى القاهرة وقد سبقته تقارير المسيو جومار الكثيرة عنه ، وكلها مدح وثناء وعليه وتقدير لعمله ، أن يعينه محمد علي مترجما بمدرسة الطب ، ليكون بذلك أول مصري يتم تعيينه فيها . وكان من الطبيعي أن يبز سائر المترجمين الذين كانوا جميعا من السوريين في ذلك الوقت ذلك لأنه كان يتقن مثلهم اللغة الفرنسية ولكنه تفوق عليهم في اللغة العربية ، فلم تكن ترجماته في حاجة إلى مراجعة أو تصحيح شيخ من شيوخ الأزهر وهو واحد منهم وقد يفسر هذا أيضا ــ إلى جانب تفوقه عليهم ــ لماذا لم يترجم في الطب ــ في الفترة التي قضاها في هذه المدرسة اكثر من الرسالة الصغيرة التي ترجمها وهو في باريس ، إذ يبدو انه كان يقوم بوظيفة مراجع لهم اكثر منه مترجما (٩)

٥ ــ وبعد أن قضي عامين بمدرسة الطب ، انتقل رفاعة الطهطاوي إلى مدرسة المدفعية بطره ــ أو الطوبجية ــ كما كانت تسمي ــ وذلك لترجمة الهندسة والفنون الحربية . مرة أخرى نجد أن رغبته وميله قد اتفقا مع الوظيفة ، كما

كان قد ترجم وهو في باريس فصولا من كتاب " لجندر " في الهندسة ورسالة في عمليات ضباط العسكرية . بقي بهذه المدرسة عامين ترجم خلالهما رسالة في الهندسة مما كان يدرس في أكاديمية سان سير الحربية بفرنسا ، وكتاب " التعريبات الشافية لمريد الجغرافية " (١٠)بالإضافة لترجمته لكتاب سماه " جغرافية صغيرة " طبع سنة ١٢٥٤ هـ ، ولثالث سماه " تاريخ المصريين القدماء " وطبعه في السنة نفسها أي سنة ١٢٥٤ هـ . (١١)

٦ ـ جاء إنشاء محمد علي لمدرسة الألسن بالقاهرة ١٨٣٦ م نتيجة اقتراح من رفاعة الطهطاوي الذي رأي أن البلاد في حاجة إلى طبقة من العلماء الأكفاء في الآداب العربية وفي آداب اللغات الأجنبية ليضطلعوا بمهمة تعريب الكتب الإفرنجية وخاصة الفرنسية "لتستغني البلاد عن الدخيل " وليكونوا صلة الاتصال بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية . من هنا عهد محمد علي بنظارتها إليه ـ والذي تولي فيها إلى جانب هذه الوظيفة ـ وظيفة المعلم (١٣) والمشرف علي اختيار الكتب التي يقوم تلامذته بترجمتها . وفي هذه المدرسة " وجد غاية نفسه فوهبها كل جهده مؤمنا بأن خير ما يقدمه لبلاده ان يعد لها جيلا من المترجمين والمعلمين يردون بها أفاق النهضة التي جني ثمارها بالغرب " . (١٤) ولم يلبث رفاعة الطهطاوي عام ١٢٥٨ هـ ان شكل قلم الترجمة من اول فرقة تخرجت من مدرسة الالسن ، كما نال عام ١٢٦٢ هـ رتبة أميرالاي لمناسبة انتهائه من ترجمة مجلد اخر من جغرافية ملطبرون (١٥) وهو المجلد الذي يقال أنه قد ترجمه في ستين يوما . (١٦)

٧ ـ حين توفي محمد علي وتولي عباس باشا الحكم بعده امر باقفال مدرسة الالسن وقلم الترجمة بل وارسل رفاعة الطهطاوي الي السودان بحجة توليه نظارة مدرسة ابتدائية أمر بانشائها في الخرطوم والواقع ان السبب الحقيقي وراء ارسال رفاعة الطهطاوي الي السودان مسار خلاف ، فهو وان كان سببه الظاهري تولي رفاعة الطهطاوي نظارة المدرسة الأبتدائية التي أمر عباس باشا

بإنشائها ، فإن هبد الرحمن الرافعي يرجع ذلك إلى أن عباس كان حاكما مستبدا لم يروق له ما كان في " تخليص الإبريز " من آراء ومباديء ، فأراد أن يبعد رفاعة الطهطاوي وامثاله عن مصر (١٧) ، بينما يرده عزت عبد الكريم إلى ما كان من غيره على مبارك لما أصاب رفاعة من توفيق وهو ممن قربهم عباس إليه ، أو لما كان من معارضة بعض المتعصبين من المشايخ الذين عدوه متطفلا علي ميدانهم في دراسة الشريعة والفقه . اما حسين فوزي النجار فيعتقد ان عباس حين ابعد رفاعة وصحبه الي الخرطوم لم يفكر في " تخليص الابريز " أو يستمع لواش ، وانما كان يجري جريه في هذا الامر علي ما كان عليه من سوء الظن بالنابهين ، وما جري عليه من اغلاق المدارس وتعطيل الحركة العلمية . (١٨) وأيا ما كان السبب ، فان المهم لدينا ان عزيمة رفاعة الطهطاوي لم تفتر ولم تعرف الكلل والملل ، وانما واجه هذا النفى وهذه العزلة بالاستمرار فى المهمة التى كرس حياته لها وراها نافعة لبلده ايما نفع , ألا وهى الترجمة . هنا نجده يسرى عن نفسه بترجمة كتاب تليماك " مواقع الأفلاك في أخبار تليماك " وهو كتاب يقع في نحو سبعمائة صفحة من القطع الكبير .(١٩)

٨. لما توفى عباس الأول سنة ١٨٥٤ وتولى سعيد باشا الحكم ، عاد رفاعة الطهطاوي من السودان وأسندت إليه مناصب مختلفة منها نظارة قلم الترجمة .(٢٠). فكأنه عاد بذلك ليمارس وظيفته السابقة التي أحبها والتي رأى فيها السبيل إلى نهضة البلاد . ةإذا كان قلم الترجمة قد ألغى مرة أخرى عام ١٨٦٠ ، فلقد أعيد مرة أخرى عام ١٨٦٣ في عهد إسماعيل باشا وعهد إلى رفاعة الطهطاوي برياسته . ولم تكتف حكومة إسماعيل باشا بذلك ، بل عهدت إليه هو وتلاميذه بترجمة القوانين الفرنسية أملا منها في إصلاح النظام القضائي . قام رفاعة الطهطاوي بمساعدة تلاميذه بترجمة القانون المدني الذي جاء في مجلدين كبيرين ، يقع الول في نيف وثلاثمائة صفحة والثاني في مائتي صفحة من الورق الكبير . (٢١)

٩. استمر رفاعة الطهطاوي ناظر لقلم الترجمة حتى أدركته المنية عام ١٨٧٣ م.

وبعد ، فلعلنا ــ ونحن نطلع على مطلع القرن الحادي والعشرين ونريد لبلادنا أن تقف في مصاف الدول المتقدمة ــ نتأسى برفاعة الطهطاوي وندرك أهمية الترجمة في نهضة المم ، ونعمل ــ على مستوى الأفراد والدولة ــ على نقل سائر العلوم والفنون ولآداب ، إذا أردنا لها استيعابا ، وإذا أردنا أن يكون لنا مكان في عالم لم تتحدد معالمه بعد .

الهوامش

* كان الأزهر في ذلك الوقت يمثل مركز العلم والفكر في مصر بل ولم يكن هناك في العالم الإسلامي كله مركز علمي أفضل من الأزهر ، ومع ذلك فقد كانت الفترة من فترا الركود الفكري والعلمي في مصر ، إذ لم يكن علماء الأزهر آنذاك علماء بالمعنى الحديث للكلمة ، بل كانوا يدرسون فقط ما لخصه مؤلفون متأخرون عن باحثين متقدمين ، أي يدرسون المتون والشروح دون الأصل . فإن أراد هذا العالم أن يكون أن يكون مؤلفا وضع الحواشي والتقريرات على الشروح والمتون . على هذا النحو كان الأزهر مشغولا بمثل هذه الشروح والمتون . أما التراث العربي الأقدم السابق على هذه الشروح والمتون ، فلم يكن موضع اهتمام أكثر هؤلاء العلماء ..

وكأن حركة الرجوع إلى المصادر الأصلية كادت أن تنتهي . أضف إلى ذلك أن علماء الأزهر قد حجبوا أنفسهم عن الأهتمام بالعلوم الطبيعية ، وهي العلوم التي يهتم بها سوى أفراد قلائل لا يعدون من بين العلماء . أما الأزهريون فمع كل هذا التخلف كانوا يعدون هم العلماء .(راجع : محمود فهمي حجازي ــ أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ١٩٧٤ــ ص٧ــ ٨ ــ٩).

١) جمال الدين الشيال ت " رفاعة الطهطاوي زعيم الحركة الثقافية في عصر محمد علي " ــ القاهرة ــ ١٩٤٦ ص٣٤.

٢) المرجع السابق ص٣٣.

٣) حسين فهمي النجار " رفاعة الطهطاوي " الهيئة المصرية للتأليف والنشر . أعلام العرب ٥٣. ص٩٩.

٤) جمال اليد الشيال ص١٢١.

* ويذكر محمود فهمي حجازي أن الشيخ حسن العطار كان فريدا في موقفه من الجديد الذي جاءت به الحملة الفرنسية ، التي جاءت بجيش حكم البلاد وتولى السلطة وجاءت بعلماء ومكتبة وأجهزة علمية ، وبنمط من السلوك الاجتماعي يقوم على أساس تحرر المرأة ومشاركتها في الحياة العامة . اختلفت مواقف علماء الأزهر من هذا الجديد الذي جاءت به الحملة الفرنسية ، فالشيخ عبد الله الشرقاوي لم تبهره من هذا كله إلا السلطة فشارك مع الفرنسيين رئيسا للديوان . الشيخ خليل البكري فقد ارتبط بنابليون بعلاقة صداقة وكانا يتبادلان الهديا الثمينة، حتى أن الشيخ حسن العطار فلم تبهره السلطة مثل الشيخ حسن الشرقاوي ولم يصادقها مثل خليل البكري ولكنه انتبه إلى ما عند الفرنسيين من علم وحياة تخالف ما عرفته مصر ورأى ضرورة معرفة ما عندهم أملا في مستقبل أفضل .(محمود فهمي حجازي مرجع سابق ــ ص٩ــ ١٠).

٥) عبد الرحمن الرافعي " عصر محمد علي " القاهرة ت ١٩٥١ــ ص٤٣١.

*ذكرت الخطط التوفيقية أن محمد علي طلب من الشيخ العطار أن ينتخب من علماء الأزهر إماما للبعثة يرى في الهلية واللياقة ، فاختار رفاعة لتلك الوظيفة .

انظر(محمود فهمي حجازي ــ مرجع سابق ــ ص٤١٨).

**كان مع رفاعة الطهطاوي ثلاثة أئمة آخرون للبعثة ن فلم تتحرك نفس أحد منهم إلى الاغتراف من مناهل العلم في فرنسا ، ولم يتجاوز حدود الوظيفة .

راجع : عبد الرحمن الرافعي ت مرجع سابق ـ ص٤٣١).

*** وهو ما يتضح جليا من منح المسيوجومار ـ رئيس البعثة ـ له جائزة التفوق في اللغة الفرنسية بعد عام واحد من سفره.

راجع : " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " تحقيق محمود فهمي حجازي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ص٣٣٨ـ ٣٣٩.

٦) أحمد أحمد بدوي" رفاعة الطهطاوي " لجنة البيان العربي ـ ١٩٥٠ ص١٥١.

٧) محمود فهمي حجازي ـ مرجع سابق ص١٤٧.

٨) المرجع السابق ص١٤٩.

*يقول جمال الدين الشيال نقلا عن عزت عبد الكريم :

" كان يعهد إلى أفراد البعثات بترجمة كتاب يتصل بفنه الذي يدرسه كما عهد إلى علي عبد الرحيم أفندي عضو بعثة ١٨٢٩م الصناعية بترجمة كتاب عن معمل القطن " ويقول أيضا " نص في الأمر الصادر بتكوين البعثة الطبية التي كان مزمعا إرسالها إلى فرنسا ١٨٤٨أن يتعلموا جميعا اللغة الفرنسية والطب ، حتى عادوا إلى مصر اشتغلوا بالترجمة ".

انظر : جمال الدين الشيال " مرجع سابق ـ ص٣٦.

٩) المرجع السابق ـ ص١٣١ـ ١٣٢

- وإن كان يقال أنه ترجم خلال تلك الفترة رسالة أخرى في الطلب لم يستدل عليها .

انظر : (حسين فوزي النجار ـ مرجع سابق ـ ص١٠٠) ويقول أحمد بدوي أن هذه الرسالة الأخرى لم يتم طبعها . راجع (أحمد أحمد بدوي ـ مرجع سابق ـ ص٩٨) .

١٠) حسين فوزي النجار – مرجع سابق – ص١٠١.

١١) أحمد أحمد بدوي مرجع سابق – ص٩٨.

١٢) حسين فوزي النجار– مرجع سابق – ص١٠٢

١٣) عبد الرحمن الرافعي – مرجع سابق ص٤٤٠

١٤) حسين فوزي النجار – مرجع سابق – ١٠٥

١٥) عبد الرحمن الرافعي – مرجع سابق –

دور الأزهر فى الترجمة قديما وحديثا

بحث مقدم من / فوزى تاج الدين محمد

رئيس قسم التحقيقات بجريدة النور الإسلامية

◆ **التر جمة و أهميتها**

مازال هناك جدل كبير حول ماهية الترجمة ... هل هي علم أم فـــن أم نظرية ؟ أم كل هذا ؟ وأيا كان الأمر يمكن القول أنها استبدال مادة خصبــة ورموز ومستوى معنوي من لغة إلي أخري واختيار ما يناســـب ذلــك مــن المستوى الصوتي والنحوي دون أحداث أي تغيير فى المعاني .

والذي لا خلاف علية أن الترجمة أهمية بالغة حيث تلعب دوراً عظيماً فـــى التطور الثقافي للبشرية والتفــاعل بيــن الحضــارات ، إذ أن نهضـــة الأمــم والشعوب تعتمد فى جوانب كثيرة منها على تقدم حركة الترجمـــة وليــس أدل على ذلك من أن حضارتنا العربية الإسلامية فى مراحل ازدهارها قد ارتبطـــت بسمو وتقدم حركة الترجمة ، وأبرز الأمثلة على ذلك نهضة تلك الحركة فـــى العصر العباسي ــ الأول حيث لم تكن الرغبة فى المتعة بما يترجم من لغـــات أجنبية تقف وراء هذا الاهتمام بل كانت الحاجة أولاً تقف علـــى راس قائمـــة الدوافع التي تحرك عملية الترجمة لخدمة الإسلام والمسلمين.

وفى العصر الحديث زادت الحاجة إلى الترجمة إلى العربية وخاصة بعـــد أن بلغت أوروبا شأنهاً عظيماً ن التقدم مما حرك طموحات بعض الحكام العـــرب ودفعهم إلى تشجيع حركة الترجمة ، ويتمثل ذلك فى قيام "محمد على باشـــا " بإرسال العديد من المصريين فى بعثات إلى أوروبا مما ساهم فى بناء مصـــر الحديثة القوية كما تزايدت الحاجة إلى الترجمة وبشكل ملـــح خـــلال العقــود القليلة الماضية بفضل الثورة التي شهدها عالم الاتصالات والموصلات والتـــي جعلت من العالم اليوم قرية كونية ، ونذكر فى هذا المقام ما أشار إلية المفكر

الإمام "محمد عبده" من أن كتابا أجنبيا معينا أو أثراً فكريا خاصة فى لغة ما يجب أن يترجم إلى العربية حتى يكون منار هداية وسبيل تقدم وأداة توجيه وعلامة تشجيع.

- العرب والترجمة

وانطلاقا من أن الترجمة تعد من أهم جسور التواصل بين الشرق والغرب أدرك المسلمون هذه الحقيقة فاهتموا بترجمة علوم من سبقوهم وأضافوا عليها ولم يبخلوا بحضاراتهم العظيمة على غيرهم .

ولعل تأييد رسولنا الكريم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأساليب العلاج والمداواة التي أستخدمها " الحارث ابن كلده الثقفي "وابنه نصر وهما من الأطباء اللذين درسا فى جامعة ــ جندي شابور الإيرانية ــ وكأننا من غير المسلمين ، أزال كل الشوائب من جراء الآراء والنظرات الضيقة الآفاق بما فيها التعارض العقائدي والديني بشأن الاقتباس العلمي من المسلمين من التراث العلمي لسائر القوميات ، وبدد بذلك كل الموانع التي تحول دون التعلم واكتساب العلم والمعرفة ، فبدأ المترجمون من العلماء المسلمين وغير المسلمين ــ والذين كانوا يحظون بكل الاحترام والتبجيل فى المجتمع ــ بترجمة شتى صنوف العلم والمعرفة ، وضرب لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم ــ المثل الأعلى حيث حث "زيداً ابن ثابت الأنصاري " على تعلم الخط واللغة العبرية ، ولم يمضى وقت طويل حتى أصبح من كتاب الموحى بتعلمه العبرية والفارسية والسريانية والقبطية والحبشية ، والكاتب الخاص للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى مراسلة الملوك وقادة الدول الكبرى آنذاك .

لقد أهتم المسلمون منذ العصر الأموي بالترجمة وزاد هذا الاهتمام فى العصر العباسي فى نقل التراث اليوناني والفارسي والهندي إلى اللغة العربية، ولقد أغدق الخلفاء العباسيون الأموال على المترجمين وليس أدل

على ذلك من أن كل من الخليفة ابن جعفر المنصور والخليفة المأمون كانا ينفقان بسخاء على الترجمة حتى يقال إنهما كانا يعطيان وزن ما كان يترجم ذهبا.

- ♦ دور مصر فى الترجمة فى فترة الفتح الإسلامي

شهدت مصر العديد من اللغات كالقبطية واليونانية والعبرية والسريانية والعربية ، وقامت بدور هام فى الترجمة والتي تركزت ملامحها فيما يلي :

- ♦ إنها كانت ضرورة ملحة لكل من عاش على ارض مصر آنذاك .
- كانت عملية ميسورة بسبب توافر المترجمين .

لم تكن الترجمة وظيفة رسمية ، ولذلك قام بعض المجاهدين جيش الفتح الإسلامي بها .

- قيام كثير من الكتبة فى الدواوين بالترجمة .
- كانت الترجمة شفهية وتحريرية فى الوثائق والمعاهدات ، وكانت هناك عوامل كثيرة ساعدت على وجود الترجمة فى مصر ... مثل :

- الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى نصائحه للصحابه نتعلم لغة الأعداء
- عالمية الدين الإسلامي .
- مساعدة أهل مصر للمسلمين الفاتحين .

ومن النصوص المترجمة خلال هذه الفترة :

- ☆ مناظرة بين عمرو بن العاص والى مصر وبين كل من رسل المقوقس والأسقف أبى مريام وصاحب حصن بابليون.
- ☆ كتاب المقوقس إلى عمرو بن العاص يعلمه فيه برفض الإمبراطور هرقل لنصوص الاتفاق الذي عقد بينهما .
- ☆ نص مؤامرة دبرت فى بلاط المقوقس لقتل عمرو بن العاص .
- ☆ ما جاء فى صلح بابليون ومعاهدة الإسكندرية من نصوص.

◆ رفاعة الطهطاوى الأزهري ودوره في الترجمة

جاء دور علماء الأزهر في مجال الترجمة منذ الحملة الفرنسية على مصر من خلال ــ عبد الرحمن الجبرتى ــ الشيخ الأزهري والمؤرخ المصري والذي عاصر الحملة ووعى أهمية الترجمة فى الأخذ بأسباب التقدم إذ كان يتردد كثيراً على المجمع العلمي الفرنسي بالقاهرة وأبدى إعجابه بعلومهم وتمنى لو كان للمسلمين مثل هذا التقدم .

وأيضا الشيخ حسن العطار ــ شيخ الأزهر ــ الذي اطلع على العلوم الفرنسية مما جعله يقول : " إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها وتتجدد بها من المعارف ما ليس فيها " وأيضا " وقع فى زماننا أن حلت كتب من بلاد الإفرنج وترجمت باللغتين التركية والعربية وفيها أعمال كثيرة وأفعال دقيقة أطلعنا على بعضها ، وقد تتحول تلك الأعمال بواسطة الأصول الهندسية والعلوم الطبيعية من القول إلى الفعل " ، ومن الجدير بالذكر أن المستشرق الإنجليزي " إدوارد وليم لين" أشار فى كتابه " المصريون فى القرن ١٩ " إلى تفوق الشيخ حسن العطار وتطلعه إلى العلوم .

وكانت الجهود الحقيقية لعلماء الأزهر في الترجمة على يد رفاعة الطهطاوى الذي رشحه أستاذه حسن العطار ليكون إماما لأول بعثه إلى فرنسا ١٨٢٦ ، وكان خروج رفاعة إلى باريس بمثابة خروج من كهفه التراثي الفردي وكهف الجماعة وموروثها ، وعلى الرغم من أنه لم يكن مطلوبا منه أن يتعلم علوم الفرنسيين عند ركوبه الباخرة من الإسكندرية بعزيمة صادقة ، واتخذ له ــ بعد وصوله إلى باريس ــ تعلماً خاصا على نفقته ، واقتبس المعرفة والحكمة من علماء فرنسا خاصة " مسيو جومار " " والبارون دى ساسى " ، واهتم بدراسة الفلسفة والتاريخ الجغرافيا ، وقرأ مؤلفات " فولتير ، ومونتسكو ، وروسو" وغيرهم ... وبرع فى ترجمة بعض العلوم وتعريب بعض الرسائل

فى القانون ، وتأمل المجتمع الفرنسي بفكر موسوعي ، وبذلك يتحـــول مـــن واعظ إلى داعية حضارة ، ولا شك أن ما قام به ذلك الشيخ المعمم يعد حـوارا تاريخيا أجراه مع الحضارة الغربية وهو يقتنى الطموح العلمي الذي لا تنــهض بدونه الأمم ، وبعد عودته إلى مصر بعد ست سنوات أكد ضرورة نقل علـــوم أوروبا إلى مصر وفى ذلك يقول :" سوف تعد مصر من الأزمنة التــي تــؤرخ بها العلوم والمعارف المتجددة مثل تجددها فى زمن خلفاء بغداد " ولم لا وقـد رأى بمخزونه التراثي هذا الآخر ــ النموذج الغربي ــ واستفاد منه .ولا نملك إلا أن نقول أن رفاعة الطهطاوى كان أمة فى فرد ، وما ينطبق عليها يطبــق على رفاعة . ومن إنجازات رفاعة الطهطاوى مساهمته الطبية فى أعمــال مدرسة الطب والتي كانت تضــم هيئـــات مشــتركة للترجمــة مثــل : هيئــة المترجمين ، وهيئة المحررين والمصححين ، ونجح فى إلحاق بعض شـــيوخ الأزهر إليها ، ورشحهم للسفر إلى فرنسا فى أول بعثة طبية عام ١٨٣٢ .

ومن انجازته ايضا: إشرافه على عشرين طالبافى المدرسة الفرنســـية الملحقة بمدرسة الطب كمدرس للترجمة ومساعدته لزملائـــه فــى الالتحــاق بمدارس الطب والمهندس خانه وعلى رأسهم إبراهيم رمضان مؤلــف كتــب الهندسة الوصفية والظل المتطور ، ومحمد على البقلى مؤلف كتب الطبيعــة ، وتحقق حلمه فى وضع أول لبنه فى بناء الثقافة الوطنية الحديثـــة عندمــا أسس محمد على مدرسة الألسن ١٨٣٦ والذي سميت أول الأمـــر بمدرســة الترجمة ، واختار ه كأول ناظر لها ، وخلال أقل من عشر سنوات تخرج مـــن تلك المدرسة مائة مترجم من شباب مصر الذين تحولوا إلى صناع الحضـــارة تحت قيادته حيث كان يقوم بمراجعة كل ما يترجم بنفسه ، هذا والـــى جــانب تحرير المؤسسات التعليمية من الترجمات الركيكة والغامضـــة والتــي كــان يتولاها بعض المترجمين من الشوام الذين أجادوا اللغة الفرنسية ولكنهم لـــم يجيدو اللغة العربية .

وليس هذا فحسب بل عمل بمدرسة الطوبجية مترجما لعلومها للطلبة المصريين مما جعل ناظر المدرسة يؤكد أن ما قام به رفاعة يعد مكسبا كبيرا للعلوم العسكرية .

◆ الأزهر ومسئوليات جسيمة :

اليوم ونحن نعيش عصر العولمة فى ظل هيمنة النموذج الغربي والأمريكي ، هل نستطيع

أن نجد آنا مكانة تتناسب مع تاريخنا وحضارتنا ؟ إما أن البكاء على اللبن المسكوب ،

والتغنى بأمجاد الماضي سيكون سبب الوقوف فى آخر الطابور وذيل قائمة الدول ؟!!...

لا خلاف على أن هناك محاور متعددة للمشروع النهضوى المصرى فى القرن القادم ، وان ما نريده هو أن يكون إعادة صياغة العقل المصري طليعة من طلائع هذه النهضة الشاملة ، والوعاء الحضاري لكل الصياغات والاطروحات النهضوية ، خاصة وأن عقل الأمة لم يكن فى يوم من الأيام فى حاجة ملحة لإعادة صياغتة وتشكيله مثلما يحتاج الآن ، وان صياغة العقل ليس بدعة مستوردة بل انه ينتسب إلى تراثنا الحضاري .

خلاصة القول ... أن هناك من المؤسسات البحثية إلا أنها تعانى من حالة يرثى لها من انقطاع صلة الرحم العلمية إذ جاز هذا التعبير !! هناك جامعة الأزهر وما تضمه من إمكانات هائلة ممثلة فى كلية اللغات والترجمة بأقسامها الكثيرة ،وكلية الدراسات الإنسانية ، وأقسام اللغات والترجمة بكليات الآداب والتربية فى مختلف جامعات مصر ، الأمر الذي يتطلب وجود هيئة تجمع كل هذا الجهد وحق ضوابط واهداف يمكن من خلاله تحديد دور

الترجمة فى منظومة اجتماعية مدروسة ووعى صادق بالذات ... وهــذا يتطلب الحركة فى ضوء هذه النقاط .

☆ التوصيات

١. السعي إلى حل إشكاليات تعريب وترجمة المصطلح العلمي وذلك مــن خــلال الاستفادة من البحوث الموجودة وما تتطلبه الضــرورة بعقــد مؤتمــرات لــهذا الغرض .

٢. التأكيد على أن الترجمة وسيلة هامة لنقل المعرفة وليست نوعا من أنــواع الترق .

٣. ترتيب أولويات احتياجات الأمة فى تلك المرحلة الانتقالية .

٤. تجنيد كل القوى البشرية العاملة فى مجال اللغات الأجنبية إلى العربية خاصة وان هناك تبايناً شديدا فى الأنظمة الصرفية والنحوية والدلالية .

٥. وضع منظومة خاصة بسمات شخصية المترجم وحيــاده لضمــان الترجمــة بأمانة ودقة

٦. الاستفادة من روافد المعرفة العالمية مــع الحفــاظ علــى هويتنــا وذاتيتنــا وخصوصيتنا .

٧. الاهتمام بالإبداع إلى جانب الاتباع .

٨. ضرورة تحديد واقع مجتمعنا الإســلامي المعــاصر وموقفــه مــن الركــب الحضاري العالمي فى ضوء تراثه الحضاري السابق .

٩. إعادة النظر فى خططنا التنموية الحضارية وتحيد مواطن الضعف والقــوة ، والمزج بين الأصالة والمعاصرة .

١٠. إصدار معجم للألفاظ الإسلامية وترجمتها إلي اللغات المختلفة وحسم قضيــة أيهما تترجم " النص القرآني أم معاني القرآن "

١١. الرد على ما يثار ضد الإسلام والمسلمين فى الغرب بالحجة والدليل وليــس بالرفض أو الشجب .

واخيراً : فالأزهر بتجربته الســابقة الناجحــة وبقيادتــه لركــب التنويــر والتحديات وبإمكانياته ، يستطيع أن يلعب دورا هاما فى مجال الترجمـــة وبنـــاء الكيان الحضاري بشكل معاصر وذلك من خلال إشــرافه علــى الهيئــة القوميــة للترجمة .

ولعل فى جهود رفاعة الطهطاوى ــ الذي خرج من تحت عباءته مفكــرى وعلماء مصر الكثير من الدروس المستفادة.

بواكير التعريب عند الطهطاوى وتوحيد المصطلح

د. يوسف عز الدين

عضو مجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة

أستاذ الأدب والنقد ـ الطائف

/ كلية التربية جامعة أم القرى

أولاً : أحيي القائمين على هذا الاحتفال العناية بالأفذاذ والرواد بعد أن نسى كثير منهم فى الأقطار العربية وتونس آخرون .

إنه وفاء عرفته فى مصر الحبيبة وعرفته فى مفكريها الذين خدموها وطوروا حياتها ، وقد أحسنتم بهذا الاحتفال وأتمني أن تحتفل الجامعات كلها بهذا الرائد العبقري الذي أيقظ الفكر فى الشرق بما ألف وما عرب إنه ليس ابن طهطا والصعيد إنه ابن الحرية والفكر الواسع والذهن المتوقد إنه ابن العرب كلهم بل الشرق الذي نبه الغافلين وأيقظ الراكدين فى الفكر النائم .

رفاعة والتعريب وتوحيد المصطلح

الحق أن الطهطاوى رمز خالد من الرموز الفكرية والأدبية والتربوية ومن أفذاذ الأمة العربية ، له عقلية فذة قلما حاكتها العقول فى تاريخ النهضة المعاصرة فقد بث روح الحضارة الحديثة فى الشرق بعد أن غرسها فى مصر واتسعت أمامها الآفاق ، إنه سبق عصره بما قدم من كتب مؤلفة أو مترجمة، واصل العمل برغم ما عاناه من السلطة ، إنه رجل أرسل للإشراف وإدارة شئون البعثات فإذا به يتفوق على الطلاب المخصصين للدراسة حاول الاستفادة من كل مظاهر الحضارة والمظاهر العامة كاللباس والطعام ، وأسلوب تناوله وسجل ذلك فى كتابه تلخيص الإبريز فقد لفت نظره استعمال الملعقة والسكين والشوكة وعدم الجلوس على الأرض ووصف وجبة الطعام وذكر نومهم على الأسرة ، لكن

أهم من كل ذلك إعجابه بحرية الشعب مقارناً ذلك بالحكم الفردي فـــى الشــرق ، وذكر مساواة الناس أمام القانون من الكبير والصغير دون استثناء ، ولعل أهـــم هذه الآراء هي الآراء السياسية التي تتعلق بسلطة الشعب فلم يرى تفاوتـــا بيـــن الحاكم والمحكوم ، أو الرضيع أو الرفيع ، وأكد أن الدعوة قد تقام على الملـــك ، وينفذ عليه الحكم (1)

هذه المساواة كانت محل إعجابه ، لأنه رأى فى نشـــر العـــدل حمايـــة المظلـــوم وانحسار الظلم عن الناس ورأى فى ذلك خير برهان على رقى الأمة وتقدمها ، ورأى أن الوظائف ليست مقصورة على طبقة وأحده، والفرنســـي مؤهل لأي منصب ، وأدهشه ما تكتبه الصحافة وما فيها من تعبير صريح وأثنـــى على الثورة الفرنسية التي قضت على حكم الفرد ، وذكر حرية الانتقـــال وحريـــة العمل ، وثقة الناس بأنفسهم وعدم الخوف مـــن النفـــي أو التعذيـــب والحبـــس ومصادرة الأموال و'بداء الحرية الفردية دون خوف من السلطة (2)وكان مؤثـــراً كبيراً فى مهاجمة الاستبداد والظلم ، هذا وقد أوضح الكواكبى وكتابيه : أم القـــرى وطبائع الاستبداد .

انكب بكل جوارحه على تعلم الفرنسية حتى اصبح علماً من الأعلام فأراد نقـــل هذه العلوم الجديدة التي لم يدرسها فى الأزهر إلى أمته ، لذلـــك كـــان اهتمامـــه بالحرية الفردية والدستور فى ثنايا كتبه ، ولم بالقراءة والتعريب وإنمـــا اتصـــل بعدد من كبار المستشرقين مثل دى ساس وبروفنسال ، وألم ببعض الكتـــب مثـــل فولتير ومنسكيو وراسين إضافة إلى اطلاعه على الطب والتاريخ والهندسة وقـــد بقى الرجل برغم مغريات باريس محافظاً على الفرائض .

---

1 مناهج الألباب ، ص٢٥٨ لاحظ تراثنا المعاصر ص٢٩ .

2 مناهج الألباب ، وتلخيص الإبريز ، تراثنا المعاصر ص٢٩

كان رفاعة مخلصا كل الإخلاص لرسالته واحس بها ، وأراد أن ينقل كل مـــا في وسعه من الحضارة الغربية شأن الرائد الواسع النظر ، لذلك نراه ترجم وكتب فى أمور سبق فيها عصره ولم يكتبها أحد غيره فى زمن محمـــد علـــى باشـــا ، وبالرغم من رغبة محمد على ب فى ترجمة العلوم التي تخدم جيشـــه وســـلطانه لكنه رعى رفاعة الطهطاوى وأسبغ علية رعايته وعنايته .

وكان رفاعة ملجأ لطلابه فى الترجمة ووضع المصطلحات التي كان عســـيراً على أكثرهم وضعها .

وفى دار الكتب المصرية نماذج واضحة على جهوده ، وقد اطلعت على كثـــي منها وعسى أن يوقف باحث نفسه على هذه الأعمال ، ويعيـــد نشـــر مـــا فيـــها وبخاصة

(قواميس القواميس) بأن يضاف إلية المصطلحات الجديدة التي أخرجها مجمـــع اللغة العربية فى القاهرة ، لنعرف التطور الفني والتاريخي لوضع المصطلحات .

ولم يكتف بما عهد إليه محمد على من كتب علمية إنما كان الجـــانب الأدبـــي ينازعه فى العمل فقد ترجم النشيد الوطني " المارسيليز " وألف كتاب " تعريـــب الأمثال فى تأديب الأطفال " وترجم رثاء فولتير للملك لويس الرابـــع عشـــر (١) ورواية التلماك لفنلون ــ ولأهمية هذا الكتاب تراه يترجم إلى اللغة التركية فقـــد نشرت جريدة الزوراء فى العراق إعلانا عن مضمونه وقالت إنه لأحد مشـــاهير فرنسا وهو مؤلف من مجموع من حكايات ظريفة وضعها لأجل تعليم الصبيـــان ، وتفهيم الفنون وسمى هذا الكتاب اسما جديدا هو " حصة دون قصة "[٢]

ما كان يكتفي رفاعة بترجمة طلابه إنما كان لـــه جماعـــة يراجعـــون هـــذه الترجمة للتحقق من مطابقتها للأصل .

١[٢] الدكتور عمر الدسوقى ص٣٧

٢ القصة فى لعراق جذورها وتطورها / معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤م.

قاسى كثيراً فى حياته وبخاصة عندما ألغى عباس الأول مدرسة ونقله أو بعبارة أصح نفاه إلى السودان ليؤسس مدرسة ابتدائية لكن سعيد باشا إعادة إلى القاهرة وأوكل إليه عددا من الأعمال الإدارية والعلمية فى الكلية الحربية ومدرسة الهندسة ومدرسة العمارة ظن وقد أتت ثمار أعماله واضحة فى عهد إسماعيل .

كانت مطبعة بولاق ١٨٢٢ تطبع هذه الكتب وكانت من أدق المطابع ، وللأسف لم يبق من المطبعة غير عنوانها وهى ليس من بقايا الحملة الفرنسية كما ذهب البعض الباحثين فقد أخذت المطبعة مع الحملة . ومن أهم ما ساعد على التعريب وتقريب العلوم إلى الطلاب مجلة يعسوب الطب فترجمت أهم المقالات فى الغرب وتجلت قابلية المترجم فى هذه الفترة على وضع المصطلحات . وكنت أتمنى أن تكون كاملة فى دار الكتب ، فقد صدرت سنة ١٨٥٦ برعاية الطبيبين محمد على البقلى وإبراهيم الدسوقى .

أما روضة المدارس فهي كاملة الأعداد فى دار اكتب فقد كتب عنها أحد الزملاء المجمعين بحثا ألقاه فى إحدى جلسات المجمع ، وكان لعلى مبارك الفضل فى رعايتها . وللطهطاوى اليد الطولي فى التحرير والإشراف وذكر المقال الأول فيها أن هدفها نشر الفوائد العلمية المتنوعة والمسائل المتفرقة لتكون قريبة التناول لكل طالب مستفيد ، وكانت منبراً لرواد الأدب مثل إسماعيل صبري وعبد الله فكرى .

التعريب ضرورة للنهضة الحديثة :

كان التعريب فى بدايته موفقا وإن احتاج إلى بعض الكلمات العامية والأجنبية لأنه انفتح باب الشرق على علوم الغرب ، وكان سبباً فى دفع عجلة التطور الحضاري الذي بدأ يتسارع الآن بقوة واندفاع بعد أن ظهرت مخترعات متطورة كالصاروخ عابر القارات أيذكى والحاسوب والإنترنت التي دخلت حياتنا وكل حينه من حنايا الوطن فى المدرسة والبيت والمقهى وحتى المخادع ، وكانت هذه المخترعات سببا فى الانبهار النفسي عند بعض المفكرين وفقدان الثقة بالنفس عند بعضهم ،

وبالتالى إهمل التراث العربى الأصيل ، لأن المثقف المعاصر غير قادر على الجمع بي التراث والحضارة المعاصرة ومما زاد الطين بلة أن هاجر كثير من علمائنا الى أمريكا وأوروبا لأنهم لم يجدوا ما يطورون به حياتهم فى أوطانهم ، وبقى أدعياء العلم فى خدمة السلطان لأن هؤلاء وجدوا أنفسهم فى توجيهات السلطة بعد أن تدخل أصحاب الأمر فى الأعمال العلمية الصرفة ، ومنع بعضهم من مزاولة عمله لأنه لم يخدم السلطة .

إن مشكلة المصطلحات جرت على المجامع الكثيرة من التضارب فى وضعها لبعد المسافات واستقلال المجامع ، وقد حاولنا مرة توحيد المصطلحات بدعوة مجمع القاهرة ومجمع سوريا الى بغداد واستجابت القاهرة واجتمعنا فيها غير ان سوريا وقفت دون هذه الفكرة ولم تكتمل الدورة ، إن مسايرة البحث العلمي ضرورة حتمية حتى تتوحد الجهود فى وضع المصطلح لأن توحيد المصطلح يزيد من مساحة الإبداع وخير دليل ما قامت به اليابان وروسيا وها هى إسرائيل أحيت اللغة العبرية الميته ووعت المصطلحات العلنية فى اللغة العبرية وقد يكون من المفيد العودة الى تراثنا والعود أحمد للاستفادة من المصطلحات فى عصر محمد على والعصور الإسلامية فى كتاب ابن سينا والرازي وابن حزم وهذا ما صنعه رفاعة وجماته وما زلنا فى أول الطريق .

توحيد المصطلح الحديث :

لا جدال فىأن مصر رائدة التعريب الحديث ، فقد قاد هده الحركة رفاعة الطهطاوى الذى وضع اللبنه الأولى المصطلحات فقد كان يضع المصطلح الأجنبي وما يقابله باللغة العربية وبذلك كان عمله موحدا وموحد المصطلحات التى سار عليها من بعده و أوضح هذا التعريب فى روضة المدارس ويعسوب الطب وما وضع فى الكتب الأخرى المعربة ومنها:

- الأزهار البديعة فى علم الطبيعة :

ـ ألفه مسيو بايرون معلم الكيمياء فى مدرسة الطب معتمـــدا علـــى الكتـــب الفرنسية وترجمه يوحنا عنجورى الذى اطلق عليه "حنين " وساعده الشـــيخ يونس الواعظ المصحح .

- التشريح العام :

ـ تأليف كلار وترجمه عيسى أفندى النحراوى وقد تعاون علية عـــدد مـــن الشيوخ والمختصين ووضعت له مقدمة من الشيخ على العدوى وقوبـــل بعـــد الترجمة مع بايرون

وكان التعريب يخضع لدقة كبيرة وتدقيق ومراجعة ومطابقة المصطلح والتأكد من ، وكانوا يضبطونه بالحروف حتى لايقرأ المصطلح الأجنبي خطأ إن فكـــرة توحيد المصطلح جاءت من أن هناك مصدراً واحـــداً لوضعـــه ولكـــن كـــثرة القائمين علي التعريب أدت إلى شكاوى كثيرة والى تبـــاين واختـــلاف حتـــى بالاستعلامات اليومية فمثلاً نجد :

أولاً: علم الطبيعة ـ الفيزياء ـ الفيزيقا .

الملحق فى الإمتحان : الدور الثانى ـ الإكمال

المدارس الحرة ـ المدارس الخاصة ـ المدارس الأهلية .

المرتب ـ الماهية ـ الراتب ـ الرزق

الفوئد ـ الرسوم ـ الرزق .

وكيل نيابة ـ مستنطق ـ حاكم تحقيق .

ويمكن ان نجد امثلة أخرى فى الحياة العامة مثلاً:

المصطلح في ليبيا	المصطلح فى العراق	المصطلح فى مصر
كوشة	مخبز	فرن
زريعة	حب	لب
كاشفيته	بلايز	مفك
شما عى	بلكات	بوجيهات

كاشفيته	بلايز	مفك
شما عى	بلكات	بوجيهات

إضافة الى عدد الكلمات الأجنبية التى تستعمل فى الاستعمالات اليومية فى الجرائد والمجلات والكتب مثل :

طوبرى ــ تلغراف ــ جورنال ــ بردوــ طابور.

وغير ذلك مما نعرف

الغريب أن الغرب يوحد كل شيء متخذاً من اللاتينية قاعدة للمصطلحات فلماذ لاتجعل التراث والفصحى أحد قواعد التعريب فلدينا ابن الهيثم وابن سيا والكندى وابن البصال وابن وحشية ، فقد وضعوا مصطلحات كثيرة وقد جمع السلف الصالح بعض الكتب وفيها المصطلحات مثل : مفاتيح العلوم للخوارزمى والعرب للجواليقي ، والمخصص لابن سيده كما جمع فى زمن الطهطاوى (قاموس القواميس)

ومازالت الشكوى من اختلاف التعريب واضحة رغم طول الفترة الزمنية التى مرت على التعريب من تشتت الفكرة واختلاف المصطلح وكثرت الممستجات الجديدة فاختلف المصطلح باختلاف الاشخاص .

ويعبر عن رأيهم الدكتور محمد التونسى فى مقاله فى مؤتمر التعريب وأنه واجهه خلال ثلاثين سنه من الإشراف على البحوث والمجلة مشكلة اختلاف الممصطلح وتشتت الفكرة لاختلاف الألوان وكثرة المستحدثات باختلاف الاشخاص

الخلاصة والحلول :

إن توحيد المصطلح ضرورة من ضرورات الحياة الفكرية المعاصرة للذات العربية لتطور الحضارة وإتقان العمل وتنسيق الجهود العربية لان فهم العلوم باللغة العربية لن يتم إلا بوضع مصطلحات العلوم الجديدة فاليابان طورت علوم

إن توحيد المصطلح ضرورة من ضرورات الحياة الفكرية المعاصرة للذات العربية لتطور الحضارة وإتقان العمل وتنسيق الجهود العربية لان فهم العلوم باللغة العربية لن يتم إلا بوضع مصطلحات العلوم الجديدة فاليابان طورت علوم الغرب ودرستها بلغتها رغم صعوبة اللغة اليابانية وكذلك تطورت العلوم فى روسيا عندما درس العلماء علوم الغرب بلغتهم ومثلها الصين رغم ما فيها من صعوبات لأن اللغة الصينية مازالت صعبة ولابد ان تعرف عدة آلاف عرف حتى تكون كاتبا ومثلها بلغاريا والدول الآخرى التى تدرس بلغتها لتأصيل العلو وتقدم الإبداع خاصة وأن اللغة العربية احتوت حضارات كثيرة وقد برهن رفاعة رافع الطهطاوى على هذه المقدرة فقد ترجم عدد من الكتب والمقالات التى كانت بعيدة عن البيئة العربية فى ذلك العصر ولابد كما تعمل المجامع بالعودة الى كتب التراث والمصطلحات التى وضعها الأقدمون كما ذكرنا ويمكن إتخاذ الخطوات التالية :

أولاً: اجتماعات دورية بين المجامع لتوحيد المصطلح .

ثانياً : أن تنسيق المهتمون بالتعريب والترجمة بين أعمالهم .

ثالثاً: إيجاد هيئة علمية غليا للعمل السريع المنظم وأن تكون لهذه الهيئةمارد مالية لتطبع وتنشر .

رابعاً : تحديد معنى المصطلح وإيضاح الدلالة العلمية له .

خامساً : تخصيصى لجنة عليا تجمع هذه المصطلحات من المجلات والكتب العلمية والتى تصدر فى أوروبا .

سادساً: العودة الى المصطلحات التى وضعتها اللجان فى زمن رفاعة الطهطاوى والتى أشرف عليها بنفسه وفى دار الكتب قاموس القواميس وفيه الكثير من مصطلحات تلك الفترة .

من مصادر البحث :

١. فى الأدب العربي الحديث ، عمر الدسوقى .

٢. تراثنا والمعاصرة ، يوسف عز الدين .

٣. الاشتراكية والقومية ، يوسف عز الدين .

٤. أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى ، د. محمود فهمي حجازي .

٥. مناهج الألباب ، الطهطاوي .

٦. طبائع الاستبداد ، الكواكبي.

٧. أم القرى ، الكواكبي .

٨. تلخيص الإبريز ، الطهطاوي .

٩. روضة المدارس .

١٠. يعسوب الطب .

١١. شعراء الوطنية ، عبد الرحمن الرافعي.

١٢. تاريخ الأدب الحديث ، عبد الصبور السيد الغندور.

تعريب العلوم في ضوء العبرنة الإسرائيلية

د/ السيد إسماعيل السروى

من حقائق التاريخ الحديث المثيرة أن القومية العربية والحركة الصهيونية قد نتجتا عن القومية الأوروبية في القرن التاسع عشر ، وتحركتا في نفس الوقت تقريبا ، وأن هدف الصهيونية لا يمكن أن يتحقق بغير صراع مرير مع القومية العربية في واحد من أكثر أقاليم العالم العربي حيوية .

فقد أدى ظهور الحركات القومية في القرن التاسع عشر في أوروبا إلى إحساس العديد من الشعوب بكيانها وتميزها ، ومطالبتها باستقلالها ، على أساس اللغة التي يتكلمها أبناء الشعب وتوحد عقولهم وتجذب بعضهم إلى البعض ليتكون منهم مجتمع يسعى إلى المن والاستقرار والرخاء لكل أفراده ، لا على أساس من الجنس أو الدين أو الموطن الجغرافي ، وجاءت القومية العربية الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر كأثر من آثار الحركات القومية في أوروبا ، وامتداداً لها ن وتأسست على ما تأسست عليه تلك القوميات ونهجت نهجها .

ففي أواخر القرن التاسع عشر تطلعت القومية العربية في المقام الأول إلى اللغة العربية التي تجمع أبناءها وتوحد تفكيرهم ، وإلى ذلك التراث الفكري الضخم الذي ورثه هؤلاء الأبناء عن أسلافهم مكتوبا باللغة العربية وبخطها العريق المتميز ، فتشبثوا به والتفوا حوله ، ينهلون من حياضه ما استطاعوا ، فتمثلت النهضة القومية العربية في إيقاظ التراث من سباته بتحقيقه وإعادة نشره وتيسير تداوله بين الراغبين في دراسته .. فأنشئت المطابع العربية ،وحفل الأزهر الشريف وأمثاله في بلاد العرب بالدارسين لعلوم اللغة وآدابها ، ولحتفوا بها قبل احتفائهم بالعلوم الدنيوية الأخرى التي لا تميز قومية من اخرى ، والتي لا تعد طابعا لقومية معينه ، بل هي تراث إنساني تشترك فيه كل القوميات وتسهم فيه بنصيبها .

وكان اتجاه المثقفين العرب في أواخر القرن التاسع عشر إلى إيقاظ التراث العربي من سباته ونشره ، نابعا من إحساسهم بوجوب إبراز عظمة بلادهم وإشراق تاريخهم ، عن طريق الاستثناء إلى ثقافة عربية أصيلة ترضي الوعي النامي المتلهف في مواجهة الثقافة الأوروبية الوافدة . وواكب ذلك إنشاء دور النشر والصحافة والمكتبات التي كان لها أثر كبير في ترقية اللغة العربية ، وتنمية ألفاظها ، وتجديد أساليبها ، بالإضافة إلى أثرها في الوعي الثقافي العام . وقد تجلى الطابع السياسي للقومية العربية عندما ظهرت فكرة اللامركزية أي الدعوة إلى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية ، من أجل تكوين دولة مستقلة ذات كيان عربي متميز ، تقف في وجه المستعمرين المعتدين الذين تمثلوا أمام العرب في بريطانيا وفرنسا . وكانت اللغة العربية التي ورثها العرب عن أجدادهم بمالها من آداب راقية وتراث فكري رائع كانوا يتدارسونه في دور العلم ويتشبثون بأهدابه ، هي ما يجمع بينهم ويلم شملهم ويوحد شعورهم وفكرهم .

وعندما نشأت في تركيا ، في إثر تيار تيار القوميات الأوروبية التي أساسها وحدة اللغة ، تلك الحركة التي تدعو إلى "التتريك" وصبغ كل البلاد التابعة لتركيا بالصبغة التركية من حيث اللغة والثقافة ، إيمانا من أصحابها بأن وحدة الدولة وتماسكها وقوتها ، لايتم إلا على أساس الوحدة اللغوية والثقافية ، كما هو الشأن في دول أوروبا . وعندما قام أصحاب هذه الحركة بشن حرب شعواء على اللغة العربية والثقافة العربية ، كان لذلك صداه في العالم العربي ، فنشط المصلحون والمفكرون في العمل على إيقاظ التراث العربي ونشره ، لأنه السجل الخالد الذي حفظ لهم لغتهم ، فصان لهم عروبتهم . فكانت النهضة الفكرية العربية التي تمثلت في نشر أمهات الكتب في اللغة العربية وآدابها ، وذلك أن مطاردة اللغة العربية والثقافة العربية في المدارس والمحاكم وكافة المحافل والأوساط الرسمية ، قد زادت من استمساك العرب بلغتهم وتعصبهم لها واعتزازهم بها .

على أن فكرة القومية التي سادت أوروبا قد وجدت طريقها في أواخر القرن الماضي إلى البلاد العربية ممثلة في مصر التي كانت محط أنظار العرب في ذلك الحين ، فأخذ الوعي العربي يقوى ، ومن أبرز المظاهر التي ساعدت على هذا الوعي : الثقافة الدنيوية والتطلع لها ، فأرسلت البعثات التعليمية لأوروبا ، وفتحت المدارس . واستغل رفاعة الطهطاوي وتلميذه علي مبارك تلك الفرصة فعملا على إعادة مدرسة الألسن وتأسيس مدرسة الإدارة التي صارت بعد ذلك مدرسة الحقوق ، وعلى كثرت المدارس الابتدائية والثانوية ، وافتتاح أول مدرسة للبنات ، ودعم الدراسة اللغوية بإنشاء دار العلوم ، فكان لكان ذلك أثر واضح في النهوض باللغة مع إنماء الوعي بين المثقفين .

أما الحركة الصهيونية فتعد ظاهرة فريدة في نوعها تختلف عن باقي لحركات القومية التي تطورت في أوروبا في القرن التاسع عشر . فهي لم تتطلع إلى تحرير الوطن في ألمانيا ، إذ لم يكن لها جزء ولو جزء من دولة . لقد كانت في المقام الأول ، حركة الهجرة إلى فلسطين ، أو كما يسميها المفكرون الصهاينة" عودة إلى الوطن " ومثل هذه المشكلة لم تواجهها أية حركة قومية في أوروبا . فعلى خلاف سائر حركات التحرير القومي الأخرى في أوروبا كانت " العودة إلى الوطن " تمثل بالنسبة للصهيونية شرطا للتحرير القومي .

والحركة الصهيونية ن باعتبارها حركة قومية ، تعود بدايتها إلى مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر (١٨٨١) عندما سميت حينئذ" محبة صهيون " وسمي أعضاؤها " محبو صهيون " .

الأسس التي قامت عليها " محبة صهيون " :

١. العودة التدريجية إلى فلسطين ، فقد آمنت حركة " محبة صهيون" بأن الصهيونية تعني عملا ممتداً جداً لا يمكن التنبؤ بنهايته لكن هذا العمل أي النضال القومي الممتد ، لم يكن موجها إلى أي منطقة وإنما بالتحديد إلى

فلسطين التي تعد في نظر المفكرين الصهاينة وطنا تاريخيا لليهود ، بدونه تصبح الصهيونية بلا معنى .

٢. الوحدة القومية للشعب ، تلك الوحدة التي لا تستند فقط إلى الأساس الديني فكانت المشكلة الكبرى إذن : فيم تتجلى وحدة الشعب اليهودي ؟ فإذا لم لهذا الشعب إقليم ، وإذا لم تكن له لغة مشتركة ، وإذ لم يكن له إطار سياسي ، وإذا كان الأساس الدين آخذا في الأنهيار ــ ففيم تتجلى وحدته إذن ؟ وهنا جاءت حركة " محبة صهيون " لتقدم الأجابة في ظاهرة الإحياء القومي وفي إيجاد حركة قومية موجهة " الوطن التاريخي ط وقد تضمن هدف الإحياء وأيضا إحياء اللغة العبرية وإحياء الثقافة العبرية .

وابتدأ من عام ١٨٨١ أخذ اليهود يتوافدون من جميع أنحاء العالم على أرض فلسطين في إطار هجرات منتظمة ، وينتشرون فيها ويقيمون المستوطنات . وكانت اللغات التي يتكلمونها في الشتات هي البيديش واللادينو والعربية والروسية والألمانية وغيرها ، كل حسب البلد الذي جاء منه . وقد حفزتهم الحياة المشتركة الجديدة في فلسطين على محاولة التخاطب معا في تعاملاتهم اليومية في شئون التعليم والدين والثقافة والحرف والوظائف والمشروعات المختلفة . بدأوا يتحدثون فيما بينهم باللغة التي تشد بعضهم إلى البعض ، لغة العقيدة اليهودية ، اللغة المقدسة المحفورة في وجدانهم ، لغة الصلاة اليومية لغة التوراة ، لغة المشنا والتلمود والتفاسير المشنة قصص الهسكالا .

على أن إحياء التخاطب بالعبرية في كل شئون الحية لم يساعد عليه فقط الحياة الجماعية لليهود النازحين من بلاد الشتات المختلفة ، المتحدثين بلغات مختلفة ، وانما ساعد عليه أيضا دعوة الزعماء الصهاينة والكتاب وعلماء اللغة والمفكرين في بلاد الشتات وفي قلب الاستيطان في فلسطين . هذه الدعوة هيأت النفوس لتأسيس جمعيات ومؤسسات جماعية لتشجيع التخاطب

بالعبرية في البيت ، في محيط الأسرة وفي الشارع وروضة الأطفال والمدرسة ، وفي كل عمل في الورشة وفي الحقل . وأول المتحدثين فـــي شــأن إحيــاء التخاطب بالعبرية كان اليعزر بن يهودا (١٨٥٨ ــ ١٩٢٢) .

في السنة التي أتم فيها بن يهودا تعليمه (٧٧٨١) أعلنت روسيا الحرب علي الإمبراطورية العثمانية ، وهي حرب كان هدفها مساعدة البلغاريين ، واحيــاء البلغاري علي أرضه ، حماس بن يهودا ، فتابع الحرب باهتمام بــالغ . وفــي القرن التاسع عشر ناضلت شعوب في أوربا من اجل سيادتها ، وكانت ،وكانت تحصل علي هذه السيادة إذا كانت توافق التعريف الأوربـــي للقوميــة ،أي أن السكان هم شعب ، إذا كانت لهم ارض يملكونها ولغة خاصة بهم . وقد تـــأثر بن يهودا تأثرا شديدا بهذا النضال ، وتوصل إلى نتيجة مؤداها انـــه ينبغــي تحقيق فكرة القومية الأوربية لشعبه أيضا ، للشعب اليهودي .

ورأي انه يجب علي اليهود أن يهاجروا إلى فلسطين ويبدءوا التكلم بالعبرية ، مع أنها كانت لغة مكتوبة وغير متكلمة ومتشبعا بهذه الأفكار قرر بن يـــهودا الهجرة إلى فلسطين ، فترك روسيا سنة (١٨٧٨) .

وفي البداية سافر إلى باريس لدراسة الطب ، لكي يتمكن من مساعدة أبنـــاء شعبه في فلسطين . أصيب بالسل واضطر إلى التوقف عن الدراسة ، لكنه لــم يتنازل عن الهجرة إلى فلسطين التي وصل إليـــها عــام (١٨٨١) ، وفــي حقيبته مشروع لتحقيق أفكاره . وفي الفترة التي قضاها في بـــاريس انشــغل بمسالة الحياء ن ونشر سلسلة من المقالات في الصحف العبرية ، عن إحيــاء الشعب اليهودي وعن فلسطين وعن العبريـــة . امــا مقالــه الاول " مســألة محترمة " في الاصل " مسألة ملحة " الذي نشر سنة ١٨٧٩ ، فيعــد مبشــرا بحركة " محبة صهيون " في جملتها ، وذلك انه يحتوي علي جميــع الاســس التي تستند اليها وجهة النظر القومية الجديدة التي ظهرت فـــي الثمانينــات (السياسة واستيطان الارض واحياء التخاطب بالعبرية واحياء الادب العــبري .

استقر بن يهودا في القدس ، التي قطنها معظم اليهود الذين عاشوا في فلسطين آنذاك، لأنه اعتقد أنها ستكون بؤرة للإحياء ، وفيها سوف تنتشر الفكرة في فلسطين وفي بلاد الشتات .

وقد عمل بن يهود في عدة اتجاهات ، أهمها :

١. النموذج الشخصي قرر ب يهودا قبل مجيئه إلى فلسطين ن أنه هو نفسه سوف يقدم لمثل والقدوة لأفكاره ، وسوف يتكلم العبرية فقط مع كل يهودي يقابله ، وطلب ذلك من زوجته ومن أفراد أسرته . وبالرغم من الصعوبات الكثيرة وعدم السلاسة وانعدام الطبيعة في التكلم بلغة ينقصها الكثير من الكلمات والتعبيرات ن فقد أصرت أسرة بن يهودا على تحقيق فكرة الإحياء

٢. الاعتماد على الاطفال والشباب : أدرك بن يهودا أن مستقبل اللغة هو في السنة الأطفال والرضع " ، ولذلك فقد طالب بأن تكون لغة كل بيت يهودي عبرية ن مثل بيت بن يهودا ، وطالب أيضا مؤسسات التعليم اليهودية بتعليم جميع المواد التعليمية ، اليهودية والعامة ، بالعبرية ، بدء من روضة الأطفال ، وبيّن أن استخدام العبرية فقط كلغة للتعليم (وهو ما سمي بعد ذلك " العبرية بالعبرية ") ممكن بالفعل وقد أحدث نجاحه أثر كبير في عالم اليهود ، سواء في فلسطين أم في خارجها ، وبالرغم الصعوبات التي كانت تواجه التعليم بالعبرية ، مثل : عدم توفير معلمين مؤهلين ، وعدم وجود كتب تعليمية ومواد مساعدة بالعبرية ، وعدم توفر مصطلحات ، إلا أنه بمرور الوقت تم التغلب على مثل هذه الصعوبات ، فقد ترجمت كتب أجنبية إلى العبرية ، وتمت ملاءمتها مع روح البيئة الجديدة ، واخترعت المصطلحات ، وأسست شبكة تعليم عبرية .

٣. الاعتماد على الكبار : طالب بن يهودا الكبار بالمشاركة في الإحياء والتحدث بالعبرية مثله . ولكي يساعدهم في المراحل الأولى من حديثهم ن إنشاء جمعيات التخاطب بالعبرية ، وكانت هذه الجمعيات تلتقي في أوقات

معينة وتتحدث بالعبرية ، وقدمت هذه الجمعيات نموذجاً لجمعيات مشابهة أنشئت بعد ذلك أيضا في خارج فلسطين .وأسهمت في تقدم عملية الإحياء .

٤. تجديد الكلمات : اعتقد بن يهودا أنه يستطيع إحياء العبرية عن طريق حفز همم المجتمع كله بدءا من رياض الأطفال ، بتقديم النموذج لشخصي . وسرعان ما شعر بمحدودية العبرية ، وخاصة في الثروة اللفظية ، وأدرك أن هذا العيب من شأنه أن يعرض تجربة الإحياء في مراحلها الأولى للخطر . والواقع انه شعر بهذا في خارج فلسطين أيضاً ،حين حاول أن يتكلم العبرية هناك ومن ثم فقد بدأ آنذاك في البحث عن كلمات في المصادر ، وتجديد كلمات عندما تقتضي الضرورة أيضاً . فلما وصل إلى فلسطين أخذت العملية دفعة كبيرة . ولكي يعرف ماذا يوجد وماذ ينقص في العبرية ، بدأبن يهودا في إعداد قوائم بكلمات ودلالاتها وبمرور السنين أصبحت هذه القوائم أساسا لمعجمه الشهير " معجم اللغة العبرية القديمة والحديثة " الذي يتكون من ستة عشر مجلدا ، ويعد عملا فريدا من نوعه في تاريخ المعجمية العبرية .

وقد حظيت تجديدات بن يهودا بالقبول ، لأنها كانت ضرورية لإحياء العبرية في استعمالاتها

اليومية . وأهمية التجديدات لاترجع فقط إلى إضافة الكلمات ، التي جعلت تطور اللغة ممكنا ، بل الى أن بن يهودا بين لأول مرة منذ العصور الوسطى ، كيف يمكن بصورة محسوسة ومحكمة توسيع العبرية وملاءمتها مع المتطلبات الجديدة . وقد اعتمد في تجديداته على العبرية نفسها بالدرجة الأولى ، مقدرا أن فيها قوة خلاقة كامنة ، كأى لغة إنسانية فصب جذورا عبرية في أوزان وأبنية تلائم طبيعة العبرية . فإذا لم يجد بعينه في العبرية اتجه الى الآرامية ، وإذا لم يجد ما يبحث عنه في الآرامية اتجه الى العربية للأسباب التالية :

١. أن العربية هي أغنى لغة سامية في معجمها
٢. أن العربية لغة سامية لم يتوقف التكلم بها أبدا

٣. أن العربية لغة متكلمة في فلسطين
٤. أن العربية أثرت في العبرية وأثرتها وبخاصة في العصر الذهبي الأندلسي .

وضع بن يهودا الجذور السامية (من العبرية والآرامية والعربيـــة) فـــي الأوزان والأبنية الشائعة في العبرية ظن وأراد أن يمنع التأثيرات الأجنبيـــة (وبخاصة الأوروبية) على العبرية الحديثة .

وفي الواقع إن ما ساعد بن يهودا وعملية الإحياء هو أنه في العام الـــذي وصل فيه الى فلسطين (١٨٨١) بدأت الهجرة الأولى التي جاءت أساسا مـــن شرق اوروبا . وقسم لابأس به من أفراد هذه الهجرة كان من الباب مثل بـــن يهودا نفسه ، ومن ذوى الخلفية الأجتماعية والثقافية التي تشبه خلفيته ، وقد عاونوه كثيرا في تحقيق أفكاره ، لأنهم كانوا مستعدين لتقبل أفكار مثل احيـــاء اللغة العبرية ، وكانوا مستعدين للتحدث بها حسب طلبه ، وكان اخرون علـــي استعداد لتوريث اللغة للاطفال في الاسر التي كونوها في فلسطين ، والوصـــول بها الي رياض الاطفال والمدارس التي اسسوها في الاماكن التي اقاموا فيه ، وبخاصة في يافا وتل ابيب من ناحية وفي المستوطنات والقري التعاونية مـــن ناحية أخري .

وعشية عام ١٨٨٩ تم في القدس تأسيس جمعية " لغة واضحة " التي كـــان هدفها الأساسي إحياء التخاطب بالعبرية في الحيـــاة اليوميـــة ، فـــي البيـــت والشارع والمدرسة ، وفي كل عمل ؛ وأعلنـــت عـــن معارضتـــها للـــهجتين الأشكنازية والسفاردية " (أي البيديش واللادينو) وقد اعتبر عام ١٨٨٩عـــام تأسيس لجنة اللغة ن إذ سرعان ما تحولت جمعية لغة واضحة " إلـــى لجنـــة اللغة العبرية " في إشارة إلى استمرار إحياء التخاطب بالعبرية . وما حدث في القدس كان له صدى في بلاد الشتات ، فقد أنشئت هناك بين اليهود جمعيـــات

طالبت بنشر التخاطب بالعبرية ، ومن بينها " لغة واضحة " "ولغتنا معنا " " ومحبوا اللغة العبرية " وغيرها .

ومنذ تأسيس لجنة اللغة عام ١٨٨٩ حتى عام ١٩١٩، إبان الحكم التركي ، وكذلك خلال فترة الانتداب البريطاني من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٤٨ ن وإلى أن تحولت هذه اللجنة بقرار من الكنيست عام ١٩٥٣ في عصر الدولة ـ خلال هذه الفترة التي تبلغ حوالي أربعة وستين عاماً، لم يضع الأتراك أو البريطانيون أي صعوبات تقريبا أمام تطور اللغة العبرية والتعليم العبري والأدب العبري والصحافة العبرية .

وظلت أهداف لجنة اللغة كما هي في أساسها ، حسب صياغتها المعادة عام ١٩١٢ في محاضرة لجنة اللغة ، الكتيب الأول :

أ. تهيئة اللغة العبرية للاستخدام ، باعتبارها لغة التخاطب في جميع شئون الحياة ، في البيت والمدرسة وفي الحياة العامة والتجارة والملكية والصناعة والفن والمعارف والعلوم .

ب. المحافظة على الطابع الشرقي للغة وصورتها الخاصة الأساسية في نطق الحروف وبناء الكلمات والأسلوب ، لتزويدها بالمرونة الضرورية لكي تستطيع التعبير عن الفكر الإنساني المعاصر بأكمله .

وقد أجريت مناقشات موسعة ومتعمقة ، وفي كثير من الأحيان ، بإشراك معلمين وزعماء في الاستيطان وفي الحركة الصهيونية في مسائل المصطلحات والكلمات المجددة ، والخط العبري والمقترحات لسد النقص فيه ، ، ولغة كتاب العهد القديم ولغة المسنا ، والنطق العبري ، والكلمات الأجنبية ، ومصادر توسيع العبرية وما شابه ذلك .

ومنذ أن تحولت لجنة اللغة العبرية إلى مجمع اللغة العبرية أوكلت إليه تشريعا مسئولية الحفاظ على اللغة العبرية وتطويرها، وصياغة مصطلحاتها الجديدة المواكبة للتطور العلمي والتقني ، وضم عند تأسيسه أعضاء أساسيين

وأعضاء مراسلين ، مختارين من الجامعات والمعاهد مـــن المتضلعيـن فـــي العبرية وتراثها ، ومن الكتاب والشعراء والعلماء . وأسس المجمع " اللجنـــة المركزية للمصطلحات التقنية " التابعة لمعهد العلوم التكنولوجية (التخنيـون) وهدف هذه اللجنة هو إشراف على المصطلحات الجديدة تحويلها إلى المجمع لاعتمادها ، وتتكون من أعضاء يمثلون سائر القطاعات التقنية ،

وتتبع هذه اللجنة الأم لجان فرعية في سائر القطاعات ، مثل : البناء والـــري وعلوم الأرض وغيرها . وتتألف كل لجنة فرعية من متخصصين في القطـــاع بالإضافة إلى عضـــو أو اثنيـــن مـــن المجمـــع ولغـــوي. ويتعـــون العلمـــاء والمهندسون تطوعاً ودون مقابل مع اللجنة الفرعية ، ويقدمون الكثـــير مـــن الوقت والجهد لخدمة العبرية .

أما الخطوات التي يمر بها المصطلح المستحدث أو الكلمـــة المســـتحدثة ، فهي كالآتي : يقوم خبير بإعداد قائمة المصطلحات المقترحة ، التـــي تضـــم المصطلح بالعبرية وما يقابلها بالإنجليزية ، وفي حالات نادرة بالفرنســـية أو الألمانية ، ثم توزع هذه القائمة على خبراء القطاع المعني الذيـــن هـــم فـــي الوقت نفسه أعضاء بالمجمع اللغوي ، وكل من يطلع عليها يرفقها بملاحظاتـه ثم ترسل القائمة مع الملاحظات إلى المجمع ليناقشها في جلسة خاصة ، ويقـــو القائمة النهائية التي تنشر في مجلة المجمع ، فتصبح منـــذ تـــاريخ نشـــرها صالحة للاستعمال في الحياة اليومية ، أو في المصنع أو في مراكـــز البحـــث العلمي .

ويجمع الإسرائيليون على ضرورة العبرنة الشـــاملة ، رافضيـــن العبرنـــة الجزئية ، على اعتبار أن أساس الأيدلوجية الصهيونية هـــو إحيـــاء العبريـــة وتراثها وتطوره ، وأن أي توطين للتكنولوجيا المعـــاصرة لا يمكـــن تحقيقـــه بدون العبرنه الشاملة ، فأساس هذا التوطين أن تدرس سائر المواد العلميـــة

والتكنولوجية في سائر الجامعات والمعاهد باللغة العربية ، وأن تستعمل العربية في مراكز البحث العلمي أيضاً.

اتهام العربية بعدم القدرة عن استيعاب علوم العصر

منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ومع هبوب رياح القومية الأوروبية ، تطلع العرب الى وحدة كيانهم المترامي الأطراف ، الذي يضم بلاد عديدة وشعوبا مختلفة اصطبغت بالصبغة العربية دينا ولغة وثقافة وحضارة ، وانصهرت كلها في البوتقة العربية ، وتألف منها في نهاية الأمر شعب عربي واحد ، ومصطنع لغة واحدة . أراد الغرب أن يتغلبوا على العزلة بين أجزاء هذا الكيان ويلموا شمله ، فوجدوا أن أقوى رباط يوثق بينهم ويجمع فرقتهم هو اللغة أو الوحدة اللغوية . ومن هنا كانت العناية باللغة العربية ، وكأنهم أرادوا بذلك أن يستعيدوا مجدهم السياسي الذي اضمحل ، في صورة مجد لغوي يجمع أمجادهم التليدة ويحفظ عليهم شخصيتهم .

وفي بداية ثمانينيات القرن الماضي ،ومع اتجاه مؤشر الصهيونية ناحية فلسطين للاستيلاء عليها من أصحابها ، من أجل توفير إقليم خاص ولغة مشتركة لليهود المنتشرين في أنحاء العالم ولا يكونون وحدة عرقية متجانسة ، بل ينحدرون من أجناس متباينة ، ولا يتكلمون لغة مشتركة بل يتكلمون لغات البلدان التي يقيمون فيها ، وذلك بهدف إقامة كيان سياسي .

ــ هنا أصبحت اللغة جزاء لا يتجزأ من معركة المصير ، فالثابت أن اللغات السامية انقرضت ولم يبقى فيها وجه لوجه إلا العرب بلغتهم واليهود بلغتهم وان هذه الأخيرة كانت قد ماتت موتا نهائيا ولقرون طويلة ، بحيث أصبحت العربية هي الوريث الوحيد لكل الأمم السامية ، وهي التي استوعبت هذه الأمم وهضمتها وأدمجتها في الأمة العربية . واليهود من جانبهم أحسوا بهذا فبذلوا جهود مضنية .

وكانت الرأسمالية الغربية قد بلغت في القرن الماضي مستوى من التقدم والتطور جعلها تبحث في العالم عن موارد الثروة من المواد الخام ، لتشغيل معاملها وإيجاد أسواق لتصريف منتجاتها الصناعية وزيادة أرباحها . ولكن هذا لن يتم إلا بمساعدة أيدلوجية ترمي إلى تبرير حركة* الاستعمار أمام الشعوب المستعمرة ، ومن هنا كانت رسالة الرجل الأبيض في تطوير هذه الشعوب المغلوبة على أمرها ، إذ لا سبيل أمامها للنهضة والوصول الى ما وصل إليه هذا البيض إلا بأن تأخذ عنه كل شئ : أساليب حياته وطرق تفكيره وأنماط سلوكه وسلم قيمه وكذلك لغته .. وهكذا تبدأ في التنازل عن ذاتها شيئا فشيئا .

ولا يخفي أثر اللغة الواحدة في تقوية الإحساس بالهوية القومية والولاء ، وأن هؤلاء الذين يتكلمون لغة معينة يحسون انهم مختلفون عن الجماعات الأخرى. ولقد أدرك الاستعمار ما للغة من أهمية ودور في وحدة الوجود القومي لأي شعب من الشعوب ، فكانت اللغات القومية هدفا للدول الاستعمارية تعمل على قتلها لنشر لغتها وبث ثقافتها لما في ذلك من تاثير كبير وأد الروح الوطنية أو خلق شعور بالرضى عن أفاعيل الدول الاستعمارية على اساس أن الشعب الذي يفقد لغته الأصلية ليكتسب لغة الغير إنما يكتسب في الوقت نفسه ثقافة أو أسلوب حياة المستعمر الناطق بتلك اللغة ، إذ ينحصر اهتمامه في ارتشاف المعرفة من المنشورات والكتب والصحف التي يصدرها المستعمر ، وأخيرا يجد الشعب نفسه أسير حضارة جديدة مفروضة عليه يتفاعل معها ويتعاطف مع المستعمر في قضاياه ومشكلاته ، ولن يتخلص من قضية التبعية إلا في حالة التحرر الوطني وبناء دولة قومية خاصة به .

وينظر الاستعمار فيجد العرب أمة وأحده، تضمهم أوطان متجاورة تمتد شرقا إلى الخليج العربي وغربا إلى المحيط الأطلسي ، وتلعب اللغة العربية الدور الأكبر في التغريب بينهم وائتلافهم وترابطهم ، بما هي أداة تفاهمهم وسجل معارفهم وعواطفهم ؛ فيطمع في اتخاذ موارد رزقهم مادة لحياته ومن أوطانهم مناطق

مناطق لنفوذه وأسواقا لتجارته ، ولكي يفرق وحدتهم ويشتت شملهم ويسهل عليه التهام بلادهم وصبغها بصبغته ، يحاول التشكيك في خصائص قوميتهم ودعائم كيانهم ، وعلى راسها اللغة العربية .

ومنذ بداية الثمانينيات القرن الماضي واجهت اللغة العربية حملة شرسة تروج إلى أنهايجب أن توضع في المتاحف بين اللغات القديمة ، وتدرس كما تدرس اللغة اللاتينية أو السريانية ، لأنها قد استنفذت أغراضها يوم أن خرجت من الصحراء ، ويوم تطور المجتمع العربي وارتقى عن بداوته . وادعى قادتت هذه الحملة أن اللغة العربية هي العقبة الكبرى تقف في وجه العرب وتمنعهم من أن يتقدموا ويسيروا في موكب الحضارة الحديثة والاختراعات العلمية . وزعموا أنها لغة دين ولكنها ليست لغة حياة ، وأنها لم تتطور منذ نزل بها القرآن الكريم ، وأخذوا يشككون في قدرتها على مجاراة العصر والاتساع للتعبير عن مستحثات الحضارة .

هذه لحملة قادها نفر من المستشرقين ، مثل ولهلم سبيت وكارل فولز والكونت كرلودي واللورد دوفرين ووليم ولكوكس وسلوف ولمور وم.كولان وأنطوان مطر وغيرهم .

وتابع هؤلاء المستشرقين ورددوا آراءهم وروج لها نفر من الكتاب والمفكرين العرب مثل سلامة موسى وعبد العزيز فهمي وأنيس فريحة وسعيد عقل ومارون غصن وغيرهم .

وقد ارتكزت جهود هؤلاء وهؤلاء في اتجاهين :

الأول : ويتمثل في الدعوة إلى شيوع اللهجات المحلية لتحل في نهاية الأمر محل اللغة العربية المشتركة . فتكون للمصري لغة مصرية وللعراقي لغة عراقية وللسوري لغة سورية وللجزائري لغة جزائرية . وهكذا وبذلك يتكون عدد من اللغات المختلفة ، فينعكس ذلك على الوجود القومي العربي فلا نستطيع التحدث عن شعب عربي واحد ، بل عن شعوب عربية ، كما لا نستطيع أن نتحدث عن

أمة عربية واحدة ، إذ كيف يكون لأمة واحدة مجموعة من اللغات بعد أن كانت لغة واحدة ؟!

الثاني : ويتمثل في الدعوة إلى إبدال الحرف العربي وأسالوب الكتابة العربية بالحرف اللاتيني أو العبري المتقطع وذلك على أساس أنه أكثر سهولة لتعلم الإنسان وأفضل من الحرف العربي المترابط في الكلمة . وإبدال الرقم المشرقي التراثي بالرقم المغربي الذي أصبح جزء لايتجزاء من التراث الأوروبي ، على أساس أنه أكثر عروبية كما يدعون وأسهل من عملية التعريب ، فالافضل الإبقاء على المعادلة بأرقامها والجدل بأرقامه ، والخرائط والرسوم وغير ذلك من المسائل التي تحتاج إلى الأرقام .

فهل هذا صحيح أن العربية تعجز عن استيعاب مفاهيم الفكر الحديث ، بما يموج به من تيارات فلسفية واجتماعية وسياسية وأدبية وغيرها ، ولا تصلح للتعبير عن مفاهيم العلوم التجريبية وتسجيلها بحروفها ؟! وما الخطورة في شيوع اللهجات المحلية وإحلالها محل العربية الفصحى المشتركة ، وإبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني أو العبري ؟

اللغة لا تعجز عن أداء الفكرة

من العبث أن نبحث عن المثل الأعلى للكمال اللغوي في نوع من اللغات دون سواه ، فما قصرت لغة عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها " فلا ننصت إذن إلى أولئك المؤلفين العاجزين الذين يحملون لغاتهم مسئولية النقص الذي في مؤلفاتهم ، لأنهم هم المسئولون على وجه العموم عن هذا النقص "فليس ثمة لغات بدائية وأخرى أكثر تطورا من ناحية البناء ، إذ لكل لغة من اللغات نسقها الواضح من الأصوات الكلامية ، وهي أصوات محدودة في العدد ومتمايزة تماما فيما بينها ، وتوضع هذه الأصوات بعضها بجانب بعض لتكوين كلمات وعبارات وجمل تبعا لقواعد معينه . ومن هذه الناحية فأنه لا يوجد بين اللغات في كل الشعوب التي تملك ثقافات متفاوتة في درجة التقدم . يضاف إلى

ذلك أن لكل الجماعات ـ بصرف النظر عن مدى تطورها أو تخلفها الثقافي ـ مفردات لغوية تكفي لإشباع حاجتها، وإذا كان حجم هذه المفردات يتفاوت من لغة إلى أخرى فإن هذا التفاوت هو تفاوت ثقافي وليس تفاوتا لغويا ، فقد يكون للجماعة المتخلفة ثقافيا حصيلة من المفردات أقل مما نجده في الجماعات المتقدمة ، ولكن قدرة هذه اللغات على استيعاب المفردات قدرة غير محدودة ، وذلك عن طريق الأبتكار أو الاستعارة من اللغات الأخرى كلما قامت الحاجة إلى ذلك . وأخيرا فإن لكل اللغات نظاما محددا من قواعد اللغة التي هي باختصار عبارة عن ترتيب معقول للأصوات أو مركبات الأصوات لعمل كلمات وعبارات وجمل ، وهذا الترتيب يتم حسب قواعد محددة في اللغات وفي كل المجتمعات .

<u>العربية لم تعجز عن أداء رسالتها :</u>

كانت العربية لغة عرب الجاهلية بعالمهم المضطرب، بعاداتهم ومثلهم وقيمهم وفوضاهم وعصبياتهم ونظرتهم الضيقة للكون والإنسان والآلهة، بتجربتهم الإنسانية المبكرة ثم استوعبت الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية ، وكفلت لهما من الذخيرة اللغوية المتنوعة ما يفي بالحاجة من المسميات والمصطلحات في شئون التنزيل والتفسير والفقه والمعاملات .

واستطاعت العربية أن تفي بحاجة الحكم الأموي في تعريب الدواوين ونظم الإدارة للمجتمعات المختلفة والجيوش والحياة العامة ، مستفيدة في ذلك من عراقة التجربة التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية والفارسية المجاورتان للعرب ، وفضلا عن ما اقتبسته من الحضارة الهندية ، ولم تكن عاجزة أو قاصرة ، كما أنها لم تذب في مجرى لغات تلك الحضارات ، ولم تكن امتدادا عضويا لها . ولم يفكر أحد من حملتها في اتخاذ الرومية والفارسية أو الهندية لغة للعلوم التي عرفها ذلك الزمن واستطاعت العربية استيعاب معطيات الحضارة العباسية بعلومها المتشعبة المعقدة ، وبمسمياتها المستجدة الوافدة مستفيدة في ذلك أيضا من تجارب الحضارات الأخرى ، غير رافضة لعملية التأثر ، وغير قابلة أن تكون

امتداد شكليا لتلك الحضارات ولغاتها . ولقد ترجم العرب منذ أسس الخليفة المأمون " بيت الحكمة " في مطلع القرن الثالث الهجري عددا كبيرا من المؤلفات لأبقراط وجالينوس في الطب ، وترجموا من مؤلفات أفلاطون وأعمال أرسطو في المنطق ، وأبحاث أرشميدس وإقليدس الرياضة وغيرها .. ولم تكن العربية في الترجمة عاجزة أو قاصرة عن الإحاطة بأسرار هذه العلوم الدقيقة ، بل كانت صالحة لها ، قادرة على مدها بالمناسب من التسميات والمصطلحات.

خطورة إحلال العامية محل الفصحى وإبدال الحرف العربي بحرف آخر :

إن استبدال الحروف العربية بحروف أخرى سواء أكانت هذه الحروف عربية محورة أم لاتينية أم عبرية ، والعمل على إشاعة العامية بديلا عن الفصحى ، يؤدي إلى :

١. تجزئة الأمة الواحدة إلى كيانات لغوية متباينة تعمل على إعاقة الوحدة العربية وتقطع الصلات والوشائج التي تكونت عبر الزمن بفضل اللغة الواحدة ؛ وذلك أن اللهجات العامية في الأقطار العربية مختلفة إلى الحد الذي لا يستطيع إنسان المشرق العربي مثلا ، فهم لهجة الإنسان العربي الجزائري أو المغربي . أما العربية الفصحى فإنها تمثل رابطا قوميا موحدا لأبناء العربية باعتبارها اللغة المشتركة ولغة القرآن والموروث العقائدي ، ولغة الأدب الواحد ولغة المعرفة والعلم .
٢. انزواء العربية الفصحى وتحويلها إلى مجرد لغة دينية ، وقطع صلة العربي بماضيه وتراثه الضخم ، فلا يستطيع الاطلاع عليه ودراسته واتخاذه بداية لحركة بعث عربية ؛ وذلك أن انجازت الأمة العربية ، في مختلف جوانب المعرفة عبر الزمن قد دونت باللغة العربية ووصلت إلينا عبر المخطوط والآثار.

ضرورة التعريب:

التعريب المقصود هنا هو التعريب الشامل ، أي أن تحتــل العربيــة منزلتــها الطبيعية كلغة قومية تعبر عن كافة المضامين والمفاهيم المتداولة في المجتمع ، وتكون لغة البحث والتعليم بجميع مراحله وتخصصاته ، وتتخــذ ضــرورة التعريب في:

١. أن اللغة العربية هي أحد أسس القومية العربية ، وكانت وستبقى العـامل الذي يقرب شعوب الأمة العربية بعضها من بعض ويوحد مصائرهم ويسـتبدل بكيانهم المشتتة كيانا واحد .
٢. التعريب يتيح للعربية التطور والغناء مــن خــلال القيــاس والاشــتقاق والنحت وغير ذلك ، ويمكنها مواصلة دورها في الأداء العلمــي والأدبــي ، والاستمرار في التجدد والخلق اللغوي في مجال المصطح .
٣. أن استجابة المتعلمين للغة القومية لا يمكن أن تكون كاستجابتهم للغــة الأجنبية مهما أتقنوها،كما أن استجابتهم للغة أخرى غير مألوفة لديهم تظــل محدودة ، وقد تظل ظاهرتا النبوغ والإ[داع أكثر وضوحا بين أصحاب اللغــة بالمقارنة بمن يفكرون بلغات أجنبيــة ، وذك أن التعليــم باللغــات الأجنبيــة تدريسا وتأليفا يحد من القدرة المتعلمين الفكرية والإبداعية ، إذ يستنفذ قـدرا كبيرا من مجهودهم الفكري الذي يصرفونه في تعلم اللغة الأجنبية ومحاولــة التفكير بها .
٤. أ، نجاح التنمية لا يكون إلا بتوطين التكنولوجيا المستوردة ، والتوطين لا يكون إلا باللغة القومية ، فلم تنجح أمة في التنمية بغير لغتها ، أو مع إبقاء سيطرة اللغه الأجنبية على حياتها ، بل وحتى على بعض قطاعات حياتها بـل في ميدان العلوم والتقنية

حول واقعة الترجمة

ترجمة الصحافة المصرية والعربية

ودورها في التواصل الحضاري

ورقة موجزة بقلم :

حازم غراب

مدير شركة : أمة برس للإعلام والنشر

مقدمة :

نحمد الله جل في علاه ، ونصلي ونسلم علي خير خلقه ومصطفاه ..

أما بعد ..

فيقول ربنا تبارك وتعالي { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } (الحجرات ١٣)

ويقول جل شأنه : { الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون } (البقرة ٢٥٧)

وقال : { ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور } (النور ٤٠)

جاءت هذه الكوكبة من أهل العلم والفكر للاحتفاء بعالم من علماء أمتنا الطيبة هو الأستاذ / رفاعة الطهطاوي الذي نشا في كنف القرآن وتربى علي آياته وسنة نبينا صلي الله عليه وسلم التي تعلي من قدر العلم وتحث علي السعي في طلبه ولو في الصين وقد سبقني أساتذة أجلاء في الحديث عن الإسهامات الجليلة له في نهضة مصر وانفتاحها علي علوم الحضارة الغربية .

وإذا كان التأريخ للترجمة في مصر الحديثة يبدأ ويعتز بشخصية رفاعة الطهطاوي ومآثرد في هذا المجال فاسمحوا لي أن أضع بين أيديكم تجربة متواضعة في عالم الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية ، ينجزها فريق

من أحفاد رفاعة ، واضعين نصب أعينهم هدفا نبيلا ينبع من قرآن ربنا عز وجل وهو ما أشارت إليه آيات الذكر الحكيم التي بدأت بها هذه الكلمة : { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير } (الحجرات ١٣)

إن الإنسان عدو لما يجهل ، ولقد ابتغينا بعملنا هذا إزالة بعض ما قد يجهله غيرنا عنا وإزاحة ما قد يتعمد البعض إلصاقه بنا من زور أو بهتان .

اجتهدنا وما زلنا نجتهد في هذا العمل ، وندعو الله تعالي أن يجعل لنا منه نصيبا في أخرتنا ، وهو سبحانه من وراء القصد .

تحية إلى روح هذه المناسبة ، عليه رحمة الله ورضوانه ، وشكر ودعاء إلى أصحاب الدعوة علي حسن الإعداد وكرم الضيافة ..

المقصود بترجمة الصحافة في هذه الورقة ، هو النقل الأمين والمتدفق والمتنوع ، لأهم ما تنشره الصحف والمجلات المصرية والعربية إلى اللغة الأجنبية الأولى علي النطاق الدولي ، وهي الإنجليزية .

وتنطلق هذه الورقة من تجربة يناهز عمرها الآن خمسة عشر عاما ، وبرغم طابعها التجاري ، إلا أن أهم دوافعها كان ولا يزال الدافع الحضاري ، وهو الحرص علي المساهمة في تقديم الذات الحضارية المصرية والعربية والإسلامية إلى الأخر الحضاري ، بصدق وموضوعية .

ونود التنبيه بداية إلى أن الرسالة الإعلامية التي تنقلها الصحف والخدمات الإعلامية الصادرة أصلا في بلادنا باللغة الإنجليزية ، هي في معظمها ، بفضل الله ، رسالة متدفقة وعظيمة الفائدة للمتلقي الأجنبي ، سواء كان مقيما في بلادنا أو خارجها ، ولكننا نري أن ثمة حاجة أخري لترجمة أهم الرسائل الصحفية الموجهة للرأي العام المصري والعربي إلى اللغة الإنجليزية ، حيث أن ما ينشر بالعربية أكثر ثراء وتعبيرا عن ذاتنا الحضارية (في عالم السياسة والاقتصاد

والاجتماع) ، ولا شك أن النخبة الأجنبية المتلقية لترجماتنا للصحافة يوميا ، تجد فرقا ما بين ما هو موجه أصلا لهم (بالإنجليزية)،
وما هو موجه لقارئ العربية ، ويؤكد ذلك حسن الاستقبال الذى وجدناه عند شروعنا فى هذا العمل المجهد ، وقد ترجم هذا فى خطوة المسارعة بالاشتراك فى خدمات الترجمة التي نقدمها بانتظام فى شكل نشرات للمشتركين فقط .

ونظن أن ممثلي الاعلام الأجنبي والدبلوماسيين الأجانب ، قد عاونوا قبل شروعنا فى مهمتنا الثقافية تلك ، من بعض الترجمات أو الأعمال الشبيهة ، واذكر على وجه التحديد خدمه مترجمة عن العربية كان بعض اللبنانيين يصدرونها فى قبرص ويرسلونها بانتظام إلى مكاتب الإعلام الأجنبي والسفارات بالقاهرة ، ويؤكد كاتب هذه السطور أن تلك الترجمات لم تكن تتحلى بالحد الأدنى من الموضوعية فضلا عن الصدق في النقل والتحليل ، بل كنت اشعر ، بعد الاشتراك فيها لعدة اشهر ، أن القائمين عليها لهم أهداف طائفية (كان أصحاب تلك الخدمة قد هاجروا من بيروت بعد الحرب الأهلية واستقروا في قبرص) كما كانت ترجمتها وتحليلاتهم لأحداث مصر والمنطقة العربية تنضح بخصومة مع ذاتنا الحضرية العربية الإسلامية
ومن جهة أخرى فقد احتكرت الدولة ، ممثلة في وكالات الأنباء الحكومية ، حتى عهد قريب ، ترجمة بعض أخبار وافتتاحيات الصحف القومية ، وظلت الصحف المعارضة لعدة سنوات مهملة تماما في النشر التي تصدرها تلك الوكالة ، فضلا عن استبعادها للصحف والمجلات العربية التي بدأ ظهورها في لندن وباريس وغيرها من عواصم العالم نأيا عن الرقابة المباشرة في بلادها ، ومن هنا فقط تقدمت للجهات الإعلامية المختصة بمشروع الترجمة الخاص بي لملأ هذا الفراغ ،وأسجل هنا ، كما سجلت في مواقع صحفية وبحثية أخرى ،أنني ، وجدت سعة صدر وموافقة علي البدء في هذا العمل في شكل مكتب خاص صدر ترخيصه في

البداية من الهيئة العامة للاستعلامات (المركز الصحفي) ، ثم تحول المشروع إلى دار نشر تتمتع الآن بعضوية اتحاد الناشرين المصريين .

دور الترجمة الصحفية الموجهة للأجانب :

ذكرنا أن الرسالة الإعلامية المنقولة ، بالترجمة ، عن اللغة العربية تعتبر أهم واشمل واكثر تعبيرا عن التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من تلك التي يتم توجيهها أصلا للقارئ الأجنبي بالإنجليزية ، ولهذا حرصنا لأجل التوازن والشمول في نقل الواقع المصري بكافة تياراته السياسية والاقتصادية والأيديولوجية ، أن نعتمد عي الصحف والمجلات المعبرة عن كل تلك التيارات بصرف النظر عن الاتفاق أو الاختلاف الذاتي مع ما ومن تمثلهم

أننا نترجم أهم ما تنشره صحف الأحزاب ، مثل الوفد والأحرار والأهالي والعربي والشعب ومايو ، كما نترجم من الصحف والمجلات القومية كالأهرام والأخبار والجمهورية وروزاليوسف وأخر ساعة وصباح الخير وأكتوبر والمصور ، وننقل أيضا عن الصحف والمجلات العربية المحترمة التي أهمها الحياة والشرق الأوسط والاتحاد والوطن والعالم والوسط ..

ويخرج المنتج المترجم في نشرتين إحداهما تنقل التطورات السياسية المصرية والعربية بما في ذلك أهم وأدق التحليلات السياسية والاجتماعية ، والثانية تنقل الأخبار والتحقيقات اليومية فيما يتعلق بالاقتضاد المصري بكافة فروعه .

ونقدم كل عام تقريرا اقتصاديا باللغة الإنجليزية عن اقتصاد مصر يعتمد في مصادره علي ما نشرته الصحافة خلال العام . كما نقدم شخصيات مصر البارزة في مجالات السياسة والاقتصاد والإعلام والفكر والعلوم في موسوعة الشخصيات المصرية

ونتصور أن هذه الترجمات الصحفية تحقق ما يلي :

أولا : تقديم ذاتنا للأجانب بشكل متواصل ودقيق وشامل ، ونعتبر أن هذه الخدمة تسهم في إزالة حاجز اللغة بالنسبة للقارئ الأجنبي المتخصص أو الذي جاء

خصيصا لبلادنا سفيرا لبلاده بالمعني الواسع للكلمة (دبلوماسي أو إعلامي مثلا) ، كما نعتبر أن ما نحرص عليه من حسن الاختيار والشمول والتوازن بين كافة التيارات قد يسهم بشكل إيجابي في عملية صنع القرار الصحيح في الدول الأجنبية .

وبمعني اكثر وضوحا يمكننا القول إن أي عجز في فهم مجريات الأمور سواء بسبب اللغة أو تعمد النقل المتحيز لبعض جوانب الصورة دون غيرها ، يؤدي إلى نوع من التضليل ، لصانع القرار في الدول الأجنبية التي تتعامل مع بلادنا وحضارتنا .

ثانيا : دعم أواصر التعارف والتعاون بين بلادنا وبين الدول الأجنبية .

ثالثا : إزالة التشويه المتعمد الذي ينجح فيه أحيانا بعض المضللين أو الكاذبين من الأفراد أو القوي الأجنبية الحانقة علي بلادنا وقد شاهدنا وما زلنا نشهد محاولات العدو الصهيوني أو فلول المتعصبين من أبناء جلدتنا كبعض المهاجرين والهاربين هنا وهناك .

مصاعب ومشكلات

الخبرة العملية في مجال الترجمة الصحفية من العربية إلى الإنجليزية تدفعنا لطرح ما واجهناه من مصاعب ومشكلات مختلفة :

أولا : ضعف المستوي العلمي لخريجي معظم أقسام اللغة الإنجليزية في جامعات مصر ونخص بالذكر الجامعات الإقليمية وجامعة الأزهر .

ثانيا : ندرة أصحاب الكفاءات في الترجمة من العربية للإنجليزية في مجال الصحافة ، وتزداد الندرة إذا كانت الترجمة متعلقة بالإسلاميات .

ثالثا : بعد تدريب أعداد من الخريجين لعدة شهور أو سنوات قليلة تدريبا عمليا علي أيدي الكوادر الكفئة القليلة الموجودة ، تأتي إغراءات السفر خارج مصر لتسحب الكوادر الشابة بعيدا عن هذا الواجب الحضاري المهم .

رابعا : ضيق سوق بيع الترجمة الصحفية حيث أن عدد السفارات ومكاتب الإعلام الأجنبي لا يزيد بل وأحيانا يتناقص .

خامسا : ضعف المستوى التجريبي باللغة العربية فى بعض الصحف والمجــلات المصرية والعربية ، حيث يواجه المترجم أحيانا ركاكة أو غموضاً فى الصياغــة ، الأمر الذى يضعه فى حيرة من أمره عند نقل المعاني بدقة .

سادسا : الحرج والخجل الحضاري الذي يجد المترجم نفسه واقعــا فيــه بفعــل مظاهر التخلف التي تفرض نفسها عبر الصحافة ومن ذلك مثلا بعــض مقــالات الزلفي والنفاق أو أخبار تزوير الانتخابات ، أو مبالغات وتضخيم بعض صحـــف المعارضة لبعض السلبيات أو الأخطاء في إطار عملية الصراع السياسي .

رفاعة الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م).(١٣١٦ـ١٣٩٠)

اللغوي والمترجم الموسوعي والمؤلف

أ.د/محمد أبو حطب خالد

عميد كلية الألسن /جامعة المنيا

١. توطئة :

لا شك أن للغتنا العربية المعاصرة مكانها اللائق بها بين لغات العالم الحية،بعد أن كانت لمدة غير قصيرة لغة التراث الجامدة فى قوالب وأفكار بذاتها ، إنها الآن وبفضل كونها وعاء القرآن الكريم ، فوسعت محكم آياته ، وشرفها بأن حملت قيمه السامية ومعانيه الخالدة أبد الدهر ، هذا إلى فضل أدائها نتائج أفكار علمائها الأبرار، الذين بجهدهم صارت إحدى لغات العلوم الطبيعية والإنسانية الحديثة جميعاً وآن لها أن تواكب العصر وتساير عالم اليوم الذي صار يطلق عليه القرية الكونية الصغيرة بعد إذ ربطت بين أرجائه أسرع سبل الاتصال،وجمع بين بلدانه تداخل المصالح واشتباك العلائق .

لقد خلق الله الإنسان وعلمه البيان وكرمه وفضله على سائر مخلوقاته أليس هو الكائن الحي الناطق ،المتكلم،المستمع، القادر على ملاحظة الأشياء والتبصر فيها والمجتهد فى فهمها واستيعابها ؟وما كان له من وسيلة إلى بيان ذلك الفهم والاستيعاب إلا وسيلة اللغة ،إذ بدوها يصبح الإنسان حيواناً أعجمياً، وبه يدرك كنه الأشياء ، والتي من خلالها يدرك قدر أمته ومكانتها فى هذه القرية الكونية ، باذلاً أقصى الجهد لرقيها ورفعة شأنها .

ويرى كثير من العلماء والمؤرخين أن انصع مثال لذلك هو الإمام خالد الذكر : العالم الجليل رفاعة رافع الطهطاوى ، الذي يعد وبحق مدرسة موسوعية

شاملة ، جسدت فحواها فى كونه صانع فكر ، وإمـام نهضـة تنويريـة راقيـة وصافية ولم يبالغ أولئك المؤرخين حينما وصفوه بأنه "معلمـاً وكاتبـاً وشـاعراً وثائراً وصحفياً وأديبا ومؤرخاً "[حسين فوزي النجار : رفاعة الطهطاوى رائـد فكر وإمام نهضة ،القاهرة ١٩٨٧ص١ وما بعدها]

وربما نضيف إلى ذلك ،انه كان قبل كل هذا لغوياً أديباً ومترجماً صادقاً وامينا ً ، لم يكن لرفاعة من منهل ينهل منه إبداعاته اللغويـة سـوى الأزهـر الصـامد ؛ المقاوم لكل أساليب الاستبداد والعبودية التي سادت حكم هذه الفترة مـن تـاريخ مصر ، فصار من اعظم ثائرى عصره وأبرزهم تصنيفاً وترجمـة، خاصـة بعـد عودته من فرنسا وبعثة حركة الترجمة ورعايته لها حتى وفاته سنة١٨٧٣ .

لقد أتقن رواية علوم أهل النقل ودراية أهل العقل ، وان كـانت كتاباتـه المتأخرة أميل إلى العقل والموضوعية التي رأى فيهما حجة الله على خلقه مـن بنى البشر ، وسبيلهم السوى إلى صنع حياتهم بإرادتهم الحرة.

نعم كان رفاعة الطهطاوى بكل المقاييس فارساً من فرسان العقل الذيـن احسنوا استيعاب علوم الدين والدنيا، فقد جاهد واجتهد ،وكان من أهل العزم ،ولم يكن متبعاً لكل ما يرى، فقد كتب وترجم وفكر وأبدع بإرادة نافذة، مغيراً ومجـدداً، دارساً وباحثاً وكان هدفه من كل ذلك إعلاء شأن العقل ،محتفياً بالجذور العربيـة والإسلامية،التي انفتحت على يديه على كل جديد عايشه فى فرنسـا . وبـالقدر الذي تضيف اليه ، تؤكد ذلك المعنى الإنساني الذي يفتح الأفاق على فنون وعلوم الغرب الناهض وفنون المعمورة البشرية بأسرها دون ما تحيز أو تعصب.

كان كل هدفه طلب الحكمة أينما وجدت ،مبتغياً بذلك نفع أمته وبنى وطنـه ،لقد كتب وصنف وترجم لمن انفتح قلبه لهم من علماء الغرب ومـن مؤلفاتـهم المتنوعة والتي أصبحت ميسورة له بعد استيعابه للغتهم ، التي صـارت طـوع بنانه ، ليصيغها فى عربية قشيبة بعيدة عن الضعف والهزال الذي أصابها ممـن

سبقوه من أهلها ــ وهذا ما اكسبه صفة الموسوعية فيما كتب وفيما ترجم، لقد كان رفاعة الطهطاوى حريصاً كل الحرص على أن يستحضر فيما كتب وفيما ترجم كل ما من شأنه يثرى حياته وحياة أقرانه وتلاميذه ومن يأتي بعده ،من اجل أن يقضى على الهوة التي فصلت بين تقدم أهل الغرب . وتخلف أهل الشرق وتأخرهم . داعياً للحرية والديمقراطية والتسلح بالتعليم والعلم لقد دفعته روح العصر إلى الكتابة والترجمة فى عديد من المجالات حتى اصبح إنجازه المتنوع هذا مرآة صادقة للتعدد والتنوع اللانهائي فى حضور الإنسان ، الذي كرمه الله فى هذا الكون . لقد كتب عن كل ما حوله فى شئون الدين والدنيا وعن سير الأنبياء والمرسلين وعن قيم العدل والإنصاف من أولى الأمر ومن مكائد الحكم السياسية ، كما كتب عن القرآن وعن الصناعة والزراعة والمعادن والحرف وأصول التربية والتعليم وعن علوم الأجناس والشعوب والأساطير والعادات والأخلاق والتقاليد والعقائد والقومية والوطنية من منطلق قوله "أن الحق أحق أن يتبع" دون شعور بالنقص واعتزازاً منه بأن وطنه مصر "من أعظم البلاد وأعمرها " [حسين فوزي النجار رفاعة الطهطاوى ص ٤٨...وما بعدها]

٢. ثقافة رفاعة وتكوينه اللغوي بالأزهر وباريس:

إن اللغة المكون الرئيسي لأية مؤسسة ناجحة فى المجتمع، ولا يمكن إغفال دورها المتعاظم سواء كان هذا الدور مباشر أو غير مباشر ولا يعقل أنه يوجد إنتاج بشرى ليست اللغة ضمن مراحل إبداعه ونشره .

يصدق هذا القول على رفاعة منذ ميلاده ١٨٠١ م (١٢١٦هـ) بطهطا فى صعيد مصر حيث حفظ القرآن فى سني طفولته واثناء مجاورته بالأزهر وتتلمذه على العلماء المستنيرين الموسوعيين من أمثال الشيخ حسن العطار والشيخ حسن القويسنى والشيخ الفضالى والشيخ محمد العروس

وحيث حفظ المتون المتداولة بالأزهر آنذاك في المنقول والمعقول ، حتى انـــه اشتهر بين أقرنه: "بدقة وحسن أسلوبه وسهولة تعبيره " [

صالح مجدي : حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ــ سيرة رفاعة الطـــهطاوى ــ نشر وتحقيق د/ جمال الدين الشيال ، القاهرة ص٦٧ وما بعدها ١٩٥٨ ؛ قـــارن أيضا : هالة إسماعيل عبد المجيد،ندوة /كلية الألسن / جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٦ ــ الجزء الأجنبي ص ١٠٢"

Hala Ismail Abdel Meguid Seminar On: Sheikh Refa' Rafie EL—Tahtawi, Cairo 1976,p.102 ff.

وشهد له حاله الشيخ فراج الأنصاري بقوله: "لله درك يا أبن الأخت ،لقد بلغت فى العلم درجة الإعلام، ونلت بمساعدة اللغة مرتبة تقف دون وضعها الأقـــلام "[صالح مجدي حلية الزمن ... ص ٦٧]

لقد تجلت نجابة الطالب الأزهري وعلت درجته بين أقرانه ونما حماسه وذكـــاؤه بعد ثماني سنوات قضاها بحلقات الدرس بالأزهر مما مكنه أن يجلـــس مجلـــس الأساتذة يلتف حول حلقة درسه الطلبة "بحيث يفهم درسه الصغير والكبـــير بـــلا مشقة ولا تعب ولا كد ولا نصب" [صالح مجدى : حلية الزمن ... ص ٢٢]

ورغم انتماء رفاعة الطهطاوى إلى حسب عريق كريم ، إلا أنه سعى وجـــاهد فى تحصيل المعاش ويعبر عن ذلك بقوله:كنت من معشر جارت عليهم الأيام بعـــد أن أجرت غيثها فى:

ديارهم ، فأشارت إلى نصبهم الأعوام بعد أن نصبت أعلام راحتها فى مزارهـم "[رفاعة رافع الطهطاوى : مناهج الألبـــاب المصريـــة فـــى مبـــاهج الآداب العصرية : تحقيق محمد عمارة الأعمال الكاملة /بيروت ،ج ١/ ٥٣٦]

- تبدأ المرحلة الثانية من تكوين رفاعة اللغوي بعد تعيينه مباشـــرة بـــأمر محمد على إمام للإرسالية التي أوفدها إلى باريس ، وهـــى المرحلـــة التـــى برزت فيها جلائل أعمال الطهطاوى وفيها تجمعت خلاصات مقوماته ومواهبه

اللغوية والتي بفضلها قاد حركة بعث النهضة العربية ، مكونا أجيالا من بعده حملوا ثقافة التراث العربي والإسلامي ووصلوه بثقافات شعوب العالم .

كان بداية انفتاحه على اللغة الأجنبية فور استقراره على ظهر السفينة الحربية الفرنسية التى أقلته مع أفراد البعثة وهى فى طريقها إلى فرنسا ، حيث تعلم الأبجدية الفرنسية وتقطيع وتهجى الحروف [عبد السميع محمد أحمد : رفاعة والألسن : ندوة للشيخ رفاعة رافع الهطاوى ــ كلية الألسن جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٦ ص٥٢]

والتي مكنته فى خلال أسابيع قليلة من قراءة كتاب "تومند" فى نحو الفرنسية ثم تلقى بعدها دراسات متقدمة فى أصول نحو اللغة على يد معلميه " كوسان دى برسيفال Coussin de Perceval " شواليه" "ولونرى" ، وأجاد اللغة من حلال إجادة قواعد النحو وقواعد النطق والإملاء والإنشاء والقراءة بالفرنسية ،فى كتب التاريخ والفلسفة وسير الشعوب والتراجم والأساطير والجغرافيا والحساب والهندسة والطب والفلك والمنطق والأدب وغيرها الكثير ، والتي عكف على ترجمة العديد منها إلى العربية أثناء إقامته فى باريس وبعد عودته إلى مصر [رفاعة الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريس ، الأعمال الكاملة ، تحقيق محمد عمارة ، بيروت/ ١٩٧٣ج٢/١٨٩]، والى هذا التكوين اللغوي الذي بناه الطهطاوى لشخصه الفضل فى ارتفاع ثقافته واتساعها وشمولها كثيراً من الفنون ، فتجلت موسوعيته فى التأليف والترجمة التي بها تكاملت شخصيته وخلقت منه رفاعة الطهطاوى المجدد ، والمصلح والمضيف إلى فكر الشرق حضارة الغرب وتقدمه ، وذلك فى صياغة صائبة ورؤية رشيدة .

- كان رفاعة فى هذه الفترة مكبا على العلم والتحصيل والتفرغ له والتزود به ، مطيعا لكافة توجيهات مشرف البعثة السيد / فَرانسواَ جو

مار Edme - Francois Jomard ، أحد علماء الحملـــة الفرنســية على مصر ، والذي ربطته به علاقة المرشد بالمريد ، وكان يلقبه بالشيخ رفاعة " المحب العزيز" ويقدر فيه جده وانكبابه على التحصيل ، ويكتــب إليه فى أحد رسائله:

" إلي محبنا العزيز الشيح رفاعة !

لا يخفى عليكم الأمر الوارد من ولى النعم (يعنى محمد على / المؤلــف) المتعلق بالأوراق الشهرية المشتملة على الدروس التي قرأتموهــا ، فــدم على ما أنت عليه المواظبة فلا يخفى عليّ ولا اجهل قدر ثمــرة تحصيلــك "[رفاعة انطهطاوى:تخليص الإبريز فى تلخيص باريس ، الأعمال الكاملة ، تحقيق محمد عمارة ، بيروت/ ١٩٧٣ج٢/ ١٨٩قارن:]

Chomoul Mourice: Rifa'a Bey " in: encyclopedie de l'Islam l 'ere edition, tome lll pp 1235-1236

وفى رسالة أخرى عقب نجاحه فى أول امتحان عام عقد له ، أهــداه المسيو / جومار كتاب : رحلة أنخرسيس فى بلاد اليونان

" La voyage g du jeune Anacharsis en Grece"

فى سبع مجلدات ،مموهة بالذهب مقرظاً رفاعة فيقول :"قــد اســتحققت هدية اللغة الفرنساوية بالتقدم الذي حصلته فيها وبالثمرة التى نلتها فـــى الامتحان ... ولقد حق لي أن اهنىء نفسي بإرسالي لك هذه الهديـــة ... دليلا على التفاتك فى التعليم ... [رفاعة الطهطاوى : تخليص الإبريز فـــى تلخيص باريس ، الأعمال الكاملــة ، تحقيــق محمــد عمــارة ، بــيروت /١٩٧٣ج٢/ ١٨٩]

كان المستشرق الفرنسي الكبير " سيلفستر دى ساســى Sylvestre de sacy" من الذين ربطتهم برفاعة صلة العلم الذي هو رحم بين أهلــه

فيقول عنه واصفاً إياه مادحاً له بأنه : " ليتسنى أهل مصر إلى الاطـــلاع على أهم تصانيف الفنون والعلوم والصناعـــات الفرنســـية ... وينصحـــه محبباً ومشجعاً كما لو كان يقرأ الغيب ويقول : " فإنه يعود لك فى بـــلادك اعظم الفخر ويجعلك عند القرون الآتية دائم الذكر " [حسين فوزي النجـــار . رفاعة الطهطاوى ، رائد فكر ... [ص٨١] قارن ايضا : آميـــن ســـامي واصف، ندوة كلية الألسن / جامعة عين شمس القـــاهرة ١٩٧٦ ، ص١ ، وحتى ص٣٠ بالجزء الأجنبي ،

Amin sami Wassef . Rifa a et la france

حيث يورد ما نصه:

" Rifa'a bien employe son temps... Il a acquis une vaste culture moderne pour " la mettre au service de son pays,

لقد اعتمد رفاعة فى دعم بنانه اللغوي على المقولة التى تقوم علـــى استيعاب العلم والأدب والقانون والدين والفن ، وهى أمور تتمحور حول ما يسمى بحركة التفاعل الثقافي ، التى تبدأ بالترجمة وتنتقل إلى ملكة التأليف والابتكـــار . من هذا المنطلق كان على رفاعة أن يتعلم الفرنسية وهـــو فـــى ســـن الخامســـة والعشرين وفور وصوله إلى باريس وفى حلال ثلاث سنوات درس خمســـة كتـــب فى النحو الفرنسي ، استطاع بعدها أن يرجم ل"دبنج" : لمحة تاريخية فى أخـــلاق الأمم وعاداتها .

] [depping, GEORGES –BERNHARD:Apercusur les moeurs et coutumes des nations,paris 1826

أعطاه عنوانا معربا :" قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائـــل والأواخـــر ". إن استيعاب رفاعة للفرنسية ليمثل ظاهرة معجزة لا تؤتى إلا لمن وهبه الله مقـــدرة لغوية خاصة لقد استوعب رفاعة دون أدنى شك كافة مصطلحاتها وبنية نحوهـــا

وصرفها ، عروضها وقوافيها خطها وإنشائها ومعانيها ، وذلك بعد أن تدرب على مهاراتها من استماع وحديث وقراءة وكتابة .

- **كانت قوة رفاعة اللغوية بعد إتمام دراسته فى فرنسا تجعله جديرا بكل منصب رفيع تولاه سواء فى ريادة الأندلس أو الاشتراك فى التدريس أو الإشراف على علم الترجمة أو فى رئاسة تحرير " الوقائع المصرية " و"روضة المدارس" وفى كل ما كتب وترجم وألف أو فى كل ما جادت به قريحته الشعرية ، ولقد وضع اللغة العربية فى مكان الصدارة بعد إن كانت تحتله التركية ، لغة الحكام واولى الأمر وبذلك قد أعطي لغة البلاد والديار المصرية حقها وذلك من منطلق قوله المشهور :"حب الوطن من الإيمان " وكان يعنى بذلك الوطن الصغير ، حيث ولد وشب الوطن الكبير الأم حيث تحمل المسئولية فى نهضته ورفعة شأنه فى الداخل والخارج ، ولعل المرء يدرك ذلك فى وضوح حيث يتمثل رفاعة بقول الشاعر الجاحظ كمال الدين الأدفوى معددا نعم وآلاء مدينة طهطا التي احبها وخلدها على مدى القرون حيث معشره ومهاده :**

أحن إلى ارض الصعيد وأهله ويزداد وجدى حين تبدو قبابها
وتذكرها فى مهجة الليل مهجتي فتجرى دموعي إذ يزيد التهابها
وما صعبت يوماً على ملمة وشاهدتها إلا وهانت صعابها
بلاد بها كان الشباب مساعدي على نيل آمال عزيز طلابها

مواطن أهلي ثم صحبي وجـــيرتي   وأول أرض مـــس

جلدي ترابها

[قارن :فتحي رفاعة الطهطاوى، لمحة تاريخية عن حياة ومؤلفات الشيخ رفاعـة بدوي رافع الطهطاوى ، القاهرة ١٩٥٨ص٩ وما بعدها .

Fathy Rifa'a El – tahtawi, Petit apercu his torique de la vie ET de l oeuvrede de Rifa'a badawi Rafeh El - tahtawi, le caire, november 1958.p.9

تتجلى براعة رفاعة فى التعبير عن حبه للوطن الكبير مصر والمشاركة فى خلـق كيان متميز له ، عن بقية ولايات وأمصار الدولة العثمانية فيقول :" لا يشك أحـد أن مصر وطن شريف ، إن لم نقل أنها أشرف الأمكنـــة ، فــهي أرض الشــرف والمجد ... وكم ورد فى فضلها من آيات بينات وآثار وحديث ... واسعة الرقعـة طيبة البقعة ، كأن محاسن الدنيا عليها مفروشة وصورة الجنة فيها منقوشــة .ز واسطة البلاد ودرتها موصوفة عند الجميــع بالشـجاعة والحماســة والكياسـة والرئاسة ، فضلاً عن الذكاء والفطنة ولكافة العوائد والأخلاق ممـــا ســـارت بــه الركبان بسيرتهم الحميدة فى سائر الآفاق ، فلها الحق فى أن يحترمــــها جميـع الأمم ،والملل ، وملوك الدنيا والدول ، فكم اكتسبوا منها فى الأزمــــان الخاليــة أنوار العلوم والمعارف ، التى طوقت أجياد الدنيا وسارت بها فى الدرجة العالية [يونان لبيب رزق :رفاعة الطهطاوى وقضايا عصره ، ندوة كلية الألسن جامعــة عين شمس ... ص١٠٠] وقارن أيضـــا:Mattockنفـس المصـدر ص١١٩/ ١٢٤ ندوة كلية الألسن الجزء الأجنبي وتحت عنوان :

Rifa'a Rafi Tahtawi, Traditional Modernist

يبدلى ج . ماتوك بدلوه على صفحة ١٢٢ من بحثه المشار إليه من نصه:

AL-tahtawi's most significant achievement was probably helping to establish Egypt's national identity... "AL-

Tahtawi, however gave expression to his consciousness for the first time.

His desire to inculcate patriotism (hubb al- watan) in the young His recognition of the need to make his inculcate part of every child's education , referred to Egyptian patriotism...

He recognized Egypt's part in the Arab World, but in avague and historical way; the future that he envisaged held on pan – Arab movement.

The Muslim's loyalty to Islam was not in question, but it was on different level from his loyalty to Egypt. Egypt was "al-watan" it was " hubb al- watan" that should find Egyptian together, EGYPT WAS TO BE THE FOCUS OF EGYPTION Loyalty."

وليس بمستغرب أن يضيف موريس شيمول Maurice Chemoul في دائرة المعارف الإسلامية إلى ذلك فيقول " كان رفاعة أحد كبار كتاب اللغة العربية في القرن التاسع عشر ، وقد ارتبط اسمه بالنهضة القيمة في الحركة الأدبية والعلمية ويأتي هذا التدعيم للغة العربية من حرصه كشيخ أزهري ، مهد له تعليمه الأزهري الاعتراف من ثقافة الغرب ، مدركاً أهمية تعليم اللغات الأجنبية ، وحتى يتمكن أن يكتب لقومه وبلغتهم ، مطوعاً اللغة الأم في وضوح وسلاسة للأفكار والتصورات الحديثة يفهمها العامة ويتذوقها الخاصة ، مما أدى بتلميذه صالح مجدي في" حلية الزمن في مناقب خادم الوطن ص٢٨" أن يرى في رفاعة " أول من جمع بين نسبة الأزهر الحقيقية واكتساب العلوم الأجنبية اللتين بانضمامهما إلى بعضهما صار هذا الشريف الجليل نافعاً لأوطانه رافعاً ألوية العلم في زمانه ،، [رفاعة رافع الطهطاوى:

محمد صلى الله عليه وسلم الجزء الأول نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز " دراسة وتحقيق د. فاروق أبو زيد ، القاهرة ١٩٧٧ ص٩ وما بعدها]

لقد كان هذا الكتاب أخر ما كتبه الطهطاوى وهو يصور فى نفس الوقت أخر تطور أسلوبه فى فن الكتابة وعظمته فى تكوينه اللغوي ،إذ ما قارنا بينه وبين أسلوبه وفن كتابته فى كتاب " تخليص الإبريز فى تلخيص باريس " حيث كان يغلب عليه ظواهر السجع والتشبيه والاستعارة والمحسنات البديعية والتقليد اللفظي لمن سبقوه من كتاب وعلماء .

لقد وضع الطهطاوى بذلك الأساس الأول للأسلوب الحديث القائم على توخى البساطة والسلاسة والابتعاد عن السقم والسخف وعن التعقيد والتقعر منتهجاً بذلك التحرر الكامل من قواعد الزينة اللفظية ونسيجها الفنى الرديء.

٣. رفاعة المترجم الموسوعي والمؤلف :

٣. ١ ـ رفاعة المترجم الموسوعي:

كانت مشاركة رفاعة فى العمل العلمي والبحث والتقصى أثناء البعثة فى فرنسا مما ساعد فى استكمال بنائه اللغوي وكان يسعى وراء تحصيل المعارف حتى لو تطلب الأمر اقتطاع جزء من راتبه الشهري المخصص لمعاشه .

وهذا ما مكنه فيما بعد أن يترجم من الفرنسية فى مجالات مختلفة من العلوم ، ولم تكن تراجمه الموسوعية التى اضطلع بها بقصد إظهار البراعة والخيلاء العلمي الأجوف وإنما كانت تعكس نظرة حضارية ، تقارن بين ما فى المجتمع المسلم من ثغرات ثقافية وفكرية تحتاج إلى رتق بين مجتمع أوروبي تتكدس فيه هذه المادة التى يمكن أن، يفيد منها فى سد ورتق هذه الثغرات فى مجتمعه الإسلامي .

ومن هنا توجه بحثه الفكري وجماع كيانه إلى انتقاء ما يناسب ذلك من هذا وينقله إلى العربية ويمكن أن نوجز القول فيما قام به رفاعة من ترجمات تحمل سمة الموسوعية تمت على مرحلتين :

الترجمات التي اضطلع بها وهو طالب أثناء البعثة فى باريس ، ثم الترجمات التى ترجمها وأشرف على ترجمها بعد عودته إلى مصر وحتى وفاته ١٨٧٣. لقد توجه رفاعة بثقافته الأزهرية إلى باريس ، وهى ثقافة اعتمدت بالدرجة الأولى على النقل من التراث القديم على النص المتواتر ، والبعد عن الاجتهاد ، والتركيز على الحفظ والاستظهار ، توجه إلى باريس ليواجه ثقافة متحركة متغيرة ، تفتح باب الاجتهاد وتدعو إلى الشجاعة فى العمل والجرأة فى التفكير ، والتنقيب والانتشار فى الأرض وما فيها من معايش ، ولم يكن كل ذلك سوى معايشة لثقافة ديناميكية اندمج فيها رفاعة الطهطاوى ، وحاول أن يفسرها ويترجم كتبها وأن يدفع الآخرين من بنى جلدته إلى الأخذ بها مجددا مقومات وإستراتيجية فن الترجمة على النحو التالي :ـ

١) نبذة فى تاريخ الاسكندر الاكبر

1. "Extrait de l' histoire d' Alexandre le Grand."

٢) أصول المعادن ــ المعادن النافعة لتدبير معايش الخلائق

2. " Elements de mineralogie populaire."

٣) روز نامة ١٢٤٤هـ

3. "Almanach pour l' an 1244."

٤) دائرة العلوم فى أخلاق الأمم وعوا ئدهم ــ قلائد المفاخر فى غريب عوائد الأوائل والأواخر"

4. " Ency- Clopedie des moeurs et usages des peuples."

٥. مقدمة فى الجغرافيا الطبيعية

5. “ Introduction du Dictionnaire de Geographie Universelle relative a la Geographie de physique.”

٦. قطعة من كتاب ملطبرون فى الجغرافيا

6. “la Geographie de Malte- Brun

٧. مقالات فى علم الهندسة

7. “ Troiseme livre de la Geometrie.”

٨. نبذة فى علم هيئة الدنيا

8. Extrait d’un Ouvrage de Cosmographie.”

٩. قطعة من عمليات ضباط عظام

9. “ Un morceau de la theorie de l’ Officier Superieur.”

١٠. أصول الحقوق الطبيعية

10. “ Elements du Droit Naturel.”

١١. نبذة فى الميثولوجيا

11. “ Petit traite de Mythologie.”

١٢. نبذة فى علم سياسات الصحة

12. “Traite d’hygiene.”

[قارن: أمين سامي واصف ، ندوة كلية الألسن/ جامعة عين شمس ،: رفاعة وفرنسا ص١٥ وما بعدها]

هذه الترجمات الأثنا عشر والتي تقدم بها رفاعة إلى الامتحان النهائي فى باريس [حسين فوزي النجار ص٧٧] وحاز بها شهادة التفوق والجدارة من لجنة الممتحنين.

واصل رفاعة أعمال الترجمة التى أشرف عليها والتأليف بعد عودته إلى مصر ١٨٣١وحتى وفاته ١٨٧٣م فترجم وراجع فضلاً عما ذكر:

١. رسالة فى الطب فى الوقت الذي راجع كتاب " التوضيح فى لألفاظ التشريح فى الطب البيطري "
٢. التعريبات الشافية لمريد الجغرافيا
٣. مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك Les Aventures de Telemaque لمؤلفه فنيلون Fenelon
٤. جغرافيا عمومي فى كيفية الأرضGeographie Universelle
٥. تاريخ المصريين القدماء ونهاية الحكماء

ولا شك إن كتاب " مواقع الأفلاك فى وقائع تليماك " الذي قام رفاعة بترجمته كعمل أدبي رائع من الفرنسية والذي قام بتأليفه رئيس أسا قفة باريس [Fenelon]"فينلون" المربى لولى عهد فرنسا وفيه يقدم رفاعة النموذج الأمثل للمترجم الملتزم فيذكر ديباجة هذا الكتاب :" أما بعد ، فيقول المرتجى أن يكون لوطنه خير نافع ،رفاعة بدوي رافع ... قد تقلدت بوظيفة تربية التلاميذ مدة مديدة ، وسنين عديدة ، نظارة وتعليما، وتعديلاً وتقويماً وترتيباً وتنظيماً ، وتخرج من نظارات تعليمي من المثقفين رجال لهم فى مضمار السبق وميدان المعارف وسيع مجال، وفى صناعة النثر والنظم أمهر بديهة وأبهى روية وأزهى ارتجال ، عربت لهم من الفرنساوية المؤلفات الجمة ، وصححت لهم ترجمات الكتب المهمة ، وتدفق حسن تمثيلها فى مطبعة الحكومة وطبعها ... وسارت بها الركبان فى سائر البلدان ... وكان زمني إلى ذلك مصروفاً ود يدنى بذلك معروفا وفى مدة نحو الثلاثين سنة لم

يحصل لهمتي فتور ولا قصور [أنور لوقا : اثر رفاعة الطهطاوى في أدب القرن التاسع عشر ، ندوة كلية الألسن ، ج عين شمس ... ص٢٨٣]

لقد شغلت الترجمة والإشراف عليها ورعايتها جزءاً كبيراً من وقت رفاعة ، حتى يمكن أن يقال انه أقام معاهد ومدارس بأكملها للترجمة ، يمكن تشبيهها " بيت الحكمة " الذي أسسه الخليفة المأمون فى بغداد ٨٣٠م .[أحمد خاكى :رفاعة الطهطاوى مترجماً ، ندوة كلية الألسن / جامعة عين شمس ص ٣٨٦ وما بعدها]

لقد عايش الطهطاوى المناخ الثقافي بين كتاب ومفكرين وعلماء يريدون نشر الثقافة من أمثال شامبليون ، سلفيستر دى ساسي، "Sylvestre de Sacy" ، "كواسان دى برسيفال "، "جومار" ، "شفالية" وأخرون ممن نهضوا بتراث القرن الثامن عشر "روسو""Rousseau" "وفولتير" "Volltaire"، "ومونتسكيو" "Montesquieu"،لقد بهرته مبادئ الثورة الفرنسية وشعاراتها : الحرية الإخاء والمساواة ، يضاف إلي كل ذلك نشأته الأولى فى حبه للغة مولده، لغة العرب ووعاء القرآن الكريم والتي كان يرى إنها افضل لغات الأرض مع إدراكه الواعي أن اللسان الفرنسي الذي تعلمه هو من أشيع الألسن و أوسعها فى عالم الغرب فى زمانه.

لقد نهج رفاعة فى ترجمته إلى اتباع نمطين من الأسلوب اللغوي: الأسلوب البلاغي فى الترجمة حيث أستعمل فروع البيان والبديع والأسلوب الحديث الذي يدلى بالأفكار والمعاني من غير تعمل أو تكلف وذلك بسبب تأثره بالطريقة الفرنسية فى الكتابة والتعبير .وهو الأسلوب الذي يطلق عليه في نظرياته الترجمة الحديثة "بالأسلوب الوظيفي " وهو الأسلوب الأكثر استعمالاً

فى ترجماته بعد البعثة ، والمثال الناصع لذلك ترجمتـــه لدســتور المملكــة الفرنسية فى عهد لويس الثامن عشر ،[قارن : ترجمة مواد الدستور : أحمـد خاكى رفاعة الطهطاوى مترجماً ... ص٣٩٠] وهو بذلــك يــرى أنــه أمــام مسئولية خطرة يحاسب عليها إن هو أخطأ أو انحرف أو انساق وراء الخيــال أو التعابير الجوفاء . ولا يبالغ المرء فى قوله إن رفاعة كثيرا ما عانى فـــى انتقاء وإيجاد اللفظ العربي المناسب للفظ الغربي ، حيث أنـــه جــاء بـــاللفظ وعربه وجعله من مفردات لغة مولده التى من سماتها المحافظة على نقاوتـــها .

وبذلك يكون قد مهد لما ينادى به علماء العربية المعاصرين وأدبائـــهم فى قدرة العربية على استيعاب كل ذلك :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية　　　وما ضاقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة　　　وتصنيف أسماء لمخترعات

أنا البحر فى أحشائه الدر كامن　　　فهل ساء لوا الغواص عن صدفات

[حافظ إبراهيم فى رثائه للغة للعربية]

ومن بين هذه الألفاظ الفرنسية التي أدخلها فى ترجماته ، شارحا لمعناها كـــي لا يربك القارئ فى فهم النص الموجودة به :

ـ شامبر دى بير ـ ـ ـ مجلس الاعيان chambre de Pierre

ـ الشرطة ـ ـ ـ الدستور La charte

ـ إلكتور ـ ـ ـ الناخبين Electeure

ـ البورو ـ ـ ـ المكاتب Bureau

ـ الجوريين ـ ـ ـ المحلفين Jure

ـ الشيزلونجات ـــ ـ الكراسى الطويلة CHaise longue

ـ الرستوراطورات ـ ـ ـ المطاعم Restaurant

ـ الأنستتيوت ـ ـ ـ المعاهد Institut

ـ البال ـ ـ ـ الحفل Bal

ـ السبيكتاكيلات ـ ـ ـ ـ النظارة ، المشاهدين Spectacles

ـ البانوراما ـ ـ ـ ـ المشهد الخلفى Panorama

ـ التياترو ـ ـ ـ ـ المسرح Theatre ـ الأوبـــرا ـ ـ ـ الروايـــة الغنائية Opera الخ] قارن : أحمد خاكى رفاعة الطهطاوى مترجمـــاً... ص٣٩٣].

ويعرب على سبيل المثال الكلمة الفرنسية " Gazette" وأصلها ايطـــالى "Geztts"

ـ وكانت تعنى قطعة نقد معدنية صغيرة تســتخدم فــى مدينــة البندقيــة ـ بمصطلح " الكازيطات " وكلمة ؛ La politique" " السياســة " بمصطلــح " البولوطيقا" " والجورنو" "Journaux" اشتقت من كلمة ""Jour" وتعنــى " يوم " وكان يترجمها أحياناً بعبارة " أوراق الوقائع اليومية "

لقد انتقلت هذه المفردات من خلال ترجمات رفاعة إلى تيار اللغة العربيــة ، إما بمعانيها وإما بألفاظها محورة حسب الذوق العربي ، بل اصبـــح بعــض منها من صلب اللغة العربية وخاصة المفردات والمصطلحـــات ذات الصلــة بالنصوص العلمية . وكان الفضل فى كل ذلك للحركة المباركة التى قـــام بـــها رفاعة رافع الطهطاوى ولما أعدته مدرسته اللغوية والفكرية من نظريات فــى فن الترجمة .

ولعل ضرب بعض أمثلة من ترجمته العربية من خلال الكتاب الأدبي " القيـــم لغة وأسلوبا " لمؤلفه " تليماك"" Telemaque" يوضح عظمة وقدرة وقــوة رفاعة وامتلاكه لناصية اللغة الأم واللغة الأجنبية :

1. "... je ne puis refuser votre sang aux manes"

١. لا أقدر على حقن دمك ولا دم صاحبك "

2. "...les dieux permirent que je fisse une faute qui devait servir a me corriger de ma presomption"

٢. فجزاني الله فى نظير مخالفتي مالا مزيد عليه ولا معقب لأحكامه ، فعسى أتعظ وأعتبر ولا أخالف نصيحة الحكيم ، بل على حكمه أصطبر " [٧٩]

3. "...de voir dans une si vive jeunesse tant de sagesse et d' eloquence!"

٣. "فلما رأت هذا الشاب بمكان من العقل والفصاحة وحماسة المقال والسماحة [٨٢]

4. "... elle se trouvait malheureuse d'etre immortelle"

٤. كانت عليه متحسرة متأسفة حتى كرهت البقاء والتخليد بعد فراقه وتمنت الموت لو صح لها إذ إليه صارت متشوقة متشوفه." [ص٨٦]

5. " ... songez plutot a soutenir la reputation de votre pere et a vaincre la fortune qui vous perscute"

٥. يابنى تفكر فى حفظ ناموس أبيك واهزم جيش هموم الدهر التى تلاقيك "[ص٨٨]

6. "...quelquefois follement irritee contre le rocher ,ou elle se brisait en gemissant ,et elevant ses vagues comme des montagnes"

٦. فينكسر ماؤه وينقطع فيسمع له زفير وشهيق وزئير وتصعيق فتعلوا أمواجه كالجبال وترعد وتزبد كأنما تشكو بلسان الحال [ص١٠٨] [قارن : هالة إسماعيل عبد المجيد ، ندوة كلية الألسن / جامعة عين شمس ص٧٥ وما بعدها

Hala ismail Abdel – Meguid : " la traduction de telemaque], Notes et commentaires"p..75.ff.

٣,٣ رفاعة المؤلف الموسوعي:

كان التأليف فى عصر رفاعة وما سبقه تأليفا نمطيـــا يعــول علـــى المتـــون والحواشي والتقارير وعلى التعليقات والتنبيهات ، فلا جديد ، فإذ مـــا ظـــهر رفاعة فى مجال التأليف ، ظهر ما أفاد به من مؤلفات الغرب وما أراد أن يفيد به أبناء وطنه ، ولعلنا نذكر على سبيل المثال كتاب السيرة " نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز" والذي يعد مؤلفاً فريداً فى ذاته ، ولعل رفاعة كـــان فـــى ذلك أول من استوعب دراسات المستشرقين الأوربيين الذين عـــايش البعـــض منهم ، وربطته به علاقات شخصية حميمة ، مع هذا . لم يمنعه أن يقف منهم موقف المعارض والراد على ما يراه متعارضاً ومجحفا لقيـــم تراثـــه العربـــي والإسلامي ، وهذا يمثل إضافة علمية جديراً بالاعتبار عن السيرة النبويـــــة ، فكون رفاعة يشرع فى كتابة مؤلف تلبية لرغبة ولى الأمر خديـــوي مصـــر آنذاك وولى النعم ، فيشرع بكتاب " أنور توفيق الجليـــل فـــي أخبـــار مصـــر وتوثيق بنى إسماعيل " وتكون أول الغيث فى هذا ، كتاب عن السيرة النبويـــة على النهج العلمي :" نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز " وتتحـــول لديـــه الفكرة الخاصة بكتابة مؤلف عن الخديوي وتصبح كتابة عن تاريخ العـــــالم ، وتجعله يبدا الكتاب بسيرة الرسول صلـــى الله عليـــه وســـلم ســـيد البشـــر ، وحكومته الإسلامية الأولى ، ولا تفسير لنا فى هذا التحول إلا رجوع رفاعـــــة إلى سمو توجهه إلى تاريخه وتراثه وشجاعته الأدبية .

ولم ينسى فى خطاب لأمته أن يطلعهم عن انطباعاته الشخصية لكل مـــا رآه وعايشه فى فرنسا ، ما استحسنه وما استنتجه وانتقاه مما يناســـب البيئـــةَ الإسلامية والعربية وتقاليدها وما تركه مما لا يستقيم معها : " تخليص الإبريز فى تلخيص باريس" كل هذا وغيره يجعل من رفاعة الطهطاوى رائدا مـــن رواد التنوير الحقيقيين الذين لم تغلبهم على أمرهم الصدمة الحضارية الأوربية كمـــا صدمت غيره من قبل ومن بعد، كان رفاعة نموذجا فريدا فى صنفه ولم يكـــن

يحذو ــ فيما ترجم وألف وابتكر ــ حذو مثال سابق له ، وكان دوما يقاوم النزعة التقليدية التى يمثلها كل إنسان من أبناء الريف المصري ، حاضة أبناء الصعيد ، ففتح نوافذ وابواب عقله ، ولكنه وضع مصفاة دقيقه لكل ما يمر من تلك النوافذ والأبواب ، وكان ثمرة ذلك قوتا فكريا عذبا سلسا سهل المنال ولا ننسى أن نذكر فى هذه العجالة السريعة دوره التنويري فى مجال التعليم عامة وتعليم البنات خاصة ، كفضل يحسب له ، وللأسف الشديد لم يتيسر لهذا الجانب أن يرى النور وإنما توجهت الأنظار فيما بعد إلى قاسم أمين مع انه يعد عالة على رفاعة الطهطاوى فى هذا الشأن .

لقد تناولت مؤلفات رفاعة الفكر العربي والأوربي ، وحب مصر وتعليم البنات وعمران البلاد . بل جسدت هذه المؤلفات صراعه ضد الظلم واعتبار العدل والإنصاف فضيلة إنسانية عليا ، رافعا من قيمة العمل المنتج ، جاعلاً من أصحابه اشد الناس نفعاً ، راجعا فى ذلك إلى إيجابيات التراث الإسلامي الذي أعلى من قدر العلم والمتعلمين .

عاش طوال بعثته يؤدى كافة الفروض والسنن ، ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ، لم تشغله شئون الحضارة والعمران الأوربي عن عمق روحه الدينية ، وحبه للوطن نسمة من هذا الإيمان واستجابة لأوامر الدين ، كل ذلك ضمنه كتابه " مناهج الألباب المصرية ، فى مباهج الآداب العصرية "(ص٩ وما بعدها [قارن محمد عبد الرحمن شعيب : الدين والأخلاق لدى رفاعة ، ندوة كلية الألسن / جامعة عين شمس ص١٨٢ وما بعدها].

فى هذا الموقف الجليل يرى رفاعة أن المؤرخ أخ للمؤمن ، والمرء مرآة أخيه ، وإن على الدولة وكافة مؤسساتها أن تقوم على أركان الدين ، الذي هو أساس الحياة السليمة ، وفية أمر الطهطاوى ، احترام أهل الديانات الكتابية ، وعدم التعرض لهم بالأذى ، مما يعد إقراراً صريحاً بحرية العقيدة ،

التى أوجبها مواثيق القرآن ونصوصه " من نكث فإنما ينكث علـــى نفســه ، ومن أوفى بما عاهد الله فسنؤتيه أجراً عظيماً [قارن مناهج الألبــاب ...ص ٤١٥].

أما كتاب المرشد الأمين للبنات والبنين" فقد نادى فيه رفاعة بالمساواة فــي التعليم بين البنات والبنين مؤكدا أن نفع تعليم البنات اكثر من ضرورة [سهير القلماوى : قضية المرأة عند الطهطاوى ، ندوة كلية الألســن جامعــة عيــن شمس ص٢٠٢ وما بعدها] [قارن المرشــد الأميــن ...ص٦٨]، وطــالب بالالتزام بتعليمها باعتبارها الأمينة على تربية الأبناء ، كما اشترط أن يكــون زواجها بمحض اختيارها وعلى أساس من الحب والمودة والرباط المقــدس ، وبغير ذلك لا تحل البركة ببيت الزوجية .

تتواصل موسوعية رفاعة فى التأليف فى شتى المعــارف والعلــوم اللغويــة والفقهية ، والأدبية والسياسية والاجتماعية والرياضية والتربوية ، فنجد كتاب ، التحف المكتبية فى القواعد والأحكام والأصول النحوية ، بطريقة مرضيــة ، وليقدم فيه ذخر تجاربه لكل مواطنيه من أبناء مصر وتــلاه بكتــاب " القــول السديد فى الاجتهاد والتجديد " الذي أبان فيه تمكنه من العلوم الدينيــة التــي تلقاها بالأزهر .

من كل تلك الكتب استخلص رفاعة مقولتــه الخــالدة عــن التعليــم الأساسي حيث يقول :" التعليم الأولى هو ما يكون فيه أهل المملكة على حــد سواء ، فهو عام لجميع الناس يشترك فى الاشتغال فيه والانتفاع بــه أبنــاء الأغنياء والفقراء ذكورهم وإناثهم [المرشد الأميــن . ص٣٨٧/ج٢.بــيروت ١٩٧٣م] وهو ضرورة لسائر الناس يحتاج إليه الناس كاحتياجهم الى الخــبز والماء ."

تلك مقطفات موجزة من جهود رفاعة فى مجال الترجمة والتأليف والابتكـــار ، والذي كان له الفضل فى إنشاء مدرسة الألسن {١٨٣٦} التي قدمت الـــزاد من خلال أبنائها من المتخصصين فى اللغات بداية من تخريج أول دفعة عـلم { ١٨٣٩مــ١٢٥٦هــ }

[النشأة ٢٨ ربيع الأول سنة١٢٥١ هــ] وحتى نهاية القرن ١٩ فى ترجمـــة ما يزيد عن ألفى كتاب فى كافة العلوم والفنون وتعود روح رفاعـــة ، وتعــود مدرسة الألسن فى عهد طه حسين (٢ديسمبر سنة ١٩٧٣ م إلى جامعة عيـن شمس تحت كلية " كلية الألسن "، مزودة ومدرعة بأقسامها اللغوية المتعـددة ، لتتسع بها آفاق الثقافة والمعرفة لتؤدى الرســائل العالميــة التـــي تمناهــا مؤسسها رفاعة رافع الطهطاوى .

لقد كان إضلاعه بتحرير جريدتي " الوقائع المصرية " وروضة المـــدارس " فاتحة عصر الصحافة فى مصر بعدما أصدرته الحملة الفرنسية ، ولا شـــك أن إ اشتغاله بتحريرهما قد كان له أثر بعيد فى تطور أسلوبه ، وتحـــرره مـــن سمات الأسلوب الذي جرى علية فى أول الأمر اتباعا لما كان ذائعا فى عــهده ، ونذكر عن طيب خاطر الشعار الذي رسمه لجريدة " روضة المدارس " فـــى كل ما صدر منها من أعداد:

تعلم العلم وأقرأ — تحز فخار النبوة

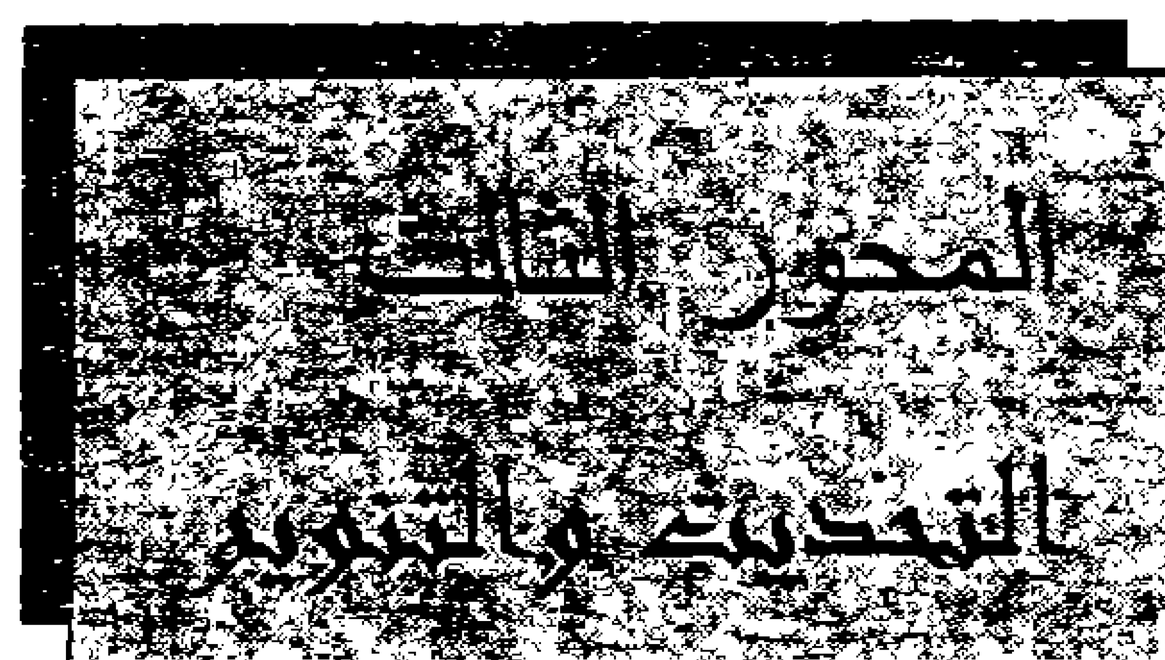
فالله قال ليحيى — خذ الكتاب بقوة

[حسين عبد الرحيم عليوه: رفاعة الطهطاوى مربيا ، ندوة كلية الألســن / ج عين شمس ص٢٢٢ وما بعدها]

ولعله من حسن الطالع أن يهيئ لهذا العالم الموسوعي أن تقيم لـــــه هــذه الندوة العلمية كلية الدراسات العربية جامعة المنيا ــ ضمن سلســـلة أعــلام الصعيد فى مؤتمرها السنوي الثاني (مارس ١٩٩٩م) ولا غـــرو أن يكــون

إنشاء كلية الألسن ـ جامعة المنيا فى عام ١٩٩٧ . امتدادا لسيرة هذا العـالم الجليل ، طيب الله ثراه .

وإذا كان لكلية الدراسات العربية أن تحتفل بهذا العالم الذي استقى من منـاهج العلم بالأزهر وما قام من نهضة أقالت العربية من عثرتـها وجعلتـها أهـلا لاستيعاب مستحدثات العلم الغربي ، فإن كلية الألسن جامعة المنيا التي قدر أن تخلف مدرسته الأولى من نوعها فى الشرق أن تحتفـي بـه وتنـوه بذكـره ومآثره أن تقيم له فى موعد قريب ندوة تعرض فيها جهوده ومناهجـه فـى الترجمة وما ادخله من مصطلحات جديدة ، فقد كان له فى ذلك سهم وافر.


المحور الثالث
التحديث والتنوير

اتجاهات التحديث في العالم العربي

تونس نموذجا (١٥٧٤ - ١٨٨١)

د.مصطفى التوايتي

معهد بورقيبة للغات الحية

جامعة تونس الأولى

تقديم:ـــ

إن ما نعنيه بعبارة الحداثة هو الأخذ بالمسميات التي طبعت العصر الحديث فى أوربا والتي أصبحت بعد ذلك مقياسا كونيا للحداثة، وقد لخصها الدكتور محمد الهادي الشريف بقوله:"يتسم العصر الحديث فى أوربا (بداية من ق ١٧) بأنه كان عصر ظهور الأسلحة النارية وبناء الصروح السياسية الخاضعة لنظام مركزى كما يتسم بأنه عصر الرأسمالية التجارية فالصناعية.

ولكننا نعتقد أنه تلخيص منقوص لأنه يفتقر إلى بعض المقومات الأساسية التى تؤشر لانتقال مجتمع ما من حالته القروسطية التقليدية إلى وضع مجتمعات العصر الحديث وهى: الديمقراطية والقانون وانتشار التعليم وتفسير الكون وعلاقة الإنسان بذاته وبالطبيعة بناءا على مرجعيات مستمدة من العلوم العقلية على حساب المرجعيات اللاهوتية.

وهذا بالتحديد هو التوجه الذى انخرطت فيه النخبة السياسية والفكرية فى مصر بعيد حملة نابليون على مصر (١٧٩٨) وخاصة منذ ظهور نزعة محمد على التحديثية وإرساله البعثات العلمية إلى أوربا وهو ما برز فى تونس كذلك انطلاقا من تولى أحمد باى فى سنة ١٨٣٧ وان كانت جذور هذه الحركة فى تونس تعود كما سنرى إلى عهد أسبق وهنلك طريقتان يمكن أن تقودا مجتمعا ما إلى الدخول فى مراجعة حضارية ذاتية على ضوء حضارة الآخر: الاولى فجئية وعنيفة تأتى نتيجة صدمة فجئية تتمثل عادة فى زيمة عسكرية شاملة ومهددة

للكيان وللهوية الحضارية وهو ما حدث لمصر إبان حملة نابليون بونبارت ولعل ذلك هو معنى كلام ابن خلدون الشائع عن ولع المغلوب بتقليد الغالب وحدها لا تكفى فالعرب الفاتحون ولعوا بتقليد الشعوب المغلوبة وهو ما يتحتم وجود الحاجة الملحة إلى جانب الغلبة.

أما الطريقة الثانية فتتم بهدوء وعلى مساحة زمنية طويلة نسبيا فى شكل مثاقفة واحتكاك بين حضارتين إحداهما تقليدية والثانية انخرطت بعد ومنذ مدة فى تيار الحداثة.

وإذا كان العامل الأجنبى فى الطريقة الاولى هو العامل النحدد فإن العوامل الداخلية تقوم بدور هام فى الطريقة الثانية وبالرجوع إلى ظروف نشأة التوجه التحديثى فى مصر فإننا نلاحظ بسهولة أنها تقتضى إدراج التجربة المصرية فى الطريقة الأولى فمصر فى القرن الثامن عشر كانت تعيش عزلة تكاد تكون تامة عما يجرى شمال المتوسط كانت منطوية على ذاتها تعانى الركود والتخلف والبؤس المادى والمعنوى فى ظل الفوضى السياسية التى ميزت حكم المماليك فى تلك الفترة سنة ١٢٠٧هـ-الموافق ل-١٧٩٣م:

استهل المحرم بيوم الخميس والامر فى شدة من الغلاء وتتابع المظالم وخراب البلاد وشتات أهلها وانتشارها بالمدينة حتى ملأوا الأسواق والأزقة رجالا ونساءا وأطفالا يبكون ويصيحون ليلا نهارا من الجوع ويموت من الناس فى كل يوم جملة كثيرة من الجوع وشحت النفوس واحتجب المساتير وكثر الصياح والعويل ليلا ونهارا فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلائق مطروحين بالأزقة وإذا وقع حمار أو فرس تزاحموا عليه وأكلوه نيا ولو كان منتنا حتى صاروا يأكلون الأطفال.

ولعل أسلوب الدهشة والاستغراب الذى وصف به الجبرتى أسلحة الفرنسيين وأساليبهم فى الحياة والعمل والادوات التى كانوا يستعملونها بما فيها الأكثر بساطة مما يؤكد الهوة العميقة التى أصبحت تفصل البلاد عن العصر حتى

كان ذلك اللقاء العنيف بين الواقع المصرى الهش والحضارة الغربية عن طريق حملى نابليون فكان له مفعول الصدمة الكهربية التى رجت الجسد كله فأفاقته من غيبوبته الحضارية الطويلة أما فى تونس خلال نفس الفترة التاريخية فإن الأمر مختلف تماما لأن البلاد كانت تعيش انذاك واحدة من اكثر فترات تاريخها ازدهارا إبانن حكم حمودة باشا الحسينى(١٧٥٦-١٨١٤) الذى كان حسب المؤرخ المصلح أحمد بن أبى الضياف رفيقا بالرعية مؤثرا للعدل والانصاف من نفسه عالما بتنزيل السياسة فى منازلها محببا إلى الناس معظما للعلماء والصالحين ولذلك كانت أيامه كالخصب بعد الجدب والأمن بعد الرعب والسلم بعد الحرب كثير المآثر والخيرات.

١-مرحلة النهضة الهادئة إلى نهاية القرن ١٨م

إن المتأمل فى وضع البلاد التونسية فى القرن ١٨م يلاحظ ؟أنها كانت منخرطة فى حركة تحديث هادئة على الطريقة الثانية المشار إليها أعلاه.

فقد استفادت هذه الإيالة الساحلية الصغيرة من تظافر عوامل الجغرافيا (موقعها الستراتيجى فى حوض المتوسط وقربها من أوربا الغربية) والتاريخ(سقوط الاندلس نشاط التجارة الاوربية فى المتوسط الحروب الاوربية إلخ..) لتتجه بخطى بطيئة ولكنها ثابتة نحو الحداثة ومن أبرز العوامل الفاعلة فى هذا التوجه نذكر خاصة:

١-إنهاء خطر الاستعمار الإسبانى نهائيا على يد قائد الأسطول العثمانى سنان باشا سنة ١٥٧٤ وهى السنة التى يورخ بها لبداية العصور الحديثة فى البلاد ونهاية العصور الوسطى بنهاية الدولة الحفصية.

٢-الهجرة الأندلسية الجماعية بعد طرد المسلمين واليهود من إسبانيا فى سنة ١٦٠٩: فقد حقنت هذه الهجرة البلاد التونسية ديمغرافيا بدم جديد إذ قدم آلاف من السكان النشطاء الجدد الذين كانوا يمتازون بحس مدنى مرتفع وتقاليد حضارية عريقة فنشطوا الحركة العمرانية والاقتصادية والثقافية عبر سلسلة من

المدن التى أقاموها وأحاطوها بالبساتين مدخلين بذلك فى الزراعة التونسية أنواعا جديدة من المزروعات وأساليب جديدة فى الفلاحة تتصف بتنوع المزروعات وكثافة الإنتاج وتداوله فصليا كما نشروا فى البلاد مجموعة من الصناعات الحرفية الراقية مثل صناعة "الشاشية" التى ستصبح أهم منتوج صناعى تصديرى تونسى.

٣-إزدهار حركة "الجهاد البحرى" أو القرصنة التى كانت الموانى التونسية من أهم مراكزها وقد كان هذا "الجهاد البحرى" يحمل سنويا إلى المدن الساحلية التونسية آلافا من الإسرى المسيحيين من مختلف الجنسيات الاوربية وكان البعض منهم يفتديهم أهاليهم أو حكوماتهم فيعودون إلى بلدانهم بعد مدة والبعض الآخر يتحول إلى وضع الرق ويندمج فى المجتمع التونسى وسيكون للعديد منهم ومن أبنائهم الدور الهام فى الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية بتونس خلال القرون الثلاثة السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر .

وزيادة على هذه العناصر النشيطة التى كان "الجهاد البحرى" يغنى بها المجتمع التونسى فقد كان يدر على خزينة الدولة وخزائن أعيانها موارد مالية هامة.. إضافة إلى تموينه للتجارة الداخلية والخارجية بسلع وبضائع هامة من حيث الكم والقيمة الأمر الذى سيدفع بالتجارة التونسية إلى قمة ازدهارها وتطور مبادلاتها مع أكبر المراكز التجارية الأوربية مثل القرنة livourn بإطاليا وعلى العموم كان الجهاد البحرى "منشطا من الطراز الاول بالنسبة للاقتصاد النقدى التونسى بأجمعه وكذلك بالنسبة للقطاعات الاجتماعية التى كانت تعيش منه بما كانم يجر إلى البلاد من عملة جديدة حتى أصبح الريال الاسبانى مثلا عملة متداولة فى المجتمع التونسى فى أواسط القرن السابع عشر لقد كان للجهاد البحرى أثار مباشرة فى تطور الصناعة الحربية التونسية وخاصة صناعة الزوارق الحربية وفى إزدهار التجارة وإشاعة حالة من الرخاء خصوصا فى المراكز المدينية الكبرى بالبلاد وفى استئناس فئات واسعة من الناس بالمنتوج

الحضارى الاوروبى فى مختلف المجالات كما كان له أثر غير مباشر لا يقل أهمية ويتمثل فى التنظيم السياسى والادارى للبلاد على أسس أخرى جديـــدة ذلـك أن التجارة لم تبق مقتصرة على عائدات القرصنة بل توسعت بسرعة لتشمل الانتـاج الحرفى والفلاحى التونسى ولم تبق حكرا على فئات ضيقة بـل توسـعت دائـرة الأطراف المستفيدة منها الامر الذى تطلب وجود سلطة مركزية قوية تضع حـــدا لفوضى الأعراب وتروض القبائل المحاربة الكبرى تشجيعا للفلاحة وتأمينا لنقـل فوائضها نحو الأسواق الداخلية وخاصة نحو مراكز التصديـر باتجـاه الاسـواق الخارجية فكان نتيجة لذلك قيام الدولة المرادية فـــى سـنة ١٦٢٨ وقـد تمكـن الراديون من تحجيم دور الجيش الانكشارى التركى لفائدة تنظيم جديد من العساكر المحليين (عسكر زواوة من البربر) كما أعادوا تنظيم البلاد اداريا واقتصاديـا وو ضعوا بذلك أسسا متينةلقيام تونس ككيان مستقلالى حد بعيد عن الخلافة العثمانية فى اطار مملكة قومية مع قيام الدولة الحسينية فى سنة ١٦٠٥م وقد تجلى ذلـــك بداية من عهد الامير الحسينى الثانى على باشا الاول الذى اتبع سياسة مزدوجـة توخى فيها الحزم والشدة من ناحية والوفاق من ناحيـــة ثانيـة وذلـك داخليـا وخارجيا ١٠ داخليا : بالضرب على أيدى الولاة والعمال وقمع كل مظاهر الفتنـة والخروج وقتل من يتوهم فيهم ذلك والعناية فى نفس الوقت بـــالعمران واقامـة المدارس وتشجيع العلم وكان على شدتة يعظم العلماء ويتجاوز لهم ما لايتجـاوزه لغيرهم حسب تعبير ابن أبى الضياف وكان هذا الباى كما هو شأن معظم البايـلت الحسينين على شىء هام من الثقافة ورغم مســؤولياته السياسـية ألـف كتابـا معروفا فى النحو شرح فية كتاب التسهيل لابن مالك صاحب الألفية وعرف كذلـك بشغفة بالكتب حتى أنة فيما ذكرة عنه المؤورخ أحمد ابن أبى الضياف:" جمع من غرائب المؤلفات مالم يجتمع لغيره من أمراء تونس ومن عنايتة بذلـك أن بعـث الشيخ الفقيه أبا محمد حسن البارودى الى اسطمبول وأتا ه بما لـم يصـل إلـى المغرب من تآليف علمائها وعلماء العجم كما أقام عدة مـدارس فـى العاصمـة

خاصة أما اقتصاديا فقد خفض الضرائب وقام بإجراءات عديدة لتشجيع الانتاج الفلاحى ودعم التجارة الخارجية فكان يقرض أمواله الخاصة للتجار بدون أرباح فيتجرون بها برا وبحرا ولا يسترجع منهم إلا رأس المال وعرفت الصناعات المحلية فى عهده انطلاقة كبيرة وخاصة منها صناعة الزوارق الحربية.

٢-خارجيا: اتبع على باشا نفس السياسة المزدوجة بين الحزم والوفاق فاسترجع بالقوة مدينة طبرقة على الساحل الشمالى من حوزة امارة جنوة وأنهى الامتيازات الفرنسية لصيد المرجان بهذه المنطقة بشروط مجحفة بالمصالح التونسية وواجههم فى معركة عسكرية انتصر فيها وأسر ثلاثمائة جندى فرنسى كما اشترط على القنصل الفرنسى خلع حذائة عند الدخول عليه فى مكان مفروش بالسجاد وتقبيل يده على العادة المتبعة فى البلاد مما أدى الى هروب هذا القنصل وقدوم اسطول حربى فرنسى حاصر العاصمة خمسة وعشرين يوما وقذف بعض الموانى التونسية بالمدافع ولكن فعالية الدفاعات التونسية من ناحية واندلاع الحرب الفرنسبية الانقليزية من ناحية ثانية اضطرت الحكومة الفرنسية الى ابوام صلح مع على باشا والاستجابة لشروطة المادية والمعنوية فسعى الباى من جهته الى توطيد علاقات صداقة جديدة مع فرنسا فأطلق سراح أسراهم بدون تعويض وبعث رسلا الى الدولة الفرنسية ىتمام ما وقع ابرامه وتجديد روابط المعاهدة بين الدولتين ولما وصلوا أحسنت الدولة قبولهم ورجعوا مكرمين وقد واصل أشهر أمراء البيت الحسينى حمودة باشا (١٧٨٢م-١٨١٤) هذه السياسة المزدوجة مع الدول الاوربية ففرض بالقوة احترام المصالح التونسية فى المتوسط على ممالك شبه الجزيرة الايطالية وعقد علاقات صداقة وتعاون مع الانقليز وخاصة مع الفرنسيين وعقد معاهدات تجارية مع العديد من البلدان الاوربية الاخرى فى نفس الوقت الذى دعم فيه نشاط الجهاد البحرى وأعاد اليه الروح بعد فتور

والحقيقة أن البلاد عرفت فى عهده الطويل دفعا قويا على طريق الرفاه والحداثة

وبلغت أورج ازدهارها وقوتها فغابت المجاعات ونسـى النـاس شـبح الاوبئـة وتضاعف عدد السكان النشيطين وانتظمت الموازنة بين دخل الدولـة وخرجـها ونشطت فيها حركة التجارة الداخلية والخارجية بفضل تضخم عائدات القرصنـة وازدياد الانتاج الفلاحى والصناعى التونسى خاصة فى ميدان النسيج وكان هـذا الباى يشجع شخصيا انتاج البلاد فلا يلبس الا من نسيجها وعلى منوالـه نسـج رجال الدولة وأعيانها . ونتيجة لكل ذلك ازدهرت الحركـة العمرانيـة وتطـورت الحياة الثقافية وبدأت تظهر التآليف النثرية والشعرية فى لغة وأسـاليب ظـاهرة الاختلاف عن الأساليب الراجعة الى عصور الانحطاط وكان حمدوة باشـا نفسـه يحرض على الض على الانتاج لادبى والفكرى فطلب مثلا فى سـنة ١٨٨٦ مـن الشيخ محمد بيرم الاول أن يؤلف كتابا فى السياسة الشرعية نشر فى مصر بعـد ذلك تحت عنوان "نبذة فى بعض القواعد الشرعية بحفظ الادارة الكلية" كما طلـب من علماء البلاد الرد على دعوة محمد بن عبد الوهاب فنشطوا لذلك نثرا وشـعرا ولا عجب فى ذلك وقد تلقى حمودة باشا تربية متيمنة فدرس النحو واللغة والفقه وعلم الكلام والحساب والتاريخ وتعلم التركية نطقا وكتابة وعرف بحبـه الشـديد لمقدمة ابن خلدون إذ ذكر ابن أبى الضياف أنه رأى منها نسخة عليها تعليقـات كثيرة بخطه والجدير بالملاحظة أن هذا الباى كان شديد الوعى بحركـة الزمـن وتغير الأحوال ومدى التطور الحاصل فى البلدان الاوربية المجاورة وكانت بينـه وبين نابليون علاقات تقدير متبادل وكانت بينهما مهاداة ووصلة وكـان يعـرف حسب ابن أبى الضياف ما للسلطان نابليون من المأثر والحزم والشجاعة ويقـول فى مجالسه ليت للمسلمين سلطانا فى شجاعة نـابليون وأوصافـة وقـد بلغـت العلاقات المالية والتجارية بين تونس فرنسا فى هذا العهد من المتانـة والكثافـة مبلغا كبيرا لذلك رفض حمودة باشا طلب السلطان العثمانى مـن تونـس إعـلان الحرب على السفن التجارية الفرنسية فى المتوسط احتجاجا على غزو نـابليون لمصر فى ١٧٩٨ وكان رد الباى على رسالة الباب العالى فى هذا الشـأن بـأن

الخلطة بين أهل تونس والفرنسيس فى المتجر كثيرة جدا لا يمكن فصلها الا بعد زمن يطول والقادم منهم لبلادنا (كانت همالك جالية فرنسية وأوربية هامة بالعديد من المدن التونسية الساحلية) إنما قدم بآمان صلح لا يخفى٠٠ ولا تأخذ مراكبهم لأن ما بها من المتاع غالبه ؟لأهل تونس وبالرغم من أن حمودة باشا لم يسع إلى اقامة حكم نيابى على غرار ما كان يعلم أنه قائم فى أوربا فإنه كان كما يقول ابن أبى الضياف لا يستغنى عن مشورة رجال دولته فى جليل الامور وحقيرها ولا يأنف من الرد عليه ويقول: الخطأ مع الجمهور أحب إلى من الاصابة وحدى وهو فى هذه الحالة كمملوك القانون مع أنه من ملوك الاطلاق وقد بلغ التنظيم الإدارى للملكة فى هذه الفترة من المركزة والاحكام درجة كبيرة جعلت المواطن يحس بوجود الدولة احساسا ايجابيا بعيدا عن التوجس التقليدى من العنف والنهب الجبائى ودون أن نزعم ألأنها أصبحت دولة حديثة على الطريقة الاوربية فإننا نستطيع القول بأنها كانت على شىء كبير من التنظيم والعقلنة وتصدقا لربط ابن خلدون بين الامن والعمران فقد "أقبلت الناس فى دولة حمودة باشا على الفلاحة والمتاجر والصناعات وكثر العمران ونمت الاموال وظهرت الثروة وكانت البطالة فى أيامه يسبة" وتكونت فى عهده طبقة من رجال السياسة والاعوان الاداريين البارعين فى تسيير شئوون الدولة وهو ما أكده ابن ابى الضياف بقوله: "تمرن خدامه على سياسة الاعمال وكثر عددهم فكان الحانبة فى دولته يصلح ان يستكفى به فى سياسة عمل أحرى من فوقة لأنه يعلم أن النجابة تقدمه وعدمها يؤخره إذ لا سبب للتقدم فى دولته لنيل الرتب والظوة إلا الأهلية لأن دولته طالبة للتقدم. وخلاصة القول أن تونس فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر كانت تشهد حركة تطور داخلى يعززه انفتاحها على محيطها الدولى وخاصة على أوربا ولكن حالة الرفاه الاقتصادى والمنعة العسكرية النسبية وتداخل العلاقات المتجرية والديمغرافية والديبلوماسية مع البلدان الأوربية وخاصة منها فرنسا وايطاليا وانقلترا جعلت تأثرها بالحضارة الأوربية يجرى بهدوء وبحسب الحاجة أى دون

شدوخ وصدمات ومراجعاتة جذرية للهوية الثقافية والحضارية ويكاد يقتصر هـذا الأخذ على منتوجات هذه الحضارة فى المجال الحربى والحياة اليومية٠٠ أما فـى مستوى هياكل المجتمع والمؤسسات السياسية والحياة الفكرية والثقافية فإن هـذا التأثير كان فى شكل تمثل بطيء ولكنه ثابت٠٠فعمل البايـات الحسـينيون علـى احياء الثقافة التقليدية والتعليم التقليدى وشجعوهما وكانوا يباشرون ذلك بأنفسهم فأكثروا من المدارس والمكتبات العمومية وأوقفوا عليها الأحباس ونفخوا لـروح فى حركة التاليف اللغوى والدينيوالادبى فظهرت فـى عـهدهم تـآليف عديـدة وخاصة منها فى التاريخ الذى يكاد يكون سمة أساسـية مـن سـمات الثقافـة التونسية غير أن هذا الانبعاث لم يكن استنساخا للماضى بل يمكن أن نلمس فيـه نزعة تجديدية واضحة وسيكون من خريجي هذه المؤسسات العلميـة والثقافيـة التى أعاد اليها الحسينيون الروح خلال هذه الفترة بعض رواد حركة النهضة التى ستشهدها البلاد فى أواسط القرن الموالى (أى التاسع عشر) الى جانب خريجـى التعليم الحديث ممثلا فى المدرسة الحربية بباردو (تأسسـت سـنة ١٨٤٠) ثـم المدرسة الصادقية (تأسست سنة ١٨٧٥) ٠

مرحلة القرن العصيب أو حلم النهضة المجهضة:

السير القهقرى

حمل القرن التاسع للبلاد التقنسية الكثير من الشؤم والكـوارث أولـها المـوت الفجئى لأكفاء أمرائها حمودة باشا فى ١٦ سبتمبر ١٨١٤ وفى ذلك قال ابن ابـى الضياف: ولم تزل المملكة فى ايامه ينكمو عمرانـها ويكـثر سـكانها وتتقـوى أعوانها وتظهر أعيانها ويعظم شأنها الى أن فجعت بموته فجأة وبعد هذ الحديـث تظافرت عدة عوامل داخلية وخارجية لتدفع بالبلاد فجأة فـى هاويـة الانحطـاط والتدهور الشامل وهى عوامل سنذكرها بنوع من الترتيب المنهجي ولكن عملـها فى الواقع كان متزامنا ومتداخلا وكما قال ٠دمحمد الهادى الشريف فإن الاختـلال

الحاصل فى البلاد انطلاقا من هذا التاريخ متصل بالتغييرات فى الداخل والتى أملاها الخارج منذ سنة ١٨١٥م٠

أ٠العوامل الداخلية:

انبعاث الصراعات فى البيت الحاكم التى امتدت الى مجموع الطبقة السياسية وانتهت بإبعاد النخبة السياسية والإدارية التي تكونت فى ظل حمودة باشا ومثل مقتل الوزير الفذ يوسف صاحب الطابع بطريقة بربرية فى جانفى ١٨١٥ والتنكيل بأعوانه وأصحابه الضربة القاسمة لمؤسسات الدولة السياسية والادارية٠

تزامنت حالة الفوضى والانكماش الاقتصادى التى رافقت هذه الاحداث مع ظهور طاعون رهيب فى سنة ١٨١٨ وقد دام سنتين وكان حسب ابن ابى الضياف هذا الطاعون أول التراجع الذى وقع فى هذه الايالة بعد وفاة المرحوم حمودة باشا لأنه نقص به من الإيالة قدر النصف وبقيت غالب المزارع معطلة٠

فى فيفرى ١٨٢١ وبينما كان الأسطول الحربى التونسى يستعد لحرب الجزائر بعد تجميعه فى حلق الوادى هبت عاصفة هوجاء استمرت بضعة أيام عن تحطيم كامل الأسطول الحربى بما فيه من مدافع وسلاح وآلات دفاع وتحطمت عدة سفن تجارية وغرق ١٥٠٠ من خيرة البحارة٠

ونظرا لاعتماد البلاد على هذا الاسطول عسكريا واقتصاديا فقد سارعت بتعويضه وإذ لم تتمكن من ذلك محليا اضطرت الى الاستعانة بمصانع السفن الفرنسية بمرسليا الأمر الذى كلفها مصاريف باهظة مثلت نزيفا حادا للعملة من خزائن الدولة ثم أحرق هذا الاسطول عن آخره إبان مساهمته فى حرب اليونان الى جانب الجيش العثمانى وذلك فى موقعة نافرين فى ١٨٢٦٠

ب-العوامل الخارجية

تمكن أوربا فى مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ من وضع حد لحروبها المزمنة والاتفاق على خطة لاخضاع دول جنوب المتوسط بدء بتحريم القرصنة نهائيا فى المتوسط

وفرض شروطجديدة للتبادل التجارى مع تلك الدول بما يضمن المزيد من الأسواق للبضائع الأوربية التى عرفت وفرة كبيرة فى الانتاج بفضل الثورة الصناعية ٠

وتحت تهديد الاساطيل الحربية وطلقات المدافع فرضت فرنسا وانقلترا خاصة على تونس مجموعة من الشروط فى سنة ١٨١٦ تم فى سنة ١٨١٩ وفى سنة ١٨٣٠ على إثر احتلال الجزائر أرست بواخر حربية فرنسية بحلق الوادى وفرضت على الباى امضاء معاهدة تتضمن: تحرير التجارة والتوام الدولة التونسية بألاتتاجر وألا تختص بمتجر فى شىء بحيث تكون التجارة مباحة لكل احد ٠

٠ معاملة التجار الفرنسيين كما يعامل أبناء البلد من التونسيين

٠ ابطال القرصنة على البواخر التجارية مطلقا

٠ ابطال ملك الأسرى وما اعتيد من هدايا وفدية

وكان محمود باى قد تعهد للإنقليز منذ ١٨١٦ بأنه إذا وقعت حرب بينه وبين دولة من الدول فإن أسارى الحرب لا يملكون ويعاملون معاملة المسجونين برفق حتى تضع الحرب أوزارها فيسرحون من غير فداء ونتيجة لذلك استأجر التجار الأجانب بتصدير المواد الزراعية التونسية وأغرقوا البلاد بالسلع المعملية الأوربية الأمر الذى الحق ضررا بالغا بالصناعات الحرفية التونسية وبفئة التجار التونسيين ومثل نزيفا حادا للعملة مما أدى الى تخفيض قيمتها وأحدث كل ذلك شدخا خطيرا فى البنى الاجتماعية ولذلك نعتقد مع د٠ الشريف أن تغير ظروف التبادل الاقتصادى مع أوربا مثل كارثة حقيقية على البلاد التونسية فإلى حدود ذلك الوقت كانت الدولة (البايلك) تمثل شبه حاجز فاصل بين أوربا المسيحية ثم التجارية والمجتمع التقليدى التونسى ثم ان ذلك الحاجز طار شظايا تحت الضغط الاوربى فى القرن التاسع عشر فكان وقع التلاقى عنيفا ومضرا بالبلاد التونسية إذ سرعان ما دخلت فى عملية تفتت داخلى طويلة أفضت بها الى فقدان السيادة

سنة ١٨٨١ وهو ما لاحظه لباى ناصحا ما تيود وليسابس أحد رفقـــاء نـــابليون وكان قنصلا عاما بتونس فى سنة ١٨٣٠ إذ نبهه الى ان المملكة أخذت القهقرى فى طريق الاملاق والخراب٠

٠توضح المطامع الاستعمارية الايطالية والانقليزية وخاصة الفرنسية فى البـــلاد التونسية واحساس السلطة بعجزها وفقدان مناعتها السابقة امام هـــذه المطـــامع وقد اصبحت هذه البلدان تتدخل مباشرة فى سياسة تونس الداخلية والخارجية عن طريق قناصلها وجالياتنها وتجارها وكثيرا ما كانت تستغل ابسط خـــلاف لتدفـــع ببواخرها الحربية لتهديد العاصمة التونسية واملاء الشروط المجحفة(فرنسا فـــى أوت ١٨٣٠ وسردانيا فى نوفمبر ١٨٣٢ ونابولى فى افريل ١٨٣٣)

٠الضغط العثمانى على السلطة التونسية للعدول عن توجهاتها الى تعزيز استقلال البلاد عن الخلافة العثمانية ويتجلى هذا الضغط من خلال المطالبة بالتزام تونـــس بأداء سنوى ولو رمزى وتصرف الباى فى علاقاته الخارجيـــة باعتبـــاره واليـــا عثمانيا لاملكا مستقلا الامر الذى كان البايات يرفضونه قطعيا وقد بلـــغ الضغـــط العثمانى قمته فى غزو طرابلس المجاورة والحاقها عضويا بالباب العالى٠

وأمام هذا الضغط وتمسك السلطة التونسية باستقلالية البلاد اضطر البايات الـــى التودد للباب العالى عن طريق ارسال الهداي الباهضة والمشاركة باستمرار فـــى الجهود الحربية للخلافة فى البلقان مما مثل عبءا ثقيلا على ميزانية الدولة حتـــى اضطر أحمد باى الى بيع مصوغ بيته وتحفه الخاصة فى فرنسا لتجهيز الجيـــش التونسى المشارك فى حرب القرم٠

مشروع أحمد باى الإصلاحى

إن مجمل هذه ا؟لأوضاع دفع المشير أحمد باى الذى تولى السلطة فـــى أكتوبـــر ١٨٣٧ الى رسم خطة للنجاة بالبلاد مما يتهددها من مخاطر الانـــهيار الداخلـــى والاحتلال الخارجي الأوربى أو العثمانى ويمكن تلخيص هذه الخطـــة فـــى ثلاثـــة محاور هى:

١-فى مستوى العلاقات الخارجية توخى ما يمكن أن نسمية بسياسة الاحتواء المزدوج للخطر الفرنسى والعثمانى بربط علاقات مودة متينة مع الطرفين والاحتماء بأحدهما من الآخر فكان يواجه ضغوط الفرنسيين فى الجزائر وطلباتهم الترابية بإعلان تبعية البلاد لتركيا وعدم أهليته القانونية والسياسية للتصرف فيها ويستعمل فى نفس الوقت ضغط الاسطول الفرنسى لصد أى نوايا تركية لضم تونس على غرار ما فعلته بطرابلس فى سنة ١٨٣٦ وفى هذا الإطار تأتى زيارته لفرنسا فى سنة ١٨٤٦ كما حرص هذا الباى على اقتمة علاقات دبلوماسية متصلة ومتميزة مع انقلترا وغيرها من الدول الأوربية٠

٢-بناء مؤسسة عسكرية نظامية حديثة على غرار ما هو موجود فى بلاد الاوربية وهو جهد كان قد بدأه والده مصطفى باى منذ سنة ١٨٣١ عندما رتب جيشا نظاميا كلف بالاشراف عليه ابنه أحمد باى ذاته وجلب له معلما من فرنسا للتدريب على صناعة الرمى بالمدافع وبالبنادق ولكن أهم انجاز قام به هذا الباى يتمثل بلا شك فى تلأسيسه للمدرسة الحربية بباردو سنة ١٨٤٠ باعتبارها أول مدرسة عصرية بالبلاد إذ لم تكن تعلم الفنون العسكرية فقط بل كانت تعلم تحت اشراف استاذة فرنسيين وايطاليين وتونسيين اللغتين الفرنسية والايطالية وكذلك العلوم الهندسية والحساب والتاريخ والجغرافيا زيادة على اللغة العربية وشيء من علوم الدين ومن هذه المدرسة ستتخرج النخبة التى ستقود محاولة النهضة فكريا وعلميا والتى سيعول عليها احمد باشا فى تسيير شئون الدولة وفى مقدمتهم خير الدين التونسى والجنرال حسين الى جانب النخبة التجديدية التى افرزها نظام التعليم التقليدى الذى انبعثت فيه الروح فى عهد حمودة باشا أمثال أحمد بن أبى الضياف والشاعر محمود قبادو والشيخ بيرم والشيخ سالم بوحاجب وغيرهم٠

٣ ـ اتخاذ الإجراءات هامة منها انه " لما رأي بعين بصيرته أن الحكم في الناس بمجرد اجتهاد الملك وحده في غير أصول عقلية أو شرعية يعتمدها في ذلك قد نافره طبع الزمان وصعب عليه قطع عادة اله دفعة ، أراد أن يمرن نفسه

وأهل المملكة علي ما تحقق وقوعه لا محالة " ٢٣ فامتنع عن الحكم في النوازل بنفسه علي العادة وأوكل ذلك إلى القضاة غير أن ابرز إجراء قام به في إطار وعيه بضرورة دخول المجتمع التونسي إلى طور الحداثة ، يتمثل بلا منازع في إصداره قانونا يمنع الرق نهائيا ، وذلك في جانفي ١٨٤٦ وهو قرار لم يتخذه دفعة بل تدرج إلى الوصول إليه فبدأ في سنة ١٨٤٢ يمنع بيع الرقيق في السوق كالبهائم وهدم المحلات المجعولة لذلك ثم منع خروج المماليك من البلاد للاتجار فيهم ، وفي ديسمبر ١٨٤٢ أصدر أمرا يقضي بان كل من يولد في المملكة التونسية فهو حر لا يباع ولا يشتري ومنت إجراءاته التحديثية أيضا إقامته مصنعا حديثا للنسيج وتنظيم التعليم في جامع الزيتونة الزيتون المكتبة الاحمدية وهي اكبر مكتبة عمومية تأسست إلى ذلك التاريخ ١٨٤٠ كما توجهت عناية هذا الباي إلى الناحية العمرانية فعمل علي تجديد خرائب العاصمة وأقبل علي بناء بعض القصور المكلفة . إلا أن إصلاحات هذا الباي وإكثاره من الجيش النظامي وإسرافه في الإنفاق عليه مع وجود الضائقة المالية التي كانت تعاني منها البلاد اضطرته إلى التداين المفرط من سوق المال الأجنبية والإكثار من الضرائب الأمر الذي أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية خطيرة عجزت الدولة علي أثرها عن صوف الرسوم المالية لعدم وجود المال الناض بخزائنها خاصة بعد فرار الموكل بها محمود بن عياد في ١٨٥٢ إلى فرنسا بكل ما كان بها من مال . وإذا أمكن تدارك الأمر بفضل جهود خير الدين أمام القضاء الفرنسي ، فان الأوضاع المالية ستتفاقم في عهد خليفته محمد باي ثم الصادق باي حتى انتهي الأمر في سنة ١٨٦٧ إلى إعلان إفلاس الدولة التونسية ووضعها تحت تصرف كوميسيون مالي مكون من الدول الدائنة .

وأمام تردي هذه الأوضاع اجتمع رجال الإصلاح حول خير الدين وحاولوا العمل سياسيا وفكريا لإنقاذ البلاد من الورطة التي وقعت فيها . سياسيا بدفع محمد باي ثم الصادق باي إلى إعلان قانون عهد الأمان سنة ١٨٥٧٨ ثم الدستور سنة

١٨٦٠ وهو أول دستور في بلد إسلامي وتكوين مجالس الحكم بالقانون والمجلس الكبير الذي هو بمثابة البرلمان وتنظيم مالية الدولة والحد من التدخل الأجنبي في شئونها ولكن كل هذه الإصلاحات الرائدة باءت بالفشل أمام تألب أصحاب المصالح في تواصل الأمور علي ما كانت عليه وهم الباي ووزراؤه الفاسدون والمرتشون علي رأسهم وزيره الأكبر مصطفي خزنه دار وكذلك القوي الأجنبية التي كادت هذه الإصلاحات تعرقل مطامعها الاستعمارية فاضطر خير الدين إلى الاستقالة من جميع مناصبه والخروج نهائيا من تونس كما وقع إبعاد أنصاره من مراكز القرار وتعويضهم بأشخاص ضعفاء أو كمرتشين وعملاء لتسقط البلاد تحت الحماية الفرنسية في سنة ١٨٨١ م وفي ذلك يقول خير الدين " لقد حاولت أن أسير بالأمور في طريق العدالة والنزاهة والإخلاص فذهب كل مسعاي سدي ولم أشأ أن اخدع وطني الذي تبناني بتمسكي بالمناصب ورأيت أن الباي وعلي الأخص وزيره الرهيب عظيم الجاهى مصطفي خزنه دار لا يلجأن إلى التشريعات الإصلاحية إلا لتبرير سيئاتهما تبريرا قانونيا فقدمت استقالتي ٢٤ وهكذا لم يبق من هذه الحركة الإصلاحية إلا جانبها الفكري ممثلا علي الخصوص بما دونه ابن أبى الضياف في كتابه " الاتحاف " وخير الدين التونسي في كتابه " أقوم المسالك

- الفكر الإصلاحي التونسي : المرجعيات والمبادئ

أن المتأمل في الفكر الإصلاحي التونسي في القرن التاسع عشر يكشف مجموعة من المؤثرات والمرجعيات التي أسهمت في بلورته ويمكن تبويبها بحسب الأهمية كما يلي :

١ ــ الواقع التونسي بكل مخاطره وأزماته وخصوصياته في إطار واقع الخلافة العثمانية

ولذلك فإننا نشاطر الأستاذ منصف الشنوفي فيما ذهب إليه بخصوص خير الدين ونراه ينطبق علي الفكر الإصلاحي التونسي في عمومه ، فقد أكد الأستاذ

الشنوفي " أن منطلق التفكير الإصلاحي عند خير الدين تونسي بحت ، وهو وضع البلاد التونسية في منتصف القرن التاسع عشر إلا إنه يتنزل في محيط عثماني (٢٥) خاصة وأن معظم المصلحين كانوا من رجال السياسة المباشرين لشئون الدولة ومن المنادين بضرورة الارتباط بالخلافة العثمانية .

٢ـ واقع البلدان الأوروبية التي عاينها المصلحون التونسيون مباشرة بالسفر إلى أوروبا (سفر أحمد ابن أبي الضياف إلى فرنسا وسفر خير الدين إلى مختلف البلدان الأوروبية وسفر الجنرال حسين إلى أمريكا وأوروبا) وكذلك الاطلاع على فككر الأنوار مباشرة أو عن طريق ما دونه الطهطاوي وخاصة خير الدين في كتابه " أقوم المسالك " الذي يبدو وكأنه موسوعة الحضارة الأوروبية ومفكري عصر النهضة .٣ـ فكر عبد الرحمان بن خلدون : إنه من اللافت للانتباه ذلك الحضور المكثف التأثير الواضح لفكر ابن خلدون في الفكر الإصلاحي التونسي سواء لدى البايات المصلحين مثل علي باشا الأول وحمودة باشا وأحمد باي ، أو لدى المصلحين من رجالات الدولة وكتابها وعلماء الدين فيها المالكية منهم والحنفية .

فكان أحمد باي مثلا إذا ذكرت له نقدمه ابن خلدون يقول : نعرفها ويستشهد منها بما يوافق غرضه "(٢٦) أما حمودة باشا فقد كان يمثل آراء ابن خلدون في سلوكه الشخصي حتى قيل عنه ابن أبى الضياف إنه " ضرب صفحا عن السير ونعيم الحضارة وعود نفسه تحمل المشاق ومناعة الحر والقر (...٩ ومالت الناس في أيامه إلى أخلاق البداوة والشدة والمدافعة وانفوا من أخلاق الحضارة حتى في ملابسهم "(٢٧) وتمثل آراء ابن خلدون مراجع أساسية في كتابات خير الدين وابن أبى الضياف والجنرال حسين فيقول خير الدين مثلا :" ومن تصفح الفصل الثالث من الكتاب الأول من مقدمة ابن خلدون رأى أدلة ناهضة على الظلم مؤذن بخراب العمران ، كيفما كان وبما جبلت عليه النفوس البشرية ، كان إطلاق أيدي الملوك مجلبة للظلم على اختلاف أنواعه كما هو واقع اليوم في بعض

ممالك الإسلام ووقع بممالك أوروبا عند استبداد ملوكها بالتصرف المطلق في عبيد اتلله "(٢٨) ويتجلي تأثير ابن خلدون في المصلحين التونسيين في طريقة التعبير عن آرائهم بالتأليف التاريخي الذي ينقسم إلى مقدمة نظرية ومتن تاريخي كما هو الشأن في " اتحاف " ابن أبى الضياف " وأقوم المسالك " لخير الدين لقد اثبت فكر ابن خلدون من خلال الفكر الإصلاحي التونسي قدرة عجيبة علي أن يكون فكرة حداثة .

٤ ـ تجربة التحديث المصرية والتنظيمات العثمانية : كان لمحمد علي الكبير مكانة خاصة لدي المصلحين التونسيين فساندوه فكريا في حربه ضد الوهابيين ، وعندما بلغ خبر انتصاره عليهم واسترجاع الحرمين منهم ، أطلقت المدافع بتونس سرورا بذلك النصر . وفي سبتمبر ١٨٢٢ أرسل محمود باي " هدية من خيل البلاد وفاره بغلها وجيد نسجها ووحوش فلاتها " (٢٩) إلى محمد علي الذي قال عنه ابن أبى الضياف : " رجل الدنيا وواحدها الطائر الصيت في جهات المعمور ، من رد الله به مصر إلى شبابها ، رد شباب امرأة العزيز ليوسف الصديق (٣٠)

وقد أكد ابن أبى الضياف وخير الدين اطلاعهما علي كتابات رفاعة الطهطاوي النهضوية وأحالا مرارا علي كتابه " تخليص الإبريز " الذي نوها به في أكثر من موضع ، كقول خير الدين : " ومن تاقت نفسه إلى تفاصيل العلوم والفنون المشار إليها فعليه بمطالعة الفصل الثالث عشر من المقالة الثالثة من رحلة العالم البارع الشيخ رفاعة أحد علماء مصر المسماة " بتخليص الإبريز " فقد كشف فيها الغطاء عن تدبير الأمة الفرنساوية التي رفعت راية التمدن وأجاد في ذلك وأفاد " (٣١) وذكر ابن أبى الضياف الطهطاوي في معرض حديثه عن الملك المقيد بقانون فقال : " ومن أراد الاطلاع علي عقد نفيس في هذا المعني فعليه بمطالعة الفصل الثالث من المقالة الثالثة من تأليف الشيخ الألمعي الفاضل أبى محمد رفاعة بدوي رافع الطهطاوي المصري الذي ألفه في رحلته لباريس وسماه "

تخليص الإبريز في تلخيص باريز " فانه لخص فيه القانون الفرنساوي تلخيصا حسنا بديعا يشهد له بالإتصاف وحدة الفكر(٣٢)

وأقام الجنرال حسين بمصر مدة بعد استقالته من مناصبه في سنة ١٨٦٤ وسفره إلى أمريكا وأوربا، وعرضت عليه بعض المناصب في الدولة المصرية ولكنه اعتذر ، غير أن علاقته برجال الإصلاح في مصر ظلت متينة فأعان بالمال الأفغاني وعبده عندما اصدرا " العروة الوثقي " بباريس ، كما أعان عرابي باشا إبان ثورته وأجر من ماله الخاص محاميين ، وجههما للدفاع عنه [٣٣] .

أما التنظيمات الخيرية العثمانية فقد أرسل السلطان منها نسخة إلى أحمد باي في مارس ١٨٤٠ م أي بعيد إصدارها وطالبه بتطبيقها في تونس ، فجمع الباي أعيان دولته في مجلس مشهود وقرئ عليهم نصها ولكنه تهرب من الالتزام بتطبيقها وان كان مقتنعا بفحواها ، حتى لا يؤخذ ذلك علي انه تسليم بالتبعية للباب العالي ، أما المصلحون فقد تبنوا جميعا مضمون هذه التنظيمات وناضلوا من أجل تطبيق روحها من خلال القوانين التي ساهموا في صياغتها . وقد دافع عنها ابن أبى الضياف في إتحافه ، بعد أن عرض نص ترجمة مصرية لها في مقدمة كتابه (٣٤) ثم علق عليه بقوله : " هذا وأقول لا يخفي علي عاقل منصف مؤمن ، من دينه النصيحة لله ورسوله وأمة المسلمين وعامتهم ، ومن إيمانه " حب الوطن " أن الملك بالقانون يقتضيه الشرع والعقل ، ولا صلاح لأمة في هذه الإعصار إلا به " (٣٥) وخصص خير الدين فصولا مطولة من كتابه " أقوم المسالك " للحديث عن التنظيمات والتنبيه إلى جدواها وتوضيح أسباب فشلها .

وتكتسب التنظيمات أهميتها لدي المصلحين التونسيين من ظاهرة لازمت الفكر الإصلاحي التونسي في القرن التاسع عشر ، وهي رؤيته للإصلاح في إطار عثماني رغم نزعة البايات المعروفة إلى الاستقلالية وعملهم علي تنمية مفهوم الوطنية التونسية ضمن الأمة الإسلامية وذلك منذ عهد حمودة باشا الحسيني (١٧٨٢ ــ ١٨١٤)

هذه هي المرجعيات الأساسية التي استند إليها الفكر الإصلاحي التونسي ، وتأثر بها في القرن الماضي علي الخصوص . وقد تضافرت مع انتماء ابرز المصلحين التونسيين إلى أوساط رجال الساسة والموظفين السامين في الدولة لتوجه هذا الفكر في اتجاه الإصلاح السياسي وتعطيه صبغة عملية مباشرة .

فالمصلحون التونسيون انطلاقا مما فرضه عليهم تردي الواقع السياسي في بلادهم وطغيان الهم السياسي علي مشاغلهم وإيمانا منهم بالفكر الخلدوني وخصوصا بمقولته الشهيرة التي مفادها أن الظلم مؤذن بخراب العمران ، جعلوا من إصلاح نظام أساسا للإصلاح الحضاري الشامل وشرطا لنجاحه .

وقد لخص ابن أبى الضياف موقف المصلحين التونسيين في هذا الشأن بقوله بعد استعراض آراء ابن خلدون في عدة صفحات :

" ومن المعلوم أن شدة الملك القهري تفضي إلى نقص في بعض الكمالات الإنسانية من الشجاعة وإبادة الضيم ، والمدافعة عن المروءة وحب الوطن والغيرة عليه ، حتى صار بعض أهل الجهات من المسلمين " عبيد جباية " ليس لهم من مسقط رؤوسهم وبلادهم ومنبت آبائهم وأجدادهم إلا إعطاء الدرهم والدينار ، علي مذلة وصغار ، والربط علي الخسف ربط الحمار حتى زهدوا في حب الوطن والدار وانسلخوا من أخلاق الأحرار وهذا أعظم الأسباب في ضعف الممالك الإسلامية وخرابها "(٣٦)

وبين خير الدين التونسي من خلال المقارنة بين ماضي أوربا المتخلف وحاضرها المتقدم من ناحية ، وبين ماضي المسلمين المزدهر وحاضرهم المتخلف من ناحية ثانية ، أن السبب في ذلك هو حضور العدل أو غيابه ، لان هذا العدل السياسي الذي كان سببا في ازدهار دولة الإسلام في الماضي والذي هو قاعدة النهضة الأوربية الحديثة ، يضمن ، كما هو مشاهد في أوربا ، تمتع الناس بنعمة الحرية التي جبلت عليها النفس البشرية ، وهي ثلاثة أصناف متلازمة ومتكاملة :

أ . الحرية الشخصية أي " إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه مع أمنه علي نفسه وعرضه وماله ومساواته لابناء جنسه لدي الحكم " .

ب. الحرية السياسية التي تتم عند الأوربيين من خلال " مجلس نواب العامة المنتخب ديمقراطيا .

ج. حرية التعبير التي يسميها خير الدين بحرية المطبعة .

وبهذه الأصول كما يقول " قوام السعادة الدنيوية المربية للهمة الإنسانية وكمال الحرية المؤسسة على العدل وحسن نظام الجماعة (٣٧) وبذلك ينشط الناس للعمل وهم آمنون على ثمرة جهدهم . وبالجملة يقول خير الدين :" فالحرية إذا فقدت من المملكة تنعدم منها الراحة والغنى ويستولي على أهلها الفقر والغلاء ويضعف إدراكهم وهمتهم كما يشهد بذلك العقل والتجربة "(٣٨)

والنظام السياسي الأمثل لتحقيق النهضة المنشودة في نظر المصلحين التونسيين هو نظام الملك المقيد بقانون ، أي النظام الملكي البرلماني على النمط الأوروبي الحديث . وهو يعني بالضرورة الأخذ عن الغرب المسيحي في مجال تكرس فيه لدى العالم الإسلامي نمط الخلافة كمسلمة دينية مقدسة . وقد كان المصلحون التونسيون على وعي بحساسية هذا الموضوع وبمدى الصعوبات التي يمكن أن تواجه مثل هذه الدعوة ، خاصة إذا عمد ملوك الإطلاق والمستفيدون من هذا الحكم الاستبدادي من موظفين ورجال دين ، إلى تحريك العامة لمعارضتها ، الأمر الذي شمل أيضا كل الدعوات الأخذ عن الغرب المسيحي في مجال المدنية عموما .

ولذلك اهتم المصلحون التونسيون بطمأنة الخواطر ودعم دعوتهم الإصلاحية بالمستندات الشرعية والعقلية واستعارة المصطلحات الإسلامية للتعبير عن المعاني الغربية المطلوب أخذها مثل " أهل الحل والعقد " " والشورى " " والشريعة " وقد اعتمدوا في ذلك آلية تقوم على :

١. الإقناع بأن التمدن الأورباوي تدفق سيله في الأرض فلا يعارضه شئ إلا استأصلته قوة تغيره المتتابع ، فيخشى على الممالك المجاورة لأوروبا من ذلك التيار إلا إذا حذوا حذوه وجروا مجراه في التنظيمات الدنيوية ، فيمكن نجاتهم من الغرق ."(٣٩)

٢. الفصل بين المدنية الأوروبية الحديثة والديانة المسيحية التي لا تداخل في التصرفات السياسية لأنها تأسست على التبتل والزهد وإنما بلغ الأورباويون ما بلغوه من تمدن بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي وتسهيل طرق الثروة ، واستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة وملاك ذلك كله الأمن والعدل اللذان صارا طبيعة في بلدانهم "(٤٠)

٣. وأكد المصلحون التونسيون على لسان خير الدين أن ما يدعون إلى أخذه عن الغرب لا مساس له بالدين الإسلامي ن بل بالعكس هو مما تحث عليه الشريعة الإسلامية . كما أن هذا الأخذ لا ينبغي أن يكون اعتباطيا وإنما علينا أن نتخير من المدنية الغربية " ما يكون بحالنا لائقا ولنصوص شريعتنا مساعدا وموفقا "(٤١)

٤. قراءة تطورية للنص الديني تقوم على ما يمكن أن نسمية فقه المقاصد باعتبار أ ن مقصد الشريعة هو جلب المصلحة ودفع الفساد من ناحية ، وعلى الإحساس العميق بسيرة التاريخ وما يتبعها من تبدل الأحوال والأحكام من ناحية ثانية . فلم يقف هؤلاء المصلحون عند ظاهرة النص وإنما فهموا روحه على ضوء المقصد الأساسي منه وقد اعتمدوا في ذلك على مقولة نادي الشيخ محمد بيرم الأول منذ عهد حموده باشا الحسيني مفادها أن الساسة الشرعية هي ما يكون الناس أقرب معه إلى الإصلاح وأبعد نه عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به الوحي " فكتب ابن إبري الضياف على لسان محمد الصادق بأن في رسالة إلى المجلس الشرعي " أن التراتيب السياسية تدور مع المصالح وجودا وعدما "(٤٢) وكتب الجنرال حسين في رسالة إلى خير الدين يقول " أن احب الناس إلى الله تعالى من بذل همته في مصالح العباد العامة ومن بذل ساعة عمل في إصلاح شأن البلاد والعباد أحق بالثناء والأجر ممن يقضي يومه أو يوهم انه يقضيه بالتسبيح والتقديس(٤٣)

وبناء علي ذلك فان القانون بالمعني الأوربي الحديث لا يتناقض مع روح الشريعة الإسلامية بل هو من مقاصدها حتى وان لم تضمنه بالنص . وقد حرص المصلحون التونسيون علي إبراز انهم لا يتوجهون إلى المدنية الأوربية مسلوخين عن جذورهم الإسلامية وإنما هم يفكرون في هذه المدنية انطلاقا من كونهم مسلمين لهم شخصيتهم وتقاليدهم ولهم علي الأخص شريعتهم الدينية التي يجب أن يتوافق معها وإلا يتناقض كل ما نريد نيله من أوربا كمدنية وعلم وثقافة ١١

وعندما نطالع مذكرات خير الدين يتضح لنا الحاجه علي ضرورة التمييز بين الدعوة الإصلاحية بالاستفادة من المدنية الغربية والدعوة إلى تقليد الغرب التي تبناها بعض المصلحين

حيث تكون طبائع البشر مغايرة وكذا أخلاقهم وتربيتهم وظروف مناخهم " واعتبر أن فشل المقلدين يعود إلى كونهم : لم يجنحوا إلى إصلاحات جوهرية تتلاءم والحاجات الحقيقية للبلاد وطبائع سكانها (٤٥)

٤ ـ التأكيد علي ضرورة توخي التدرج في الإصلاح اذو يري هؤلاء المصلحون أن المدنية الأوربية لم تتم خير الدين بمكل دقة وفطنة منذ نهاية الحروب الصليبية إلى أيامه في أواسط القرن التاسع عشر واعتبر ابن أبي الضياف أن التدرج هو الذي أعانهم علي ما يطلبونه من العمران وسهل عليهم أسباب الحضارة من غير تكلف وذلك أن الأمر الضروري إذا تم علي احسن حال طلب بطبعه الأمر الحاجي لما في الطباع من طلب التزيد فإذا تم طلب بطبعه أول درجات التحسين ن ولم يزل فيه بحسب قبوله واستعداده ولو طمحت أنظارهم إلى التحسين من أول الأمر ما حصلوا هذه الدرجة ن وهذا معلوم بالمشاهدة "(٤٦)

وعلى هذا الأساس قبل خير الدين مرحليا تعيين الباي لأعضاء المجلس الكبير (أول برلمان تونسي) بالتشاور مع أهل الحل والعقد بالبلاد من

رجالات الدولة وأعيانها وعلمائها بدل مكن الانتخاب العام ، رغم ما في ذلـــك من نقائص .

والحقيقة أن ما تحلى به الفكر الإصلاحي التونسي من واقعية واعتدال يعـود إلى أنه لم يكن فكرا نظريا خالصا وإنما بالتجربة العملية بحكم أن أصحابـــه كانوا من المباشرين للسياسة العامة وقد أتيحت لهم الفرصة خالصة لوضـــع المسائل النظرية على محك الواقع من خلال عملهم اليومي في تسيير شـؤون الدولة . وذلك بما اسهموا فيه من صياغة القوانين الوضعية (مثـــل قـانون عهد الأمان ١٨٥٧ والدستور ١٨٦٠) وإعادة تنظيم المؤسســـات السياسـية والإدارية والقضائية بالبلاد بما يتماشى مع متطلبـــات الأوضـــاع الجديـــدة ، وتأسيس أول مجلس بلدي بقيادة الجنرال حسين في مدينـــة تونـــس (ســـنة ١٨٥٨) وتأسيس أول مطبعة في تونس وإصدار أول جريد ة عربية بها وهـي الرائد التونسي (١٨٦٠) بسعي حثيث من الجنرال حسين وبفضل ما أنفقه في هذا الشأن من أمواله الخاصة زد إلى ذلك إعادة تنظيم التعليم التقليدي بجـامع الزيتونه وبعث مدرسة الصادقية العصرية ذائعة الصيت ســـنة ١٨٧٥ والتـــي سيخرج منها زعماء المرحلة الثالثة من الحركة الإصلاحيـــة وقـــادة الحركـــة الوطنية بناة تونس الحديثة في هذا القرن العشرين .

الخاتمة : الحلم المجهد –

رغم كل هذه الميزات الذاتية للحركة الإصلاحية التونسية في القرن التاسع عشر ، فقد وجدت نفسها كسابقتها في القرن الثامن عشـــر ، تتفتـــت علــى صخرة الوقائع لموضوعية التي لعبت فيها العوامل الخارجية الدور الأساسي . وفي قضية الحال بالتحديد فإن خير الدين وزملاءه اصطدموا بواقع الإفـــلاس الشامل الذي تردى فيه الاقتصاد التونسي بسبب فساد المتنفذين فـــي الدولـــة وتبذير العائلة المالكة وانهيار الهياكل الاقتصادية الوطنية التقليدية أمام تغلغـل رأس المال والبضائع الأوروبية في الأسواق التونسية ، واســـتحواذ التجـــار

الأجانب على مسالك التصدير والتوريد في البلاد العربية ، واستغلال القوى المالية الغربية رغبة البلاد ونزوعها إلى التحديث ، وجلب مظاهر المدنية الأوروبية ، لتضخيم المديونية الرسمية بشروط اقتراض مجحفة ، كما اصطدم خير الدين وزملاؤه بالتدخل المستمر للقناصل الأجانب وخاصة قنصل فرنسا في الشؤون الداخلية لبلاد واستعمال عصا المدافع حينا وعصا المديونية حينا وجزرة المزيد من القروض حينا .

وبالرغم من أن هؤلاء القناصل كانوا في البداية يشجعون الحركة الإصلاحية لتونسية ويدعمون رجال الإصلاح ، فإنهم سرعان ما تخلوا عنهم ومارسوا عليهم الضغوطات ، عندما تأكدوا من متانة نزعتهم الوطنية وأيقنوا أن نجاح هذه الحركة يعني القضاء على المطامع الاستعمارية الغربية . وبذلك نفسر تألب قنصل فرنسا والجرائد الباريسية على خير الدين وتحالف بعض الأوساط المالية الأوروبية المتنفذة في تونس مع خصومه من السياسيين الفاسدين المرتشين الملتفين حول الوزير الرهيب مصطفى خزندار وصنيعته مصطفى بن إسماعيل وقد التقت مصالحهم مع مصالح الباي ، الأمر الذي أدى في ١٨٧٧ إلى استقالة خير الدين أو بالأحرى عزله عن الوزارة الكبرى ورئاسة الكومسيون المالي ثم هجرته إلى الأستانة بدعوة من السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٨٧٨م . مما سارع بسقوط البلاد تحت الحماية الفرنسية في سنة ١٨٨١م . وما أن انتصبت هذه الحماية حتى بادرت بتصفية الحركة الإصلاحية من خلال عزل الجنرال حسين الذي آلت إليه زعامة الحركة بعد هجرة خير الدين من جميع وظائفه ، وتجريده حتى من رتبته العسكرية وإبعاد أنصاره عن الوظائف الرسمية فخرج من البلاد كالمنفى واستقر في فلونس بإيطاليا حيث مات غريبا في سنة ١٨٧٨م.

رفاعة الطهطاوي والدعوة إلى فكر نقدي تنويري

بقلم / د. عاطف العراقي

لابد أن نشير في البداية أن النقد وما يؤدي إليه من تنوير يمثل ظاهرة صحية وعامة للفكر الجاد ، الفكر البناء ، الفكر الذي يريد أصحابه أن يتخطي حدود الزمان والمكان فالنقد يمثل الحركة لا السكون ، يعبر عن الثقة والاعتزاز بالنفس ، إنه يعني ألا يكون الشخص متابعا للآخرين . وقديما فرق الفليسوف اليوناني أفلاطون بين الفضيلة العادية ، فضيلة النمل والنحل ، والتي يكون صاحبها مجرد متابع للآخرين في أفكارهم وسلوكهم وعاداتهم وتقليدهم وبين الفضيلة الفلسفية والتي لا تعد تعبيرا عن المتابعة والتقليد (١)

لقد ارتبط النقد إذن بالعديد من القضايا قديما وحديثا ، ومن بين هذه القضايا قضية التنوير ، وقضية الغزو الثقافي ، أي موقفنا من العلوم والأفكار غير العربية ، وقضية الأصالة والمعاصرة ، وهكذا إلي أخر القضايا والمشكلات ، والتي إن دلتنا علي شئ ، فإنما تدلنا علي الوقفة النقدية من جانب العديد من الأدباء والمفكرين والعلماء والفلاسفة وصلة هذه الوقفة بالاتجاه الإصلاحي .

ولسنا في حاجة إلى لقول بأن المفكرين والأدباء الذين نجد لديهم اتجاها نقديا بارزا ، إنما يحتلون في تاريخ الفكر الإنساني مكانة كبيرة ، مكانة أعلي من المفكرين الذين لا نجد لديهم تلك الوقفة النقدية ، فصاحب العقلية الناقدة لابد وأن يكون شخصا ممتازا لأنه يتجاوز الواقع بنقده لهذا الواقع فكريا كان أو اجتماعيا .

إننا نجد اتجاها نقديا يرتبط بالإصلاح في فكرنا العربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهذا الاتجاه النقدي وما يرتبط به من تنوير للعقل العربي تتمدد صوره ومجالاته وميادينه ، ويرتبط ارتباطا ضروريا بالنقد الفلسفي ، هذا

---

(١) يمكن الرجوع إلي دراسة لنا منشورة عن رموز الفكر الإصلاحي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ألقيت بمؤتمر بالقيروان بتونس ، يوليو ١٩٩٧ ، ونشرت بمجلة التنوير الثقافي بقطر

النقد الذي يعد قديما قدم الفلسفة ، بمعني انه مصـــاحب للفلســفة ، يعـد مــن خصائص الفكر الفلسفي والأدبي الممتاز ، ومن هذا يكون للفكر النقــدي دلالتــه الفلسفية والأدبية ، ودلالته الإصلاحية أيضا .إننا إذا قلنا بان وظيفة المفكر ليست مجرد تفسير الواقع أو تبريره ، بل تغيير الواقع فان هذا المفكــر لا يتســنى لــه القيام بوظيفته إلا من خلال اتجاه نقدي ، وإلا كيف نفرق بيــن تــبرير الواقــع والدفاع عنه ، وبين تغيير الواقع بحثا نحو الأفضل .

ونجد هذا البعد النقدي حين نفرق بين المقلد من جهة والمجدد من جهة أخــري ، فالمقلد لا أثر له في المجتمع ، بل قد يحاول من جانبه الدفاع عن طريق الظــلام وتنوير العادات والتقاليد الخاطئة ، أما المجدد فإنه نظرا لالتزامه بالاتجاه النقـدي ، فإننا نراه باستمرار ساعيا نحو تقديم تصور يتبلور حول النظــر إلــي الأمــام وليس إلي الخلف ، فالتجديد كما سبق أن أشرنا إعادة بنــاء RECONSTRUTION وليس مجرد ترسيخ البناء الآيل للسقوط ، ومن حكمة الله تعالي أنه خلق عيوننــا في مقدمة أدمغتنا وليس في مؤخرتها ، حتى ندرك تماما أن المطلــوب منــا أن نسعي بكل جهدنا نحو التجديد والتقدم وبحيث لا يكون الفرد منــا مجـرد متــابع للآخرين وعالة عليهم ، وفرق كبير بين من يحصل علي ثمرة من البرتقال يراهــا ساقطة تحت الشجرة ، وبين من يصعد بنفسه إلي الشجرة حيــث يحصــل علــي الثمرة .

فالفرد الأول قد اعتمد علي جهد الآخرين ، أما الشخص الثاني فلم يكن عالة علي من سبقوه ، بل اعتمد علي نفسه للحصول علي ما يريد . الأول ليس صاحب فكر نقدي ، والثاني علي العكس تماما من الأول إنه يتميز بفكر أو اتجاه نقدي .

وإذا كنا لا نجد بصمة من البصمات تطابق تمام المطابقة بصمة أخرى ولا نجــد ورقة من أوراق الشجر تكون صورة طبق الأصل من ورقــة أخــرى مــن أوراق الشجرة فأولي بنا إذن وقد وهبنا الله العقول التي تفكر ، ألا يكون الفرد منا مجرد متابع للآخرين ، بل إنه بما يملك وقد لا أكون مبالغا في القول إذا ذهبت إلــي أن

الحديث عن رموز الفكر الإصلاحي في من عقل وظيفته التفكير ، يعد واجبا عليه الالتزام بالاتجاه النقدي .

النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، يعد حديثا بالغ الأهمية ، إذ أن أكثر القضايا التي أثارها هؤلاء الرموز في تلك الفترة الزمنية إنما كانت تمثل الأساس والمحور بالنسبة للمشكلات التي أثيرت في القرن العشرين ، القرن الذي نكاد نقول له وداعا ، وبحيث قاربنا الانتهاء منه حتى ندخل في قرن جديد .

ولا يمكن أن نفهم أبعاد قضية من القضايا التي اثيرت في القرن العشرين عند العرب إلا إذا رجعنا إلي الوراء قليلا ، رجعنا إلي القرن التاسع عشر وبحيث تزداد إحاطتنا بكل مشكلة أو حل قضية من القضايا ، سياسية كانت أو إجتماعية أو فكرية بوجه عام .

قلنا إننا نجد اتجاها نقديا تنويريا في فكرنا العربي حديثا ، ويقيني بأننا إذا أردنا البحث في قضايا مثل الأصالة والمعاصرة ، والتنوير ، وإحياء التراث ، فإننا لا بد أن نعول بالدرجة الأولى علي النماذج التي تتمسك بالاتجاه النقدي .

من الضروري إذا أن نتوقف عن بعض النماذج والتي نجد لديها فكرا نقديا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، صحيح أننا لا نجد في عالمنا العربي فلاسفة منذ ثمانية قرون وعلي وجه التحديد منذ وفاة الفليسوف العربي ابن رشد ، ولا نجد أدباء من طراز الجاحظ وابن الرومي والمتنبي وأبي العلاء المعري ، إلا إننا لا نعدم وجود بعض الأفكار والاتجاهات الأدبية والفلسفية في تلك الفترة الزمنية ، فترة القرن التاسع عشر الميلادي .

لقد ثار في العصر الحديث جدال طويل حول قضايا التنوير والتراث ، وإذا قلنا بأن رفاعة الطهطاوي يمثل علامة بارزة تفصل بين عهدين ، عهد الوقوف عند التراث القديم لمجرد انه تراث ، وعهد يدعو إلي الاستفادة من الحضارة الأوروبية ، وكيف نميز بين خصائص كل عهد منهما ، أو بين معالم كل ثقافة

منهما فإن ما أثير من قضايا حول هذا المجال يمكن أن يمثل لنا بعدا نقديا في فكرنا العربي بما يشمله من آداب وعلوم وفنون .

فإذا كنا نجد عادة ثلاث تيارات ، يمثل أولها الوقوف عند التراث وبحيث نجد فيه حلا لكل قضايانا في العصر الحديث ، فان أصحاب هذا الاتجاه إنما يركزون علي نقد الحضارة الغربية بوجه عام ، ويمثل التيار الثاني الاستفادة التامة من الحضارة الغربية الأوروبية وبحيث يدعو إلي أن يكون عالمنا العربي في حضارته وثقافته معبرا أو مستفيدا إلي أكبر درجة من الحضارة الأوروبية ، وهذا التيار والذي يعد عكس التيار الأول انما نجد فيه أيضا بعدا نقديا ، إذا يبين لنا أوجه القصور التي نجدها عند أصحاب التيار الأول ، وينقد جوانب كثيرة من مجالات التراث حتى يضع أيدينا علي الخطر الذي يتهددنا عندما نظن أن التراث فيه الحل لكل مشاكلنا وقضايانا الحديثة والمعاصرة .

أما التيار الثالث والذي يمثل نوعا من المزج بين التيار الأول (التراث) والتيار الثاني (الحضارة العربية أساسا) فإننا نجد عند أصحابه أيضا اتجاها نقديا واضحا غاية الوضوح .

ونود أن نشير إلي بعض الأفكار النقدية التي نجدها عند رفاعة الطهطاوي إذ نجد العديد في أفكاره قد تردد بصورة أو بأخرى عند أكثر مفكرى العرب في القرن العشرين .

لقد ولد الطهطاوي في نفس العام الذي عادت فيه الحملة الفرنسية (١٨٠١) ، ودرس بالأزهر علي يد مجموعة من الشيوخ ، وتأثر بالشيخ حسن العطار وترك لنا مجموعة من الكتب والرسائل المؤلفة والمترجمة ، وسافر إلي فرنسا واعظا لطلاب البعثة ، وتعلم اللغة الفرنسية ، وعاد إلي مصر حيث تم تعينه مترجما للغة الفرنسية بمدرسة الطب ، وقام بإدارة مدرسة المترجمين أي مدرسة الألسن ، وأشرف علي القسم العربي بجريدة الوقائع المصرية . (٢)

---

(٢) يمكن الرجوع إلي كتابنا : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر (دار قباء ـــ القاهرة) .

ومن الكتب التي تركها لنا وسواء منها المؤلف أو المترجم أو الذي قام بمراجعته :

- تخليص الإبريز في تلخيص باريز .
- مبادئ الهندسة .
- تعريب الأمثال في تأديب الأطفال .
- بداية القدماء وهداية الحكماء .
- منظومة وطنية مصرية .
- القانون المدني الفرنسي .
- التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية .
- القول السديد في الاجتهاد والتقليد .
- المرشد الأمين للبنات والبنين .

لقد دعانا الطهطاوي من خلال فكره النقدي إلي ضرورة الانفتاح علي الفكر الغربي الأوروبي . لقد قرأ مونتسكيو ورسو وغيرهما من مفكرين أوروبيين ، بين لنا فساد النظرة الاستبدادية وذلك حين تحدث عن الميثاق الدستوري والفروق بين فكرة التفويض الإلهي ، وفكرة العقد الاجتماعي ، وكيف أن الأمة مصدر السلطات وضرورة مبدأ سيادة القانون ، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، ومسئولية الملك أمام الرأي العام ، والحقوق المدنية كالمساواة والحرية وحق المواطن في حرية الرأي والملكية وحرية التنقل ، واختيار محل الإقامة .

إننا خلال فكره السياسي نجد اتجاها نقديا بارزا . لقد كان حريصا علي التمييز بين نظرة قديمة خاطئة ، ونظرة حديثة صائبة ونجد بعض أبعادها في الواقع الفرنسي الأوروبي لقد فتح النوافذ ، حتى لا نصاب بالاختناق وضيق التنفس ، وذلك حين نظل مجرد مرددين للأفكار القديمة المظلمة .

، ما يقال عن فكره النقدي في مجال السياسة يقال أيضا عن فكـــره الاقتصـــادي وذلك حين تحدث عن أهمية العمل ، وانه سر التقدم ، وقضية العلاقة بين العمـــل ورأس المال وأن الثروة لأجل الإنتاج وليس لمجرد الجمع دون الإنتاج ، وكيـــف يرتبط الإنتاج بالتقدم ، وفساد النظام الإقطاعي ، وتشجيع العلاقات التجارية حتـــى يتحقق الازدهار الاقتصادي .

واهتم أيضا بالفكر الاجتماعي والتربوي والعلمي أيضا وذلك من خلال نظرة نقدية واضحة المعالم ، إننا نجد ذلك في كتب له كتلخيص الإبريز ، ومناهج الألبـــاب ، والمرشد الأمين ، انه يبحث في الفرق بين التقدم المـــادي والتقـدم المعنـــوي ، وكيف أن الدين له وظيفة تربوية والحضارة جانب مادي وجانب معنوي ، وحيـث لا يمكن إحداث تقدم إلا بالجانبين ، وضرورة التحول من الجـــانب السـلبي إلـــي المشاركة والإنتاج ، والفن وأهميته ، وخروج المرأة إلي الحياة العامة ، والتربية وأهميتها ، وحق الإنسان في ممارسة عقيدته وكيف أن الوضع القـــانوني لأهـل الذمة في المجتمع الإسلامي يقوم علي أساس تمتعهم بالحقوق المدنية .

قلنا إن رفاعة الطهطاوي كان مهتما بالفكر التربوي والفكر العلمي ، إننـــا نجـده بالإضافة إلي الاتجاه النقدي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعيـــة ، يبحث في موضوعات تربوية وعلمية ، ومن الموضوعـــات التـــي أثارهـــا فـــي المجالين التربوي والعلمي :

- التربية كطريق للتقدم .
- التربية طريق الديمقراطية .
- التعليم لكل فرد .
- فائدة تعليم البنات .
- أهمية التربية الدينية .
- الاجتهاد في الدين ، والتقليد من العرف لا الدين .
- أهمية التربية السياسية .

ـ وفاء الرجل يعرف من حنينه لأوطانه .
ـ الانتماء الوطني انتماء محلي ، والانتماء القومي يتجاوز الحدود السياسية .
ـ العلم لا يقتصر علي ما كان موجودا بالأزهر ، وضرورة تطوير الأزهر .
ـ حركة الترجمة وأهميتها .
ـ رفض مقولة لا جديد تحت الشمس ، وأن السابقين لم يتركوا للاّحقين شيئا .
ـ أهمية العلم في بناء الحضارة .
ـ واجب الدولة رعاية العلم وتقدير العلماء .
ـ أهمية المؤسسات العلمية .

هذه نماذج من فكر الطهطاوي ، ومن الواضح أننا نجد لديه حسا نقديا يرتبط ارتباطا ضروريا بضرورة الإصلاح والتجديد والبحث عن النور والقضاء علي الظلام .

ولا بد أن نضع في اعتبارنا أن المفكرين العرب من المعاصرين قد قالوا بالعديد من الأفكار والتي قد تعد اكثر عمقا ودقة في أراء رفاعة الطهطاوي ، ولكن يبقي له وللشيخ حسن العطار انهما من الرواد الأوائل والرائد باستمرار له الأفضلية في شق الطريق وسط الأشواك والصخور ، إننا إذا كنا نختلف مع رفاعة الطهطاوي حول بعض أفكاره إلا أننا نقرر بأهميته في مجال الفكر التجديدي .

نعم من حقنا أن نفخر برفاعة الطهطاوي ، إذ انه يمثل وقفة بين تيار ماضي ، تيار الوقوف عند التراث ، وتيار حديث يكمن في التنبيه

إلي أهمية الحضارة الغربية والفكر الأوربي .

فذا كان من حقنا أن نفخر بمفكرنا التنويري رفاعة الطهطاوي ، فان من واجبنا أيضا دراسة أفكاره والتنبيه إلي أهميتها . ويقيني أننا سنجد في أفكاره العديد من القيم التنويرية البناءة والأفكار الخالدة ، والتي تدلنا علي أن الطهطاوي قد آمن

بربه ، وآمن بوطنه . لقد أعطاه وطنه الكثير ، ووجد لزاما عليه ، أن يبادل العطاء بعطاء ، أن يبادل الحب بحب .

أليس من المؤسف له وبعد مضي ما يقرب من قرنين من الزمان علي مولد مفكرنا الشامخ رفاعة الطهطاوي والذي يشق طريقه وسط الأشواك والصخور ، أن نجد اليوم في بعض مجتمعاتنا العربية مجموعة من الأفكار الرجعية التقليدية كتلك الأفكار التي كانت سائدة قبل دعوة رفاعة الطهطاوي ن وكأن الرجل كان يعم في واد غير ذي زرع .

نعم إنه يعد واجبا علينا دراسة أفكاره وتحليلها ، ولنأخذ منها ما نأخذ ، ونرفض منها ما نرفض . إما أن نباعد بيننا وبين أفكار مفكرنا الطهطاوي ، فإن هذا هو الخسران المبين إننا في هذه الحالة سيكون لهؤلاء الصغار الذين يقولون إننا جيل أساتذة . سنكون كالقطة التي تأكل أولادها ، إن الطهطاوي لم يقل بما قال من أفكار تنويرية نقدية إلا لكي تدرس بعمق ، وتحلل بدقة . والحذر كل الحذر أن نرتضي لأنفسنا الظلام وبحيث نفضله علي النور والضياء إن الظلام يرتبط بالعدم والفناء ، والنور علي العكس من ذلك تماما يرتبط بالوجود والبقاء ، تماما كما كان يناجي ابن سيناء ربه ويقول : فالق ظلمة العدم بنور الوجود .

إننا نسعي إلي النور ولا نرتضي لأنفسنا طريق الظلام والرجوع إلي الوراء والصعود إلي الهاوية . ويقيني أن العديد من أفكار الطهطاوي سنجد فيها الفائدة ، كل الفائدة في السعي من جانبنا إلي الوصول إلي طريق النور والتنوير .

توصيات مؤتمر أعلام الصعيد

انعقد مؤتمر "أعلام الصعيد" في عامه الثاني على التوالي في رحاب جامعة المنيا وكانت شخصية المؤتمر لهذا العام لرائد نهضة مصر الحديثة الأمام رفاعة الطهطاوى ·

ولقد جاء انعقاد المؤتمر تحت رعاية الأستاذ الدكتور / مفيد شهاب – وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي ، والسيد اللواء/ مصطفى عبد القادر – محافظ المنيا ، والأستاذ الدكتور / جمال أبو المكارم – رئيس جامعة المنيا · وبالرئاسة الشرفية للأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق – وزير الأوقاف ، وبحضور السيد اللواء / أحمد بكر – محافظ سوهاج ، وسعادة السفير / محمد فتحى رفاعة الطهطاوى · ولقد رأس المؤتمر السيد الأستاذ الدكتور / محفوظ عزام وذلك في الفترة من ١٣-١٤ / ١٩٩٩/٣م وبعد عدد من الجلسات الهامة والمناقشات الموضوعية الرصينة · توصل المؤتمر إلى إقرار عدد من التوصيات والاقتراحات ويتمثل ذلك فيما يلي:·

يوصى المؤتمر الهيئة العامة للكتاب :

١-بإعادة طبع الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى لما لها من قيمة تنورية رفيعة ·

يوصى المؤتمر محافظة سوهاج:-

٢-بإنشاء مكتبة ومتحف خاص بالشيخ رفاعة الطهطاوى ·

يوصى المؤتمر وزارة التعليم:-

٣-باختيار نماذج تكشف عن جوانب الأصالة والمعصرة في فكر الطهطاوى على أن تدرج بالمقررات الدراسية بالتعليم العام ·

٤-إنشاء هيئة قومية تهتم بشئون الترجمة والتعريب تأسياً بما فعله الطهطاوى ومدرسته ٠

٥-تخصيص موقع على شبكة الأنترنيت للتعريف بأعلام مدرسة رفاعة الطهطاوى ٠

٦-العناية باللغة العربية ومحاولة إيجاد مكان لها في تدريس العلوم التطبيقية تأسياً بما فعلته دول أوربية وآسيوية كثيرة في هذا المجال ٠

٧-لفت الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بالمنهج في أي حركة إحيائية أو أصلاحية ٠

٨-أن يقوم المنهج على أساس دراسة الواقع والربط بينه وبين العلوم النظرية ٠

٩-تزويد مكتبة الكلية بمؤلفات رفاعة الطهطاوى المتاحة ٠

١٠-إطلاق اسم الشيخ رفاعة الطهطاوى على إحدى قاعات الجامعة والتوصية لدى محافظة المنيا بإطلاقه على أحد الشوارع الرئيسية بها ٠

١١-إنشاء جائزة باسم رفاعة الطهطاوى لأحسن كتاب مترجم إلى اللغة العربية كل عام تقوم على تنظيمها وتمويلها جامعة المنيا ٠

١٢-تشجيع الباحثين على القيام بدراسات متخصصة في فكر الطهطاوى ٠

١٣-إرسال برقية مبايعة وتأييد للسيد الرئيس القائد محمد حسنى مبارك - رئيس الجمهورية ٠

١٤-يوصى المؤتمر بأن يكون موضوع مؤتمر العام القادم لأعلام الصعيد عن (جمال الدين الاسنوى ٠

برقية تأييد ومبايعة للسيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

من مؤتمر (أعلام الصعيد رفاعة رافع الطهطاوى) في الفترة من ١٣-١٥ مارس ١٩٩٩م

السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك - رئيس الجمهورية - القاهرة

إن مؤتمر (أعلام الصعيد) المنعقد بجامعة المنيا في الفترة من ١٣-١٥ مارس ١٩٩٩م والذي تنظمه كلية الدراسات العربية -جامعة المنيا تحت رعاية الأستاذ الدكتور/ مفيد شهاب-وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي والسيد اللواء/مصطفى عبد القادر-محافظ المنيا وبحضور السيد اللواء احمد بكر محافظ سوهاج والأستاذ الدكتور/جمال أبو المكارم رئيس الجامعة وبالرئاسة الشرفية للأستاذ الدكتور/محمود حمدي زقزوق-وزير الأوقاف

إن المؤتمر ليسره أن يعبر عن تأييده الكامل لخطى سيادتكم وقيادتكم الحكيمة لمشروع نهضة مصر الحديثة ٠ ويعلن المؤتمر مبايعته لسيادتكم لفترة رئاسة رابعة لاستكمال مسيرة التقدم والتنمية والرفاهية والسلام ٠

رئيس المؤتمر وعميد الكلية

أ٠د /محفوظ عزام

الفهرس

رقم الإيداع
بدار الكتب المصرية
٣٩٨٨/ ٢٠٠٠





مطابع جامعة المنيا المركزية